MAAR301CCT

النثر الحديث

(Modern Prose)

الماجستير – الفترة الثالثة

مديرية التعليم عن بعد

جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية

©Maulana Azad National Urdu University, Hyderabad

Course: Modern Prose
ISBN: 978-93-95203-22-7
Edition : 2022

الناشر	:	مسجل، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد.
الطبعة	:	2022
عدد النسخ	:	1000
تصميم الغلاف	:	د. محمد أكمل خان
المطبع	:	Arihant Offset, New Delhi

Modern Prose
For M.A. Arabic Third Semester

On behalf of the Registrar, Published by:
Directorate of Distance Education
Maulana Azad National Urdu University
Gachibowli, Hyderabad-500032 (TS), Bharat
Director: dir.dde@manuu.edu.in *Publication:* ddepublication@manuu.edu.in
Phone number: 040-23008314 Website: manuu.edu.in

© All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronically or mechanically, including photocopying, recording or any information storage or retrieval system, without prior permission in writing from the publisher (registrar@manuu.edu.in)

المدير

(Editor)

Prof. Syed Alim Ashraf
HoD Arabic, Course Coordinator Arabic,
DDE, MANUU, Hyderabad

أ.د. سيد عليم أشرف
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، ومنسق الدورة
جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية

اللجنة الإدارية

(Editorial Board)

Prof. Syed Alim Ashraf
HoD Arabic, Course Coordinator Arabic,
DDE, MANUU, Hyderabad

أ.د. سيد عليم أشرف
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، ومنسق الدورة
جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية

Dr. Mohd Anzar
Associate Professor
Department of Arabic, EFL University,
Hyderabad.

د. محمد أنظر
الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية
جامعة اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية، حيدرآباد.

Dr. Javed Nadeem
Assistant Professor, Dept. of Arabic,
MANUU, Hyderabad.

د. جاويد نديم
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية

Dr. Talha Farhan
Assistant Professor Arabic,
DDE, MANUU, Hyderabad

د. طلحة فرحان
الأستاذ المساعد، مديرية التعليم عن بعد
جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية

Dr. Mohd Fazlullah Shareef
Assistant Prof. Arabic
AKM Oriental College, Hyderabad.

د. محمد فضل الله شريف
الأستاذ المساعد، كلية إي كه أيم الشرقية
التابعة للجامعة العثمانية، حيدرآباد.

Dr. Mohd Safiullah Khan
Assistant Prof. Dept of Arabic,
Chanchalguda Degree College, Hyderabad.

د. محمد صفي الله خان
الأستاذ المساعد، كلية البكالوريوس، شنشل غوده
التابعة للجامعة العثمانية، حيدرآباد.

Dr. Mohd Abdul Aleem
Assistant Professor (Contractual), Arabic,
DDE, MANUU

Dr. Sayyed Mohd Umar Faruq Mohd Musa
Assistant Professor (Contractual), Arabic,
DDE, MANUU

Dr. Mohd Rahmat Hussain
Assistant Professor (Contractual), Arabic,
DDE, MANUU

Mohammed Suhail
Shaik Ul Adad,
Jamiat ul Banat Al Islahiya, Hyderabad.

د. محمد عبد العليم
الأستاذ المساعد المتعاقد
مديرية التعليم عن بعد، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية

د. سيد محمد عمر فاروق محمد موسى
الأستاذ المساعد المتعاقد
مديرية التعليم عن بعد، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية

د. محمد رحمت حسين
الأستاذ المساعد المتعاقد
مديرية التعليم عن بعد، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية

الأستاذ محمد سهيل
شيخ الأدب، جامعة البنات الإصلاحية

المنسق المسؤول للدورة

أ.د. سيد عليم أشرف

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية.

تفاصيل مؤلفي الوحدات:

الرقم	الاسم	المنصب	الوحدة
.1	د. عبد الغفور الهدوي كوناتدي	الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الجامعة، ترونتبرام، كيرالا.	4-1
.2	د. زين العابد ك. ك.	الأستاذ المساعد المتعاقد كلية التعليم عن بعد، جامعة كاليكوت، كيرالا.	8-5
.3	د. محمد عبد العليم	الأستاذ المساعد المتعاقد مديرية التعليم عن بعد، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد	12 ،9
.4	د. محمد شرف عالم	الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد.	10،11
.5	د. قمر شعبان	أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة بنارس الهندوسية، بنارس.	16-13

المحتويات

	رسالة		شيخ الجامعة	7
	رسالة		مدير مُديرية التعليم عن بُعد	8
	مقدمة الكتاب		الْمُنَسِّقُ الْمَسْؤُولُ للدَّورة	10
الكُتلَةُ الأولى				
	الوحدة 1		الخصائص العامة للنثر الحديث والتعريف بالمقالة، أهميتها وأنواعها	13
	الوحدة 2		وحي الهجرة لمصطفى صادق الرافعي	31
	الوحدة 3		اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن لأحمد أمين	47
	الوحدة 4		رسالة محمد للشيخ محمد عبده	63
الكُتلَةُ الثانية				
	الوحدة 5		التعريف بالقصة: أهميتها وأنواعها	82
	الوحدة 6		الدفين الصغير	95
	الوحدة 7		حكاية من دَمعة وابتسامة	109
	الوحدة 8		أسلوب المنفلوطي وجبران	123
الكُتلَةُ الثالثة				
	الوحدة 9		التعريف بالرواية: أهميتها وأنواعها	140
	الوحدة 10		رواية "زينب" (عشر صفحات من البداية)	159
	الوحدة 11		رواية كِفاح طِيبة (عشر صفحات من البداية)	175
	الوحدة 12		أسلوب محمد حسين هيكل ونجيب محفوظ	192

الكُتلَةُ الرابعة				
	الوحدة 13		التعريف بالمسرحية: أهميتها وأنواعها	207
	الوحدة 14		أهل الكهف (الفصل الأول)	221
	الوحدة 15		الآباء والبنون (الفصل الأول إلى المشهد الثالث)	235
	الوحدة 16		أسلوب توفيق الحكيم وميخائيل نعيمة	248
الملاحق				
نص الاقتباس من رواية "زينب"				263
نص الاقتباس من رواية "كفاح طيبة"				268
نص الاقتباس من مسرحية "أهل الكهف"				274
نص الاقتباس من مسرحية "الآباء والبنون"				289
ورقة الاختبار النموذجية				298

رسالة

لقد تم تأسيس جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية بموجب قانون البرلمان الهندي عام 1998م، وكانت الأهداف المفوضة إليها أربعة، وهي: 1- تطوير اللغة الأردية وتنميتها 2- توفير التعليم المهني والتقني بواسطة اللغة الأردية 3- توفير التعليم بالطريقتين: التعليم التقليدي والتعليم عن بعد 4- التركيز على تعليم المرأة، وهذه هي المحاور الجوهرية التي تمتاز بها هذه الجامعة المركزية عن مثيلاتها الأخرى. وعلما بأن سياسة التعليم الوطنية لعام 2020م تؤكد بشكل كبير على توفير التعليم باللغة الأم واللغات المحلية والإقليمية.

وإن تطوير المواد الدراسية للعلوم المختلفة باللغة الأردية لا يهدف إلا إلى إيصال المواد العلمية والعلوم العصرية إلى أهل اللغة الأردية التي تكاد تكون حوزتها خالية من المواد العلمية المعاصرة منذ زمن بعيد. وإن استعراضا سريعا للمكتبات الهندية ونظرة خاطفة إلى رفوف محلاتٍ لبيع الكتب تؤكد هذه الحقيقة أن اللغة الأردية قد انحصرت في بعض الفنون الأدبية فقط. وإن أحوال معظم الرسائل والجرائد الأردية لا تَقل في ردائتها عن الكتب بهذا الصدد. ومعظم ما كُتب ولا يزال يُكتب باللغة الأردية تنحصر في الموضوعات العاطفية غير العلمية في حينٍ، وترتكز على القضايا السياسية الممزوجة بالجدل والخلاف أحيانا أخرى، وتشرح هذه الكتاباتُ الدينَ من منظور مذهبي وفكري ضيق، وتُثقل الأذهان بتبادل التهم والشكاوى.

إن القراء والناطقين باللغة الأردية بصفة عامة يجهلون بأهم ما يدور حولهم من قضايا وموضوعات سواء أكانت متصلة بصحتهم وعافيتهم أم بكسبهم ودخلهم أم بنُظُم معيشتهم وطرق تجارتهم، أم كانت لها صلة بالأجهزة والآلات التي يعيشون بين ظهرانيها أم بالبيئة التي يتنفسون فيها أم بالقضايا المرتبطة بها، فهم لا يعرفون عن هذه الأشياء شيئا يذكر.

وإن إعواز هذه المادة العلمية على مستوى العامة وعدم توفرها لدى الناطقين بهذه اللغة خلق فيهم جوا من اللامبالاة وقلة الاكتراث بها ويعكس ذلك جليا في نقص الكفاءات الأكاديمية لدى أصحاب هذه اللغة، وإن أوضاع المقررات الدراسية لا يختلف عن المواد العلمية العامة في سوء الأحوال ورداءة المواقف، وفي مستهل كل عام دراسي يتجدد الحديث عن نقص الكتب الدراسية باللغة الأردية.

وعلما بأن اللغة الأردية هي واسطة التعليم في هذه الجامعة، وتتواجد بها معظم الأقسام للعلوم العصرية والفنون المتداولة في الجامعات العصرية الأخرى. تقدم هذه الأقسام كثيرا من الدورات والبرامج التعليميتين مما يجعل إعداد الكتب الدراسية واستكتابها على رأس مسؤوليات هذه الجامعة الفَتِيّة.

ومما يسرني أن مسؤولي الجامعة والأساتذة والمتخصصين يبذلون جهودا مضنية، وقد نجحت الجامعة بمساعداتهم في نشر سلسلة من الكتب الدراسية. وفي الوقت الذي تحتفل فيه جامعتنا بالذكرى الخامسة والعشرين لتأسيسها، يسعدني جدًا أن أحيطكم علما بأن مديرية التعليم عن بعد بالجامعة تستأنف من جديد أعمالها بكل جدية وجدارة لتحقيق التميز المعتاد ولوضع الأرقام القياسية الجديدة مما زاد إصدار الكتب ونشرها وطباعتها، والتي يستفيد بها الطلاب في جميع أنحاء البلاد.

وعلى الرغم من الوضع المدمر الذي جلبه الفيروس التاجي المستجد (كورونا) خلال العامين الماضيين، والذي من أجله أصبحت الأمور الإدارية ومراحل التواصل صعبة للغاية، إلا أن الجامعة نجحت في تنفيذ برامج التعليم عن بعد باستخدام كافة الوسائل المتاحة لها بشكل أفضل. وأخيرا أهنئ من سويداء القلب جميع الطلاب لالتحاقهم بالجامعة ولدي جزم أكيد بأن الحركة التعليمية لجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية تمهد لهم الطريق إلى حصول العلم والمعرفة.

أ.د. سيد عين الحسن

شيخ الجامعة

رسالة

إن التعليم عن بعد يعتبر طريقة مؤثرة للغاية ومفيدة إلى حد بعيد للتعليم في جميع أنحاء العالم، يستفيد الناس من هذه الطريقة على نطاق واسع في كل مكان، فبهذه الطريقة يكتسبون المعرفة ويحصلون على الشهادات. وقد أدركت جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية أهمية هذه الطريقة في مجال توفير التعليم منذ الأيام الأولى من تدشينها، فأَوْلت اهتماما بالغا نحوها واختارتها باعتبارها وسيلة للتعليم والتدريس، ومن الواقع أن هذه الجامعة قد تبنت طريقة التعليم عن بعد قبل الطريقة التقليدية للتعليم فبدأت أولا بتوفير التعليم بهذه الطريقة لأبناء الجالية الناطقة بالأردية.

وبادئ ذي بدء، استعارت الجامعة المواد الدراسية حرفيًا لبرامجها من جامعات أخرى (إذا كانت هذه المواد مُعدة باللغة الأردية) أو بشكل مترجم (إذا كانت بلغات أخرى)؛ معتزمة أنها تقوم بإعداد كتبها الدراسية بسرعة حتى ينتهي اعتمادها على الجامعات الأخرى تدريجيا.

وعندما بدأت عملية إعداد الكتب المدرسية وتنفيذ هذا المشروع، تبين أن الأمر لم يكن سهل المنال؛ فاعترضت المشاكل في كل خطوة من خطوات هذا المشروع، ونزلت به العوائق بشتى أنواعها التي أبطأت مساره، ولكن الجهود ظلت مستمرة وبالتالي أسفرت عن طباعة الكتب الدراسية الكثيرة حتى الآن. ونأمل -بإذن الله- أن ننجح في وقت قريب في إعداد سائر الكتب الدراسية لجميع الدورات والبرامج التعليمية عندنا.

إن مديرية التعليم عن بعد قد أعدت وطوّرت - تسهيلا للطلاب- شبكة واسعة النطاق ومترامية الأطراف تتكون من تسعة مراكز إقليمية (في كل من: بنغالور، وبهوفال، وكولكاتا، ومومبائ، وباتنا، ورانتشي، وسيري ناغار) وستة مراكز إقليمية فرعية (حيدرآباد، ولكناؤ، وجامو، ونوح(في ولاية هاريانا)، ووارانانسي، وأمراواتي)، ويقدم كل من هذه المراكز الإقليمية الرئيسة/ الفرعية مساعدات علمية وإدارية للطلاب عن طريق "مركز دعم المتعلم"(Learner Support Centre). وفي العام الدراسي 18-2017 كانت هذه المديرية تقوم بإدارة مائة وأربعة وأربعين (144) مقرا للدراسة عن طريق مراكزها الإقليمية بالإضافة إلى عشرين مركزا للبرامج(20 Program Centres).

قد اختارت مديرية التعليم عن بعد نظاما تعليميا يسمى بـ"النظام الائتماني المبني على الاختيار" (Choice Based Credit System) للبكالوريوس والماجستر بغية لمواكبة أحدث المعايير المتبعة في مجال التعليم، وتوفير التسهيلات لطلاب التعليم عن بعد ورفع مستواهم. كما أخذت مديرية التعليم عن بعد تباشر استخدام التكنولوجيا المعلوماتية والاتصالية في جميع نشاطاتها الأكاديمية والإدارية، وبهذا أصبح القبول الآن في جميع برامجها عبر الإنترنت فقط.

وتوفيرا للبيئة التعلمية للطلاب في كل وقت ومكان يُعِدُّ مركز الإعلام التعليمي بالجامعة محاضرات افتراضية مسجلة، وتتوفر هذه المحاضرات بكميات لا بأس بها على قناة المركز على موقع يوتيوب، ويمكن العثور عليها على العنوان التالي:) https://www.youtube.com/c/IMCMANUU)، وتعمل المديرية على خطة للمستقبل تهدف إلى توفير نسخ إلكترونية من المواد التعليمية عبر موقع الجامعة، ولتحسين الروابط بين المديرية وطلابها، تم تطوير نظام رسائل قصيرة يمكن للطلاب من خلاله الحصول على المعلومات المتصلة بنواح شتى من البرامج مثل: التسجيل للبرامج، والأعمال المفوضة، وتقديم المساعدة والإرشاد، وجدول الفحوص والامتحانات وما إلى ذلك. وتوفر مديرية التعليم عن بعد حاليا خمس عشرة دورة بمستوى الماجستر والبكالوريوس، وبكالوريوس التربية، والدبلوم، ودورات الشهادة، وتبدأ عما قريب الدورات القائمة على مهارات.

إن مديرية التعليم عن بعد تسعى بجهودها المتواصلة الدؤوبة الوصول إلى ما لم يتم الوصول إليهم بعد، ونرجو أن سيكون لهذه المديرية دور بارز في إدخال الفئات المتخلفة تربويا واقتصاديا وثقافيا في التيار الرئيسي للمجتمع.

أ.د. محمد رضاء الله خان

المدير، مديرية التعليم عن بعد

مقدمة

(التعريف بالدورة)

إن اللغة العربية أو لغة الضاد هي واحدة من أهم اللغات وأكثرها انتشارا في العالم، وهى تندرج في ضمن اللغات السامية التي تعتبر مجموعة لغوية كبيرة من أسرة اللغات الأفرو آسيوية، ومن اللغات السامية الأخرى العبرية، والآرامية، والأمهرية. إن اللغة العربية إحدى اللغات الست المعترف بها رسميا في منظمة الأمم المتحدة. إنها لغة رسمية لاثنتين وعشرين دولة، وتستخدم باعتبارها لغة رسمية ثانية في كثير من البلدان بما في ذلك مالي، وتشاد، وإريتيريا، والصومال. وبالإضافة إلى ذلك كانت هذه اللغة لغة المعرفة والحكمة والعلم والتكنولوجيا في العصور الوسطى وظلت تتمتع هذه المكانة المرموقة والمنزلة الرفيعة لعدة قرون مما مكنها من نفوذ قوي وتأثير بالغ على ما يقرب من مائة لغة في العالم، والعمل على إثراءها علميا ولغويا، ومن أهم هذه اللغات الفارسية والتركية والسواحلية والهوسا والأمهرية ولغتنا الأردية، حتى في السياق الراهن تعد اللغة العربية لغة ذات أهمية كبيرة، وقد ضاعف اكتشاف النفط على النطاق الواسع في منطقة الشرق الأوسط أهميتها أضعافا مضاعفة. وإن هذا الوضع قد زاد في إقبال الناس على هذه اللغة من جانب، وفتح منافذ جديدة للفرص والإمكانات أمام طلابها ومتعلميها.

وإن هذا الكتاب الذي بين أيدينا باسم " النثر الحديث" قد تم إعداده في ضمن الكتب التي أعدت من قِبَل مديرية التعليم عن بعد لطلبة الماجستير للفترة الدراسية الثالثة في المرحلة الجامعية وهو مفيد بالقدر نفسه لطلاب التعليم التقليدي لأنه يتماشى مع المبادئ التوجيهية لمكتب التعليم عن بعد لعام 18-2017، والتي بموجبها يجب أن تكون المناهج الدراسية لكل من التعليم عن بعد والتعليم التقليدي هي نفسها، ولذلك، تتفق هذه الدورة مع منهج الماجستير في الفترة الثالثة من النمط التقليدي للتعليم المعمول به والمعتمد عليه في جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية.

يتكون هذا الكتاب من أربع كُتَلٍ تتضمن ست عشرة وحدةً. تتناول الكتلة الأولى من الموضوعات: "الخصائص العامة للنثر الحديث" و"التعريف بالمقالة: أهميتها وأنواعها"، و "وحي الهجرة لمصطفى صادق الرافعي"، و"اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن لأحمد أمين"، و "رسالة محمد للشيخ محمد عبده". وأما الكتلة الثانية فتتناول "التعريف بالقصة: أهميتها وأنواعها"، و"الدفين الصغير لمصطفى لطفى المنفلوطي"، و "حكاية مِن "دَمعة وابتسامة" لجبران خليل جبران"، و "أسلوب المنفلوطي وجبران". وأما الكتلة الثالثة فتشتمل على "التعريف بالرواية: أهميتها وأنواعها"، و"رواية "زينب" (عشر صفحات من البداية)"، و "رواية كِفاح طيبة (عشر صفحات من البداية)"، و"أسلوب محمد حسين هيكل ونجيب محفوظ". وأما الكتلة الرابعة فهي تتضمن على "المسرحية: أهيمتها ونشأتها" كما تشتمل أيضا على دراسة مسرحيتين: "أهل الكهف" و"الآباء والبنون"، بالإضافة إلى ذلك تبحث هذه الكتلة عن "أسلوب توفيق الحكيم وميخائيل نعيمة".

وبالإضافة إلى ذلك ألحقنا في آخر الكتاب النصوص من الروايات والمسرحيات وفقا للمقررات الدراسية في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية مع شرح الكلمات الصعبة في الحاشية لسهولة الدارسين والمكتسبين.

وامتثالا لأوامر قسم الامتحانات وتبعا لما هو المعهود للاختبار في نمط التعليم التقليدي تم وضع نماذج من ثلاثة أنواع من الأسئلة في فئة "أسئلة الاختبار النموذجية"، وهي: 1- أسئلة موضوعية، 2- أسئلة الإجابات القصيرة، 3- أسئلة الإجابات الطويلة.

منذ أن تم تطوير هذا الكتاب باعتباره "مادة مكتسبة ذاتيًا" (SLM)، اتبعت تلك المبادئ والطرق التي يتم في ضوئها إنتاج هذا النوع من المواد التعليمية لكي لا يواجه طلاب نمط التعليم عن بعد أي صعوبة في قراءة هذه الدروس وفهمها واستيعابها، ولم يكونوا بحاجة إلى أي مساعدة خارجية أو وسيلة أجنبية.

أ.د. سيد عليم أشرف

منسق الدورة

الوحدة: 1

الخصائص العامة للنثر الحديث

والتعريف بالمقالة

عناصر الوحدة

1.0 التمهيد

1.1 أهداف الوحدة

1.2 تعريف النثر وأهميته في الأدب العربي

1.2.1 النثر لغة واصطلاحا

1.2.2 النثر في الأدب العربي

1.3 النثر في العصر الحديث وأقسامه وخصائصه

1.3.1 مظاهر تطوّر النثر العربي الحديث وعواملها

1.3.2 مدارس النثر العربي الحديث

1.3.3 الأنواع الحديثة في النثر العربي

1.3.4 الخصائص العامة للنثر العربي الحديث

1.4 المقالة تعريفها وخصائصها وأنواعها

1.4.1 المقالة لغة واصطلاحا

1.4.2 عناصر فنّ المقالة

1.4.3 المقالة نشأتها وتطوّرها في العصر الحديث

1.4.4 أنواع المقالة العربية

1.4.5 الخصائص العامة للمقالة العربية

1.5 نتائج التعلّم

1.6 الكلمات الصعبة ومعانيها

1.7 أسئلة الاختبار النموذجية

1.8 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1.0 التمهيد

"الشعر ديوان العرب" هذه مقولة متداولة منذ قرونٍ من الزمن تدلّ على مدى رسوخ الشعر في حياة العرب. فكان العرب القدامى يعتبرون الشعر الفنّ الأدبيّ الأقدر على تدوين أحاسيسهم ومشاعرهم والسجلّ الأوفى لتسجيل مآثرهم ومفاخرهم. ولكن هل تصدق هذه المقولة على الأدب العربي المُعاصر أيضا؟ من دون تقليص شيء من أهمية الشعر العربي المعاصر. نجيب لهذا السؤال بـ "لا"، لأنّ الشعر مع ما له من المكانة العظيمة لم يعد يصلح لهذه الصفة في العصر الحديث، لما احتلّت مكانه في الرواج والتداول ألوان نثرية جديدة مثل المقالات والروايات والقصص والتي تجدر بأن تسمى كـ"ديوان العرب المعاصر".

فالشعر والنثر هما وجهان للأدب، لكلّ منهما أسلوبه وخصائصه. وكلّ منهما قادر على أن يعبّر عما يخطر ببال الأديب من الأفكار وما تحتوي نفسه من المشاعر والانفعالات. وحيث يقال إنّ الأدب هو مرآة المجتمع، يظهر كلّ تغيّر يتعرّض له المجتمع في مكتوبات أدبائه سواء كانت شعرا أم نثرا. فيحمل أدب العصر الجاهلي سمات ذاك العصر المعيّن كما تحمل آداب العصر الإسلامي والعصر العباسي والعصر العثماني خصائص العصور التي تنتمي إليها. فلا غرو في أن تتسرّب آثار التغيّرات الهائلة التي شهدها أو لا يزال يشهدها العصر الحديث إلى ألوان آدابه فتظهر في أساليبها ومعانيها وألفاظها. فهذه الوحدة الأولى من هذا الكتاب مخصّصة للنثر العربي في العصر الحديث وأنواعه وخصائصه، كما تتناول هذه الوحدة فنّ المقالة الذي هو نوع مهمّ من أنواع النثر العربي الحديث تعريفا وبيانا.

1.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى:

- التعريف بفنّ النثر الأدبي ومكانته في الأدب العربي
- الاطلاع على مظاهر تطوّر النثر العربي الحديث وعوامله
- التعريف بالأنواع المستحدثة في النثر العربي
- فهم الخصائص العامّة لفنّ النثر في الأدب العربي الحديث
- التعريف بالمقالة وعناصرها وأنواعها وخصائصها

1.2 تعريف النثر وأهميته في الأدب العربي

1.2.1 النثر لغة واصطلاحا

المعنى اللغوي لكلمة "النثر" هو إفشاء الشيء ونشره وقد يطلق على الشيء المتبعثر والمتفرّق. يقول صاحب لسان العرب: "النثر نثرك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر". وفي المعجم الوسيط: (نثرت) الدابة نثيرا عطست والشيء نثرا ونثارا رمى به متفرقا". فالمعنى اللغوي للنثر الذي نحن بصدده هو إرسال الكلام وتفريقه ونشره دون أيّ أساس من حيث الكمّ والكيف والاتساع ما دون رعاية الوزن والقافية.

أمّا النثر في الاصطلاح فهو كما عرّفه د. شوقي ضيف "الكلام الذي لم يُنْظَم في أوزان وقَوَافٍ". فالنثر هو كلام غير موزون. فكلّ كلام ليس بشعر يقع في قبيل النثر العامّ لكونه خاليا عن هياكل الأوزان وقيود القوافي اللازمة للشعر. فالنثر على هذا المعنى ضربان: الضرب الأول هو النثر العادي الذي يتخاطب به الناس في شؤون حياتهم اليوميّة، والضرب الثاني النثر الفني الذي يتميّز عن نظيره أسلوبا وبلاغة وتأثيرا وما احتوى عليه من المعاني والأخيلة البديعة. فهذا الضرب الثاني هو الذي نعنيه بالنثر في وحدتنا هذه.

1.2.2 النثر في الأدب العربي

النثر وبالأخصّ النثر الفنّي هو نوع أدبي معروف في اللغة العربية منذ أوائل تاريخها المعلوم. فكان النثر في أوائل تاريخ الأدب العربي ينحصر في الأشكال المحدودة والأغراض المعدودة فحسب مثل: الأمثال والحكم والخطب، إلّا أنه تطوّر شيئا فشيئا في العصور اللاحقة إلى أن أصبح في الشكل الذي نجده اليوم في العصر الحديث. وخلال هذا التطوّر التدريجي شهد الأدب العربي بروزا لأنواع نثرية جديدة، يتميّز كلّ منها بخصائص فنّيّة ويتناول موضوعات مختلفة تدور حول أوضاع كلّ عصر من العصور.

ففي العصر الجاهلي الذي يعدّ أقدم العصور الأدبية العربية، لم يكن النثر الفنّي رائجا بين العرب كما كان الشعر يتمتّع بالرواج والقبولية بينهم. فحيث كان العرب قبل الإسلام أمّيّين غالبا، ما كانت الكتابة منتشرة بينهم، بل كانوا يعتمدون على ذاكرتهم في حفظ أمورهم بدل تقييدها بالكتابة. ولهذا السبب نفسه، كانوا يفضّلون الشعر على النثر في تلك الأيّام، لكونه أيسر وأسهل للحفظ بالنسبة إلى النثر، ولكونه مقيّدا بأوزان وألحان مخصوصة. ولهذا السبب كانوا لا يهتمّون بالنثر كنوع فنّيّ في تلك الأيّام، بل كانوا يقتصرون استخدامه في أغراض محدودة فقط مثل شؤونهم السياسية والتجارية. ولعلّ لهذه الأسباب أنّ كلّ ما يحفظه لنا التاريخ من النثر الجاهلي لا يتعدّى شيئا من الأمثال والحكم وخطب قصيرة وبعضا من الوصايا وسجع الكهّان.

ومع ظهور الإسلام، دخل الأدب العربي إلى طور جديد من تاريخه، فحيث تعرضت الحياة الاجتماعية والحياة الأدبية للعرب لانقلاب شامل وتطوّر غير سابق بدأ الشعر والنثر يتغيّران تغيّرا محسوسا في أشكالهما ومضمونهما. وقد فتح القرآن الكريم والأحاديث النبوية بابا جديدا من الإبداع أمام النثر العربي. ففي العهد الإسلامي، عظمت أهمية النثر وازدادت الحاجة إليه لما اقتضت الحياة الجديدة اللجوء إلى النثر أكثر من الشعر للحاجات الدينية والدعوية. وقد أثّر القرآن العظيم تأثيرات بعيدة في الأدب العربي، فحوّله من قصائد في الغزل والحماسة ووصف الجمال والخيول وصرّفه من حكم وأمثال متناثرة بدون ضابط ولا نظام إلى أدب عالمي يخوض في مشاكل حياة الأفراد والمجتمع وينظّم أمورها الدينية والدنيوية. ففي هذا العهد، تطوّر فنّ الخطابة مع تأثّرها بالقرآن والحديث النبوي، كما برزت في مجال النثر فنون جديدة مثل الرسائل والعهود.

أمّا في العصر الأمويّ فقد نما النثر العربي نموّا واسعا، حيث بدأت الكتابة تروج بين العوام والخواص وأصبحت ضرورة إدارية واجتماعية وعلمية في المجتمع الأمويّ. فكان من الفنون النثرية التي ازدهرت في هذا العصر الخطابة والرسائل والتوقيعات. أما الخطابة فقد نالت أهمية كبرى لتعدّد الأحزاب السياسية والدينية وكثرة الفتن والاضطرابات وتوسّع الرقعة الإسلامية في هذه الفترة. فكانت الخطب متأثرة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومقتبسة منهما ومتسمة في الغالب بتحسين الألفاظ وتنسيق الجمل. أما فنّ التوقيعات فهي عبارات موجزة

غاية في البلاغة والروعة يكتبها الخلفاء أو الأمراء أو الولاة في أسفل الطلبات أو القضايا التي ترفع إليهم. وكانت التوقيعات كفنّ أدبيّ تتميّز بالإيجاز والبلاغة بسموّ المعنى وقوّة الألفاظ. أما الرسائل في هذا العصر فقد أصبحت فنّا مستقلا لأهميّتها في الأمور الدينية والإدارية. وقد ترقّى فنّ الرسائل بفضل موهبة عبد الحميد الكاتب الذي يعدّ إمام طور جديد في الكتابة العربية لكونه أوّل من وضع الأساس للمنهج الكتابي في الأدب العربي.

أمّا في العصر العبّاسي، فقد أصبح النثر العربي متعدّد الفروع، بما فيها النثر العلمي والنثر الفلسفي والنثر التاريخي والنثر الأدبي الخالص. فكان النثر في هذا العهد امتدادا للقديم في بعض صوره مثل الخطابة والرسائل، كما كان في بعضها الآخر مبتكرا كفنّ المقامات. بدأ النثر العباسي يتجه إلى كثير من الأغراض والموضوعات الشخصية والاجتماعية والإنسانية بعد أن كان منحصرا في الأغراض السياسية والحزبية في العصر الأمويّ. وقد كانت للثقافات الأجنبية مثل الفارسية والهندية واليونانية تأثيرات كبيرة في إثراء النثر العبّاسي بفيض من المعاني العقلية والفلسفية، كما قادت حركة النقل والترجمة التي شهدها هذا العصرُ النثرَ الفنّيّ إلى آفاق جديدة من الإبداع والابتكار. فالأدباء مثل عبد الله بن المقفّع والجاحظ وغيرهما من كتّاب هذا العصر أثروا النثر العربي بأسلوب متّسم بسمات الحضارة الراقية الجديدة.

ومع أواخر العصر العبّاسي، بدأت القوّة الحضارية العربية الإسلامية تتراجع عن ازدهارها وتمّ سقوطها مع سقوط بغداد على أيادي الطغاة المغوليين. فالعصر الذي يمتدّ من سقوط الدولة العبّاسية في بغداد إلى النهضة الحديثة في البلاد العربية يوصف بشكل عامّ بعصر الانحطاط والتدهور في تاريخ الأدب العربي، وذلك لما شهدت المجالات الفكرية والثقافية والأدبية العربية في هذه الفترة قلّة في الإبداع والإنتاج. أمّا الفنون النثرية مثل الخطب والرسائل والمقامات فكانت موجودة في هذه الفترة أيضا إلاّ أنّها كانت متّسمة بالتكلّف والتصنّع. وكان أدباء هذا العصر يركّزون على المحسّنات اللفظية مثل السجع والجناس والطباق دون الأفكار البديعة والمعاني المبتكرة، كما كان معظم العلماء يشتغلون بالشرح والتعليق للكتب التي خلّفها أسلافهم. فالنثر العربي في هذه الفترة لا سيّما في عهد الحكم العثماني تدنّى إلى درجة تافهة تجمّد فيها الإبداع والابتكار وتسلّط التصنّع والتقليد على الطبيعة والسليقة.

1.3 النثر في العصر الحديث وأقسامه وخصائصه

1.3.1 مظاهر تطوّر النثر العربي الحديث وعواملها

سبق أن قلنا بأنّ الأدب العربي عموما والنثر منه خصوصا ساده نوع من الجمود والركود بعد العصر العباسي، وزاد الأمر سوءا بعد وصوله إلى العصر العثماني، حينما شدّد التصنّع والتكلّف قبضتهما على الفنون الأدبية العربية كافّة. فكان الأدباء يكتبون، لكن بأسلوب متصنعّ ولغة مثقلة غريبة مغطاة بالسجع والجناس والمحسنات البديعية الأخرى. وكان العلماء مهتمّين بالتعليقات والشروح والهوامش لمصنّفات أسلافهم أكثر من محاولاتهم بإبداعات جديدة. ولكن بعد كلّ ليل صباح مشرق، وبعد كلّ ظلام نور ساطع، بدأت حركة انبعاث في الأدب العربي تظهر بشكل تدريجي مع نهاية القرن الثامن عشر، وبالتحديد منذ أن بدأ الاحتكاك بين العرب والغرب إثر احتلال نابليون أراضي مصر سنة 1798م. فهذه النهضة الأدبية التي طلعت بواكيرها في مصر بدأت تشيع منها إلى دول عربية أخرى، إلى أن استفاق بسببها الأدباء والكتاب العرب من غفوتهم، وشرع الأدب العربي يتحوّل من الكساد

إلى الرواج ومن الانحطاط إلى الازدهار. فهذه النهضة الأدبية أثّرت على النثر والشعر العربي على حدّ سواء وأسفر عن تحرّر الأدب العربي مع جميع أصنافه من إسار السجع وصنعة الجناس وقيود البديع.

فمنذ أوائل القرن التاسع عشر، بدأ النثر العربي ينبعث من أوضاعها السيئة ويتشكلّ حسب تغيّرات العصر الجديد. أمّا التطوّرات والتغيّرات المستجدّة في النثر العربي فكانت ظاهرة يمكن تصنيفها في ثلاثة محاور أساسية، وهي:

- اللغة والأسلوب: في بداية العصر الحديث، كان الأدباء يكتبون بلغة متصفة بالتكلّف والتصنّع بحيث يختفي المضمون وراء الكلمات المزخرفة بالمحسنات اللفظية. فهذا الأسلوب المسجوع المزخرف ظلّ سائدا في بدايات النهضة الأدبية الحديثة في كتابات الأدباء والمترجمين أمثال رفاعة الطهطاوي وتلاميذه، إلاّ أنّه بدأ أن يتطوّر شيئا فشيئا إلى أن أصبح غالبية الأدباء يميلون إلى البساطة والإيجاز في التعبير ويتجنّبون التأنق والتصنع في اختيار الكلمات فصار ما يكتبونه مفهوما لدى جميع طبقات المجتمع. أما من كانوا يعنون بالجانب الشكلي فهم أيضا كانوا لا يبالغون بل يأتون بذلك بحيث لا يعرقل دون وضوح المضمون.
- الموضوعات الجديدة: يمثل المظهر الثاني من مظاهر تطور النثر العربي الحديث في تنوّع الموضوعات التي يعالجها الكتّاب. ففي العصور السابقة، لا سيّما في العصر العثماني، كان النثر العربي ينحصر في موضوعات محدّدة وساذجة لا أهمية لها بالنسبة إلى المجتمع ومشاكله. فكانت الإبداعات الفنّية المقيّدة بالمحسّنات اللفظية تدور حول موضوعات شخصية مثل مدح أو تهنئة أو تعزية أو وصف ونحوها. ولكن الأدباء منذ منتصف القرن التاسع عشر بدأوا يعالجون في كتاباتهم موضوعات عامّة متصلة بأناس عاديين، وحاولوا وضع المجتمع محلّ الأفراد، فصوّروا بأقلامهم مشاكل الإنسان العامّة وسعوا في إصلاح المفاسد الاجتماعية وزيوف الحضارة الجديدة.
- الفنون المستحدثة: كنتيجة لاطلاع العرب على الآداب الغربية وانتشار الصحف بين العرب، وسّع النثر العربي الحديث صدره لقبول فنون وأجناس نثرية جديدة لم تكن معروفة لدى العرب من قبل، أمثال المقالة والمسرحية والرواية والقصّة القصيرة. وإلى جانب هذه الفنون المستحدثة، ازدهرت الفنون القديمة أيضا مثل الخطابة والرسائل والمقامات بفضل التأثر بالفكر السياسي الغربي والحريات والحقوق الجديدة.

أما العوامل التي أدّت إلى هذا الازدهار في مجال النثر الفنّي باللغة العربية فهي كثيرة، وكلّ منها لعب دوره في تخليص هذا الفنّ من هوّة الانحطاط إلى أوج النموّ والإبداع. فمن تلك العوامل التي جعلت النثر العربي مواكبا لاتجاهات العصر الحديث ما يأتي:

- التلاقح الثقافي بين العرب والغرب: يرجع الفضل في تطوير النثر العربي أوّلا إلى التواصل الثقافي المقام بين البلاد العربية والدول الغربية إثر الاحتلال الفرنسي لمصر تحت قيادة نابليون بونابرت عام 1798م. فهذه الحملة العسكرية، رغم كونها صدمة تاريخية على معالم الثقافة العربية، إلا أنها أتاحت للعرب فرصا للاطلاع على الإنجازات التي يحقّقها الغرب في المجال العلمي، وبالتالي حرّضتهم على التيقظ من سباتهم الثقافي، فكأوّل خطوة لسدّ هذه الفجوة العلمية، بدأ طلاب العرب يرحلون إلى البلاد الغربية مثل فرنسا وإيطاليا في طلب العلم الحديث. وهذه البعثات العلميّة، فتحت أمام اللغة العربية بابا إلى الأدب الغربي بمختلف فنونه.

- حركة الترجمة: تعتبر الترجمة وسيلة تتمسّك بها الأمم المختلفة منذ أقدم العصور من أجل إثراء حياتها الثقافية والاجتماعية والعلمية. كان لحركة الترجمة التي شهدها العصر الحديث دور مهمّ في تطوير مجال النثر العربي. ففي القرن التاسع عشر، تمّت ترجمة عدد لا يحصى من الكتب العلمية والأدبية في اللغات العالمية مثل الفرنسية والإنجليزية والإيطالية إلى اللغة العربية. فهذه الحركة ساعدت العرب على الاطلاع على الفنون النثرية الجديدة مثل المسرحيات والروايات والتي كانت منحصرة في الأدب الغربي وحرّضتهم على التقليد لتلك النماذج الأدبيّة المستحدثة.
- الطباعة والصحافة: تعدّ الطباعة والصحافة حدثين مهمّين وقعا في تاريخ الأدب العربي لإطلاقهما العنان عن الأدب العربي وتوصيله إلى عوام الناس وخواصهم بدون حدود. كانت المطبعة الأولى في العالم العربي مطبعة بولاق التي أسسها محمد علي باشا عام 1821م في مصر، والجريدة الأولى "الوقائع المصرية" التي أصدرها محمد علي باشا نفسه عام 1828م. ثم تتابعت إقامة وإصدار مطابع وصحائف في مختلف أنحاء العالم العربي. فهذه المطابع والصحائف والمجلات الأدبية المختلفة ساعدت في تعميم الأفكار والمعارف على جميع الطبقات في المجتمع وتقوية مجالات الترجمة والأدب. وقد كان ظهور فنّ المقالة نتيجة من نتائج ازدهار مجال الصحافة.
- الهجرة والنزوح: ومن العوامل التي أثرت في النثر العربي وعملت في تغيير مصيره ومساره الهجرات المتتالية التي قام بها الأدباء العرب إلى البلاد الغربية، لا سيّما بين الفترات الممتدّة من نهاية القرن التاسع عشر إلى حوالي النصف الأول من القرن العشرين. فكان الأدباء المهاجرون على اختلاف مشاربهم ومسالكهم الفكرية والعقدية والدينية متأثّرين بالتيارات الأدبية في مهاجرهم مثل الرومانسية والرمزية ونحوها، ومن ثمّ نقل مبادئها إلى اللغة العربية من خلال مكتوباتهم. فقاموا بنشر مجلات وكتب بالعربية، عرّفوا من خلالها أنماطا أدبية، شعرا ونثرا، لم يعهدها الأدب العربي من قبل.

1.3.2 مدارس النثر العربي الحديث:

عندما يطرأ تطوّر جديد في شيء من شؤون المجتمع لا بدّ أن يكون في الناس من يعارض ذاك التغيّر بكلّ قوّة فيولّي عنه ظهره، وفئة أخرى تدعمه وترحّب به وتعتنقه، وكذا فريق ثالث يعارض التغيّرات من ناحية ويؤيّدها من ناحية أخرى. فهذه هي سنّة من سنن المجتمع. فعندما طرأت التغيرات على الأدب العربي نجد هذا التردّد بين الكتاب العرب في قبول تلك التغيرات ورفضها. فعلى هذا الأساس، نجد في تاريخ النثر العربي أيضا ثلاث مدارس، لكلّ منها أصحابها وسماتها، فهي:

1- مدرسة المحافظة الجامدة: أصحاب هذه المدرسة، وفي مقدّمتهم الشيخ ناصيف اليازجي، يفضّلون الأسلوب القديم للنثر العربي. فكان همّهم تحرير آداب اللغة العربية من الجمود الذي أصابها، ولكن بإحياء الأساليب القديمة في العصور الذهبية للأدب العربي. فكانت خطوتهم خطوة التقليد وقصدهم الحفاظ على الأدب العربي في قالبه القديم.

2- مدرسة التجديد المتطرّف: أصحاب هذه المدرسة كانوا يدعون للتحرّر الكامل من التراث وأساليبه القديمة والتمسك بأساليب سهلة تجري مع الطبع. كان أحمد فارس الشدياق رائد هذه المدرسة، وتبعه فيها محرّرو

الصحف والمترجمون أمثال خليل الخوري وسليم البستاني ونجيب الحدّاد وفرح أنطون. وقد نزعت هذه المدرسة نزعة التحرّر من كلّ قيد، وراح كتّابها يعتمدون لونا طريفا في ترتيب الكلام وتبويبه ويقصرون كتابتهم على المعاني ودقّتها وعلى الأساليب الفنّية العالمية، مع التخلّي عن جميع صور الزخارف وأنواع البديع.

3- مدرسة الاعتدال: هذه المدرسة في النثر الحديث هي التي تجمع بين القديم والحديث، فيأخذ أصحابها من مصالح النثر القديم مع قبول ما يحسن من الاتجاه الحديث. فكان أصحاب هذه المدرسة وفي مقدّمتهم الشيخ محمد عبده والشيخ إبراهيم اليازجي يركّزون على أسلوب صحيح وتفكير قويم ويكتبون بلغة فصحى خالصة عن العامية وأساليب السجع الملتوية.

اختبر معلوماتك:

1- عرف النثر لغة واصطلاحا.

2- ما هي أهم مدارس النثر العربي الحديث؟

1.3.3 الفنون النثرية الجديدة في الأدب العربي الحديث

ونتيجة للاتصال الفكري والثقافي بين الشرق والغرب، تأثر الأدب العربي بالآداب الغربية ولا سيما بالآداب الإنكليزية والفرنسية في الجوانب الكثيرة بدأت ألوان جديدة من النثر الفنّيّ تدخل إلى الأدب العربي بشكل تدريجي، فرغم التطورات التي وقعت في الفنون النثرية القديمة، بدأ الأدباء العرب يعترفون بأنواع جديدة من النثر الفنّي الغربي، وجعلوا يحاولون بالصياغة على منوالها في لغتهم. فمن أهمّ الفنون التي صارت جزءا لا يتجزّأ بالأدب العربي الحديث ما يأتي:

1- المقالة: هي صورة نثرية يستعرض فيها الكاتب سلسلة من الأفكار حول موضوع معيّن بأسلوب منطقيّ جذّاب، فلعّل فنّ المقالة هو أوّل الفنون النثرية الحديثة التي لحقت باللغة العربية، لأنّها كانت وليدة الصحافة والطباعة. وكان من أبرز روّاد هذا الفنّ في الأدب العربي مصطفى لطفي المنفلوطي، مصطفى صادق الرافعي، عبّاس محمود العقاد، أحمد حسن الزيات، طه حسن، ميخائيل نعيمة وأمثالهم.

2- القصّة: هي قطعة نثرية تحتوي على حدث أو مجموعة من الأحداث التي تقع مع الشخصيات فيها في زمان ومكان محدّدين. وبالنظر إلى طولها وقصرها، يمكننا تقسيمها إلى نوعين: الأول القصّة القصيرة أو القصّة القصيرة جدّا، والثاني القصة الطويلة أي الرواية. كانت الأشكال البدائية لهذا الفنّ موجودة في الأدب العربي القديم مثل المقامات أو الحكايات، إلا أنّها كانت غير منقّحة وغير جامعة للعناصر التي تلتزم بها وتشتمل عليها القصص الحديثة. تعدّ قصّة "في القطار" التي كتبها الكاتب المصري محمّد تيمور سنة 1917م أوّل قصّة عربية تحمل المعنى الفنّي وتستوفي الشروط الواجب توافرها في القصة. أمّا الرواية الأولى في الأدب العربي بالمعنى الفنّي هي "زينب" التي كتبها الدكتور محمد حسين هيكل عام 1913م. ومن أهمّ روّاد هذا الفنّ في الأدب العربي محمّد تيمور، أحمد تيمور، خليل جبران، طه حسين، إحسان عبد القدوس، يوسف إدريس، نجيب محفوظ وأمثالهم.

3- المسرحية :هي نثر فنّي يروي قصّة معيّنة من خلال حوارات وأفعال شخصياتها. كان مولد المسرح العربي في القرن التاسع عشر على يد الأديب اللبناني مارون النقاش الذي عاش في إيطاليا واطلع على ثقافتها، فقام بترجمة مسرحية "البخيل" للمسرحي الفرنسي موليير (Molière) مع بعض التصرفات فيها من عنده. كانت المحاولات الأولى في هذا الميدان عن طريق الترجمة والاقتباس والتقليد، ثم تطوّر إلى طور المحاولات الشخصية، ثم إلى طور الواقعية الاجتماعية، ثم إلى طور الاتجاه الكلاسيكي. ومن أشهر رواد هذا الفنّ في الأدب العربي مارون النقاش، أبو خليل القباني، يعقوب صنوع، جورج أبيض، علي أحمد باكثير، عزيز أباضة، صلاح عبد الصبور، توفيق الحكيم ونحوهم.

1.3.4 الخصائص العامّة للنثر العربي الحديث

رغم أنّ لكلّ أديب أسلوبه الخاصّ، ولكلّ فنّ من الفنون النثرية صوره وطرقه، يمكننا أن نلخص ما للنثر العربي الحديث من الخصائص العامّة، وهي كما يأتي:

1.3.4.1 البساطة والتحرر من ألوان الصناعة اللفظية:

الخاصة الأولى بل الكبرى للفنون النثرية الحديثة هي اتصافها بسلاسة العبارة وسهولتها مع تجنّب الألفاظ المهجورة والحوشية والعبارات المزخرفة بألوان المحسّنات اللفظية. فلا نحتاج في النثر الحديث بوجه عام إلى إعمال أفكارنا في العثور على المعنى المراد لدى الكاتب من بين الألفاظ المشكّلة بالسجع والتورية والجناس وغيرها من المحسّنات كما كانت هي سمة النثر في أواخر العصر العثماني.

1.3.4.2 الأغراض المتنوعة:

كان الفنّ النثريّ منحصرا في بعض من الأغراض التقليدية حتى العصر الحديث. فبفضل تعرّف الأدب العربي على الآداب الغربية، اتسعت أغراض النثر الحديث مع جميع فنونه، فبدأ يتناول مشكلات الحياة ومظاهرها ونزعاتها المختلفة من جانب، كما انتقد المفاسد الاجتماعية وصورها، وكافح الاستعمار والاحتلال، وأيّد الحركات الوطنية والسياسية من جانب آخر.

1.3.4.3 التأثّر بالحركات الأدبية الغربية:

توجد في النثر العربي الحديث نفس الحركات الأدبية التي نجدها في الأدب الغربي مثل الكلاسيكية والواقعية والرمزية والرومانسية وغيرها. ففي القديم، كان الكتّاب يكتبون حسب ذوقهم الفنّيّ بدون النظر إلى ما في مكتوباتهم من عناصر نقديّة. فبعد تطوّر المناهج النقدية في الأدب الغربي، بدأ الكتّاب العرب أيضا أن يهتمّوا بتلك المناهج والعناصر المتقدّمة ويصوغوا ابتكاراتهم متمسّكين بمبادئ إحدى تلك الحركات. فعلى سبيل المثال، كان الكتّاب مثل محمّد عبده، وفتحي زغلول، ومصطفى صادق الرافعي، والمنفلوطي، والمويلحي، وجورجي زيدان وغيرهم من روّاد المذهب الكلاسيكي، حينما انتمى الكتّاب مثل محمّد تيمور، ومحمود تيمور، ونجيب محفوظ وغيرهم إلى المذهب الواقعي.

1.3.4.4 الترتيب المتناسق واستخدام علامات الترقيم:

ومن مميّزات النثر العربي الحديث أيضا ما نجد فيه من الترتيب والتنظيم للموضوعات المبحوث عنها بشكل منطقي ومتناسق مع استخدام الرموز الاصطلاحية المعيّنة بين الكلمات أو الجمل أثناء الكتابة لتعيين مواقع الفصل والوقف والابتداء والتعجب والاستفهام وغيرها.

1.3.4.5 استخدام العربية العامية:

في النثر العربي الحديث، نرى عددا غير قليل من الكتاب يلجؤون في إبداعاتهم الفنّية إلى استخدام اللهجات المحكية أو الدارجة أو العامية إلى جانب اللغة الفصحى لا سيّما في قصصهم أو رواياتهم أو مسرحياتهم. فهؤلاء الأدباء الذين يخلطون بين الفصحى والعامية يدّعون بأن اللهجة هي لغة الحياة العامّة، وبها يتمكّنون من تصوير آلام وعواطف المعانين من الناس على أحسن وجه وبالتالي من الوصول إلى الدرك الأسفل في المجتمع بإبداعاتهم الفنّية. وكان من روّاد هؤلاء الأدباء يوسف إدريس ونجيب محفوظ ونحوهما.

1.3.4.6 كثرة الكلمات الدخيلة والمعرّبة:

معظم الأدباء والكتّاب العرب المعاصرين متأثرون بالآداب الأجنبية بمختلف فنونها. فهذا التأثّر لا ينحصر في أسلوبهم الفنّيّ فحسب بل يتعدّى إلى الكلمات التي يستخدمونها أيضا. فكنتيجة، تكثر في المكتوبات النثرية الحديثة لا سيّما في ألوان النثر الصحفية استخدام الكلمات المعرّبة والدخيلة وكذا الكلمات العربية المولّدة الجديدة.

اختبر معلوماتك:

1- ما هي أهم الفنون النثرية الحديثة؟

2- تناول الخصائص العامة للنثر الحديث.

1.4المقالة تعريفها وخصائصها وأنواعها

وهنا نحاول أن نتعلم المقالة ببعض التفصيل والتوضيح دراسة عن عناصر "المقالة" ومعناها لغة واصطلاحا واستيعابا للمعلومات عن نشأتها وتطورها وعما تفرعت منها الأنواع والأقسام، وقد تتضح هذه التفاصيل فيما يلي:

1.4.1 المقالة لغة واصطلاحا

كلمة "المقالة" هي مصدر ميمي من قَالَ يَقُولُ بمعنى تكلّم. فـ"المقال" و"المقالة" كلاهما بمعنى واحد ومن أصل واحد، إلاّ أنّ الأوّل منهما لفظ مذكّر والثاني مؤنّث. وقد وردت الكلمتان في كلام العرب كثيرا بمعنى المصدر، فمنه قول الحطيئة:

تَحَنَّن عَلَيَّ هَداكَ المَليكُ		فَإِنَّ لِكُلِّ مَقامٍ مَقالا

ومن ورود "المقالة" المؤنثة، قول كعب بن زهير:

مَقَالَةُ السوءِ إِلَى أَهْلِهَا		أسْرَعُ مِنْ مُنْحَدرٍ سَائِلِ

أما المقالة في الاصطلاح فهي قطعة نثرية تدور حول موضوع معيّن، يعرض فيها الكاتب آراءه وأفكاره

وعواطفه عرضا منطقيا مترابطا طبق منهج معيّن. إن قاموس أكسفورد يورد تعريف المقالة بأنها إنشاء كتابي معتدل الطول في موضوع ما. كما يعرّف الدكتور محمد يوسف نجم بأنها قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من التكلف بشرط أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب.

وكان أول من استخدم كلمة "المقالة" بهذا المعنى أحمد فارس الشدياق وذلك عند كتابته مقالة في مجلة الجوائب باسم "مقالة في أصل النيل".

1.4.2 عناصر فنّ المقالة:

إن المقالة كسائر الفنون الأدبية، مكوّنة من ثلاثة عناصر أساسيّة، وإنها تختلف عن غيرها في كيفية معالجة تلك العناصر وطريقة توظيفها. فهذه هي تلك العناصر:

أولا- المضمون: هذا هو العنصر الأهمّ في أيّ مقالة. فهو عبارة عن الرسالة التي يريد الكاتب توصيلها إلى القرّاء من خلال مقالته، فهي الفكرة أو الأفكار التي يستمدّها الكاتب من تجاربه وتجارب الآخرين في الحياة أو من خلال ثقافته العامّة وقراءاته المستمرّة. فهذه الفكرة أو الأفكار تكون روح المقالة بحيث يتمحور جميع أجزائها حول هذا العنصر الرئيسي.

ثانيا- الأسلوب: هو الصياغة اللغوية والقالب الأدبي الذي يحمل مضمون المقالة. فإن اعتبرنا المضمون روح المقالة فالأسلوب هو جسمها. يكون لكلّ كاتب أسلوبه الخاص في اختيار الكلمات وعرض الأفكار وإثارة العواطف حسب مزاجه وقدرته الفنية والتعبيرية، إلا أن أسلوب المقالة لا بدّ أن يتصف بوجه عامّ بالقوّة والوضوح من حيث دقّة عرض الأفكار ومتانة الجمل وروعة التركيب.

ثالثا- الخطّة: المراد بالخطّة هو كيفية ترتيب الأفكار المعروضة بحيث يتحقّق بين أجزاء المقالة تناسق وانسجام، فخطّة كلّ مقالة تتكوّن من أربعة أجزاء، هي العنوان، المقدّمة، جسم المقالة، والخاتمة. أمّا العنوان فهو جملة أو كتلة من الكلمات التي تكتب في بداية المقالة بحيث تعكّس مضمونها وتستجلب اهتمام القرّاء نحوها. فلا بدّ أن يكون العنوان واضحا وبعيدا عن الغموض والخفاء ودالّا على القضية التي يعالجها الكاتب دلالة واضحة وشاملة، أمّا المقدّمة فهي بداية المقالة مكوّنة من فقرة أو فقرتين أو أكثر حسب طول المقالة، يشرح فيها الكاتب فكرته الرئيسية ويمهّد فيها لذكر محتويات المقالة اللاحقة. ويأتي بعد المقدّمة جسم المقالة الذي هو الجزء الرئيسي للمقالة. ففي هذا الجزء، يعرض الكاتب كل ما يريد تقديمه من الأفكار في عدد من الفقرات، بحيث تعالج كل فقرة منها نقطة مهمّة حول القضية الرئيسية المبحوث عنها. أمّا الخاتمة فهي الفقرة الأخيرة من المقالة والتي تشتمل على خلاصة ما ورد في جسم المقالة واقتراحات الكاتب حول تلك القضيّة المعيّنة.

1.4.3 المقالة نشأتها وتطوّرها في العصر الحديث

يرى النقّاد بأنّ فن المقالة الحديثة نشأ أوّلا في الأدب العالمي في القرن السادس عشر الميلادي على يد الكاتب الفرنسي ميشيل دي مونتين (Michel de Montaigne المتوفى: 1592م) والذي يعدّ بذلك رائد المقالة الحديثة في أوروبا. فكان مونتين يكتب حول الموضوعات التربوية والخلقية مقالات تتسم بطابع علمي. ثم برز في إنجلترا فرنسيس

باكون (Francis Bacon المتوفى: 1626م) في القرن السابع عشر وتقلّد أسلوب مونتين ثمّ طوّر له أسلوبا خاصّا للكتابة. وفي القرن الثامن عشر صارت المقالة نوعا أدبيا قائما بذاته في الأدب الغربي ونالت مكانا مرموقا بين الأنواع النثرية إثر تطوّر الصحافة. فكانت المقالات في هذه الفترة تتناول مظاهر الحياة المختلفة بالعرض والنقد والتحليل.

أمّا في الأدب العربي، فبدأ فنّ المقالة ينتشر منذ منتصف القرن التاسع عشر كنتيجة احتكاك البلاد العربية لا سيّما مصر ولبنان بالثقافة الغربية. وأكثر النقاد العرب يرون أنّ مولد هذا الفنّ هو الغرب وأنّه فنّ دخيل في اللغة العربية من الآداب الغربية. ولكنّ بعضهم ينسبون بداية هذا الفنّ إلى الأدب العربي القديم حيث يدّعون أنّ الرسائل مع أنواعها المختلفة هي أقرب الأشكال النثرية إلى المقالة، كما يدّعي البعض أنّ الأديب البغدادي أبا الفرج بن الجوزي هو سابق على مونتين في وضع هذا الفنّ، وذلك بكتابه "صيد الخاطر" المؤلّف في القرن الثاني عشر والذي يشتمل على قطع نثرية قصيرة تدور حول شؤون الحياة والمجتمع والدين وهموم النفس. فإن اعتبرنا الرسائل القديمة صورا بدائية لفنّ المقالة، يمكننا القول بأن المقالة بعناصرها وأساليبها الحديثة إنما كانت وليدة تأثير الأدب الغربي وانتشار الصحافة والمجلات في العالم العربي.

إن تاريخ المقالة العربية الحديثة يتصل اتصالا وثيقا بتاريخ الصحافة في الشرق الأوسط والذي يعود إلى تاريخ حملة نابليون على مصر وإقامة المطابع الحديثة. ولكون هذا الفنّ أكثر قدرة على مخاطبة الواقع والاهتمام بقضايا المجتمع، لقد أدّى ظهور الأحزاب السياسية والتيارات الفكرية والحركات الاستعمارية في العالم العربي إلى تطوّرها بشكل سريع مع استيعاب العناصر الجديدة.

ومن خلال تحليل المقالات العربية في فترات مختلفة في العصر الحديث، يمكننا تقسيم تطوّرها في الأدب العربي إلى ثلاث مراحل: أمّا في المرحلة الأولى فكانت المقالات العربية متّسمة بشيء من صفات الأدب العربي في عصر الانحطاط، لكون أساليبها تزهو بالسجع الغثّ وبالمحسّنات البديعية والزخارف المتكلفة. وقد كانت الشؤون السياسية هي الموضوع الأوّل لمقالات هذه المرحلة بالإضافة إلى بعض من الشؤون الاجتماعية والتعليمية. ومن أشهر الكتاب في هذا الفترة رفاعة الطهطاوي (م:1873) وعبد الله أبو السعود (م: 1878م) وميخائيل عبد السيد (م:1916م) ومحمد الأنسي (م:1951م) وأمثالهم. وفي الطور التالي من نموّ فنّ المقالة، بدأ الأدباء أن يبتعدوا عن المبالغة في السجع والمحسنات اللفظية وقاموا بصياغة المقالات بأساليب سهلة ومفهومة لدى جميع مستويات المجتمع الثقافية. وكان هذا التطور وقع على أيدي الكتاب أمثال جمال الدين الأفغاني (م:1897م)، ومحمّد عبده (م: 1905م). أمّا في المرحلة الأخيرة، فظهرت المدرسة الصحفية الحديثة، وأصبح فن المقالة يتحرّر من قيود الصنعة والتكلف تماما ويحافظ على سلامة المبنى وسهل التعبيرات. وفي هذه المرحلة، وصلت المقالة إلى النضج الكامل على أيدي عدد من الأدباء مثل جبران خليل جبران (م: 1931م)، ومصطفى الرافعي (م:1937م)، والعقاد (م:1964م)، والزيات (م:1968م)، وطه حسين (م:1973م) ونحوهم الذين حرّروا المقالة من كافة القيود وتحرّوا في انتقاء المعاني والكلمات واستخدام العبارات السلسة حسب الموضوعات.

1.4.4 أنواع المقالة العربية

تنقسم المقالة إلى أنواع باعتبارات مختلفة؛ فتتنوع المقالة حسب الأغراض التي يتناولها الكاتب في المقالة، وحسب أسلوبه الذي يتّخذه في بيان أفكاره وآرائه، وبناءً على هذا يمكننا تقسيم المقالات العربية إلى قسمين رئيسين، هما:

1) المقالة الذاتية
2) المقالة الموضوعية

أما المقالة الذاتية فهي التي يحاول فيها الكاتب إبداء أفكاره وآراءه حول موضوع معيّن بأسلوب شيّق يستثير عواطف القرّاء ومشاعرهم. ففي هذا النوع من المقالة يعالج الكاتب الموضوع بحيث يعكّس فيها انطباعه الخاص وعواطفه وانفعالاته الذاتية حول ذاك الموضوع. فمن أهمّ سمات هذا النوع من المقالات أسلوبه الأدبي الذي يشعّ بالعاطفة ويثير الانفعال بما يشتمل عليها من صور خيالية وصنعة بيانية وألفاظ جزلة توافق الموضوع والسياق. فالمقالات التي تقع ضمن هذه الفئة منها ما تعالج مشاكل المجتمع وحلولها، وما تدور حول المواقف السياسية والأحاسيس الوطنية، كما فيها ما يتناول الشؤون الدينية والموضوعات التأملية مثل الكون والحياة والنفس. ففي جميع هذه الأنواع الفرعية، يحاول الكاتب بالتعبير عن مشاعره وتجسيد أحاسيسه وعواطفه من خلال بيان الموضوع وموقفه إزاءه.

أمّا النوع الثاني من المقالات فهو المقالات الموضوعية، وهي التي يبحث فيها الكاتب حول موضوع محدّد بأسلوب علميّ ومنطقيّ، بحيث لا يوجد فيه المجال للأحاسيس والمشاعر، فمن أهم خصائص هذا الأسلوب الوضوح والدقة وعدم وجود الصور الخيالية والصنعة البيانية إلا ما يأتي منها عفوا. ففي هذا النوع من المقالة يعبّر الكاتب عن موقفه من الموضوع المعيّن مع التمسك بأصول ومناهج محدّدة للبحث العلميّ. ترد ضمن هذا النوع الثاني، المقالات الأدبية التي تتناول موضوعا من موضوعات الأدب سواء كان ذلك نقدا أو استعراضا أو تحليلا لنص أدبي أو نحوها، كما ترد فيه المقالات الفكرية التي تعالج قضايا فكرية سواء حول الدين أو المجتمع أو فنّ من الفنون، وكذا المقالات التاريخية التي تعتمد على الروايات والأخبار والوثائق وتتبع سير الأحداث والأشخاص في التاريخ.

وقد تنقسم المقالة إلى الأقسام التالية أيضا:

1- المقالة الموضوعية: وسبق ذكرها.

2- المقالة الوصفية: يختار فيها الكاتب المنهج الوصفي فيصف شيئا معينا مثل: شخص أو مكان أو كتاب وما على شاكلتها بأسلوب مؤثر جذاب.

3- المقالة الإقناعية: يحاول فيها الكاتب إقناع القارئ بالتوضيح والاستدلال والمنطق.

4- المقالة القصصية: يسرد فيها الكاتب حدثا معينا محرضّا قراءَه للتفكير والاعتبار.

5- المقالة العلمية: يتناول فيها الكاتب موضوعا علميا ويشرحه بالموضوعية في صورة مبسطة واضحة.

وتنقسم المقالة من حيث الشكل إلى المقالة القصيرة والمقالة الطويلة.

1.4.5 الخصائص العامة للمقالة العربية

سبق أن قلنا بأن المقالة هي فنّ جديد في الأدب العالمي وبالتالي في الأدب العربي. بدأت اللغة العربية تتعرّف هذا الفنّ الإبداعي منذ منتصف القرن التاسع عشر فقط بفضل المجلات والصحائف التي بدأت تنشر من مختلف أنحاء البلاد العربية. ففي بداية الأمر كان الكتاب العرب يكتبون في ظلّ الفنون الأدبية القديمة، وكثيرا ما كانوا يتحيرون بين أصالة الأدب القديم وحداثة العناصر المستجدّة. ومع منتصف القرن العشرين اتضحت معالم هذا الفنّ الجديد واحتلّ جزءا لا يتجزّأ في الأدب العربي الحديث بما تتمتّع من خصائص تميّزه عن الفنون الأخرى. فمن أهم خصائص المقالات العربية في العصر الحديث ما يأتي:

- صحّة اللغة وسلامة التعبير: تكتب المقالات العربيّة بشكل عامّ في لغة فصيحة تتميّز بالبساطة والوضوح والرشاقة. فقلّما توجد فيها الأخطاء اللغوية والكلمات الغريبة والألفاظ العامية والمصطلحات المهجورة، كما تخلو عن التفاصيل المعقدة والزخارف اللغوية التي تختفي وراءها المعاني.
- الترابط والتجانس بين الأجزاء: يعتني الكتاب عند إعداد المقالات بإيجاد الترابط والتجانس بين الأفكار المقدّمة. فيحتوي كلّ فقرة من فقراتها على نقطة معيّنة حول الموضوع الرئيسي والأدلّة التي يؤيّدها، ثمّ ترتّب تلك الفقرات بحيث يتحقق التوافق والتسلسل المنطقي بين الأجزاء. وبهذا الترابط تصبح المقالات ذات الوحدة العضويّة والوحدة الموضوعية.
- منهجية خاصّة للمقالات: توجد للمقالات لا سيّما للمقالات الموضوعية منهجية خاصّة تشتمل على أجزاء معيّنة. فتوجد في المقالة عنوان يعكّس المحتوى، ومقدّمة تشرح الفكرة الرئيسية المعروضة في المقالة، ثم المحتوى الرئيسي المكوّن من فقرات متعدّدة وكل منها مرتبا حسب تسلسل منطقي ومنهجي، وخاتمة تلخّص موضوع المقالة والهدف الذي كتبت من أجله.
- مراعاة قوانين الترقيم: لو طالعنا الكتب القديمة ربّما نتحيّر أمام النصوص الطويلة التي لا تتميّز الجمل فيها بعضها عن بعض ولا يشتمل على ما يدُلّ على الوقوف والفصل ومعاني التعجب والاستفهام ونحوها. أما في المقالات العربية الحديثة فتلعب علامات الترقيم المعيارية دورا مهمّا في ترتيب الجمل حسب أنواعها وتعيين مواقع الفصل والوقف والابتداء وأنواع النبرات الصوتية والأغراض الكلامية في النصوص، الأمر الذي يسهّل على القارئ عملية الفهم واستيعاب المحتوى المعروض أثناء القراءة.

اختبر معلوماتك:

1- عرف المقالة تعريفا موجزا.

2- بين أنواع المقالة.

3- ما هي الخصائص العامة للمقالة؟

1.5 نتائج التعلّم

تعلمنا في هذه الوحدة عن مظاهر تطوّر النثر العربي وعواملها وعن الخصائص العامة للنثر الحديث، كما فهمنا أيضا عن المقالة وأهميتها في الأدب العربي مع الاطلاع على عناصرها وأنواعها وخصائصها. فمن خلال دراستنا

وصلنا إلى النتائج التي تتمثل في النقاط الآتية:

- تطوّر النثر الفنّي في الأدب العربي تطوّرا واسعا في العصر الحديث من حيث أساليبه وموضوعاته وفنونه. تتسم الفنون النثرية الحديثة بالبساطة والوضوح، وتعالج موضوعات عامّة مثل مشاكل الإنسان والمفاسد الاجتماعية ومفاسد الحضارة الجديدة.
- من أهمّ العوامل التي أدّت إلى ازدهار النثر الفنّي في اللغة العربية التلاقح الثقافي مع الغرب، وحركة الترجمة والتعريب، وانتشار الطباعة والصحافة، وهجرة الأدباء العرب إلى البلاد الأجنبية.
- عندما بدأ النثر العربي يتطوّر حسب متطلبات العصر الجديد، تشكل بين الأوساط الأدبية ثلاث مدارس، هي مدرسة المحافظة الجامدة، مدرسة التجديد المتطرّف، ومدرسة الاعتدال.
- من الفنون النثرية الجديدة في الأدب العربي الحديث المقالة، والقصّة بما فيها الرواية والقصص القصيرة، والمسرحيّة. فهذه الفنون لم تكن معهودة لدى العرب، بل نشأت في الأدب العربي كتأثير للأدب الغربي.
- من الخصائص العامّة للنثر العربي البساطة والخلوّ عن ألوان الصناعة اللفظية، وأغراضها المتنوّعة، وتقليدها بالحركات الأدبية الغربية، واستخدام العربية العامية في بعض الألوان، وكثرة الكلمات الدخيلة والمعرّبة، والتنظيم المتناسق للموضوعات المبحوث عنها مع استخدام علامات الترقيم المختلفة.
- المقالة فنّ نثريّ يعرض فيه الكاتب آراءه وأفكاره وعواطفه عرضا منطقيا مترابطا طبق منهج معيّن. ومن عناصر المقالة الأساسية مضمونها وأسلوبها وخطّتها المكوّنة من العنوان والمقدّمة والجسم والخاتمة.
- بدأ فنّ المقالة ينتشر في الأدب العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر إثر تأثّره من الأدب الغربي وانتشار الطباعة والصحافة في العالم العربي. فإن كانت في الأدب العربي القديم نماذج مشابهة للمقالة مثل الرسائل، لم تكن تشتمل على العناصر التي تستوعبها المقالات الحديثة.
- حسب الأغراض التي يتناولها الكتّاب في المقالة تنقسم إلى المقالات الذاتية والمقالات الموضوعية. أما المقالات الذاتية فهي التي تعرض أفكار الكاتب وآراءه ممزوجة بعواطفه وانفعالاته الذاتية. والنوع الثاني هي التي تبحث حول الموضوع المعيّن بأسلوب علميّ ومنطقيّ.
- من أهمّ سمات المقالة العربية ما تتمتّع من صحّة اللغة وسلامة التعبير غالبا، وما فيها من الترابط والتجانس بين أجزائها، واتباعها لمنهجية مخصّصة، ومراعاتها لقوانين الترقيم.

1.6 الكلمات الصعبة ومعانيها

الكلمات والمعاني بالعربية	المعاني بالإنكليزية
- تقليص: تقليلٌ	Decreasing
- قافيةٌ (ج) قوافي: قوانين أواخر الأبيات	Rhyme
- تسرّب: انساب، سال	Leakage, infiltration

- السجْعُ: كلام مقفّى غير موزون	Assonance
- طِباق: الجمع بين معنيين متقابلين أو متضادين	counterfeit
- تجمّد: صار جامدا صلبا	Freeze, become stagnant
- هامش (ج) هوامش: حاشية الكتاب	Footnote
- احتكاك: اتصال	Contact
- استفاق: استيقظ	Waken
- كساد: ركود	Recession
- المزخرفة: المزيّنة	Decorated
- ساذجة: خالصة، بسيطة، عادية	Simple
- التلاقح: التبادل	Exchange, Friction
- أطلق له العِنان: أرسلهُ وتَرَكَه	Unleash, release
- الملتوية: المعوجّة	Crooked
- بساطة: سهولة، وضوح	Simply
- كافح: قاوم	Struggle
- عفويّ:تلقائي	Unprompted, spontaneous
- شعّ: تفرّق وانتشر	Extend, Move from place to place freely or to circularize
- رشاقة: الجمال والرقة	Agility
- تبعثر :تفرّق، تشتّت	Scatter
- لا غرو: لا عجب	No wonder
- سجع الكهّان: ضرب خاص من الخطابة في الجاهلية	rhymed sayings of the soothsayers
- جناس: اتفاق الكلمتين مع اختلاف في المعنى	Similarity between words – paronomasia
- ركيك: رذيل	Prosaic
- تسلّط: سيطر	Dominate
- انبعاث: نهضة بعد	Resurgence, Renaissance

الانحطاط	
- باكورة (ج) بواكير: أوائل	Early
- غفوة: نومة خفيفة	Snooze
- إسار: ما يقيّد به الأسير	The rope or chain with which the prisoners are tied.
- التأنق: المبالغة في المظهر والزينة	Exaggeration of appearance
- هُوّة: حفرة بعيدة القعر	For-bloomed hole
- فجوة: ثغرة، فُرجة	Lacuna
- قالب: شَكْل مُجَوَّف تُسْبَك فِيه الْمَعَادِن	Mold
- جزء لا يتجزّأ: جزء غير قابل للانفصال	Part and Parcel
- التورية: الإتْيَانُ بِلَفْظٍ لَهُ مَعْنَيان ويراد المعنى البعيد	A word or phrase that may be understood in two different ways
- اللهجة: طريقةٌ من طرق الأداء في اللغة	Dialect
- تمحور حوله: دار حوله	Centred around it
- استوعب الشيء: أخذه بأجمعه	Take something in all direction
- زيوف جمع زائف: فاسد، مصطنع	Fake

1.7 أسئلة الاختبار النموذجية

1.7.1 أسئلة موضوعية:

1- أول من وضع الأساس للمنهج الكتابي في الأدب العربي هو:

(a)القاضي الفاضل (b) جاحظ (c) عبد الحميد الكاتب (d)ابن العميد

2- ما هي الجريدة الأولى في اللغة العربية؟

(a)المؤيّد (b) الشرق الأوسط (c)الأهرام (d)الوقائع المصرية

3- من كتب قصّة "في القطار"؟

(a) محمّد تيمور (b) رافع الطهطاوي (c) حسين هيكل (d) محمود تيمور

4- من قام بترجمة مسرحية "البخيل" لموليير إلى اللغة العربية؟

(a) توفيق الحكيم (b) عزيز أباضة (c) جورج أبيض (d) مارون النقاش

5- ما هو الفنّ النثريّ الذي يرجع أصله إلى العصر العبّاسي؟

(a) القصّة القصيرة (b) المقامات (c) التوقيعات (d) الحِكَم

6- ما هي الرواية الأولى في الأدب العربي بالمعنى الفنّيّ؟

(a) قاتل حمزة (b) رجال في الشمس (c) الأجنحة المتكسّرة (d) زينب

5- بم تعرف المقالات التي تتمسّك بأسلوب علمي ومنطقيّ؟

(a) المقالات الموضوعية (b) المقالات الفنّية (c) المقالات الذاتية (d) المقالات التأمليّة

8- من الذي يعرف برائد المقالة الحديثة في أوروبا؟

(a) شيكسبير (b) ميشيل دي مونتين (c) فرنسيس باكون (d) أرسطاطاليس

9- من هو المصنّف لكتاب "صيد الخاطر" الذي يشتمل على قطع نثرية قصيرة؟

(a) عبد الله بن المقفّع (b) أبو الفرج بن الجوزي (c) الجاحظ (d) أبو سعيد الأصمعي

10- ليس من الخصائص العامّة للمقالات العربية:

(a) الترابط بين الأجزاء (b) مراعاة قوانين الترقيم (c) الإيجاز والاختصار (d) البساطة والوضوح

1.7.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- لم كان العرب يفضّلون الشعر على النثر في العصر الجاهلي؟
2- ما هي الفنون المستحدثة في النثر العربي الحديث؟
3- ما كان موقف أصحاب مدرسة الاعتدال حول النثر العربي الحديث؟
4- عرّف "المقالة" لغة واصطلاحا.
5- ما المراد بالمقالة الذاتية؟

1.7.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- اكتب مقالة عن تاريخ النثر في الأدب العربي.
2- ما هي الخصائص العامّة للنثر العربي الحديث؟
3- ناقش عن نشأة فنّ المقالة في الأدب العربي الحديث.

1.8 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1- الدكتور شوقي ضيف، الفنّ ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، 1943م.

2- حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب الحديث، داري الجيل، بيروت، 1986م.

3- عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، دار الفكر، دمشق، 1948م.

4- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصّة الأدب في العالم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1943م

5- محمد مصطفى بدوي (تحرير)، تاريخ كيمبردج للأدب العربي – الأدب العربي الحديث (مجموعة مقالات)، مطبعة جامعة كمبريدج، 1992م

6- الدكتور محمد يوسف نجم، فنّ المقالة، الجامعة الأميركية، بيروت، 1966م

الوحدة: 2

"وحي الهجرة"

لمصطفى صادق الرافعي

عناصر الوحدة:

2.0 التمهيد

2.1 أهداف الوحدة

2.2 حياة مصطفى صادق الرافعي وخدماته الأدبيّة

2.2.1 حياة مصطفى صادق الرافعي موجزا

2.2.2 نتاجه الأدبي والفكري

2.3 مقالة "وحي الهجرة"

2.3.1 كتاب "وحي القلم" للرافعي وقيمته الأدبية

2.3.2 خلاصة مقالة "وحي الهجرة"

2.4 نصّ المقالة

2.5 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة في النص

2.6 العناصر الفنّية في مقالة "وحي الهجرة"

2.6.1 مضمون المقالة

2.6.2 أسلوب الرافعي في "وحي الهجرة"

2.6.3 التخطيط الفني في "وحي الهجرة"

2.7 نتائج التعلّم

2.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

2.9 أسئلة الاختبار النموذجية

2.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

2.0 التمهيد

إن اسم مصطفى صادق الرافعي اسم قلّ فينا من لم يسمع هذا الاسم اللامع في مجال الأدب العربي الحديث...! فكلّ من له أدنى إلمام بالأدب العربي المعاصر لا يفوته اسم هذا الأديب الأريب الذي أفنى حياته للدين والأدب، فدافع بقلمه عن دينه ولغته وأمّته، وصوّغ لنفسه أسلوبا أدبيّا جزلا يميّزه عن الكتّاب الآخرين. فمصطفى صادق الرافعي هو أديب سوري الأصل ومصري المولد، ورائد من روّاد النثر الفنّي في القرن العشرين، تتميّز منتجاته الأدبيّة بأصالة الأفكار وسحر البيان، فتجعله أحقّ وأجدر بأن يلقّب بـ"معجزة الأدب العربي" كما لقّبه به النقاد المعاصرون.

كان الرافعي في بداية حياته الأدبية يمارس الشعر العربي، إلاّ أنه ترك ميدان الشعر واتجه نحو الدراسات الأدبية أوّلا، ثمّ ركّز أنظاره في مجال المقالات الفنّية فأبدع فيه إبداعا عجيبا. فهذه الوحدة تشتمل على مقالة كتبها الرافعي، وهي مقالة بعنوان "وحي الهجرة" وهي مأخوذة من مجموعة مقالاته المسماة بـ "وحي القلم". فندرس بهذه الوحدة عن حياة الرافعي وعن خدماته الأدبيّة ونحلّل مقالته المعنونة بـ "وحي الهجرة" تحليلا نقديّا ونستنبط منها مزايا أسلوبه في كتابة المقالات.

2.1 أهداف الوحدة

بعد تكميل هذه الوحدة، يمكن للطلبة إضافة الأمور الآتية إلى رصيدهم المعرفي:

- المعرفة عن الأديب المعاصر مصطفى صادق الرافعي وخدماته في مجال الأدب العربي.
- التعرّف على أسلوب الرافعي النثري من خلال تحليل مقالته "وحي الهجرة".
- التذوّق بالأفكار والخواطر الرائعة للرافعي حول حياة النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة المنوّرة.
- الاطلاع على الكلمات والاستعمالات اللغوية الواردة في مقالته بعنوان "وحي الهجرة".
- القدرة على تحليل النصوص النثرية من خلال ما فيها من العناصر الفنية.
- بيان المفردات الواردة في الوحدة وعرض أساليب الاختبار.

2.2 حياة مصطفى صادق الرافعي وخدماته الأدبية

2.2.1 حياة مصطفى الرافعي:

ولد الأديب الشهير مصطفى صادق بن عبد الرزّاق الرافعي عام 1298هـ / 1880م في قرية "بهتيم" (Bahtim) بمحافظة القليوبية بمصر، في أسرة مشهورة بالعلم والدين. فإن كان الرافعي مصريا بولادته إلاّ أنه كان سوريّا بالأصل من جهة والديه. فكان جدّه لأبيه الشيخ عبد القادر عالما كبيرا وفد من الشام إلى مصر، وأمّه ابنة الشيخ الطوخي من أصول حلبية. وكان نسبه من جهة أبيه ينتهي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) ثاني الخلفاء الراشدين. وكان والده الشيخ عبد الرزّاق يعمل قاضيا في محاكم شرعية في عدد من أقاليم مصر إلى أن تمّ تعيينه

كرئيس لمحكمة طنطا الشرعية.

نشأ الرافعي في بيئة علمية ودينية، فحفظ القرآن كاملا وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره. درس أولا في المدرسة الابتدائية في دمنهور حيث كان والده يعمل قاضيا بها، ثم انتقل إلى مدرسة المنصورة الأميرية وحصل منها على شهادة الابتدائية بدرجة متفوّقة وعمره كان 17 سنة آنذاك. ولكنّه لم يستطع من متابعة التعليم النظامي، لما أصابه حمّى التيفوئيد (Typhoid fever) الذي جعله طريح الفراش لعدّة شهور، وجعل يذهب بسمعه ونطقه شيئا فشيئا، وتركه أصمّ تماما وهو ابن الثلاثين. ولكنّ الرافعي، رغم هذه العاهة الكبرى التي غيّرت مسار حياته، كان صاحب الإرادة الحازمة والعزم الراسخ فتابع دراساته على يد والده وعكف على مكتبة بيته الزاخرة بنفائس الكتب يقرأ في أمهات التراث الأدبي والديني، حتى أصبح عالما وأديبا يدافع عن دينه وثقافته.

عمل الرافعي عام 1899م ككاتب محكمة في محكمة طلخا (Talkha) الشرعية، ثم انتقل إلى محكمة إيتاي البارود (Itay Al Barud) الشرعية، ومنها إلى محكمة طنطا (Tanta) الشرعية، ثم إلى محكمتها الأهلية حيث بقي إلى وفاته. وكان الرافعي مرجعا لكتّاب المحاكم التي يعمل فيها بحيث إنهم كانوا يستشيرونه فيما يتحيّرون من القضايا المتنوعة والمسائل المختلفة، كما كانت وزارة العدل أيضا تستفتيه فيما يُشكَلُ عليها من الأمور. كان قد اختير عضوًا بالمجمع العلمي العربي بدمشق إلا أنّ العاهة في سمعه ونطقه منعته عن المشاركة الفعّالة في أمور المجمع. وكان عدم قدرته على السمع وانحراف طريقة نطقه سببًا في عزلته عن المجتمع العام في القاهرة، ولكنه كان يلجأ في أوقات فراغه إلى الكتابة والتأليف، فجعلته مؤلّفاته قريبا إلى قلوب الناس، واكتسبت له أنصارًا ومريدين في كل أنحاء الوطن العربي. فكان يقول: "إن كان النّاس يُعجزُهم أن يسمعوني فليَسمعُوا منّي".

تزوّج الرافعي عام 1904م من ابنة عائلة البرقوقي من مدينة المنصورة، وعاش حياة زوجيّة نموذجية. توفّي رحمه الله يوم الإثنين في العاشر من مايو عام 1937م/1356هـ عن عمر يناهز 57 عاما، ودفن إلى جوار أبويه في مقبرة العائلة في طنطا.

2.2.2 نتاجه الأدبي والفكري

كان مصطفى الرافعي مولعا بالأدب العربي منذ طفولته، حيث كان يكبّ على مطالعة الكتب من التراث العربي والإسلامي في مكتبة والده. فهذه القراءة المستمرّة صوّرت منه شخصيّة أديب يجمع بين أصالة القديم وحداثة العصر الجديد. كان الرافعي شاعرا مطبوعا في مطلع شبابه، فأصدر ديوانه الأوّل في ثلاثة أجزاء عام 1903م، وقدّم لكلّ جزء منها مقدمة عن معاني الشعر تدلّ على مذهبه ومنهجه في الأدب والنقد. ثم أصدر عام 1908م ديوانه الثاني باسم "ديوان النظرات" والذي لقي بسببه حفاوة بالغة من علماء العربية وأدباءها المعاصرين. فعلى الرغم ممّا أنجزه من النجاح في الميدان الشعري ترك هذا المجال واتجه نحو الفنون النثرية لما رأى أنّ الأوزان والقوافي للشعر العربي لا تسمح به عن التعبير عن خلجات نفسه وخطرات قلبه مع الحرية الكاملة. فبدعواه هذه ضدّ الشعر العربي العمودي ربّما يكون الرافعي أوّل من وقف في سبيل الشعر التقليدي، قبل ظهور معظم الدعوات الأدبية الأخرى إلى تحرير الشعر العربي من الأوزان والقافية.

وبعد أن ترك مجال الشعر العربي، نحا الرافعي نحو النثر الشعري وحاول من خلاله التعبير عن عواطفه

القديمة متمسّكا بحدود الأخلاق والدين. وبعد أن أدلى دلوه في هذا المجال، ركّز عنايته في ميدان الدراسات الأدبية فبدأ في تأليف كتابه المشهور باسم "تاريخ آداب العرب" في ثلاثة أجزاء. صدرت طبعته الأولى في جزأين عام 1911م كما صدر الجزء الثالث منه بعد وفاته عام 1940م. وبعد أن نال هذا الكتاب قبولا واسعا لدى القرّاء كتب عدّة كتب، منها: "أوراق الورد"، "حديث القمر"، "السحاب الأحمر"، و"رسائل الأحزان"، وكلّ منها يدور حول مفهومه للحبّ وفلسفته في العشق. وله كتاب آخر باسم "المساكين" جمع فيه بين الحكاية والموعظة في المعاني الإنسانية.

وبعد إصدار هذه الكتب تولّى الرافعي مهمّة أخرى بقلمه وهي دفاع أسباب الفتن والتهم عن اللغة العربية والتراث الإسلامي، ودافعته في ذلك غيرته على الدين والوطن واللغة. فقام بتأليف كتابه المشهور "تحت راية القرآن" يردّ فيه على الآراء الباطلة لطه حسين، ويفند حججه وشكوكه المدوّنة في كتابه "في الشعر الجاهلي". وفي كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية".

واصل الرافعي معركته ضدّ دعاة التجديد الذين كانوا ينكرون إعجاز القرآن وصفاته الربانية، فأثبت فيه بالبراهين العلمية والأدلة التاريخية أن القرآن كتاب الله المعجز في مضمونه وبيانه. أمّا في كتابه المسمّى "على السَّفُوْد"، ردّ الرافعي على عباس محمود العقاد عندما قام بنقد بعض آراءه حول إعجاز القرآن. وكذا، إنّه هاجم بقلمه اللاذع أحمد لطفي السيد الذي كان يدعي لإحلال اللهجة المصرية محلّ العربية الفصحى. وبالإضافة إلى ما ذكر من الكتب، كتب الرافعي بعض المسرحيات أيضا مثل "موعظة الشباب" و"رواية حسام الدين الأندلسي". وأيضا إنّه صاحب النشيد الوطني التونسي الحالي وكذا النشيد الوطني لمصر في الفترة من 1923 إلى 1936م.

أمّا في السنوات الأخيرة من حياته، كان يهتمّ بفنّ المقالة، فكتب مقالات نقدية وإنشائية في العديد من الصحف والمجلات المصرية المشهورة مثل "الرسالة"، و"المؤيّد"، و"البلاغ"، و"المقتطف" وغيرها. فكتابه المسمّى بـ "وحي القلم" في ثلاثة أجزاء، وهو مجموعة مقالات كتبها بين عامي 1934 و1937م عام وفاته. وتبدو المقالة لديه وكأنّها أكثر الفنون الأدبيّة من حيث النضج واستيفاء الأدوات والعناصر الأدبيّة التي تجعل المقالة عملا فنّيّا متكاملا. فكانت مقالاته تتميّز بوجه عامّ ببساطة التعبير ووضوح المعنى، ما لم يكن يتتبع دقائق المعاني ويغرق في أفكار غامضة. وكان يتمسّك بلغة فصيحة راقية وأسلوب نقيّ مطرّز بأنواع من الصُّوَر البيانية والمحسّنات البديعية، حتى كان يلقّب بصاحب الجملة القرآنية لمتانة تراكيبه واستقامة ألفاظه.

2.3 مقالة "وحي الهجرة"

2.3.1 كتاب "وحي القلم" للرافعي وقيمته الأدبية

إن كتاب "وحي القلم" عمل أدبيّ ومن أجمل ما كتبه مصطفى صادق الرافعي. وهو مجموعة تضم بين دفتيها أكثر من 150مقالة فنّيّة كتبها الرافعي كلّ أسبوع للمجلات والجرائد المصرية مثل "الرسالة" وغيرها منذ عام 1934م حتى عام 1937م وهي سنة وفاته. فهذا الكتاب يقدّم للقرّاء مأدبة أدبيّة شيّقة تتميّز بخصائص الرافعي الأدبية ومزاياه العقلية والنفسية، حتى وصفه الزعيم المصري سعد زغلول بأنه "بيانٌ كأنه من التنزيل أو قبس من نور الذكر

الحكيم". ويَكتب الأستاذ محمد سعيد العريان عن هذا الكتاب في تصديره: "إذا حُقَّ لنا أن نُرتّب كتبَ الرافعي ترتيبًا يُعين قارئه على تذوُّقه أو دراسة أدبه، فإن "وحي القلم" في رأس هذا الثَّبَتِ، هو آخِر ما أنشأ، ولكنه أول ما يَنبغي أن يُقرأ له، وإن البَدء به لحقيق أن يُعوِّد قارئه أسلوب الرافعي، فيَسلُس له صعبُه ويَنقاد".

يتكوّن "وحي القلم" من ثلاثة أجزاء، كلّ منها يشتمل على مقالات تدور حول محاور متنوّعة مثل الأدب والأخلاق والعادات والتقاليد والحبّ والوصف والفلسفة والحكمة والتاريخ وحقائق الإسلام، إلاّ أن الجزء الثالث منه تكثر فيه مقالات حول الأدب والأدباء. يقدّم هذا الكتاب للقراء متعة عقلية وروحية حينما ينتقل عبر صفحاته من فنّ إلى آخر من فنون التعبير، ويتجوّل بين أحداث التاريخ والواقع، ويلتقي بأشخاص من طبقات مختلفة ذوي نزعات متباينة. فكل موضوع يتناوله الرافعي في مقالاته لقد استوحاه من حياته الاجتماعية وتجاربه الشخصية وكذا من قراءاته العميقة للتاريخ الإسلامي. يضمّ هذا الكتاب أيضا عددا من المقالات التي أزالت الالتباس عن حقائق الإسلام وآدابه وثوابته. فيعتبر هذ الكتاب من كتب النثر المهمّة جدّا في الأدب العربي المعاصر، لما يتميز بالتنوع والتعدد في الموضوعات التي يعرضها، والأفكار البديعة والأساليب البيانية الرائعة التي يتمتّع بها.

2.3.2 خلاصة مقالة "وحي الهجرة"

"وحي الهجرة" هي مقالة فنّيّة رائعة كتبها مصطفى الرافعي في مجلّة الرسالة في عددها السنويّ الخاصّ بالهجرة النبوية، ووردت في الجزء الثاني من مجموعة "وحي القلم" لمقالات الرافعي. فكما يشير إليه العنوان، ليست هذه المقالة مجرّد حكاية للهجرة النبوية وخصائصها، بل هي أفكار منبثقة في نفس الكاتب عن بعثة رسول الله ﷺ ومعاناته في سبيل الحق، حينما كان الكاتب يقرأ تلك الواقعة التاريخية في كتاب أبي جعفر الطبري. وبتعبير أصدق، هي أمور أوحتها الهجرة النبويّة إلى خَلَدِ الكاتب، فيبدأ الرافعي مقالته بتمهيد يشير فيه إلى أهمية التاريخ ودوره في تصوير الإنسانية وقيمها وإلى مدى قدرته في إثارة الحواسّ والمشاعر بإلهاماتها وأحلامها. فحينما قرأ الكاتب تاريخ الهجرة النبوية لم يقرأه بعينه بل بروحه، فلذا أخذته تلك القراءة إلى عالم حقيقي مع أهله وحوادث أهله وأسراره، فتمكّن من خلاله الاطلاع على الحِكَم الإلهية والفلسفة الربانية وراء تلك الأحداث.

يحاول الرافعي من خلال هذه المقالة تقديم قراءة مختلفة تماما للفترة التي عاشها النبي ﷺ في مكّة ما بين البعثة والهجرة. يقول الكاتب بأنّه لم يقرأ تاريخ ما قبل الهجرة تاريخا، بل قرأ فيه "فصلا رائعا من حكمة إلهية، وضعه الله كالمقدّمة لتاريخ الإسلام في الأرض". فهذه المقالة هي بيان مقنع لتلك الحكمة الإلهية، قلّما تنبّه إليها الكتاب والأدباء. يبدأ الرافعي هذا البحث بالإشارة إلى الوضع الأوّل للإسلام والمسلمين إثر بعثة رسول الله ﷺ. فالإسلام بدأ بثلاثة أشخاص: رجل، هو النبيّ ﷺ نفسه، وامرأة هي خديجة زوجته، وغلام هو عليّ بن أبي طالب ابن عمّه. ثمّ انضمّ إلى هؤلاء الثلاثة حرّ وعبد، الحرّ هو أبو بكر الصديق والعبد هو بلال بن رواحة. فيقول الرافعي بأن هؤلاء الخمسة هم ممثّلو أطوار البشرية في وجودها، لأن الإنسان حسب طبيعته إما رجل أو امرأة أو غلام، وحسب مستواه السياسي أو الاجتماعي هو إمّا حرّ أو عبد. فهنا يصوّر الرافعي تاريخ الإسلام في شكل قصيدة شعريّة طويلة، وهذه النقطة الكامنة وراء بداية الإسلام بأولئك الأشخاص الخمسة كأوّل رمز ورد في مطلع تلك القصيدة.

لقد كان نموّ الإسلام في مكّة بطيئا جدّا، حتى كأن التاريخ كان واقفا لا يتحرّك وجامدا لا ينمو. فكان النبي ﷺ يعرض الإسلام على العرب ويدعوهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ولكنّهم كانوا في المعاداة والمخالفة الحمقاء. فآذوا رسول الله ﷺ وأصحابه وكذّبوه وأهانوه ونابذوه وتذامروا فيه وتركوه، حتّى أضحى كأنه مصابا باليُتْم من قومه وهو كبير كما كان مصابا باليتم من أبويه وهو صغير. فلا شكّ أن هذه الفترة كانت مملوءة بالتحدّيات والمشقات المختلفة بالنسبة إلى رسول الله ﷺ، غير أنّه لم يكن مستعدّا أن يتأخّر عن مهمّته قيد أنملة. فالكاتب يبيّن أن هذه الفترة التي تمتد ثلاث عشرة سنة أنها كانت "مقدّمة من الحوادث والأيام تحيا وتمرّ في نسق الرواية الإلهية المنطوية على رموزها وأسرارها".

فعاش النبي ﷺ بعد بعثته بمكّة ثلاث عشرة سنة وسط خضمّ متلاطم بالعراقيل والأزمات. فكان يدعو قومه إلى الله، ولكنّهم كانوا يعرضون عنه ويصفونه بالحمق والجنون. فلم يقبل منه تلك الرسالة النيّرة إلا عدد قليل ممّن اختارهم الله فهداهم. ولكنّه ﷺ كان مع جميع تلك الأوضاع السلبية، ماضيا بمهمّته ومؤدّيا بأمانته، فلم يمسّه يأس ولا كآبة، ولم يقعده ملل ولا سآمة. فيصف الرافعي هذه الفترة الحرجة "أسمى معاني التربية الإنسانية" من عند الله، حيث يجد فيها فصلا فلسفيا دقيقا للمسلمين في أنّه كيف يجب أن ينشأ الغنى في قلبه والقوّة في إيمانه، وأنّه كيف يجب عليه الثبات على الحقّ والدفاع عن الباطل وإن كانت الدنيا وجميع ما فيها ضدّه.

وهذه الفترة أيضا – في رأي الرافعي- من البرهانات القائمة للدهر على نبوّة محمّد ﷺ وصدق ديانته. فالمواقف التي اتخذها النبي ﷺ في تلك الفترة، تؤكّد على أنه لم يك قطّ رجلا ابتعثته نفسه، ولا رجل الملك أو رجل السياسة. فإنه ﷺ إن كان كما ذكر، لما استطاع أن يرسخ على الحقّ والإنسانية، بل كان يحاول بتحقيق ما يطمعه في سنوات قليلة. يجلب الرافعي بهذا الصدد الكلمات التي أجاب بها ﷺ والدموع تذرف من عينيه حينما كاد عمّه أن يترك كفالته لو لم يترك دعوته: "يا عمّاه! لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته". وبعد إيراد هذه القصّة يخاطب الكاتب تلك الدموع التي سالت من عيني رسول الله ﷺ ويصفها دموعا أثبتت أن النفس العظيمة لا يعادلها شيء من غيرها كائنا ما كان حتى لو وضعت الشمس في يدٍ والقمر في اليد الأخرى.

ثم يثبت الكاتب بأن جميع حوادث الفترة بين البعثة والهجرة على طولها كانت أدلّة على صدقيّة النبوّة والرسالة. فيقول الرافعي إن تلك الثلاث عشرة سنة كانت في الحقيقة ثلاثة عشر دليلا تثبت أن النبي ﷺ ما كان رجل ملك ولا سياسة ولا زعامة، وليس بمبتدع شريعة من عند نفسه، ولا صاحب فكرة تعمل أساليب النفس في انتشارها، وليس برجل متعلّق بالمصادفات الاجتماعية، ولا بمصلح عشيرة، ولا رجل وطن بغاية الشموخ في وطنه، كما لم يكن رجل حاضره، ولا رجل طبيعته البشرية، ولا رجل شخصيته، ولا رجل بطشه. فيحقّق الرافعي بهذا البيان الطويل المستنبط من حياة رسول الله ﷺ بأنّ رسالته ونبوّته كانتا رسالة حقّ ونبوّة صدق، فيلخّص هذه النقطة في تعبيرين رائعين، هما قوله بأنّه ﷺ ما كان "رجل الأرض في الأرض"، ولكن "رجل السماء في الأرض".

وفي آخر المقالة يقول الكاتب إن النبي ﷺ كان مع جميع معاناته وضيق أوضاعه يتسع في الزمن من حيث لا يرى ذلك أحد ولا يعلمه. فكان ثباته ورسوخه على سبيل الحقّ يدلّ على أن الشمس التي طلعت أيام انتصاره بعد

الهجرة كانت طالعة ومشرقة فعلاً في قلبه ﷺ قبل طلوعها وإشراقها على الدنيا. فكلّ ما وقع في حياته ﷺ قبل الهجرة كان من حكم الله وأسراره، لا ينبغي لأحد دفعها أو إحداث التغيّر فيها، كما أن فصلا من فصول السنة ليس بإمكان أحد تقديمه أو تأخيره عن أوانه وكما أن السحابة في السماء ليس من سعة أحد إشعال برقها بالمصابيح. فلكل أمر أوانه عند الله، فلما جاء ذاك الأوان وقعت الهجرة التي غيّرت مسار هذا الدين. فتلك الهجرة، على حدّ قول الرافعي، كانت بعض خطوات تخطّ على وجه الأرض ولكنّ معانيها كانت تخطّ في التاريخ الإنساني، كما أن مسافتها كانت بعدا محدّدا بين مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة بل معناها كان أكثر حجما من أن يملأ ما بين المشرق والمغرب. فكلّ ما وقع قبل الهجرة كان مقدّمة إلهية للتاريخ الذي ازدهر بعدها، حيث انتشر الإسلام إلى أصقاع العالم المختلفة واعتلت كلمات الله على دول الملوك المستبدّين، إلى أن جعل الخليفة العباسي يقول لسحابة المطر الجارية في السماء: "أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك"، لسعة دولته ونفوذ خلافته.

2.4 نصّ المقالة

وحي الهجرة

نشأ النبي ﷺ في مكة، واستنبئ على رأس الأربعين من سنه، وغبر ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله قبل أن يهاجر إلى المدينة، فلم يكن في الإسلام أول بدأته إلاّ رجل وامرأة وغلام: أما الرجل فهو ﷺ، وأما المرأة فزوجه خديجة، وأما الغلام فعلي ابن عمه أبي طالب.

ثم كان أول النمو في الإسلام بحرّ وعبد! أما الحر فأبو بكر، وأما العبد فبلال، ثم اتسق النمو قليلا قليلا ببطء الهموم في سيرها، وصبر الحر في تجلده؛ وكأن التاريخ واقف لا يتزحزح، ضيق لا يتسع، جامد لا ينمو؛ وكأن النبي ﷺ أخو الشمس، يطلع كلاهما وحده كل يوم. حتى إذا كانت الهجرة من بعد، فانتقل الرسول إلى المدينة، بدأت الدنيا تتقلقل، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها؛ وكانت خطواته في هجرته تخط في الأرض، ومعانيها تخط في التاريخ؛ وكانت المسافة بين مكة والمدينة، ومعناها بين المشرق والمغرب.

لقد كان في مكة يعرض الإسلام على العرب كما يعرض الذهب على المتوحشين، يرونه بريقا وشعاعًا ثم لا قيمة له، وما بهم حاجة إليه، وهو حاجة بني آدم إلا المتوحشين، وكانوا في المحادة والمخالفة الحمقاء، والبلوغ بدعوته مبلغ الأوهام والأساطير، كما يكون المريض بذات صدره مع الذي يدعوه في ليلة قارة إلى مداواة جسمه بأشعة الكواكب؛ وكانت مكة هذه صخرًا جغرافيا يتحطم ولا يلين، وكأن الشيطان نفسه وضع هذا الصخر في مجرى الزمن ليصد به التاريخ الإسلامي عن الدنيا وأهلها.

وأوذي رسول الله ﷺ، وكذّب وأهين، ورجف به الوادي يخطو فيه على زلازل تتقلب، ونابذه قومه وتذامروا فيه، وحضّ بعضهم بعضا عليه، وانصفق عنه عامة الناس وتركوه إلا من حفظ الله منهم؛ فأصيب كبيرا باليتم من قومه، كما أصيب صغيرًا باليتم من أبويه. وكان لا يسمع بقادم يقدُمُ من العرب له اسم وشرف، إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض نفسه عليه؛ ومع ذلك بقيت الدعوة تلوح وتختفي كما يشق البرق من سحابة على السماء، ليس إلا أن يرى ثم

لا شيء بعد أن يرى!

فهذا تاريخ ما قبل الهجرة في جملة معناه، غير أني لم أقرأه تاريخا، بل قرأت فيه فصلا رائعا من حكمة إلهية، وضعه الله كالمقدمة لتاريخ الإسلام في الأرض؛ مقدمة من الحوادث والأيام تحيا وتمر في نسق الرواية الإلهية المنطوية على رموزها وأسرارها، وتظهر فيها رحمة الله تعلم بقسوة، وحكمة الله تتجلى في غموض؛ فلو أنت حققت النظر لرأيت تاريخ الإسلام يتأله في هذه الحقبة، بحيث لا تقرؤه النفس المؤمنة إلا خاشعة كأنها تصلي، ولا تتدبره إلا خاضعة كأنها تتعبد.

بدأ الإسلام في رجل وامرأة وغلام، ثم زاد حرا وعبدا؛ أليست هذه الخمس هي كل أطوار البشرية في وجودها، مخلوقة في الإنسانية والطبيعة، ومصنوعة في السياسة والاجتماع؟ فها هنا مطلع القصيدة، وأول الرمز في شعر التاريخ.

ولبث النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة لا يبغيه قومه إلا شرا على أنه دائب يطلب ثم لا يجد، ويعرض ثم لا يقبل منه، ويخفق ثم لا يعتريه اليأس، ويجهد ثم لا يتخونه الملل، ويستمر ماضيا لا يتحرف، ومعتزما لا يتحول؛ أليس هذه هي أسمى معاني التربية الإنسانية أظهرها الله كلها في نبيه، فعمل بها وثبت عليها، وكانت ثلاث عشرة سنة في هذا المعنى كعمر طفل ولد ونشأ وأحكم تهذيبه بالحوادث، حتى تسلمته الرجولة الكاملة بمعانيها من الطفولة الكاملة بوسائلها.

أفليس هذا فصلا فلسفيا دقيقا يعلم المسلمين كيف يجب أن ينشأ المسلم، غناه في قلبه، وقوته في إيمانه، وموضعه في الحياة موضع النافع قبل المنتفع، والمصلح قبل المقلد؛ وفي نفسه من قوة الحياة ما يموت به في هذه النفس أكثر ما في الأرض والناس من شهوات ومطامع؟

ثم أليست تلك العوامل الأخلاقية هي هي التي ألقيت في منبع التاريخ الإسلامي ليعب منها تياره؛ فتدفعه في مجراه بين الأمم، وتجعل من أخص الخصائص الإسلامية في هذه الدنيا. الثبات على الخطوة المتقدمة وإن لم تتقدم، وعلى الحق وإن لم يتحقق؛ والتبرؤ من الأثرة وإن شحت عليها النفس، واحتقار الضعف وإن حكم وتسلط، ومقاومة الباطل وإن ساد وغلب، وحمل الناس على محض الخير وإن ردوا بالشر، والعمل للعمل وإن لم يأت بشيء، والواجب للواجب وإن لم يكن فيه كبير فائدة، وبقاء الرجل رجلا وإن حطمه كل ما حوله؟

ثم هي هي البرهانات القائمة للدهر قيام المنارة في الساحل -على نبوة محمد ﷺ- تثبت ببرهان الفلسفة وعلوم النفس أنه روح وغاياتها المحتومة بالقدر، لا جسم ووسائله المتغلبة بالطبيعة؛ ولو كان رجلا ابتعثته نفسه، لتَمحّل الحيل لسياسته، ولأحدث طمعا من كل مطمع، ولركد مع الحوادث وهب، ولما استمر طوال هذه المدة لا يتجه وهو فرد إلا اتجاه الإنسانية كلها كأنما هو هي.

ولو هو كان رجل الملك أو رجل السياسة، لاستقام والتوى، ولأدرك ما يبتغي في سنوات قليلة، ولأوجد الحوادث يتعلق عليها، ولما أفلت ما كان موجودًا منه يتعلق به، ولما انتزع نفسه من محله في قومه وكان واسطة فيهم، ولا ترك عوامل الزمن تبعده وهي كانت تدنيه.

قالوا: إن عمه أبا طالب بعث إليه حين كلمته قريش فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي: كذا وكذا،

فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداءٌ، وأنه خاذِلُه ومُسْلِمُه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال: "يا عماه، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته". ثم استعبر ﷺ فبكى.

يا دموع النبوة! لقد أثبت أن النفس العظيمة لن تتعزى عن شيء منها بشيء من غيرها كائنا ما كان، لا من ذهب الأرض وفضتها، ولا من ذهب السماء وفضتها إذا وضعت الشمس في يد والقمر في الأخرى.

وكل حوادث المدة قبل الهجرة على طولها ليست إلا دليل ذلك الزمن على أنه زمن نبي، لا زمن ملك أو سياسي أو زعيم؛ ودليل الحقيقة على أن هذا اليقين الثابت ليس يقين الإنسان الاجتماعي من جهة قوته، بل يقين الإنسان الإلهي من جهة قلبه؛ ودليل الحكمة على أن هذا الدين ليس من العقائد الموضوعة التي تنشرها عدوى النفس للنفس؛ فها هو ذا لا يبلغ أهله في ثلاث عشرة سنة أكثر مما تبلغ أسرة تتوالد في هذه الحقبة؛ ودليل الإنسانية على أنه وحي الله بإيجاد الإخاء العالمي والوحدة الإنسانية. أفلم يكن خروجه عن موطنه هو تحقّقه في العالم؟

ثلاث عشرة سنة، كانت ثلاثة عشر دليلًا تثبت أن النبي ﷺ ليس رجل ملك، ولا سياسة، ولا زعامة؛ ولو كان واحدا من هؤلاء لأدرك في قليل؛ وليس مبتدع شريعة من نفسه، وإلا لما غبر في قومه وكأنه لم يجدهم وهم حوله؛ وليس صاحب فكرة تعمل أساليب النفس في انتشارها؛ ولو كان لحملهم على محضها وممزوجها؛ وليس رجلا متعلقا بالمصادفات الاجتماعية، ولو هو كان لجعل إيمان يوم كفر يوم؛ وليس مصلح عشيرة يهذب منها على قدر ما تقبل منه سياسة ومخادعة، ولا رجل وطنه تكون غايته أن يشمخ في أرضه شموخ جبل فيها، دون أن يحاول ما بلغ إليه من إطلاله على الدنيا إطلال السماء على الأرض، ولا رجل حاضره إذا كان واثقا دائما أن معه الغد وآتيه، وإن أدبر عنه اليوم وذاهبه؛ ولا رجل طبيعته البشرية يلتمس لها ما يلتمس الجائع لبطنه، ولا رجل شخصيته يستهوي بها ويسحر، ولا رجل بطشه يغلب به ويتسلط، ولا رجل الأرض في الأرض، ولكن رجل السماء في الأرض.

هذه هي حكمة الله في تدبيره لنبيه قبل الهجرة، قبض عنه أطراف الزمن، وحصره من ثلاث عشرة سنة في مثل سنة واحدة، ولا تصدر به الأمور مصادرها كي تثبت أنها لا تصدر به، ولا تستحق به الحقيقة على أنها ليست من قوته وعمله.

وكان ﷺ على ذلك هو في حدود نفسه وضيق مكانه يتسع في الزمن من حيث لا يرى ذلك أحد ولا يعلمه، وكأنما كانت شمس اليوم الذي سينتصر فيه، قبل أن تشرق على الدنيا بثلاث عشرة سنة، مشرقة في قلبه ﷺ.

والفصل من السنة لا يقدمه الناس ولا يؤخرونه، لأنه من سير الكون كله؛ والسحابة لا يشعلون برقها بالمصابيح، ومع النبي من مثل ذلك برهان الله على رسالته، إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: 39] فحلّ الفصلُ، وانطلقت الصاعقة، وكانت الهجرة.

تلك هي المقدمة الإلهية للتاريخ، وكان طبيعيا أن يطرد التاريخ بعدها، حتى قال الرشيد للسحابة وقد مرت به: أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك!

2.5 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة في النص

المفرد/ التعبير	المعنى بالعربية	المعنى بالإنكليزية
وحي	إلهام	Revelation
استنبأ فلانا	جعله نبيّا	To send someone as a prophet
غَبَرَ – يغْبُرُ	مَكَثَ	To keep on doing, to stay
اتّسَقَ	انْتَظَمَ	To be arranged in order
تَجَلّدَ	تَصَبَّرَ، تَحَمّلَ	To suffer or tolerate patiently
تَزَحْزَحَ	تَنَحَّى	To be displaced; be removed
تَقَلْقَلَ	تَحَرّكَ	To move, to shake
المتوحّش	من شابه الوَحْشَ	barbaric; savage
حَادَّ – يُحَادُّ – مُحَادَّةً	عَادَى، جَاوَرَ	To behave hostilely
ليلة قارّة	ليلة باردة	Cold night
مداواة	معالجة	treating; curing
تَحَطّم	انْكَسَرَ	To be broken
نابَذَ	خالف، فَارَق عن عداوة	To oppose
تَذَامرَ	تَحَاضّ على القِتالِ	To urge each other to kill someone
انْصَفَقَ	انصرف وارتدّ	To go away; turn back from
تصدّى له	تعرّض له	To meet/deal with something
حقّق النظر	أمعن النظر	To look thoroughly
تَأَلّهَ	تعبد وتنسك وادّعى الألوهية	To be deify
الحِقبة	مدّة من الزمن	A period of time
الدائب	المجتهد في العمل	Hardworking
أخفَقَ	فشل ولم يدرك هدفه	To fail to achieve something
تَخَوّنَ الشيءَ	تَنَقّصَه	To diminish, to degrade
استمرّ ماضيًا	تَقَدّمَ ولم يَتَخَلّف	To continue going ahead
تَسَلّمَ	قَبَضَ	To take
عبّ تيّاره	كثر موجه وتلاطم	To increase flow of something
أَثَرَة	أنانيّة	Selfishness
تَمَحّلَ	احتال في الطلب	To deceive and use trickery
الْتَوَى	انْعَطَفَ، اعْوَجَّ	To be distorted

أفْلَتَ	فاتَ، ضَاعَ	To slip away
أبْقَى عليه	رَحِمَه وشفق عليه	To be merciful with; compassionate
بدا له فيه بَدَاءٌ	ظهر له فيه رأي بعد أن لم يكن	To have a new opinion
اسْتَعْبَرَ	جَرَتْ عَبْرتُهُ	To shed tears
تعزّى	تصبّرَ	To be consoled
مَحضُ الشيءِ	خالصُهُ الذي لم يخالطه غيره	Pure
مصادفة	شيء يحدث دون تخطيط سابق	Coincidence
أطلّ – إطْلاَلاً	أشْرَفَ عليه	To ove look
اسْتَهْوَى	اسْتَمَال، جَذَبَ	To attract
اطّرَدَ	تَتَابَعَ، تَوَاتَرَ	To flow continuously

2.6 العناصر الفنية في مقالة "وحي الهجرة"

2.6.1 مضمون المقالة

من المرور على سطور "وحي الهجرة" يمكننا التحقّق من أنّها تقع من قبيل المقالات الإسلامية للرافعي، لأنّها تدور حول محور من محاور حياة رسول الله ﷺ وهو الهجرة. فيبيّن الرافعي في هذه المقالة انطباعاته وأفكاره العميقة التي انبجست في وجدانه حينما كان يقرأ تاريخ ما قبل هجرة رسول الله ﷺ. فما كانت قراءته لذاك التاريخ قراءة تاريخ مجرّد، بل كانت قراءته بالقلب والروح، فلذا أخذته تلك القراءة الروحية إلى ما وراء سطور التاريخ وجعلته يغوص في الأسرار الإلهية والحكم الربانية في المعاناة الشديدة التي واجهها رسول الله ﷺ في الفترة التي تمتد ثلاثة عشر عاما قبل الهجرة.

فيحاول الرافعي في هذه المقالة أن يقدّم بين قرّاءه بعضا من الدروس والعبر التي استنبطها من حياة النبي ﷺ قبل هجرته من مكّة إلى المدينة، والتي من شأنها تسلية قلوب المؤمنين وجعلهم راسخين على سبيل الحقّ مهما كانت الأوضاع معادية وسلبيّة. ومن خلال إيراد أدلّة عقلية مأخوذة من معاناته ﷺ قبل الهجرة، يدفع الرافعي كثيرا من الأوهام والاتهامات في نبوّته ﷺ مع إقناع منطقي، مستجمعا بين شفافية المؤمن وأسلوب الأديب. فالأفكار والنقاط البديعة التي وردت في هذه المقالة إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على مدى قدرة الرافعي من التفكّر العميق والتحليل المنطقي للوقائع التاريخية.

2.6.2 أسلوب الرافعي في "وحي الهجرة"

ولا يخفى على دارسي الأدب أن الأسلوب هو الطريقة التي يتّخذها الأديب عند تأليفه للنصّ الأدبي شعرا كان أو نثرا. فلكلّ كاتب أسلوبه الخاصّ في اختيار المعاني التي يريد تقديمها والألفاظ التي يعبّر بها عن تلك المعاني، وذلك حسب موهبته الفطرية وبيئته الثقافية. فأسلوب الكاتب إنّما يكون مقبولا ومؤثّرا لدى القرّاء عندما يكون متّسما بالوضوح والدقّة والقوّة في عرض الأفكار. فحينما نمرّ عبر سطور "وحي الهجرة" يمكننا الفهم بأن كاتبها قد نجح في هذه المهمّة، فنراه يقدّم آراءه وأفكاره بأسلوب أدبيّ سلس يستجذب قلوب القرّاء، فيجعل حادثة ممزّقة من الماضي

مصدر القوّة والتشجيع للحاضر والمستقبل.

ففي هذه المقالة، نرى الرافعي يهتم بجمال البيان والتعبير عن طريق توظيف أشكال مختلفة من الصور البيانية والمحسنات البديعية. فمثلا، يصوّر الرافعي تاريخ الإسلام كقصيدة شعرية، والفترة بين بعثة النبي ﷺ وهجرته كمطلع رائع لتلك القصيدة الطويلة. فبعد بيان الحكمة في ابتداء الإسلام بخمسة أشخاص يقول الرافعي: "فهنا مطلع القصيدة، وأول الرمز في شعر التاريخ". وكذا في مكان آخر من هذه المقالة، نراه يشبه ثلاثة عشر عاما إثر البعثة النبوية بطفولة رجل يتزوّد من حوادثها وتجاربها ما استطاع من الهمّة والجرأة لكبره، فيقول الرافعي: "وكانت ثلاث عشرة سنة في هذا المعنى كعمر طفل وُلد ونشأ وأحكم تهذيبه بالحوادث حتى تسلّمته الرجولة الكاملة بمعانيها من الطفولة الكاملة بوسائلها". فطوال هذه المقالة نرى تشبيهات بمختلف أنواعها أوردها الرافعي لتوضيح المعنى الذي يريد تقديمه أمام القرّاء مع استثارة عواطفهم، فمن ذلك مثلا – لا حصرا – قوله "وكأنّ النبي ﷺ أخو الشمس، يطلع كلاهما وحده كلّ يوم" تشبيها لرسول الله ﷺ بالشمس في انفراده عن المجتمع إثر بعثته مع ما معه من هدى ونور للناس، وتشبيهه لعرض رسالته ﷺ أمام أعدائه بعرض الذهب على المتوحشين الذين "يرونه بريقا وشعاعا ثم لا قيمة له وما بهم حاجة إليه"، وكذا قوله في آخر المقالة "والفصل من السنة لا يقدمه الناس ولا يؤخرونه"، "والسحابة لا يشعلون برقها بالمصابيح" للبيان أنّ معاناة النبي ﷺ كانت من حكمة الله، فلا دخل فيها لأحد من خلقه.

ومن أحسن سمات أسلوب الرافعي روعة عرض الأفكار مع الدقة في اختيار الكلمات ومراعاة متانة التركيب. فمثلا حينما يبيّن حال النبي ﷺ من منابذة قومه يقول: "فأصيب كبيرا باليتم من قومه كما أصيب صغيرا باليتم من أبويه". فليست هناك عبارة أدلّ وأوضح لبيان هول تلك الحالة الحرجة التي حلّت على النبي ﷺ من نسبة اليتم إليه من قومه مع تشبيهه بما عاناه من اليتم من أبويه في صغره. وكذا حينما يخاطب الرافعي الدموع التي أهمعت من عيني رسول الله ﷺ يستثير ذاك الأسلوب مشاعر وأحاسيس القرّاء. وكذا عندما يدفع الرافعي اتهامات الأعداء عن رسول الله مع أدلّة عقلية مستنبطة من حياته ﷺ نفسها، يختم ذاك النقاش ببيان ماهية الرسول ﷺ وعلوّ قدره، فيقول: "ولا رجل الأرض في الأرض، ولكن رجل السماء في الأرض". فهذه العبارة تتضمّن كلّ ما يريد الكاتب بيانه في تلك الفقرة بل في تلك المقالة بأكملها، بحيث يصوّر شخصية رسول الله بأحسن وجه وأدقّ قول.

2.6.3 التخطيط الفني في "وحي الهجرة"

إن من أهمّ سمات المقالات الفنّيّة ما يتّبع الكاتب فيها من التخطيط المحكّم في عرض أفكاره فيها بحيث يتحقّق بين أجزائها المختلفة تناسق وانسجام. فمقالة "وحي الهجرة" هي خير مثال لهذا التخطيط الفنّيّ للمقالة، حيث نجد كلّ فقرة من فقراتها مترابطة فيما بينها ترابطا منطقيّا. أمّا عنوان المقالة، فقد أجاد الكاتب في اختياره، حيث إنه يتكوّن من كلمتين تدلاّن على طبيعة المقالة ومحتوياتها. فالأفكار الواردة بالمقالة ليست ممّا قرأها الكاتب من كتاب أو سمع من آخر، بل هي أفكار نبعت في نفسه عندما قرأ تاريخ هجرة رسول الله ﷺ. فما أجدر أن تسمّى تلك الخواطر بالوحي...! ثم يأتي الرافعي بتمهيد يبيّن فيه عن خلفية كتابة هذه المقالة وعن أهمية التاريخ في تقديم العبر والقيم الإنسانية. وهذا التمهيد الذي يتكوّن من ثلاث فقرات يختلف عن بقيّة المقالة في أسلوبه ومعانيه، لكونه صعب الفهم والهضم لما اشتمل على فلسفات غامضة عن التاريخ وأهميته.

وبعد ذاك التمهيد، يدخل الرافعي مباشرا إلى تاريخ النبوّة ويبيّن بأسلوب بسيط الأوضاع الأولى للإسلام إثر بعثة رسول الله ﷺ. ثم يصوّر لنا النموّ التدريجي البطيء للإسلام وعن محاولاته ﷺ في سبيل الدعوة رغم مواقف الإيذاء والإهانة من قبل الأعداء. وبعد بيان تلك المرحلة التاريخية، يبدأ الكاتب في عرض حِكَم الله الغامضة وراء تلك الحوادث فيصف تلك المرحلة مقدّمة في نسق الرواية الإلهية المنطوية على رموزها وأسرارها، فيحلّلها كفصل فلسفي دقيق للمسلمين. ومن تلك الحوادث نفسها يستنبط برهانات قويّة على نبوّة محمّد ﷺ ويدفع تهم الأعداء بهذا الصدد بحجج عقلية وأدلّة منطقية. ومما يدل على براعة الرافعي ومهارته في فنّ المقالة ترتيبه لخواطره وانفعالاته الشخصية بألفاظ وعبارات منسّقة تجعل القرّاء يتفاعلون معها. أما في الختام، يفرغ الرافعي من المقالة بسطرين مقتبسين من التاريخ الإسلامي واللذين يحتويان مغزى جميع ما قدّم من الأفكار مع إشارة خاطفة على موقف مزدهر من تاريخ الإسلام، وهو قول الخليفة هارون الرشيد للسحابة الجارية.

2.7 نتائج التعلم

أيّها الطلبة الأعزّة، في هذه الوحدة تعلّمنا مفصّلا عن الأديب الشهير مصطفى صادق الرافعي وعن خدماته الأدبيّة، وقرأنا أيضا مقالة رائعة للرافعي حول الهجرة النبوية باسم "وحي الهجرة"، مع تحليل العناصر الفنّيّة الواردة فيها. فأهمّ النتائج التي وصلنا إليها من تعلّم هذه الوحدة كما يلي:

- مصطفى صادق الرافعي كان أديبا مصريّا ولد عام 1298هـ/1880م وتوفّي عام 1937م. إنّه كان يلقّب بـ "معجزة الأدب العربي".
- فقد الرافعي سمعه كلّيّا ونطقه جزئيا في شبابه، ولذا لم يستطع متابعة التعليم النظامي، ولكنّه كان صاحب الإرادة الحازمة فتابع دراساته على يد والده وعكف على كتب مكتبة بيته إلى أن أصبح عالما وأديبا.
- كان الرافعي شاعرا مطبوعا في مطلع شبابه، ولكنّه ترك المجال الشعري واتجه نحو الفنون النثرية فشغل بالنثر الشعري لمدّة، ثم ركّز عنايته في ميدان الدراسات الأدبية وألف كتابه المشهور "تاريخ آداب العرب". وفي السنوات الأخيرة من حياته، اهتمّ بفنّ المقالة فكتب عددا كبيرا من المقالات النقدية والإنشائية.
- من أهمّ كتب الرافعي: ديوان النظرات (شعر)، وتاريخ آداب العرب، ووحي القلم، وحديث القمر، والمساكين، ورسائل الأحزان، والسحاب الأحمر، وتحت راية القرآن، وإعجاز القرآن، وعلى السَّفود، وأوراق الورد وغيرها.
- كتاب "وحي القلم" هو مجموعة مقالات نقدية وإنشائية كتبها الرافعي للمجلات والجرائد المصرية في الفترة من 1934م إلى 1937م. يتكوّن هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء تشتمل على أكثر من 150 مقالة في موضوعات متنوّعة مثل الأدب والأخلاق والعادات والتقاليد والحبّ والفلسفة والحكمة وحقائق الإسلام.
- مقالة "وحي الهجرة" هي مقالة كتبها الرافعي في مجلّة الرسالة في عددها السنويّ الخاصّ بالهجرة النبويّة، ووردت في الجزء الثاني من مجموعة "وحي القلم".
- في مقالة "وحي الهجرة"، حاول الكاتب تقديم قراءة فلسفية للهجرة النبوية، فعرض معانٍ بديعةً وأفكارًا

رائعةً حول حكمة الله وراء معاناة النبيّ وأصحابه في الفترة بين البعثة والهجرة. فأكّد الرافعي بأدلّة عقليّة وحجج منطقيّة على صدقية نبوّة محمّد ﷺ ورسالته.

- وبعد قراءة هذه المقالة الرائعة، قمنا بتحليل العناصر الفنية في مقالة "وحي الهجرة" واطلعنا على معاني الكلمات والتعبيرات الصعبة الواردة فيها.

2.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

المفردات والمعاني	المعاني بالإنكليزية	المفردات والمعاني	المعاني بالإنكليزية
- الإلمام بالموضوع: معرفته وفهمه	The state of being well known about a topic	- أسلوب جزل: أسلوب محكم	Style of Cleverly stated statements
- وَفَدَ: وَرَدَ، قدِمَ	Pay a visit to, Arrive at	- العاهة: المرض	A defect of the body
- حفاوة: اهتمام كبير	A kind or glad reception	- الثّبَت: فهرس الكتاب	Index
- أدلى بدلوه في شيء: شارك فيه	bring forward; bring out	- استوحى مِن: استمدّ	Seek inspiration from, derive from
- منبثقة: مُنفجرة، مندفِعة	burst forth; emerge from	-الخضمّ: البحر الواسع	The salt water that covers most of the earth's surface
- انبجس: انفجر، انبثق	burst forth	- الشفافيّة: الوضوح التامّ	Transparent
- أهمع: سال، جرى	Flow or pour out suddenly in great quantities or cause to flow	- ماهية الشيء: حقيقته وكنهه	The essence of a thing
خَلَدٌ (ج) أَخلادٌ : خطرَ في باله، خطرَتْ في خَلده أفكارٌ			To strike in mind

2.9 أسئلة الاختبار النموذجية

2.9.1 أسئلة موضوعية

اختر الجواب الصحيح من الخيارات:

1- مقالة "وحي الهجرة" مأخوذة من كتاب..... للرافعي:

(a) وحي القرآن (b) رسائل الأحزان (c) تحت راية القرآن (d) وحي القلم

2- ولد مصطفى صادق الرافعي في عام .....م

(a) 1880 (b) 1888 (c) 1908 (d) 1890

3- ينتمي نسب مصطفى صادق الرافعي إلى .....

(a) عمر بن عبد العزيز (b) أبي بكر الصديق (c)أبي أيّوب الأنصاري (d)عمر بن الخطاب

4- ما اسم ديوان الرافعي الذي أصدره سنة 1908م؟

(a) ديوان العبرات (b) ديوان الخواطر (c)ديوان النظرات (d)ديوان وحي القلم

5- من أهمّ مؤلّفات الرافعي في ميدان الدراسات الأدبية.....

(a) حديث القمر (b)الأدب والأدباء (c)تاريخ الأدب العربي (d)تاريخ آداب العرب

6- ما هو الكتاب الذي ردّ فيه الرافعي على آراء طه حسين؟

(a) على السَّفود (b) تحت راية القرآن (c) في ظلال القرآن (d) في الشعر الجاهلي

7- كتاب "وحي القلم" هو مجموعة مقالات كتبها الرافعي للمجلات المصرية في الفترة بين .....م.

(a) 1937-1934 (b)1904- 1908 (c)1932- 1937 (d)1927- 1934

8- "ثمّ كان أوّل النموّ في الإسلام بحرّ وعبد، أمّا الحرّ فأبو بكر، وأمّا العبد فـ....."

(a) عثمان بن عفّان (b) زيد بن حارثة (c) بلال بن رواحة (d) عمّار بن ياسر

9- غبر النبي ﷺ ..... سنة بمكّة يدعو إلى الله من قبل أن يهاجر إلى المدينة.

(a) أربع عشرة (b) ثلاثا وعشرين (c) ثماني عشرة (d) ثلاث عشرة

10- من قال: "أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك!

(a) محمّد ﷺ (b) هارون الرشيد (c) عمر بن عبد العزيز (d) المتوكّل بالله

2.9.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- ما هو المحور الذي تدور حوله مقالة "وحي الهجرة"؟

2- ما هي الحكمة الإلهية وراء بداية الإسلام بخمسة أشخاص في رأي الرافعي؟

3- ما كان جواب رسول الله ﷺ حينما ظنّ ﷺ أنّ عمّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه؟

4- لماذا لم يتابع الرافعي التعليم النظامي بعد الحصول على شهادة الابتدائية؟

5- اكتب أسماء خمسة كتب من مؤلّفات الرافعي.

2.9.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- اكتب مقالة عن المساهمات الأدبيّة لمصطفى صادق الرافعي.

2- اكتب مفصّلا عن الأفكار الفلسفيّة التي يثبتها الرافعي حول الهجرة النبوية.

3- حلّل العناصر الفنيّة في مقالة "وحي الهجرة".

2.10 أهم الكتب والمراجع المُوَصّى بها

1- د. مصطفى الشكعة، مصطفى الرافعي كاتبا عربيّا ومفكّرا إسلاميا، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م.
2- عمر الدسوقي، مع الرافعي الكاتب، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1969م.
3- محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م.
4- مصطفى صادق الرافعي، كتاب وحي القلم، المكتبة العصرية، بيروت.
5- مصطفى نعمان البدري، الرافعي بين المحافظة والتجديد، دار الجيل، بيروت ودار عمّار، عمّان 1991م.

الوحدة: 3

"اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن"

للدكتور أحمد أمين

عناصر الوحدة

3.0 التمهيد

3.1 أهداف الوحدة

3.2 الدكتور أحمد أمين وإسهاماته للأدب العربي

3.2.1 إطلالة موجزة على حياة الدكتور أحمد أمين

3.2.2 إسهاماته الأدبية والفكرية

3.3 "اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن"

3.3.1 سلسلة "فجر وضحى وظهر الإسلام" لأحمد أمين

3.3.2 خلاصة مقالة "اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن"

3.4 نصّ المقالة

3.5 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة في النص

3.6 العناصر الفنّية في مقالة "اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن"

3.6.1 مضمون المقالة

3.6.2 أسلوب د. أحمد أمين

3.6.3 التخطيط الفني

3.7 نتائج التعلّم

3.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

3.9 أسئلة الاختبار النموذجية

3.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

3.0 التمهيد

بعد قراءة ممتعة لمقالة "وحي الهجرة" لمصطفى الرافعي، ها هي ذي لديكم مقالة أخرى لكاتب بارع آخر في الأدب العربي الحديث، وهو الأستاذ الدكتور أحمد أمين الأديب المفكّر المصريّ. عندما نسمع هذا الاسم، أوّل ما تتبادر إلى أذهاننا أسماء ثلاثة من كتبه – "فجر الإسلام"، و"ضحى الإسلام"، و"ظهر الإسلام"، والتي يحلّل فيها الخلفيات العقلية والثقافية والدينية والاجتماعية للعرب في عصور مختلفة منذ بزوغ الإسلام. فالمقالة التي نعالجها في هذه الوحدة، هي عيّنة من كتابه "ضحى الإسلام"، يبحث فيها الكاتب حول ظاهرة أحسّها في العصر العبّاسي وهي اختلاف آراء المسلمين ومواقفهم حول الدين والقرآن وآثار هذا الاختلاف على مسير الإسلام والمسلمين. فننظر في هذه الوحدة إلى حياة هذا الكاتب القدير وإلى خدماته الفكرية والأدبيّة، ثم نقرأ مقالته ونفهم من خلالها ما يقدّمه لدينا من الآراء والأفكار حول الموضوع المذكور، مع استيعاب خصائص أسلوبه في التعبير النثري.

3.1 أهداف الوحدة

بعد تكميل هذه الوحدة، تضيفون إلى رصيدكم العلمي المعارف التالية:

- المعرفة عن الكاتب العربي المعاصر د. أحمد أمين وإسهاماته في الأدب العربي والمجال الفكري.
- تحليل قطعة نثرية مأخوذة من كتابه "ضحى الإسلام" ومن ثمّ الاطلاع على أسلوبه النثري.
- فهم الأسباب التي أدّت إلى اختلاف أنظار المسلمين في أمور دينهم ومدى مضرّة ونفع ذاك الاختلاف لدين الإسلام في العصر العبّاسي الأوّل.
- الاطلاع على الكلمات والاستعمالات اللغوية الواردة في هذه المقالة.
- القدرة على تحليل النصوص النثرية من خلال التعرّف على ما فيها من العناصر الفنية.
- بيان المفردات الواردة في الوحدة وعرض أساليب الاختبار.

3.2 الدكتور أحمد أمين وإسهاماته في الأدب العربي

3.2.1 إطلالة موجزة على حياة الدكتور أحمد أمين

وُلد أحمد أمين في الأوّل من شهر أكتوبر عام 1886م بقرية سمخراط (Sumukhrat) في محافظة البحرية بمصر، في أسرة ريفية من الفلاحين المصريين. كان والده الشيخ إبراهيم الطباخ عالما متخرّجا من الأزهر، يعمل مدرسا في إحدى مدارس الحيّ الذي كانت أسرته تسكنه، ويعمل في الوقت نفسه مصحّحا في المطبعة الأميرية. ومنذ صغر أحمد أمين، كان الوالد يهتمّ به اهتماما خاصّا ويربّيه تربية دينية وعلميّة، حتى كان قد فرض عليه برنامجا خاصّا في تلقّي الدروس وقراءة الكتب. وحيث كانت لوالده هواية جمع الكتب في مختلف الفنون، حصل منذ نعومة أظفاره فرصة سانحة لمطالعة الكتب في العلوم والفنون المختلفة.

ابتدأ أحمد أمين تعليمه الرسمي من كتّاب قريته كعادة أبناء القرى المصرية في عصره، فمنه تعلّم القراءة

والكتابة وحفظ القرآن الكريم. وبعد ذلك، التحق بإحدى المدارس الابتدائية العصرية باسم مدرسة والدة عبّاس باشا الأول الابتدائية، فتعلّم فيها العلوم الحديثة مثل الجغرافيا والتاريخ والحساب واللغة الفرنسية، كما أنه كان في الوقت نفسه يتبع منهجا دراسيا خاصّا أعدّه له والده والذي يشتمل على العلوم التقليدية مثل علوم النحو والصرف والبلاغة وغيرها. وبعد تعليم أربع سنوات في تلك المدرسة، ذهب إلى الأزهر في الرابعة عشر من عمره، ولكنّه لم يمكث في الأزهر إلا سنتين، حيث سئم من الأسلوب التعليمي القديم هناك فتركه وعمل كمدرّس في بعض المدارس بطنطا ثم بالإسكندرية.

وفي عام 1907م، عندما أقيمت مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة بغرض تخريج قضاة شرعيين، حصل أحمد أمين على فرصة للتعلّم فيها بعد اجتياز امتحان دخول صعب. وكانت تدرّس في هذه المدرسة موادّ دينية وعصريّة على حدّ سواء، فنال منها شهادة القضاء سنة 1911م. وبعد ذلك عيّن مدرّسا في نفس المدرسة لتفوّقه في الدراسة، واستمرّ هناك مدرّسا حتى عام 1922م. فهذه الفترة التي قضاها أحمد أمين في مدرسة القضاء طالبا ومعلّما كانت من أخصب فترات حياته من حيث الإعداد العلمي والتكوين العقلي. وقد كان متأثرا بأستاذه عاطف باشا بركات ناظر مدرسة القضاء خاصّة، فاكتسب منه علوما نافعة وصفات محمودة. فعندما فصل عاطف باشا من المدرسة لعدم اتفاقه مع إدارتها في بعض الأمور، أقصى أحمد أمين أيضا عن وظيفته بسبب وفائه لأستاذه. وكان يقول عن تركه لها: "بكيت عليها كما أبكي على فقد أب أو أم أو أخ شقيق".

وبعد إقصائه عن مدرسة القضاء، عمل قاضيا في بعض المدن لأربع سنوات، إلى أن دعاه طه حسين للتدريس في كلية الآداب لدى الجامعة المصرية. فقبل تلك الدعوة للانضمام إلى العالم الأكاديمي، فالتحق في كليّة الآداب بالجامعة المصريّة أوّلا مدرّسا، ثمّ ارتقى أستاذا مساعدا إلى أن أصبح عميدا للكلّية في عام 1939م على الرغم من عدم حصوله على درجة الدكتوراه. ولكنّه فضّل الاستقالة من العمادة لتأثّرها سلبيّا على مسيره الفكريّ وعاد إلى عمله كأستاذ في السنة التالية نفسها. وفي 1945م ندب مديرا للإدارة الثقافية بوزارة المعارف، كما تولّى في 1946م منصب مدير الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية. وفي سنة 1948م نال الدكتوراه الفخرية وجائزة فؤاد الأول لصاحب أحسن عمل في الآداب. انتقل أحمد أمين إلى رحمة الله في 27 رمضان 1337هـ الموافق 30 مايو 1954م، بعد إثراء المكتبات العربيّة بآثاره الأدبية الخالدة.

3.2.2 إسهاماته الأدبية والفكرية

يعدّ د. أحمد أمين من أدباء النهضة العربية ومفكّريها الذين ضحّوا بكل غال وثمين من أجل تحقيق العصرنة والتنوير في العالم العربي، فكان كاتبا قديرا حرّك قلمه السيّال في مجالات مختلفة مثل الأدب والنقد والفلسفة والتاريخ، وقدّم من خلال مؤلّفاته آراءه وأفكاره السامية المنبثقة من اطّلاعه الواسع على العلوم الإنسانية الحديثة وتعمّقه في العلوم العربية والشريعة والثقافة التراثية. وكان يمتلك أسلوبا طبيعيا بناه على الواقعية ودقّة التعبير وعمق التحليل، لكن مع الميل إلى السهولة والبعد عن التعقيد والغموض. قام بتأليف حوالي 17 كتابا كما شارك مع المؤلفين الآخرين في تأليف عدد من الكتب الأخرى وتحقيقها.

تعدّ سلسلة "فجر الإسلام"، و"ضحى الإسلام"، و"ظهر الإسلام" في البحث عن الحياة العقلية للعرب أهمّ كتبه وأكثرها شمولاً وتأثيرا في تاريخ الثقافة العربية الحديثة. ألّف هذه الكتب الثلاثة حينما كان أستاذا بجامعة

القاهرة، فصدر أوّل كتاب من هذه السلسلة في 1929م والثاني في 1933م والثالث في 1945م. ومن مؤلّفاته أيضا: "يوم الإسلام"، و"من زعماء الإصلاح في العصر الحديث"، و"كتاب الأخلاق"، و"فيض الخاطر" (مجموعة مقالاته في عشرة أجزاء)، و"الشرق والغرب"، و"النقد الأدبي"، و"هارون الرشيد"، و"الصعلكة والفتوة في الإسلام"، و"ابتسم للحياة"، و"حرب الشر"، "علّمتني الحياة". وله سيرة ذاتية باسم "حياتي"، يسرد فيها بأسلوب أنيق ما مرّ به من تجارب الحياة مع تصوير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية السائدة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وبالإضافة إلى ما ذكر، إنه تعاون مع بعض المحققين في إصدار كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربّه، و"الإمتاع والمؤانسة" و"البصائر والذخائر" لأبي حيان التوحيدي، و"الهوامل والشوامل" للتوحيدي ومسكويه، و"خريدة القصر وجريدة العصر" لعماد الدين الأصفهاني.

أمّا في مجال فنّ المقالة العربية، لعب د. أحمد أمين دورا محوريّا لتطوير هذا الفنّ وتهذيبه في حجر اللغة العربية. فقد كتب مقالات لا يحصى عددها بأسلوب متأنّق متّسم بالسهولة والدقّة والوضوح، حول موضوعات اجتماعية وحضارية وتربوية. وقد أثرى بمقالاته القيّمة مجلات عربيّة مثل "الرسالة"، و"الثقافة"، وأبدى فيها همومه حول المفاسد والعيوب في المجتمع كما دعا إلى إشاعة قيم وعادات حضارية صحية يتحقّق من خلالها تقدّم المجتمع ونهضة الأمّة. فكان من أهمّ خصائص أسلوبه في فنّ المقالة، اعتماده على وضوح الفكرة وجلاء المعنى باستخدام لغة ميسورة وفصيحة. وكان يفضّل الأسلوب الترسّليّ والجمل الطويلة في معظم مكتوباته، كما كان لا يكترث بالصور والمحسنات اللفظية أو المعنوية. وفي بعض المواقع، كان لا يتورع عن استعمال ألفاظ عامية أو تعبيرات إقليمية عند محاولة تصوير المشاكل المتجذّرة في المجتمع.

ولا تتمّ خدمات الدكتور أحمد أمين في مجال الأدب العربي إلا بذكر "لجنة التأليف والترجمة والنشر" التي شارك في تأسيسها مع طائفة من الأدباء والعلماء المعاصرين مثل أحمد زكي باشا، د. محمّد عبد الواحد خلاّف، محمّد فريد أبو حديد وأمثالهم، فأشرف عليها مدّة أربعين سنة منذ إنشائها حتى وفاته. فكان لهذه اللجنة آثار بالغة في الثقافة العربية، إذ قدّمت لقرّاء العرب ذخائر الفكر الأوروبي والتراث العربي، فنشرت أكثر من 200 كتاب مطبوع، كما أنشأت مجلّة "الثقافة" التي رأس أحمد أمين تحريرها واستمرت في الصدور أربعة عشر عاما. وفي 1946م، بعد توليه الإدارة الثقافية بوزارة المعارف، قام بتأسيس "الجامعة الشعبية" بهدف نشر الثقافة العربية بين الشعب، كما أنشأ "معهد المخطوطات العربية" التابع لجامعة الدول العربية في نفس الفترة. وكان الدكتور عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما كان عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق وفي المجمع العلمي العراقي.

3.3 "اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن"

3.3.1 سلسلة "فجر وضحى وظهر الإسلام" لأحمد أمين

كتاب "ضحى الإسلام" هو الكتاب الثاني من سلسلة كتب ألّفها د. محمد أمين في البحث عن الحياة الفكرية للعرب المسلمين. وكانت هذه السلسلة نتيجة مشروع وضعه هو مع كلّ من الدكتور طه حسن والأستاذ عبد الحميد العبادي، حيث قرّروا على الدراسة عن الحياة الإسلامية من نواحيها الثلاثة، الأدبية والتاريخية والعقلية، منذ ظهور الإسلام. فتولى طه حسين الحياة الأدبية والأستاذ العبادي الحياة التاريخية والأستاذ أحمد أمين الناحية العقلية، إلاّ

أنّ الأوّلين لم يستكملا دراسة ناحيتيهما من هذا المشروع البحثي. أمّا أحمد أمين فقد أتمّ الكتاب الأول من دراسته خلال سنتين، فأصدر "فجر الإسلام" في 1929م، يبحث فيه عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى أواخر الدولة الأموية بما فيها جميع مظاهر الحياة آنذاك، فكريّة أو أدبية أو دينية. لقد تلقّى هذا الكتاب استحسانا واسعا بين الأوساط العلمية والأدبية، ممّا شجّعه في المضيّ قدما في دراسته.

نشر الكتاب الثاني من هذه السلسلة باسم "ضحى الإسلام" في 1933م في أربعة أجزاء بمجلّدين. ففي هذا الكتاب، ناقش عن الحياة الاجتماعية والثقافية ونشأة العلوم وتطوّرها في العصر العباسي الأول. أما الكتاب الثالث من السلسلة، فنشر باسم "ظهر الإسلام" في أربعة أجزاء بمجلدين في عام 1945م. فبحث في هذا الكتاب عن الحياة الاجتماعية من عهد المتوكل إلى آخر القرن الرابع الهجري ومراكز الحياة العقلية في ذلك العصر وعن حركات العلوم وكذا عن الحياة الاجتماعية في الأندلس وعن الفرق الدينية التي ظهرت في تلك الفترة. وكان الدكتور يعيش مع نية كتابة "عصر الإسلام" أيضا في هذه السلسلة إلا أن الأجل لم يمهله في تحقيق رغبته. فهذه السلسلة لا تزال تبقى بحقّ موسوعة علمية اجتماعية تسرد للعصر الحديث بدقّة عن الحياة العقلية وتطوّر الفكر العربي والإسلام على مدى عصوره المختلفة.

3.3.2 خلاصة مقالة " اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن "

"ضحى الإسلام" هو كتاب يبحث فيه د. أحمد أمين عن الحياة الاجتماعية والثقافات المختلفة والحركات العلمية والفرق الدينية في العصر العباسي الأوّل. فهذه القطعة النثرية التي بين أيدينا ليست بمقالة مستقلّة، بل هي جزء مقتبس من الفصل الخامس للباب الثاني من الجزء الأوّل لـ"ضحى الإسلام". فالباب الثاني من هذا الكتاب يدور حول الثقافات المختلفة الموجودة في العصر العبّاسي الأوّل، حينما يركّز الفصل الخامس منه على الثقافات الدينية خاصّة، بما فيها اليهودية والنصرانية والإسلام. أمّا هذه المقالة فهي من المبحث عن تاريخ الإسلام في العصر العبّاسي في هذا الفصل، أخذه وعنونه ورتّبه بشكل مقالة الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في الجزء الثاني من كتابه "مختارات من أدب العرب".

ففي الفصل الخامس، بعد البحث عن أحوال اليهودية والنصرانية في أوائل العصر العبّاسي، أخذ د. أحمد أمين في المناقشة حول أوضاع الدعوة الإسلامية في تلك الفترة. ففي مطلع بحثه حول تاريخ الإسلام، أشار إلى دور الخلفاء العبّاسيين في نشر الدعوة الإسلامية واهتمامهم بالمسائل الدينية، وكذا إلى مساهمة المتكلّمين في إشاعة رسائل الإسلام من خلال طرق عقلية وحجج منطقية مبنية على أصول العلوم اليونانية. أمّا في هذه القطعة التي ترد كالجزء الثاني للبحث عن تاريخ الإسلام، يبحث الكاتب – كما يشير إليه العنوان الذي وضعه الأستاذ الندوي- عن العناصر العقلية وراء اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن في ذاك العصر.

تبدأ هذه المقالة بلفت انتباهاتنا إلى قضيّة مهمّة تجدر بالذكر عند البحث عن أحوال ديانة الإسلام في العصر العبّاسي الأوّل، هي أنّ تصوّر مسلمي ذاك العصر عن الإسلام كان مختلفا تماما عن تصوّر المسلمين له في العصور السابقة. فالمسلمون في تلك الفترة، وإن كانوا يتمسّكون بدين واحد، إلا أنّهم كانوا ينظرون إلى دينهم من

خلال تاريخ وقيم وتقاليد ثقافاتهم التي كانوا عليها قبل اعتناقهم للإسلام. فيؤكّد الكاتب بأن الخلفيّات التي يعيش فيها الأفراد لتؤثّر أنظارهم وعقلياتهم حتى ولو أصبحوا أصحاب تيارات فكريّة جديدة، حيث يقول بأنّ نظر العالِمِ ذي ثقافة واسعة إلى الإسلام لا يكون مثل نظر العامي الجاهل كما لا يكون نظرهما مثل نظر صوفي نحوه. فالإسلام بالهند ومصر وتركيا أصوله واحد لا خلاف فيها بين مسلمي تلك البلاد، ولكنهم يختلفون فيما بينهم في تفاصيل هذا الدين. وللإشارة إلى شدّة الاختلاف بين المسلمين في فروع دينهم، يأتي الكاتب بحديث رواه البخاري والترمذي عن أنس بن مالك -ﷺ- وهو ينكر فيه ما شاهده من اختلاف الأنظار والأعمال في عصر الأمويين ممّا كانت في عصر النبي ﷺ. فيتعجّب الكاتب بعد إتيان هذا القول لأنس -ﷺ- من أنه كيف سيكون انفعاله لو ما رأى تلك التغيّرات والبدع الطارئة على الدين في العصر العبّاسي.

ثم يأتي الكاتب بمأثورات تدلّ على أن الإسلام دين سهل يسير لا يوجد فيه شيء من صور الإكراه أو الشدّة. فيسرد حديث النبي ﷺ الذي يحذّر فيه من التشديد في أمور الدين، كما يحكي أيضا ما جرى بين القاسم بن محمد، حفيد أبي بكر الصديق -ﷺ- وسالم بن عبد الله، حفيد عمر بن الخطاب -ﷺ-، حيث كان الأوّل منهما يلبس لباسا من الحرير المحرّم على الرجال، والثاني لباسا من الصوف، ولكن بدون إنكار أحد منهما على ما يفعله الآخر. ويأتي الكاتب أيضا بهذا الصدد، إنكار رسول الله ﷺ على عبد الله بن عمر انهماكه في العبادات بدون أداء الحقوق الواجبة عليه. وبعد بيان ما في الدين من اليسر، يشير الكاتب إلى التشدّد والغلوّ فيه في العصر العبّاسي الأوّل.

وممّا يميّز العصر العبّاسي عن العصور السابقة أيضا تدخّل الأفكار المنطقية والفلسفية إلى مباحث الدين، وبالتالي ضعف القوة الروحية والحماسة القلبية من جانب، ونماء الناحية العقلية والتأثيرات المنطقية من جانب آخر. فالقرآن كان أشدّ فريسة لهذا التدخلّ المنطقي، حيث أصبح عرضة لتأويلات المتكلمين والفلاسفة، ممّا أدّى إلى إضعاف الروح الدينية وما كانت توحيه من إحياء القلوب. فكان الناس في عصر النبي ﷺ وبعده يقرأون القرآن من أجل تفهّم روحه، فاهتمّوا بالمباحث الأخرى مثل سبب النزول والاستشهاد بالأبيات الشعرية فقط لتوضيح المعاني الروحية للآيات الكريمة. ولكن، منذ أواخر العصر الأموي بدأ علماء الكلام ينظرون إلى القرآن من خلال عقائدهم ويؤوّلون ما يخالف معتقداتهم، فعندما كثرت المذاهب والملل في العصر العباسي صار أصحاب كلّ مذهب ينظرون إلى القرآن من خلال مذاهبهم المؤيّدة بالأفكار الفلسفية، حتّى أصبحوا يصلون إلى فهم معاني الآيات من الناحية العقلية على حساب القوة العاطفية. وبهذا الصدد يأتي الكاتب بمثال مقارن، وهو مقارنة آية تدلّ على قدرة الله العظيمة في خلق النحل بأسلوب واضح لا يحتاج إلى تأويل أو ترجيح، مع خلاف جرى بين الأشعرية والماتريدية في القدرة الإلهية هل هي صفة أزلية تتعلق وفق الإرادة أم لا.

يقول الكاتب بأن أسلوب القرآن في دعوة الناس إلى الإيمان من خلال طريقين: الأول: هو طريق النظر إلى العالم ومن ثمّ الوصول إلى قدرة الخالق من خلال التفكّر في الآيات الكونية، والثاني: هو طريق الاعتبار من الأحاديث التاريخية عن الأنبياء وأممهم. فهاذان الطريقان يناسبان طبائع جميع الناس، العلماء منهم والجهّال. ولكنّ العلماء في العصر العباسي حينما أولعوا بالفلسفة اليونانية وقرأوا القرآن في ضوء مبادئ المنطق والفلسفة ضعفت في تفاسيرهم الناحيةُ الروحية للقرآن وتشكّل في مباحثهم نوعٌ من الثقافة العقلية، الأمر الذي أدّى إلى إضرار بالدين من

ناحيته القلبية وتعقيد العقيدة الإسلامية السهلة السمحة. فحسبما تعمّق المسلمون في العلوم والفلسفة تعمّقوا في تأويل الآيات القرآنية، وكوّموا كلّ ما تكسّبوا من العلوم الجديدة حول الآيات القرآنية حتى يقول الكاتب بأنّنا نجد في بعض التفاسير كلّ شيء من العلوم إلا شرح روحِ القرآن.

وبعد تصوير الأضرار التي أتت بها الفلسفة والعلوم الجديدة إلى الدين من جانب، يناقش الكاتب عن الجوانب الإيجابية لتلك العلوم والأفكار في تقنين الإسلام وجعله نظاما شاملا لحكومة ممدّنة. فحينما شاهد العبّاسيّون تطوّرات عديدة في نواحي حياتهم المختلفة كنتيجة إسلام عدد لا يحصى ممّن ينتمون إلى ثقافات وديانات مختلفة وتجدّد مظاهر وأحداث شتى مما لم يكن لهم عهدٌ بها، ساعدتهم علومهم الجديدة واتجاهاتهم العقليّة على تدوين أصول الإسلام وتطبيق قواعده على الأحداث المستجدّة. فقام الأئمّة الأربعة وغيرهم من الفقهاء يجتهدون في وضع القوانين من الماليّة والجنائية وما يسمّى بالأحوال الشخصية، وغير الفقهاء يضعون نظما إدارية وسياسية مثل نظام الشرطة والجيش والبريد والمصانع والتجارة ونحوها. وإن كان هناك خروج عن الإسلام في بعض تصرفات هذا العصر كانت الروح العامة تتقيّد بأصول الإسلام. فبفضل هذه الأصول الدينية تقلّصت الفروق بين الأمم في العصر العبّاسي وجمعتهم وحدة إسلامية. ففي أواخر المقالة يلخّص الكاتب تطوّر الإسلام التدريجي منذ ظهوره بقوله "كان الإسلام دينا في مكّة، وكان دينا وحكما في المدينة، وكان دينا وحكما ومدنية في بغداد وسائر المملكة الإسلامية في العصر العبّاسي". ثم يقول بأنّ هذا النموّ للإسلام وانتشار رائحته الطيبة في جميع نواحي الحياة هو الذي أدّى إلى دخول كثيرين في الإسلام في العصر العبّاسي.

3.4 نصّ المقالة

اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن

ومسألة أخرى كبيرةُ الأهمية في عصرنا الذي نؤرّخُه؛ تلك هي أن تصوُّرَ كثيرٍ من المسلمين للإسلام في ذلك العصر يختلفُ عن تصوُّرِ المسلمين له في العصور الأولى. فحياةُ العربي الساذجةِ البسيطةِ السهلةِ تعَقَّدَتْ، والديانات المختلفة تَسَرَّبَتْ، والأعاجم الذين كانوا وثنيين أو مانَوِيّيْن أو نحوَهم دخلوا في الإسلام ولم تُنَقَّ رءوسُهم مِن كلِ ما علّق بها من الديانات القديمة. وقد عاشوا في المدنيات المُرَكَّبةِ المُعَقَّدَةِ؛ فنَظَروا إلى الإسلام بعيونهم، لا بالعين العربيةِ الأولى. وحقٌ ما يقال: إن الأممَ وإن اتحدتْ دِيْنًا فكلُّ أُمَّةٍ يختلفُ نظرُها في تفاصيلِ دينِها عن الأمم الأخرى، وهي تنظُر إلى الدين من خلال تاريخها ونُظمِها الاجتماعية، من خلال أديانها المتعاقبة، ومن خلال لغاتها وتقاليدها، ومن خلالِ ثقافتها وتربيتها- إلى غير ذلك. كلُّ المسلمين يقولون: "لا إله إلا الله محمّد رسول الله"، ولكنْ نظرُ العالِم الواسعِ الثقافةِ إلى الإسلام غير نظر العامي الجاهل، وكلاهما غير نظر الصوفي، وهكذا. بل نظر المسلمين المصريين - على وجه العموم- إلى الإسلام يختلف في تفاصيله عن نظر الهنود المسلمين والأتراك المسلمين، لأن كل أمة تداوَلُ عليها من العوامل ما يخالف غيرها، وذلك - من غير شك - خالف بين أنظارهم وعقلياتهم، والناس كانوا ينظرون إلى الإسلام نظرًا يختلف باختلاف العصور. يعجبني في ذلك ما رواه البخاري والترمذي عن أنس بن مالك (المتوفى سنة ٩٠ هـ)، قال: ما أعرِف شيئًا مما كان على عهد رسول الله ﷺ، قيل: الصلاة؟ قال: أليس صنعتُم ما صنعتهم فيها. فأنس ﷺ

قد شاهد عصر النبي ﷺ وعصر الأمويين، ومع قرب العصرين لاحظ اختلاف الأنظار والأعمال، فكيف إذا شاهد العباسيين ومن بعدهم؟! قد كان الإسلام سهلًا يسيرًا، يقول رسول الله ﷺ: "إنّ هذا الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدينَ أحدٌ إلاّ غَلَبَهُ، ويقول: لا تُشدِّدوا على أنفسكم فيُشَدَّد عليكم، فإن قومًا شَدَّدوا على أنفسهم فشُدِّدَ عليهم؛ فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، رهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم". وكان القاسم بن محمد يلبَسُ الخَزَّ، وسالم بن عبد الله يلبس الصوف، ويقعدان في مسجد المدينة، فلا ينكِر هذا على هذا، ولا ذا على هذا. وكان هناك نزعة لبعض الصحابة في الغلو في الدين، فقاومها رسول الله ﷺ؛ كالذي كان بينه وبين عبد الله بن عمر؛ فقد بلغه أنه لا ينام ولا يُفطر، ولا يؤدي حقوق أهله انْهماكًا في العبادة، فقال له رسول الله ﷺ: يا عبد الله! إن لك في رسول الله أسوة حسنة! فرسول الله يصوم ويفطر ويأكل اللحم ويؤدّي إلى أهله حقوقهم. يا عبد الله! إن لله عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقّا.

وبعد هذا رأينا تشددًا في دين، وابتداعًا لتقاليد، وغُلوّا في نواحٍ مختلفة؛ منهم من يلبس الصوف ويلتزمه، ومنهم من يغلو في الإنكار على لابسيه. قدم حماد بن سلمة البصرة، فجاءه فَرقد السَّنجيّ، وعليه ثياب صوف؛ فقال له حماد: دع عنك نصرانيتك! وقال ابن السماك لأصحاب الصوف: والله، لئن كان لباسكم وفقًا لسرائركم، فقد أحببتم أن يطَّلع الناس عليها، وإن كان مخالفًا لقد هلكتم. وكان بعض الموالي يتشدد في الوضوء والطهارة، ويغلو في ذلك غلوّا لا يعرفه العرب، فكان العرب يكرهون منهم ذلك إلى كثير من أمثال هذا.

وهناك ما هو أهم من هذا، ذلك أن الناس في عصر النبي ﷺ وبعده كانوا يقرءون القرآن أو يسمعونه فيعنَون بتفهم روحه، فإن عُنِي علماؤهم بشيء وراء ذلك فما يوضح الآية من سبب للنزول، أو استشهاد بأبيات من أشعار العرب تفسر لفظًا غريبًا، أو أسلوبًا غامضًا. وأكثر ما رُوِيَ لنا في الطبري وغيره عن الصحابة في تفسير القرآن هو من هذا القبيل، وما عرفنا في العصر الأول انحياز الصحابة إلى مذاهب دينية، وآراء في الملل والنحل. فلما كان في آخر العصر الأموي رأينا الكلام في القدر، ورأينا المتكلمين فيه ينظرون إلى القرآن من خلال عقيدتهم. فمن قال بالجبرِ أول كلّ آيات الاختيار، ومن قال بالاختيار أول كلّ آيات الجبر. وسال بعد ذلك السيل في العصر العباسي، فصارت كل طائفة وأصحاب كل مذهب ينظرون إليه من خلال مذاهبهم. ولئن كان هذا النظر أفاد من ناحية الجدال بين المسلمين وغيرهم، والدعوة إلى الإسلام - كما بينا في موقف المعتزلة - فقد أساء بإضعاف الروح الدينية وما كانت توحيه من إحياء القلب. أصبح علماء الكلام والمذاهب الدينية ينظرون إلى القرآن من خلال الفلسفة اليونانية، وذلك إن كان فيه مران عقلي وتوسيع لبعض مناحي الفكر، ففيه إضعاف لقوة الروح وحماسة القلب؛ سواء في ذلك المعتزلة والأشعرية والماتريدية، فكلهم استخدموا الأدلة اليونانية في العقائد الدينية، وهي غير الطريقة التي نحاها القرآن الكريم في الدعوة إلى الدين، لقد كادوا بعملهم هذا يقطعون الصلة بين العقل والقلب، وينمّون الناحية العقلية على حساب قوة العاطفة. إن شئت فاقرأ لإثبات قدرة الله قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل: 67-69)ثم اقرأ في كتب علم الكلام الجدل بين الأشعرية والماتريدية في أن القدرة صفة أزلية تتعلق وفق الإرادة، بمعنى صحة صدور الأثر والتمكن من الترك كما يقول الماتريدية، أو هي صفة تؤثر في المقدورات عند تعلقِها بها كما يقول الأشاعرة، فكم من الفرق بين المنهجين والروحين! أهم غرض للقرآن الكريم أن يحيي الشعور ببيان علاقة الإنسان القوية بالله والعالم، وأن يعمل على ذلك

بتغذية الحياة الروحية، أما المتكلمون فأرادوا أن يصلوا إلى ذلك من طريق المنطق، وشتان بين الطريقين! فحياة المنطق لا تملأ القلب حماسةً، ولا تبعث في النفس حرارة إيمان، إنما تفعل ذلك الحياة الروحية.

لقد كثرت المذاهب والنِّحل في ذلك العصر كثرة مدهشة، حتى يصفهم المأمون فيقول: وطائفة قد اتخذ كل رجل منهم مجلسًا، اعتقد به رئاسة، لعله يدعو فئة إلى ضرب من البدعة. ثم لعل كل رجل منهم يعادي من خالفه في الأمر الذي عقد به رئاسة بدعة ويشيط بذمه، وهو قد خالفه من أمر الدين بما هو أعظم من ذلك، إلا أن ذلك أمر لا رئاسة له فيه فسالمه عليه..... إلخ. ونستعرض أسماء الفِرق والمذاهب في كتاب "المِلَل والنِّحل" للشهرستاني، فندهش لكثرتها واختلافاتها. وهذه كلها كانت تنظر إلى القرآن الكريم بعين مذهبها، وتفسره بما يلائمه؛ فالمعتزلي يطبّق القرآن على مذهبه في الاختيار والصفات والتحسين والتقبيح العقليين، ويؤوّل ما لا يتَّفق ومذهبَه، وكذلك يفعل الشيعي. وذلك يختلف كل الاختلاف عن نظر المسلمين الأولين إلى القرآن.

كان القرآن يدعو إلى الإيمان من طريقين: طريق النظر إلى العالم نفسه، وطريق التاريخ؛ فهو يرى أن نظر الإنسان إلى العالم يدعم إيمانه ويقوي يقينه؛ ففي الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، والإبل كيف خلقت، والسماء كيف رفعت، والجبال كيف نصبت، والأرض كيف سطحت، آيات على الله، كما أن في الأحاديث التاريخية عن الأنبياء وأممهم ما يدعو إلى الإيمان، وهذا النظر يناسب الناس على اختلافهم. ففي استطاعة العالم والجاهل أن ينال الإيمان من هذا الطريق، والدعوة إلى الحياة الروحية وحدها هي الدعوة التي يمكن أن توجّه إلى الناس كافة. فلما أُولِع العلماء بالفلسفة اليونانية في العصر العباسي حولوا اتجاه القرآن نفسه إلى نوع من الثقافة العقلية والبراهين المنطقية، ودرسوا القرآن على النحو الذي يدرسون به الحساب والهندسة والهيئة، فكان في ذلك إضرار بالدين من ناحيته القلبية، ونتج عن ذلك تعقيد العقيدة الإسلامية السهلة السمحة، حتى صار يمثِّلها "العقائد النَّسفية" و"متن السنوسية" وشعر بهذا النقص قوم من الصوفية المخلصين فدعوا إلى الإسلام من منهجه الأول، ولكن سرعان ما تحول بعضهم أيضًا إلى الفلسفة يستمد منها، كما سنبينه إن شاء الله.

وكان كلما تعمق المسلمون في العلوم والفلسفة نظروا إلى القرآن من خلالها، فإذا أتت آية الرعد والبرق شرحوها بكل ما وصل إليه علمهم في الظواهر الجوية، وإذا أتت آية في النجوم والسماء طبّقوا ما علِموا من علم الهيئة، وإذا أتت إشارة في آية إلى جبر أو اختيار عدّدوا مذاهب المتكلمين فيها، وإذا أتت مسألة نحوية أفاضوا في الخلافات النحوية بين البصريين والكوفيين. وعلى الجملة، فقد كدّسوا كل ما عرفوا من علوم حول الآيات القرآنية، وتضخّم ذلك على توالي الأزمان، كما ترى بعد في تفسير الفخر الرازي؛ ففيه كل شيء وصل إليه المسلمون إلا شيئًا واحدًا، هو شرح روح القرآن.

ولكن إن كانت هذه نقطة ضعف في الفلسفة والعلوم من ناحية الدين فقد كان لها فضل كبير من الناحية الدينية أيضًا، ذلك أن الناس واجهوا مشكلة كبرى في العصر العباسي، رأوا مدنيات عظيمة لأمم مختلفة ورثتها المملكة الإسلامية، ورأوا عادات مختلفة لأمم متعددة في جميع مناحي الحياة، ورأوا معاملات تجارية، ونُظُمًا للأحوال الشخصية تأثرت بديانات الأمم المختلفة. وهكذا في كل ناحية من النواحي الاجتماعية؛ سواء كانت نواحي اقتصادية أم سياسية أم قانونية. ورأوا -من ناحية أخرى- أن الإسلام أتى بأصول يجب المحافظة عليها، وأتت فيه نصوص كذلك على جزئيات يجب مراعاتها، ولكن في كل عصر تحدث من الأقضية والأحداث ما لم يكن حدث من قبل، لم

يرد فيه نص، فكان أمام العلماء أن ينظروا بإحدى العينين إلى قواعد الإسلام وتعاليمه، وبالعين الأخرى إلى المدينة العباسية، وما جدّ فيها من مظاهر وأحداث شتى، وكان لا بد من أن يطبقوا قواعد الإسلام على تلك الأحداث، ولم يكن هذا بالأمر الهيّن. نعم عرضت هذه المشكلة في تاريخ الإسلام من قبل العباسيين، قد واجهها عمر بن الخطاب ﷺ بعد أن فُتحت الفتوح ومُصّرت الأمصار، ودخلت أمم مختلفة العقائد والنظم واللغات تحت حكم الإسلام، وبذل من الجهد هو ومن حوله من العلماء ما لا يُقَدَّرَ، وضرب مَثلًا صالحًا لمن يأتي بعده، ولذلك نص المشترعون على العمل برأيه في كثير من نظام الفتح والجهاد والضرائب ونحو ذلك، وعدُّوه مَثلهم الذي يحتذى، وواجه هذه المشكلة الأمويون، فحوّروا في نظم الدواوين والنقود ونحوها، فخطوا بذلك خطوة ثانية، ولكن المشكلة أمام العباسيين كانت أعقد؛ لأن دهشة الفتح قد زالت، والأمم التي دخلت في الإسلام استقرَّت وَنسلت جيلًا جديدًا، ورِث من آبائه وورث من المسلمين. والعباسيون -كما رأينا- قبل لم يشاؤوا أن يعيشوا عيشة ساذجة كمن قبلهم من الأمويين، وتغلَّبت العناصر الأخرى كالفُرُسِ ذَاتِ الحضارة المركبة، فكان من ذلك كله أن أرادوا أن يضعوا نظمًا كاملة شاملة، وأن يواجهوا هذه المشاكل ويحلوها حلًّا بقوانين ومبادئ لا بأمر جزئي، ولا برأي فرعي. فأعانتهم العلوم في ذلك العصر على هذا كله، ولولا العلوم ما استطاعوا، فرأينا أبا يوسف في كتابه "الخراج" يضع النظام المالي لدولة الرشيد، فَيُقَرِّرُ نظامَ الأرضِ ومسحِها، وما يؤخذ منها، وكيف يكون ذلك، ويضع نظام ضرائب غير الأرض مما يُخرَجُ من البحر ونحوه، ويضع نظام الري من الآبار والأنهار، ونجد الأئمة الأربعة وغير الأربعة يجتهدون في وضع القوانين من مالية وجنائية، وما يسمى بالأحوال الشخصية، وغير الفقهاء يضعون نظمًا إدارية كنظام الشرطة والجند والجيش. وقد تتعارض نظم الفقهاء مع نظم الإداريين فيُنْظَرُ في التوفيق بينهما، ويوضع نظام البريد والمصانع والتجارة ونحوها؛ كل هذه حركاتٌ كانت في الدولة العباسية نشيطة قوية، وكانت خاضعة في مبادئها للقواعد الأساسية للإسلام. وبذلك نستطيع أن نقول: إنه في هذا العصر قُنِّنَ الإسلام وأصبح هو النظام لحكومة ممدّنة -بالمعنى العصري-. نعم كان هناك خروج عن الإسلام في بعض التصرفات، وكان هناك نقص في تنفيذ الأحكام القضائية، وكان هناك نقص في إعطاء الأحكام الفقهية سلطة القانون، ولكن هذا لا ينقض ما ذكرنا من أن الروح العامة -في التشريع ووضع النظم- كانت تتقيد بأصول الإسلام، وأنه لولا اشتغال المسلمين بالعلم في فروعه المختلفة ما كان يمكن ذلك.

وهذا الإسلام بتعاليمه ونظم حكمه أظلّ كل الأمم الإسلامية على اختلاف أنواعها من آريين وساميين وحاميين، يخضعون لسلطانه، ويجرون في نظامهم وقضائهم ومعاملاتهم على ما قُنِّنَ من أحكامه. ومن أجل هذا أخذت الفروق بين الأمم تتقلّص ويحل محلها وحدةٌ إسلاميةٌ. ومن أجل ذلك أيضًا كانت هذه الوحدة متجلية في العصر العباسي أكثر مما كان في العهد الأموي، ودخل الإسلام في الحياة العامة وفي السياسة وفي الإدارة، وتأثر التشريع بعادات الناس، وتأثرت عادات الناس بالتشريع.

كان الإسلام دينًا في مكة، وكان دينًا وحكمًا في المدينة، وكان دينًا وحكمًا ومدنية في بغداد وسائر المملكة الإسلامية في العصر العباسي. ولعل هذا من الأسباب التي دعت إلى دخول كثيرين في الإسلام في ذلك العصر؛ فقد كان الناس يتنفسون إسلامًا أينما حلّوا؛ في البيت، في الشارع، في المحكمة، في المعاملات التجارية، في الضرائب، في التعليم، في كل مرافق الحياة.

3.5 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة في النص

المفرد/ التعبير	المعنى	المعنى بالإنكليزية
أرّخَ – يُؤرّخُ	حدّد تاريخ كذا	Write the history of
ساذَج / ساذِج	بسيط	Simple, unsophisticated
تعقّد	تعسّر وامتنع الحلّ	To be complicated
مَانَوِيّ	أحد أتباع ماني الفارسي (دين)	A person believes in Manichaeism
شادَّ الأمرَ/فيه	بَالغ فيه ولم يخفّفْ	To overburden himself in something
صَوْمَعة (ج) صوامع	بيت العبادة عند النصارى	Monastery
رهبانيّة	الحياة الرهبانية	Monasticism, monkhood
الخزّ	نسيج من حرير	Silk
انْهمك في الأمر	استغرق فيه	To be wholly engaged in
المَوَالي	المسلمون من غير العرب	New converts to Islam
نِحْلة (ج) نِحَل	مذهب، دين	Faith, religion
الجَبْر	سلب الاختيار في الأفعال	Determinism
المعتزلة	فِرقة كلاميّة اعتمدت على العقل في تأسيس عقائدهم	The Mu'tazila
الأشعرية	مدرسة كلامية سنّية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري	The foremost theological school of Sunni Islam attributed to Abu al-Hasan al-Asha'ari
الماتريدية	مدرسة كلامية سنّية تنسب إلى أبي منصور الماتريدي	One of the main schools of Sunni Islamic theology formalized by Abu Mansur Al Maturidi
عَرَشَ البيتَ	بنَى	To construct
شتّانَ ما بينهما	بعُد وعظُم الفرق بينهما	They are not alike at all
شَاطَ	انفجر، احترق	To be burned
السمْح	مستوٍ سهْلٌ لا ضيق فيه	Easy
كدّسَ	جَمَع وكوّمَ	To collect in heaps
تضَخّمَ	ازدَادَ ضَخَامَة	To grow in size
مَصّرُوا الأمصار	بَنَوهَا وشيّدُوها	To construct cities
المُشْتَرِع	المُقَنّن	The lawmaker
حَوّرَ	بدّلَ، عدّلَ	To make changes in

الأحوال الشخصية	قانون الأحوال الشخصية	Personal laws
مُمدّنة	منقولة إلى حالة الرقيّ والحضارة	Civilized
تَقَلّصَ	انْخفضَ، تضائلَ	To decrease

3.6 العناصر الفنية في مقالة "اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن"

3.6.1 مضمون المقالة

هذه المقالة، كما سبق أن ذكرنا، جزء من الفصل الخامس للباب الثاني من كتاب "ضحى الإسلام" لأحمد أمين. فحيث يتمحور هذا الكتاب حول الحياة العقلية للعرب في العصر العبّاسي خاصّة، نرى هذه المقالة أيضا تركّز على ناحية من النواحي العقلية في ذاك العصر، وهو اختلاف أنظار ومواقف مسلمي هذا العصر فيما يتعلّق بالإسلام والقرآن. فالكاتب لا يكتفي هنا بمجرّد سرد بعض من الحقائق التاريخية التي تتعلّق بتلك الخلافات بين المسلمين، بل يحاول من خلالها الاطلاع على دوافع تلك الخلافات الناشئة بينهم من منظور علم الاجتماع التاريخي ومن ثمّ ببيان ما أدّت إليه تلك العناصر الخلافية من المضارّ والمشاكل، وكذا ما نتج عنها من المنافع والفوائد فيما تتعلّق بالإسلام والمسلمين.

3.6.2 أسلوب د. أحمد أمين

هذه المقالة التي أخذت من كتاب "ضحى الإسلام" هي عيّنة وافرة للإحاطة بخصائص أسلوب الكاتب القدير د. أحمد أمين في مقالاته البحثيّة. فمن المرور عبر سطورها، يتجلّى لنا أنّ الكاتب يعتني فيها بوضوح الفكرة وجلاء المعنى، كما هو شأن الأسلوب العلمي في الكتابة. فنراه ينتخب كلمات فصيحة واضحة المعنى للتعبير عن أفكاره، فيوظّفها ويركّبها بشكل لا يختفي المعنى المراد وراء جمال تنسيق الكلمات. فلغته سهلة وبيّنة لا يشوّهها التكلّف أو التصنّع ولا يمسّها شيء من الغموض والخفاء. وعادة نراه يفضّل التعبير بجمل طويلة فيجمع بين طيّها نقاطا مختلفة ذات صلة بالموضوع، لكن مع الحفاظ التامّ على متانة التركيب وجماله وانسجام المعاني وترابطها.

فالأسلوب الذي تمسّك به الكاتب في هذه المقالة هو الأسلوب العلمي الذي يهتمّ باستخدام المعاني المباشرة مع الابتعاد عن المعاني المجازية وألوان المحسّنات البديعية. فلذا، لا نجد في هذه المقالة الصور الخيالية مثل التشبيهات أو الاستعارات كما وجدناها في "وحي الهجرة" للرافعي. ولكن نرى فيها شيئا من قبيل الاقتباس البلاغي الذي هو إتيان شيء من القرآن أو الحديث من غير دلالة على أنه منهما، وذلك كما في قوله "ففي الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض، والإبل كيف خلقت، والسماء كيف رفعت، والجبال كيف نصبت، والأرض كيف سطحت، آياتٌ على الله". فأتى هنا ببعض آيات من سورة البقرة، وأربع آيات من سورة الغاشية مع إسقاط بعض من الكلمات فيها. وكذا، نرى الكاتب أنّه كلّما يقدّم فكرته يحرص على إظهار المنطق فيها وإقناع القرّاء بها، وذلك من خلال نقل أدلّة واضحة وأمثلة مناسبة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أو من مواقف تاريخية مختلفة، كلّ منها بحيث يؤيّد مدّعاه المعروض.

3.6.3 التخطيط الفني

على الرغم من أنّ هذه المقالة ليست بمقالة مستقلّة بل هي جزء محدّد من كتاب "ضحى الإسلام"، تحتوي

هذه القطعة النثرية معظم مزايا وعناصر مقالة فنّيّة بما فيها مقدّمة وهيكل المقالة وخاتمة. أمّا عنوانها "اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن" فهو ليس من عند الكاتب، بل وضعه الأستاذ الندوي حينما أخذ هذا الجزء ورتّبه في كتابه "مختارات من أدب العرب" في صورة مقالة، إلاّ أنّه يعكّس محاور البحث الوارد في هذه القطعة النثرية بشكل أوضح. ولكنّه كان من الأحسن أن يتضمّن العنوان شيئا يدلّ على أنّ ما يبحث عنه في المقالة مختصّ بالعصر العبّاسي، وإن تحقّق بعض مباحثها على أحوال المسلمين في العصور الأخرى أيضا.

أمّا المباحث التي تمثل هيكل المقالة يأتي بها الكاتب عندما يناقش عن تاريخ الإسلام في العصر العبّاسي. فبعد المناقشة عن دور العبّاسيين في الدعوة الإسلامية واهتمامهم بالمسائل الدينية نراه يتطرّق إلى بيان ظاهرة الخلافات بين المسلمين في ذاك العصر مع الإشارة إلى آثارها السلبية والإيجابية على وضع الإسلام في ذاك العصر. فيبدأ هذه المباحث بقوله "ومسألة أخرى كبير الأهمية.... الخ"، ثمّ يقدّم أفكاره بهذا الصدد واحدا فواحدا، مؤيّدة بالبراهين والحجج ومرتّبة ترتيبا منطقيّا يتحقّق من خلاله ترابط وانسجام بين أجزاء المقالة. فبعد الجملة الأولى في تعريف المسألة المبحوث عنها، بيّن أسباب الاختلاف في الدين لدى المجتمع العبّاسي ودور العلوم الجديدة بما فيها علم الكلام في تعقيد العقيدة الإسلامية السهلة ومن ثمّ غلبة الناحية العقلية على الحياة الروحية في الدين والقرآن، وأخيرا مساهمة تلك العلوم الجديدة في تحديث الدين حسب متطلّبات العصر الجديد. وفي ختام المقالة، يصوّر الكاتب النموّ التدريجي للإسلام حتى العصر العباسي بشكل رائع وموجز حيث يقول: "كان الإسلام دينًا في مكّة، وكان دينًا وحكمًا في المدينة، وكان دينا وحكما ومدنية في بغداد وسائر المملكة الإسلامية في العصر العباسي".

3.7 نتائج التعلم

أيّها الطلبة الكرام، أرجو أنّكم قد استمتعتم بمطالعة هذه القطعة النثرية للكاتب القدير د. أحمد أمين وتحسّستم من خلالها مدى مهارته في التعبير عن أفكاره السامية بعبارات واضحة. فاستفدنا من هذه الوحدة النقاط التالية:

- د. أحمد أمين هو أديب ومفكّر مصري ولد عام 1886م وتوفّي في 1954م.
- كان د. أحمد أمين من أدباء ومفكّري النهضة العربية الذين حاولوا تحقيق العصرنة والتنوير في العالم العربي. ألّف أكثر من 17 كتابا في مجالات الأدب والنقد والفلسفة والتاريخ.
- من أهمّ مؤلّفاته سلسلة "فجر وضحى وظهر الإسلام"، و"فيض الخاطر"، و"حياتي"، و"يوم الإسلام"، و"من زعماء الإصلاح في العصر الحديث"، و"حيّ بن يقظان"، و"النقد الأدبي"، و"ابتسم للحياة"، و"علّمتني الحياة" وغيرها. وكذا له تحقيقات لبعض كتب قدماء العرب.
- مقالة "اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن" هي نصّ مختار من كتاب "ضحى الإسلام"، انتخبه وعنونه ورتّبه بشكل مقالة الشيخ أبو الحسن الندوي. فكتاب "ضحى الإسلام" هو الكتاب الثاني من سلسلة كتب ألّفها د. أحمد أمين في البحث عن حياة العرب المسلمين الفكريّة، فهو يركّز على الحياة الاجتماعية والثقافية في العصر العباسي الأوّل.

- في هذه المقالة، يشير الكاتب إلى اختلاف المسلمين في العصر العباسي عمّن كانوا قبلهم وكذا عن الاختلافات فيما بينهم فيما يتعلّق بالإسلام والقرآن، مع المحاولة للعثور على أسباب هذا الاختلاف وعن الآثار الإيجابية والسلبية لتلك الأسباب على الإسلام.
- قبل مطالعة نصّ المقالة، قمنا بقراءة خلاصة أهم الأفكار المعروضة بالمقالة، كما بحثنا فيما بعد عن العناصر الفنية الموجودة فيها، واطلعنا أيضا على معاني الكلمات والتعبيرات غير المعروفة فيها.

3.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

الكلمات	المعاني بالإنكليزية	الكلمات	المعاني بالإنكليزية
بزوغ: طلوع	Dawn, appearance	عيّنة: جزء من المادة يؤخذ منها نموذجًا لسائرها	pattern; sample
استيعاب: فهم	apprehension; comprehension	إطلالة: اسم المرّة من "أطلّ"	outlook
المطبعة الأميرية: مطبعة بولاق	Bulaq Printing Press (The oldest press in Egypt)	هِواية: العملُ المحبوبُ إلى فرد يقضي فيه فراغه	Hobbiy
منذ نعومة أظفاره: منذ صغره	since his tender age	فرصة سانحة: فرصة مُواتية ومُتاحة	Available oppertunity
عصرنة: جعل الشَّيء عصريًّا	modernization	اكترث به: اهتمّ به	Pay attention to, take into consideration
عنونَ: كتب عنوانَهُ	Give a title to	انهمك في الأمر: خاضَ فيه	Be wholly engaged in
تمحور حول الشيء: دار حوله			Revolve around something

3.9 أسئلة الاختبار النموذجية

3.9.1 أسئلة موضوعية

اختر الجواب الصحيح من الخيارات:

1- مقالة "اختلاف أنظار المسلمين في الإسلام والقرآن" مأخوذة من كتاب..... لأحمد أمين.

(a) ظهر الإسلام (b) يوم في الإسلام (c) ضحى الإسلام (d) فجر الإسلام

2- ولد د. أحمد أمين بمصر في عام .....م

(a) 1879 (b) 1886 (c) 1906 (d) 1890

3- كان د. أحمد أمين متأثرا بأستاذه .....، ناظر مدرسة القضاء.

(a) طه حسين (b) عاطف باشا (c) أيوب باشا بركات (d) سامي البارودي

4- ..... كتاب لأحمد أمين يبحث فيه عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى أواخر الدولة الأموية.

(a) ضحى الإسلام (b) ظهر الإسلام (c) صبح الإسلام (d) فجر الإسلام

5- في "ضحى الإسلام" بحث أحمد أمين عن الحياة العقلية للعرب في العصر.....

(a) الفاطمي الثاني (b) العبّاسي الأوّل (c) العبّاسي الثاني (d) الأمويّ الأوّل

6- أصبح علماء الكلام والمذاهب الدينية في العصر العباسي ينظرون إلى القرآن من خلال .....

(a) الفلسفة الفارسية (b) الفلسفة اليونانية (c) التعاليم النبوية (d) النظرات اليهودية

7- كتاب "المِلَل النحل" صاحبه .....

(a) أبو الفتح الشهرستاني (b) د. أحمد أمين (c) أبو الفرج الاصفهاني (d) ابن خلّكان

8- عن أيّ تفسير قال الكاتب "فيه كلّ شيء وصل إليه المسلمون إلا شيئا واحدًا، هو شرح روح القرآن"؟

(a) تفسير الرازي (b) تفسير ابن كثير (c) تفسير الكشّاف (d) تفسير القرطبي

9- نصّ المشترعون على العمل برأي ..... في كثير من نظم الفتح والجهاد والضرائب ونحو ذلك.

(a) عليّ بن أبي طالب (b) سلمان الفارسي (c) عمر بن الخطّاب (d) خالد بن الوليد

10- كان الإسلام دينًا في مكّة، وكان دينًا وحكما في المدينة، وكان دينا وحكما و..... في بغداد.

(a) علمًا (b) مدنيّة (c) ثقافة (d) عبادةً

3.9.1 أسئلة الإجابة القصيرة

1- ماذا تعرف عن سلسلة "فجر وضحى وظهر الإسلام" لأحمد أمين؟

2- ماذا استنبط الكاتب من قول أنس بن مالك ﷺ "ما أعرف شيئا مما كان على عهد رسو ل الله ﷺ؟

3- ما هو أهمّ غرض للقرآن الكريم في رأي د. أحمد أمين؟

4- القرآن يدعو إلى الإيمان من طريقين – بيّن موجزا.

5- ما هي مباحث كتاب "الخراج" لأبي يوسف؟

3.9.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- اكتب مقالة عن الخدمات الأدبيّة والفكرية للدكتور أحمد أمين.

2- برّر قول الكاتب "وكان (الإسلام) دينا وحكما ومدنيّة في بغداد وسائر المملكة الإسلامية في العصر العباسي".

3- حلّل خصائص أسلوب د. أحمد أمين في كتابة المقالات في ضوء هذه المقالة.

3.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1- أحمد أمين، حياتي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012م.
2- د. أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.
3- فهيم حافظ الدناصوري، أحمد أمين وأثره في اللغة والنقد الأدبي، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، الهرم، مصر، 1986م.
4- لمعي المطيعي، هذا الرجل من مصر، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1997م .
5- محمد رجب البيومي، أحمد أمين - مؤرخ الفكر الإسلامي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 2001م.

الوحدة: 4

"رسالة محمّد ﷺ"

(للشيخ محمّد عبده)

عناصر الوحدة

4.0 التمهيد

4.1 أهداف الوحدة

4.2 الشيخ محمّد عبده وخدماته للأدب العربي

4.2.1 حياته وأحواله

4.2.2 خدماته الأدبية والفكرية

4.3 مقالة "رسالة محمّد ﷺ"

4.3.1 كتاب "رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده

4.3.2 موجز مقالة " رسالة محمّد ﷺ"

4.4 نصّ مقالة "رسالة محمّد ﷺ"

4.5 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة في النص

4.6 العناصر الفنّية في مقالة "رسالة محمّد ﷺ"

4.6.1 مضمون المقالة

4.6.2 أسلوب الشيخ محمد عبده

4.6.3 التخطيط الفني

4.7 نتائج التعلّم

4.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

4.9 أسئلة الاختبار النموذجية

4.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

4.0 التمهيد

في هذه الوحدة الأخيرة من الكتلة الأولى بعنوان "المقالة" من كتابنا هذا، لدينا مقالة شيّقة أخرى لعالم مصريّ كبير، هو الشيخ محمّد عبده، وعنوان مقالته "رسالة محمّد ﷺ". فهذه المقالة في الحقيقة فصل من فصول كتابه الشهير المسمّى بـ"رسالة التوحيد"، اختاره ورتّبه بشكل مقالة مستقلّة الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه "مختارات من أدب العرب". ففي هذه القطعة النثرية يأخذ بنا الكاتب إلى نواحٍ مختلفة للرسالة المحمّدية، فيعرض أمامنا أوّلا بأسلوبه الجذّاب أحوال العصر الذي بعث فيه النبي ﷺ كي يثبت أنّ بعثته كانت رحمة للعالمين، ثمّ يقدّم لنا التحديّات التي واجهها هذا النبي في حياته والعجائب التي حقّقها في العالم رغم كونه يتيما فقيرا أمّيّا، وذلك إثر نزول الوحي الإلهيّ عليه. ففي هذه الوحدة، نطّلع أوّلا إلى حياة الشيخ محمّد عبده وإلى خدماته الأدبيّة والفكريّة، ثم نقوم بقراءة مقالته، ونحلّل في ضوئه خصائص أسلوبه في الكتابة الفنّيّة.

4.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى:

- تقديم الخلاصة عن تاريخ حياة الشيخ محمد عبده وخدماته للأدب العربي والمجال الفكري والدعوي.
- تحليل مقالة واردة في كتابه "رسالة التوحيد" والاطلاع على أسلوبه النثري.
- الإحاطة بآراء الشيخ محمد عبده حول بعثة رسول الله ﷺ ورسالته.
- توضيح معاني الكلمات والاستعمالات اللغوية الواردة في هذه المقالة.
- تحليل المقالة تحليلا فنيا.
- بيان المفردات الواردة في الوحدة وعرض أساليب الاختبار.

4.2 الشيخ محمد عبده وخدماته الأدبية والفكرية

4.2.1 حياة الشيخ محمد عبده

وُلد الشيخ محمّد عبده عام 1266هـ الموافق لسنة 1849م في قرية "حصة شبشير" (Hessat Shabshir) من قرى مديرية الغربية (Gharbia Governorate) بمصر، لأب تركمانيّ الأصل وأمّ مصريّة. وكان والده حسن خير الله من وجهاء القرية، فلذا نشأ محمد عبده منذ صغره في بيئة من الغنى والرفاهة. فمنذ طفولته كان والده يهتمّ بتعلميه وتربيته بشكل خاص، فلذا أحضر له معلّمين في منزله، وعلى أيديهم تعلّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. ولمّا بلغ الثالثة عشرة من عمره، أرسله أبوه إلى "طنطا" إحدى مراكز التعليم الديني في عصره فالتحق بالجامع الأحمدي ليحسن التجويد ويدرس شيئا من علوم الفقه واللغة العربية.

استمرّ محمّد عبده يتردّد على الجامع الأحمدي لمدّة سنة ونصف، ولكنّه كان لا يحبّ الطرق القديمة العقيمة للتعليم هناك لكونها لا تلائم ذهنه الثاقب. فلذا، قرّر أن يترك الدراسة بالجامع الأحمدي ورجع إلى قريته.

حاول أبوه أن يرجعه إلى التعليم الديني، وزوّجه على حداثة سنّه. ولمّا اشتدّ إصرار والده على التعليم، خرج من البيت وذهب إلى قرية قريبة فيها بعض أقارب أبيه. ومن هناك التقى بالشيخ الصوفي درويش خضر الذي لعب دورا كبيرا في تغيير مجرى حياته. فلازمه محمّد عبده وأخذ عنه تعاليمه وقرأ معه بعض رسائل صوفية. فقد حاول هذا الشيخ أن يحوّل محمد عبده من صبيّ عابث إلى فتى جادّ يحسّ إحساسا عميقا عن مسؤوليات حياته، كما أنمى في قلبه محبّة نحو التعليم وأعاد إليه الثقة بنفسه، وشرح له ما استعصى عليه من المتون القديمة التي كان قد سئمها في الجامع الأحمدي. فبفضل هذا الشيخ الكبير رجع المراهق محمّد عبده إلى مسالك التعليم فرجع إلى الجامع الأحمدي وتلقّى من شيوخه بعض الدروس لمدّة، ثم ارتحل إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف.

كان الأزهر في ذاك الزمان غاية كلّ دارس، فالتحق به في 1865م، فدرس منه بعض العلوم الشرعية واللغوية. استمر يدرس في الأزهر اثني عشر عاما إلى أن نال شهادة العالمية سنة 1877م. فبالإضافة إلى العلوم التقليدية بالأزهر، كان محمّد عبده يرغب في اكتساب العلوم المادّية، فلذا كان يلازم محاضرات الشيخ حسن الطويل (1315/1892ه) الذي كانت له معرفة بالرياضيات والفلسفة، كما كان متأثرا بالسيد جمال الدين الأفغاني الذي نزل بمصر عام 1871م، حيث كان يحضر خطبه ومحاضراته في الكلام والتصوف والفلسفة.

وبعد تخرّجه في الجامع الأزهر عام 1877م، عيّن محمّد عبده مدرسا للتاريخ بمدرسة دار العلوم، كما عمل مدرّس اللغة العربية في مدرسة الألسن الخديوية. وفي عام 1882م، اتهم بالتورط في الثورة العرابية المشهورة، فحكم عليه بالنفي من مصر لمدّة ثلاث سنين. فارتحل أوّلا إلى بيروت وأقام بها نحو عام، ثم سافر إلى باريس تلبية لدعوة أستاذه جمال الدين الأفغاني الذي كان قد نفي إليها من قبل. فأقام بباريس مع الأفغاني، واشترك معه في إصدار مجلّة "العروة الوثقى" في عام 1884م. وبعد إصدار 18 عددًا من المجلّة خلال سنة تمّ إيقاف إصدارها نتيجة عراقيل مختلفة بما فيها مصادرة أعدادها في عدة دول إسلامية وأجنبية. وبعد إيقاف "العروة الوثقى" عاد محمد عبده إلى بيروت، واشتغل بالتدريس أوّلا في منزله ثم في المدرسة السلطانية. وفي عام 1888م تسنّى له العودة إلى مسقط رأسه حيث عفي عنه بتوسّط إحدى أميرات الأسرة الحاكمة بشرط ألا يعمل بالسياسة قطّ.

وبعد عودته إلى مصر تولّى القضاء بمحكمة "بنها" في 1889م، ثم بمحكمة الزقازيق ثم محكمة عابدين، ثم ارتقى إلى منصب مستشار في محكمة الاستئناف عام 1891م. وفي 1899م عيّن مفتيًا للديار المصرية وفقا لمرسوم خديوي وقعه الخديوي عباس حلمي الثاني، وأصبح بذلك أول مفتي مستقل لمصر بعد أن كانت وظيفة الإفتاء تابعة لمنصب مشيخة الجامع الأزهر. وأصبح تبعا لمنصب الإفتاء عضوا في مجلس شورى القوانين وفي مجلس إدارة الأوقاف. ظلّ محمد عبده مفتيا للديار المصرية ستّ سنوات كاملة حتى وفاته في عام 1905م. وبالإضافة إلى المناصب المذكورة، خدم كرئيس لجمعيتي إحياء العلوم العربية والخيرية الإسلامية، كما عمل عضوا في مجلس إدارة الأزهر برئاسة الشيخ حسونة النواوي. استقال الشيخ من مجلس إدارة الأزهر في 1905م إثر معرفته عن مؤامرات ضدّه من قبل خصومه، وفي نفس السنة توفّي بالإسكندرية من مرض السرطان، عن عمر يناهز ستّة وخمسين عاما.

4.2.2 إسهاماته الفكرية والأدبية

يُعَدُّ الشيخ محمّد عبده من أبرز مفكّري تيار حركة الإصلاح والنهضة في العالم العربي في القرن التاسع عشر. أمّا ميوله التجديدية فقد بدأت بالظهور منذ وقت مبكر من سيرته التعليمية، حيث كان يرفض الطرق

التقليدية المتبعة في الدراسات الدينية في الأزهر الشريف والمعاهد الدينية الأخرى. واعترافا ممّا سيطر على الأمة المسلمة من التخلّف والتجمّد، إنّه قام لتحقيق نهضة فكرية وعلمية في المجتمع الإسلامي، ودعا الناس إلى تحرير أفكارهم من كافّة أنواع التقليد. وكان يرى أن الإصلاح لا يأتي أبدا من ثورة أو حركات مسلّحة، بل فقط عن طريق إصلاح مناهج الفكر عند المسلمين عن طريق تحسين التربية والتعليم والتهذيب. وكان يعجب بالمعتزلة وآرائهم لكونهم متحرّرين في أفكارهم، فكان يقوم بتفسير القرآن بمنهج جديد يعتمد على العقل، ممّا جعل كثيرا من العلماء الأزهريّين يخالفون مواقفه وآرائه المعتمدة على العقل دون النقل.

أمّا حياته الأدبيّة فقد بدأت منذ أن كان طالبا في الأزهر، حيث كان يكتب في جريدة "الأهرام" وغيرها من المجلات والجرائد مقالات فكرية ودعوية. فكان قد اتخذ فنّ المقالة سلاحا حادّا يستعين به في سبيل الإصلاح الذي كان يحلمه. ففي المراحل الأولى من حياته الأدبية، كان معجبا بالأسلوب المسجوع القديم الذي كان قد اطلع عليه خلال طول عكوفه على الكتب القديمة، ولكنّه تحوّل من هذا الأسلوب إلى أسلوب مرسل سلس بتوجيه من أستاذه جمال الدين الأفغاني وأصبح فيما بعد داعيا إلى أسلوبه الجديد. وهذا يقول العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي عن مناهج كتابته: "وعنى الشيخ محمد عبده بإصلاح أساليب اللغة العربية، وقد دعا إلى تدريس كتب المتقدمين الذين كانوا أصحاب الذوق الأصيل، وكان سببًا في نهضة لغوية أدبية في مصر، وحوّل الكتابة من كتابة مسجوعة سخيفة على كتابة مرسلة جميلة، وخلف مدرسة فكرية تأخذ بتعاليمه في الأقطار الإسلامية المختلفة".

وفي 1880م، وُكّل إلى محمد عبده تحرير "الوقائع المصرية"، فاعتنى بإصلاحها، وأنشأ فيها قسمًا غير رسميّ إلى جانب الأخبار الرسمية لنشر المقالات الإصلاحية والاجتماعية. فكان يكتب فيها بأسلوب مرسل طبيعي ويضع من خلال مقالاته نموذجا أدبيّا جديدا لدى القرّاء العرب. فتحريره للوقائع المصرية كان خطوة كبيرة في سبيل الرقي بلغة الصحافة العربية، حيث خرج بها من أسلوب السجع والتصنّع إلى أسلوب مرسل حرّ لا يضيق بالمعاني ولا يضيق به القرّاء. وعندما وصل في باريس على دعوة أستاذه ومرشده جمال الدين الأفغاني، ساهم معه في تأسيس مجلة "العروة الوثقى" بهدف مخاطبة المسلمين في جميع أنحاء العالم وتشجيعهم على النهوض بدينهم وأوطانهم. فكما يعدّ مصلحا في الدين عند كثير، كان يعدّ أيضا مصلحا في الأدب واللغة، وذلك للدور الذي لعبه لإخراج الصحافة العربية من الدائرة البالية من أنواع البديع إلى دائرة الأسلوب الحرّ السليم. فإليه يرجع الفضل في تطويع الأسلوب الصحفي العربي على تحمل المعاني السياسية والاجتماعية الجديدة مبتعدا عن الصيغ المتكلّفة التي يتحيّر دون فهمها الجمهور.

أمّا في مجال التأليف، فلم يترك الشيخ محمد عبده إلا مؤلّفات معدودة، من أهمّها كتاب "رسالة التوحيد" الذي يبحث فيه عن المعتقدات الإسلامية، وكتاب "الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية" الذي يقوم فيه بإجراء مقابلة بين الإسلام والمسيحية وأثرهما في العلم والمدنية. وقام الشيخ بتحقيق وشرح عدد من الكتب القديمة مثل "البصائر القصيرية" للطوسي، "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" للجرجاني، "نهج البلاغة" لعلي بن أبي طالب ﷺ، ومقامات بديع الزمان الهمذاني. وبالإضافة إلى ما ذكر، نشرت بعد وفاته مجموعات أعماله العلمية والأدبية، وهي "الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده" (في 5 أجزاء)، "سلسلة الأعمال المجهولة: محمد عبده"، و"ديوان الإمام محمد عبده". وقد قام العديد من الكتاب والصحفيين بتناول شخصية هذا العالم الهمام وآرائه وأفكاره من خلال كتبهم

ومقالاتهم، منها كتاب "محمد عبده" للعقاد، كتاب "رائد الفكر المصري – الإمام محمد عبده" لعثمان أمين، وكتاب "الإمام محمد عبده في أخباره وآثاره" لرحاب عكاوي.

4.3 مقالة "رسالة محمّد ﷺ"

4.3.1 كتاب "رسالة التوحيد" لمحمد عبده

إن المقالة التي بين أيدينا في هذه الوحدة هي مأخوذة من كتاب "رسالة التوحيد" الذي يعدّ المؤلّف الأهمّ للشيخ محمد عبده. ففي هذا الكتاب يناقش الكاتب عن موضوعات متنوّعة تتعلّق بعقائد الإسلام من الله وصفاته وأفعاله، والإنسان ومكانته وأفعاله، والرسالة والنبوة، والقرآن الكريم وغيرها من المعتقدات والأصول الدينية. فخلال المباحث التي أتى بها في هذه الرسالة يقوم بتقديم آراء وأفكار نفسه في القضايا الدينية التي فيها اختلاف بين العلماء المسلمين في القديم والحديث.

ويجدر بالذكر أنّ هذا الكتاب لم يكن في أوّل أمره مؤلّفا في شكل كتاب مستقلّ، بل إنّ المباحث المرتّبة فيه كانت مذكّرات محاضرات كان الشيخ محمد عبده يلقيها على طلبته في المدرسة السلطانية ببيروت خلال عامي 1885-1886 بعدما نفي من مصر. ولكنّ هذه المذكّرات تشكّلت بشكل كتاب مستقلّ في عام 1897م حينما رغب محمد عبده في تأليف كتاب جامع في علم التوحيد. وكان لا يملك وقتئذ نسخة تلك المذكّرات، فلذا كتب إلى بعض تلاميذه كي يرسل إليه ما تلقّاه من المحاضرات، فأرسلها إليه تلميذه حمودة عبده، فقام بتنقيحها وتعديلها والزيادة عليها وإعادة صياغة بعض مباحثها لتتناسب مع مستوى القراء العاديين من جمهور المسلمين. فاستخدم في عرض أفكاره فيه أسلوبا لغويا واضحا من حيث مفرداته وتراكيبه، حيث لم يلجأ إلى حشد المصطلحات الكلامية كما في سائر مصنفات علم الكلام، بل اكتفى بالقليل والضروري منها كي يتسهّل مطالعته لمن ليس له إلمام سابق بمسائل علم الكلام ومصطلحاته الخاصة.

4.3.2 خلاصة مقالة "رسالة محمّد ﷺ "

مقالة "رسالة محمّد ﷺ" هي نصّ أدبيّ بليغ مأخوذ من كتاب "رسالة التوحيد" للشيخ محمّد عبده، يصوّر فيه الكاتب الخلفيّة التي بعث فيها النبي ﷺ رحمة للعالمين والأوضاع السلبيّة التي نشأ فيها هذا النبيّ ورغبته في إنقاذ الأمة البشريّة من الضلالة إلى الهدى ومحاولاته لتحقيق تلك الرغبة السامية بأمر من الله وعونه ونصره. يأتي هذا النصّ فصلا مستقلا في كتاب "رسالة التوحيد"، بعدما ناقش الكاتب في الفصول السابقة عليه عن الله وصفاته وأفعاله وعن الأمور المتعلّقة بالرسالة والرسل، كلّ منها في فصول مفردة.

وكتمهيد لهذا الفصل الذي عنونه بـ"رسالة محمّد ﷺ"، يقول الكاتب بأن غرضه من البحث عن رسالته ﷺ ليس الإلمام بتاريخ الأمم عامة وتاريخ العرب خاصّة في زمن بعثته ﷺ كي تتبيّن حاجة سكان الأرض إلى هذا النبي، بل غرضه هو ذكر شيء من الحقائق التي تتعلق بالبعثة النبوية يفهمه كلّ من يقرأ التاريخ الذي اتّفق عليه المؤرخون (لا نذكر هذا التمهيد في النصّ الوارد أدناه). وبعد هذا التمهيد المختصر، يقودنا أوّلا إلى الأحوال السوداء التي سادت

العالم عند بعثة النبي ﷺ، وذلك من خلال بيان حالات دولتين عظيمتين في ذاك العصر، إحداهما في الشرق وهي دولة الفرس، والأخرى في الغرب وهي دولة الرومان. فقد كانت الحروب بين هاتين الدولتين قائمة على قدم وساق لقرون عديدة، سفكت فيها الدماء، وضعفت فيها القوى، ونهبت فيها الأموال.

وكان الناس قبل بعثته ﷺ منقسمين إلى طبقتين؛ طبقة عليا مكوّنة من السلاطين والأمراء والقوّاد ورؤساء الأديان، وطبقة سفلى من عوام الناس. فالطبقة العليا كانت منهمكة في أنواع من الترف والإسراف والملاذّ، حينما كانت الطبقة السفلى تتسكّع في ضروب من الفقر والذلّ والاستكانة والخوف والاضطراب. وكانت الطبقة العليا تفرض على الطبقة السفلى ضرائب باهظة تثقل ظهورها. وكان قد سلب من الرعايا الفقراء استقلالهم الشخصي حيث كانوا يعتقدون أنهم لم يخلقوا إلا لخدمة ساداتهم وتوفير لذّاتهم كالبهائم التي تعمل لملاّكها. ولكنّ السلاطين والرؤساء، رغم عقائدهم الباطلة وأهوائهم الفاسدة، كانوا يخافون من النور الإلهيّ الكامن في قلوب الناس، فلذا كانوا ينشؤون سحبًا من الأوهام وحجبا من الأباطيل والخرافات، كي لا يخرج ذاك النور الإلهي الفطري في داخلهم حتى يبقوا تحت سيطرتهم إلى الأبد، ينالون منهم ما يريدونه. وكان من الناس في ذاك الزمان من كانت لديهم معرفة يسيرة عن الحِكم الماضية والشرائع السابقة، ولكنّ هذه المعرفة الناقصة عن الأديان السابقة لم تكن تنفعهم بشيء إلا إثارة الشبهات على أصول وفروع عقائدهم والذهاب بهم مذهب الفوضى في العقل والشريعة معًا، حتى تشكّل بينهم مذاهب مثل الإباحيين والدهريين وغيرهم.

وبعد تصوير هذه الحالة العامّة للعالم يذهب بنا الكاتب إلى أحوال العرب في ذاك العصر. فأمّا العرب فكانوا متشتتين في قبائل مختلفة، يتنازعون ويتقاتلون فيما بينهم. فكانت القبائل تفتخر بقتال أختها وسفك دماء أبطالها وسبي نسائها وسلب أموالها. وهنا يأتي المصنّف مثالا لبيان حماقة العرب في أمور دينهم، وذلك أنهم كانوا يصنعون أصنامهم من الحلوى ثم يعبدونها، وإذا جاعوا كانوا يأكلونها! وكانوا يقتلون بناتهم تخلّصا من عار حياتهنّ أو تنصّلا من نفقات معيشتهنّ. فبعد عرض صورة واضحة لانفكاك رُبُط النظام الاجتماعي في الأمم العالمية، بما فيها العرب وغيرهم، يسأل الكاتب أنّه أما كان من رحمة الله في تلك الأحوال السيئة أن يُرسلَ إليهم رسولا يؤدّبهم ويوصل رسالته إليهم؟ فالبعثة المحمّدية كانت جوابا لذاك السؤال.

ثم يسلّط الكاتب الضوء على ميلاد رسول الله ﷺ والأوضاع السيئة التي عاشها منذ صغره. فولد النبي ﷺ بمكّة في عام 571م يتيمًا فقيرًا، وفي السادسة من عمره توفّيت والدته، وفي الثامنة من عمره توفّي جدّه الذي احتضنه بعد وفاة أمّه. ثم كانت نشأته في كفالة عمّه أبي طالب الذي كان يعيش في فقر وضيق. فترعرع ﷺ بين المشركين الوثنيّين بمكّة رجلا أمينًا، لم يقم على تربيته مهذب ولم يعن بتثقيفه مؤدّب، بل زيّنه ورفع قدره الأدب الإلهيّ. فبهذا الصدد، يبيّن الكاتب المعجزة الإلهية في أن يصبح هذا اليتيم الفقير الأمّيّ الذي كان يعيش بين الوثنيّين، نبيًّا يرغب في إرشاد الضالّين من قومه، وهو يتحلّى بطهارة العقيدة وحسن الخليقة بخلاف ما كان سائدا في البيئة حوله. وههنا، يزيل الكاتب شبهة في قوله تعالى "ووجدك ضالاّ فهدى"، فيقول بأنّ هذه الآية لا تدلّ بشيء أنه ﷺ كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد، بل المراد بالضلالة المنسوبة إليه في الآية هي حيرته في سبل إنقاذ الناس من هوّة الكفر التي وقعوا فيها، فالهداية المذكورة في الآية معناها اصطفائه ﷺ لرسالة الله ولتقرير شريعته بين الناس.

وكان النبي ﷺ يكتسب من المال ما يسدّ حاجته، فلم تُرقه الدنيا ولم تغرّه زخارفها، بل كلّما تقدّم به السنّ نما فيه حبّ الانفراد والانقطاع إلى الفكر والتحنّث بمناجاة الله. فطلب من الله أن يريه مخرجا من همّه الأعظم في تخليص قومه ونجاة العالم من الشرّ التي استولى عليه. واستجابة لهذا الطلب، بدأ الوحي الإلهي يهبط عليه ويتجلّى عليه النور القدس.

ثمّ يشير الكاتب إلى أنّ ادعاء النبوّة من محمّد ﷺ ما كانت قطّ لأغراض دنيوية مثل اكتساب المُلك، لأنّه ما كان من آبائه ﷺ ملِكٌ، بل كان قومه لا يقومون بطلب مناصب السلطان كما كانوا يقنعون بشرف نسبتهم إلى بلادهم المقدّسة. واستدلّ الكاتب على هذه الحقيقة بما جرى بين عبد المطلب وأبرهة الحبشي الذي استاق عددا من الإبل لقريش، حيث أجاب للملك الذي لامه على مطلبه الحقير بردّ الإبل: "أنا ربّ الإبل، أمّا البيت فله ربّ يحميه!"

ثم يحاول الكاتب العثور على سرّ رفعة النبي ﷺ وعظمة مكانته، مع كونه خاليا عن العناصر التي تستجذب القلوب مثل المال والجاه والجند والأعوان وقريحة في الشعر أو الكتابة أو الخطاب. فبعد رفع عدّة أسئلة بهذا الصدد، يجيب الكاتب أنّ سرّ مكانته العظمى إنما كان الوحي الإلهي الذي كان نوره يسعى بين يديه والوعد السماوي الذي قام لديه مقام القائد والجنديّ. ففي ضوء الوحي الإلهي قام النبي ﷺ بدعوته، فعرّف الله الواحد القهّار للوثنيّين والمشبّهين والطبيعيين وغيرهم، ودعا الزعماء إلى الاستكانة إلى سلطان معبود واحد، وأنكر على المنتحلين لمرتبة التوسط بين العباد وبين ربّهم الأعلى، وطعن عبيد العادات وأسراء التقليد ليعتقوا أرواحهم مما استعبدوا له، كما أنكر من أهل الكتب السماوية من كان يقف عند حروفها أو يحاول بتحريفها. فنبَّهَ ﷺ كلّ إنسان عمّا فيه من المواهب الإلهيّة، ودعا الناس كافّة إلى عرفان أنفسهم واعتراف قيمة عقولهم وأن يستعملوها كي يصلوا إلى معرفة خالقهم بواسطة الرسول، كما قرّر أن لا سلطان لأحد من البشر على آخر منه إلاّ ما رسمته الشريعة وفرضه العدل. ومع ذلك كلّه، إنّه عرّف الإنسان بأنّه مكوّن من جسم وروح ولذا مطالب بخدمتهما جميعا، وذلك بالاستعداد في هذه الحياة الدنيا للحياة الأخرى.

فعندما قام محمّد ﷺ بهذه الدعوة العظمى وحده كان الناس حوله لا يفقهون دعوته ولا يعقلون رسالته، لكونهم أحباء ما ألفوا وأعداء ما جهلوا. ولكنّه ﷺ مع فقره وضعفه قارعهم بالحجج وناضلهم بالدلائل، وهداهم إلى سبيل الحقّ كأب حكيم في تربية أبنائه. فالقوّة والسلطان والعلم في النبي ﷺ في حالة ضعفه وعجزه وأمّيّته، كانت نتيجة الوحي المقدّس من الله القادر على كلّ شيء. فالكاتب يختم هذه المقالة بإثبات أنّ النبي ﷺ كان بشرا مثلنا، ولكنّه أوحي من الله وحيا صادقا. فرغم كونه فقيرا وضعيفا وأميّا استطاع أن يحقّق نهضة كبيرة في قومه، فلذا إنّه لم يأتِ بما يلهي الأبصار أو يحير الحواس أو يدهش المشاعر، بل حقّق تلك النهضة من خلال مخاطبة العقول مع قوّة الكلام وسلطان البلاغة وصحّة الأدلّة.

4.4 نصّ المقالة

رسالة محمّد ﷺ

كانت دولتا العالم - دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان في الغرب ـ في تنازع وتجالد مستمر: دماء بين العالمين مسفوكة، وقوى منهوكة، أموال هالكة، وظلم من الإحن حالكة، ومع ذلك فقد كان الزهو والترف والإسراف والفخفخة والتفنن في الملاذ بالغة حد ما لا يوصف في قصور السلاطين والأمراء والقواد ورؤساء الأديان من كل أمة. وكان شره هذه الطبقة من الأمم لا يقف عند حد، فزادوا في الضرائب وبالغوا في فرض الإتاوات حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم، وأتوا على ما في أيديها من ثمرات أعمالها. وانحصر سلطان القوي في اختطاف ما بيد الضعيف، وفكر العاقل في الاحتيال لسلب الغافل، وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب ضروب الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب لفقد الأمن على الأرواح والأموال.

غمرت مشيئة الرؤساء إرادة من دونهم، فعاد هؤلاء كأشباح، اللاعب يديرها من وراء حجاب، ويظنها الناظر إليها من ذوي الألباب، ففقد بذلك الاستقلال الشخصي، وظن أفراد الرعايا أنهم لم يخلقوا إلا لخدمة ساداتهم وتوفير لذّاتهم، كما هو الشأن في العجماوات مع من يقتنيها. ضلت السادات في عقائدها وأهوائها، وغلبتها على الحق والعدل شهواتها، ولكن بقي لها من قوة الفكر أردأ بقاياها، فلم يفارقها الحذر من أن بصيص النور الإلهي الذي يخالط الفطر الإنسانية قد يفتق الغلف التي أحاطت بالقلوب، ويمزق الحجب التي أسدلت على العقول، فتهتدي العامة إلى السبيل، ويثور الجم الغفير على العدد القليل، ولذلك لم يغفل الملوك والرؤساء أن ينشئوا سحبا من الأوهام، ويهيئوا كسفًا من الأباطيل والخرافات، ليقذفوا في عقول العامة، فيغلظ الحجاب ويعظم الرَّيْنُ، ويختنق بذلك نور الفطرة، ويتم لهم ما يريدون من المغلوبين لهم. وصرح الدين بلسان رؤسائه أنه عدو العقل، وعدو كل ما يثمره النظر، إلا ما كان تفسيرًا لكتاب مقدس، وكان لهم في المشارب الوثنية ينابيع لا تنضب، ومدد لا ينفد.

هذه حالة الأقوام كانت في معارفهم، وذلك كان شأنهم في معايشهم، عبيد أذلاء، حيارى في جهالة عمياء، اللهم إلا بعض شوارد من بقايا الحكمة الماضية، والشرائع السابقة، أوت إلى بعض الأذهان، ومعها مقت الحاضر، ونقص العلم بالغابر.

ثارت الشبهات على أصول العقائد وفروعها بما انقلب من الوضع وانعكس من الطبع، فكان يرى الدنس في مظنة الطهارة، والشره حيث تنتظر القناعة، والدعارة حيث ترجى السلامة والسلام، مع قصور النظر عن معرفة السبب، وانصرافه لأول وهلة إلى أن مصدر كل ذلك هو الدين، فاستولى الاضطراب على المدارك، وذهب بالناس مذهب الفوضى في العقل والشريعة معًا، وظهرت مذاهب الإباحيين والدهريين في شعوب متعددة، وكان ذلك ويلاً عليها فوق ما رزئت به من سائر الخطوب.

وكانت الأمة العربية قبائل متخالفة في النزعات، خاضعة للشهوات، فخر كل قبيلة في قتال أختها، وسفك دماء أبطالها، وسبي نسائها، وسلب أموالها، تسوقها المطامع إلى المعامع، ويزين لها السيئات فساد الاعتقادات، وقد بلغ العرب من سخافة العقل حدًّا صنعوا فيه أصنامهم من الحلوى ثم عبدوها، فلما جاعوا أكلوها، وبلغوا من تضعضع الأخلاق وهناً قتلوا فيه بناتهم تخلصاً من عار حياتهن أو تنصلاً من نفقات معيشتهن، وبلغ الفحش منهم مبلغا لم يُعد معه للعفاف قيمة، وبالجملة فكانت ربط النظام الاجتماعي قد تراخت عقدها في كل أمة، وانفصمت عراها عند كل طائفة.

أفلم يكن من رحمة الله بأولئك الأقوام أن يؤدبهم برجل منهم يوحي إليه رسالته، ويمنحه عنايته، ويمده من

القوة بما يتمكن معه كشف من تلك الغمم، التي أظلت رؤوس جميع الأمم؟ نعم كان ذلك وله الأمر من قبل ومن بعد.

في الليلة الثانية عشرة من ربيع الأول عام الفيل «٢٠ إبريل سنة 571 من ميلاد المسيح عليه السلام» ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي بمكة. ولد يتيما، توفي والده قبل أن يولد، ولم يترك له من المال إلا خمسة جمال وبعض نعاج وجارية ويروى أقل من ذلك.

وفي السنة السادسة من عمره فقد والدته أيضا فاحتضنه جده عبد المطلب. وبعد سنتين من كفالته توفي جده فكفله من بعده عمه أبو طالب، وكان شهما كريما غير أنه كان من الفقر بحيث لا يملك كفاف أهله. وكان ﷺ من بني عمه وصبية قومه كأحدهم على ما به من يتم فقد فيه الأبوين معا، وفقر لم يسلم منه الكافل والمكفول، ولم يقم على تربيته مهذب، ولم يعن بتثقيفه مؤدب، بين أتراب من نبت الجاهلية، وعشراء من حلفاء الوثنية، وأولياء من عبدة الأوهام، وأقرباء من حفدة الأصنام، غير أنه مع ذلك كان ينمو ويتكامل بدنا وعقلا، وفضيلة وأدبًا، حتى عرف بين أهل مكة وهو في ريعان شبابه بالأمين، أدب إلهي لم تجر العادة بأن تُزيَّنَ به نفوس الأيتام من الفقراء، خصوصا مع فقر القوّام، فاكتهل ﷺ كاملاً والقوم ناقصون، رفيعاً والقوم منحطون، موحِّدًا وهم وثنيون، سِلمًا وهم شاغبون، صحيح الاعتقاد وهم واهمون، مطبوعًا على الخير وهم به جاهلون، وعن سبيله عادلون.

من السنن المعروفة أن يتيمًا فقيرًا أمّيًّا مثله تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته إلى زمن كهولته، ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخالطه ولا سيما إن كان من ذوي قرابته وأهل عصبته، ولا كتاب يرشده ولا أستاذ ينبهه، ولا عضد إذا عزم يؤيده، فلو جرى الأمر فيه على جاري السنن لنشأ على عقائدهم، وأخذ بمذاهبهم، إلى أن يبلغ مبلغ الرجال، ويكون للفكر والنظر مجال، فيرجع إلى مخالفتهم إذا قام له الدليل على خلاف ضلالاتهم، كما فعل القليل ممن كانوا على عهده، ولكن الأمر لم يجر على سننه، بل بغضت إليه الوثنية من مبدأ عمره، فعاجلته طهارة العقيدة، كما بادره حسن الخليقة، وما جاء في الكتاب من قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] لا يفهم منه أنه كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد، أو على غير السبيل القويم قبل الخلق العظيم، حاش لله، إن ذلك هو الإفك المبين، وإنما هي الحيرة تلم بقلوب أهل الإخلاص، فيما يرجون للناس من الخلاص، وطلب السبيل إلى ما هدوا إليه من إنقاذ الهالكين، وإرشاد الضالين. وقد هدى الله نبيه إلى ما كانت تتلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته.

وجد شيئًا من المال يسد حاجته «وقد كان له في الاستزادة منه ما يرفه معيشته» بما عمل لخديجة ﷺ في تجارتها، وبما اختارته بعد ذلك زوجا لها، وكان فيما يجتنيه من ثمرة عمله غناءٌ له، وعون على بلوغه ما كان عليه أعاظم قومه، لكنه لم ترقه الدنيا، ولم تغره زخارفها، ولم يسلك ما كان يسلكه مثله في الوصول إلى ما ترغبه الأنفس من نعيمها، بل كلما تقدمت به السن زادت فيه الرغبة عما كان عليه الكافة، ونما فيه حب الانفراد والانقطاع إلى الفكر والمراقبة، والتحنث بمناجاة الله تعالى، والتوسل إليه في طلب المخرج من همه الأعظم في تخليص قومه ونجاة العالم من الشر الذي تولاه - إلى أن انفتق له الحجاب عن عالم كان يحثه إليه الإلهام الإلهي، وتجلى عليه النور القدسي، وهبط عليه الوحي من المقام العلي، في تفصيل ليس هذا موضعه.

ولم يكن من آبائه ملك فيطالب بما سلب من ملكه. وكانت نفوس قومه في انصراف تام عن طلب مناصب

السلطان، وفي قناعة بما وجدوه من شرف النسبة إلى المكان، دل عليهما ما فعله جده عبد المطلب عند زحف أبرهة الحبشي على ديارهم، جاء الحبشي لينتقم من العرب بهدم معبدهم العام، وبيتهم الحرام، ومنتجع حجيجهم ومستوى العلية من آلهتهم، ومنتهى حجة القرشيين في مفاخرتهم لبني قومهم. وتقدم بعض جنده فاستاق من الإبل فيها لعبد المطلب مائتا بعير، وخرج عبد المطلب في بعض قريش لمقابلة الملك فاستدناه وسأله حاجته، فقال هي أن تردّ إليّ مائتي بعير أصبتها لي، فلامه الملك على المطلب الحقير وقت الخطب الخطير، فأجابه: أنا رب الإبل وأما البيت فله رب يحميه.

هذا غاية ما ينتهي إليه الاستسلام - وعبد المطلب في مكانته من الرئاسة على قريش - فأين من تلك المكانة محمد ﷺ في حاله من الفقر، ومقامه في الوسط من طبقات أهله، حتى ينتجع ملكا أو يطلب سلطانا؟ لا مال، لا جاه، لا جند، لا أعوان، لا سليقة في الشعر، لا براعة في الكتاب، لا شهرة في الخطاب، لا شيء كان عنده مما يكسب المكانة في نفوس العامة أو يرقى به إلى مقام ما بين الخاصة.

ما هذا الذي رفع نفسه فوق النفوس؟ ما الذي أعلى رأسه على الرؤوس؟ ما الذي سما بهمته على الهمم، حتى انتدب نفسه لإرشاد الأمم وكفالته لهم كشف الغمم، بل وإحياء الرِّمم؟

ما كان ذلك إلا ما ألقى الله في رُوعه من حاجة العالم إلى مقوم لما زاغ عن عقائدهم، ومصلح لما فسد من أخلاقهم وعوائدهم، ما كان ذلك إلا وجدانه ريح العناية الإلهية تنصره في عمله، وتمده في الانتهاء إلى أمله، قبل بلوغ أجله. ما هو إلا الوحي الإلهي يسعى نوره بين يديه يضيء له السبيل، ويكفيه مؤنة الدليل، ما هو إلا الوحي السماوي، قام لديه مقام القائد والجندي. أرأيت كيف نهض وحيدًا فريدًا يدعو الناس كافة إلى التوحيد، والاعتقاد بالعلي المجيد، والكل ما بين وثنية متفرقة ودهرية وزندقة؟

نادي في الوثنيين بترك أوثانهم ونبذ معبوداتهم، وفي المشبهين المنغمسين في الخلط بين اللاهوت الأقدس وبين الجسمانيات بالتطهر من تشبيههم، وفي الثانوية بإفراد إله واحد بالتصرف في الأكوان ورد كل شيء في الوجود إليه، أهاب بالطبيعيين ليمدوا بصائرهم إلى ما وراء حجاب الطبيعة فيتنوروا سر الوجود الذي قامت به. صاح بذوي الزعامة ليهبطوا إلى مصاف العامة، في الاستكانة إلى سلطان معبود واحد، هو فاطر السماوات والأرض، والقابض على أرواحهم في هياكل أجسادهم.

تناول المنتحلين منهم لمرتبة التوسط بين العباد وبين ربّهم الأعلى، فبين لهم بالدليل، وكشف لهم بنور الوحي، أن نسبة أكبرهم إلى الله كنسبة أصغر المعتقدين به، وطالبهم بالنزول عما انتحلوه لأنفسهم من المكانات الربانية، إلى أدنى سلم من العبودية، والاشتراك مع كل ذي نفس إنسانية، في الاستعانة برب واحد يستوي جميع الخلق في النسبة إليه، لا يتفاوتون إلا فيما فضل به بعضهم على بعض من علم أو فضيلة.

وخز بوعظه عبيد العادات وأسراء التقليد، ليعتقوا أرواحهم مما استعبدوا له، ويحلوا أغلالهم التي أخذت بأيديهم عن العمل واقتطعتهم دون الأمل. مال على قراء الكتب السماوية، والقائمين على ما أودعته من الشرائع الإلهية، فبكّت الواقفين عند حروفها بغباوتهم، وشدد النكير على المحرفين لها، الصارفين لألفاظها إلى غير ما قصد من وحيها، اتباعا لشهواتهم، ودعاهم إلى فهمها، والتحقق بسر علمها، حتى يكونوا على نور من ربهم.

ولفت كل إنسان إلى ما أودع فيه من المواهب الإلهية، ودعا الناس أجمعين ذكورا وإناثا عامة وسادات إلى

عرفان أنفسهم، وأنهم من نوع خصه الله بالعقل، وميزه بالفكر، وشرفه بهما وبحرية الإرادة فيما يرشده إليه عقله وفكره، وأن الله عرض عليهم جميع ما بين أيديهم من الأكوان وسلطهم على فهمها والانتفاع بها بدون شرط ولا قيد إلا الاعتدال، والوقوف عند حدود الشريعة العادلة والفضيلة الكاملة. وأقدرهم بذلك على أن يصلوا إلى معرفة خالقهم بعقولهم وأفكارهم بدون واسطة أحد، إلا من خصهم الله بوحيه، وقد وكل إليهم معرفتهم بالدليل، كما كان الشأن في معرفتهم لمبدع الكائنات أجمع. والحاجة إلى أولئك المصطفين إنما هي في معرفة الصفات التي أذن الله أن تعلم منه، وليست في الاعتقاد بوجوده، وقرر أن لا سلطان لأحد من البشر على آخر منه إلا ما رسمته الشريعة وفرضه العدل. ثم الإنسان بعد ذلك يذهب بإرادته إلى ما سخرت له بمقتضى الفطرة.

دعا الإنسان إلى معرفة أنه جسم وروح، وأنه بذلك من عالمين متخالفين، وإن كانا ممتزجين، وأنه مطالب بخدمتهما جميعا وإيفاء كل منهما ما قررت له الحكمة الإلهية من الحق. دعا الناس كافة إلى الاستعداد في هذه الحياة لما سيلاقونه في الحياة الأخرى، وبيّن لهم أن خير زاد يتزوده العامل هو الإخلاص لله في العبادة، والإخلاص للعباد في العدل والنصيحة والإرشاد.

قام بهذه الدعوة العظمى وحده، ولا حول له ولا قوة، كل هذا كان منه والناس أحباء ما ألفوا وإن كان خسران الدنيا وحرمان الآخرة، أعداء ما جهلوا وإن كان رغد العيش وعزة السيادة ومنتهى السعادة، كل هذا والقوم حواليه أعداء أنفسهم، وعبيد شهواتهم، لا يفقهون دعوته، ولا يعقلون رسالته، عقدت أهداب بصائر العامة منهم بأهواء الخاصة، وحجبت عقول الخاصة بغرور العزة عن النظر في دعوى فقير أمي مثله، لا يرون فيه ما يرفعه إلى نصيحتهم والتطاول إلى مقاماتهم الرفيعة باللوم والتعنيف.

لكنه في فقره وضعفه كان يقارعهم بالحجة، ويناضلهم بالدليل، ويأخذهم بالنصيحة، ويزعجهم بالزجر، وينبههم للعبر، ويحوطهم مع ذلك بالموعظة الحسنة، كأنما هو سلطان قاهر في حكمه، عادل في أمره ونهيه، أو أب حكيم في تربية أبنائه، شديد الحرص على مصالحهم، رؤوف بهم في شدته، رحيم في سلطته.

ما هذه القوة في ذلك الضعف؟ ما هذا السلطان في مظنة العجز؟ ما هذا العلم في تلك الأمية؟ ما هذا الرشاد في غمرات الجاهلية؟ إن هو إلا خطاب الله القادر على كل شيء الذي وسع كل شيء رحمة وعلما، ذلك أمر الله الصادع، يقرع الأذان، ويشق الحجب، ويمزق الغلف، وينفذ إلى القلوب، على لسان من اختاره لينطق به، واختصه بذلك وهو أضعف قومه، ليقيم من هذا الاختصاص برهانا عليه، بعيدا عن الظنة، بريئا من التهمة، لإتيانه على غير المعتاد بين خلقه.

أي برهان على النبوة أعظم من هذا؟ أميّ قام يدعو الكاتبين إلى فهم ما يكتبون وما يقرؤون، بعيد عن مدارس العلم صاح بالعلماء ليمحصوا ما كانوا يعلمون، في ناحية عن ينابيع العرفان جاء يرشد العرفاء، ناشئ بين الواهمين هبّ لتقويم عوج الحكماء، غريب في أقرب الشعوب إلى سذاجة الطبيعة وأبعدها عن فهم نظام الخليقة والنظر في سننه البديعة أَخَذَ يقرر للعالم أجمع أصول الشريعة، ويخط للسعادة طرقا لن يهلك سالكها، ولن يخلص تاركها.

ما هذا الخطاب المفحم؟ ما ذلك الدليل الملجم؟ أأقول ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم؟ لا، لا أقول ذلك، ولكن أقول كما أمره الله أن يصف نفسه: إن هو إلا بشر مثلكم يوحى إليه، نبي صدق الأنبياء ولكن لم يأت في الإقناع

برسالته بما يلهي الأبصار، أو يحير الحواس، أو يدهش المشاعر. ولكن طالب كل قوة بالعمل فيما أعدت له، واختص العقل بالخطاب، وحاكم إليه الخطأ والصواب، وجعل في قوة الكلام وسلطان البلاغة وصحة الدليل مبلغ الحجة وآية الحق الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 43].

4.5 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة في النص

المفرد/ التعبير	المعنى	المعنى بالإنكليزية
التَجَالُد	التضارب بالسيوف	To engage in a swordfight
قوى منهوكة	متعبًا تعبًا شديدا	Very tired
إحنة (ج) إحن	الحقد الشديد	Grudge; hatred
حالكة	مظلمة	Dark
الزهو	الفخر والتكبّر	Show-off; haughtiness
الفخفخة	الفخر بالباطل	Boasting, Self-conceit
الشره	الحرص الشديد	Greediness
الإتاوات	الجبايات والضرائب	Revenues
الاستكانة	الخضوع والذلّة	Submissiveness
العجماء (ج) عجماوات	البهيمة	Animal
اقتنَى – يقتني	امتلك وربّى	To own and rear animals
البصيص	البريق والإشراق	Brightness, shining
الرّيْن	صدأ يعلو على الشَّيء الجليّ	rustiness
الجمّ الغفير	كثير من الناس	A large number of people
ينابيع لا تنضب	عيون ماء لا تجفّ	inexhaustible springs
شوارد	شواذّ	Odds
الدعارة	الخبث والفسق	Immorality
الإباحيّ	الْمُتَحَلِّلُ عَنْ كُلِّ وَازِعٍ خُلُقِيٍّ	Having an immoral way of life
الدهريّ	المُلحد	Person who disbelieves in God
رزأته خطوب	أصابته مكروهات	To be hit by misfortunes
المعمعة (ج) معامع	الحروب والفتن	War
تضَعْضَعَ	ضعف ووهن	To be destroyed
تنصّلَ	خرج وتخلّص	To escape
تراخَتْ عُقدها	انحلّت مواضع العقد فيها	The knots became loosened

انفصمت عراها	انكسرت مقابضها	The handles broke down
الكَفاف	ما كان مِقدارَ الحاجة للحياة	The minimum necessary to support life
العشراء	جمع العشير بمعنى القريب	Relatives
ريعان الشباب	بداية الشباب	The bloom of youth
اكتهل	جاوز سنّ الشباب ولم يصل سنّ الشيخوخة	Became in the middle of his age
حاش لله	الله بريء ممّا ذكر!	God forbid!
رفّه معيشته	نعّمه وأراحه	To make someone live in comfort
التحنّث	التعبّد	Worship
المنتجع	الموضع الذي يقصده الناس في طلب الكلأ	A place where people go for grass for their animals
السليقة	الطبيعة	Instinct
انتدب	قام ونهض	To be ready
الروع	الذهن والعقل	Mind, heart
المشبِّهون	من يشبّهون الله بالمخلوقات	Those who liken God to creatures
اللاهوت	الأُلوهية	The divinity
الطبيعيّون	هم الفلاسفة الذين بحثوا في الطبيعة للعثور على أصل الكون وعناصره	Naturalists
خزّ	طعن، حثّ	To urge on
بكّت	عنّف وقرّع	To criticize, to rebuke
عُقِدتْ أهداب بصائرهم بـه	يركّزون أنظارهم فيه	To focus only on something
قارعها بحجّةٍ	ردّ عليها بدليل	To oppose something with evidence
غمرات الجاهلية	جهالتها وضلالتها	Ignorance of Jahiliya era
محصَ الشيءَ	خلَّصَه من عيوبه	To purify
الخطاب المفحم	الكلام المقنع المسكِت للخصم	Convincing speech

4.6 العناصر الفنية في مقالة "رسالة محمّد ﷺ"

4.6.1 مضمون المقالة

تعالج هذه المقالة موضوعا مهمّا من موضوعات العقائد الإسلامية، وهو رسالة محمّد ﷺ، وذلك بأسلوب منطقيّ بليغ بحيث يفهمه الخواص والعوام وإن لم يكن لديهم إلمام بمصطلحات تخصّ بعلم الكلام. فالشيخ محمّد عبده يصوّر أوّلا الخلفية التي وقعت فيها البعثة النبويّة وعن مدى احتياج العالم الذي كان قد انطفأت فيه مشاعل الحقّ والهدى وتسيطرت عليه دياجير الجور والضلالة إلى هذا الرسول الهادي إلى سبيل الله. وبعد وضع صورة واضحة للعصر الذي بعث فيه النبي ﷺ، يمرّ بنا الكاتب في الأوضاع التي ولد وتربّى فيها ﷺ بدون أستاذ ينبّهه أو كتاب يرشده، مع بيان أوجه تميّز شخصيّته ﷺ عن الآخرين المعاصرين. وبعد ذلك، يبحث الكاتب عن موقفه ﷺ من الأمور التي تجري حوله ورغبته في العثور على طريق لتخليص الناس من هُوّات الظلم والفجور إلى قِمّات العدل والهدى. وبعد الإشارة إلى لحظات هبوط الوحي عليه، يقدّم للقرّاء أدلّة عقلية على صدقية نبوّته ويبيّن دور الوحي الإلهيّ والعناية الربّانية في إنجاز مهمّته مع خلوّه عن صفات تستجذب قلوب الجماهير.

4.6.2 أسلوب محمد عبده

سبق أن فهمنا أن هذه المقالة التي بين أيدينا هي مقتبسة من كتاب "رسالة التوحيد" للأستاذ محمّد عبده، والذي هيّأه أوّلا بشكل محاضرات لطلاّبه ومن ثمّ أصدره بشكل كتاب مستقلّ لينتفع به عوامّ المسلمين. فحيث يعود أصل هذا الكتاب، بما فيه مقالتنا هذه، إلى دروس دينيّة يلقى على الطلبة، نرى الكاتب يتمسّك في إعداد هذا الكتاب بأسلوب واضح ومختصر وبسيط ومباشر. فرغم كون هذه المقالة تدور حول مبحث من مباحث علم الكلام وهو الرسالة المحمّديّة، نرى الكاتب يلتزم بأسلوب لغويّ سهل من حيث المفردات والتراكيب، بدون حشد المصطلحات الكلامية التي اعتاد ورودها في مصنفات علم الكلام، وذلك بغرض أن تكون الأفكار والآراء المقدّمة فيها سائغة التناول والفهم من قبل عامة المسلمين وخاصتهم على السواء.

ومع كون الموضوع المبحوث عنه موضوعا دينيّا وعلميّا، حاول الكاتب أن يقدّمه بأسلوب أدبيّ أخّاذ، مرصّع بأنواع من الصور البيانية والمحسّنات البديعية. فنرى خلال مرورنا عبر سطور هذه المقالة بعضا من التشبيهات والاستعارات الرائعة والتي من شأنها جعل الفكر المعروض أوضح وأجمل، وذلك كما في قوله:

- "وظنّ أفراد الرعايا أنّهم لم يخلقوا إلا لخدمة ساداتهم وتوفير لذّاتهم، كما هو الشأن في العجماوات...الخ"
- "....من أنّ بصيص النور الإلهي الذي يخالط الفطر الإنسانية قد يفتق الغلف التي أحاطت بالقلوب، ويمزّق الحجب التي أسدلت على العقول...الخ"
- "..... فيغلظ الحجاب ويعظم الرينُ، ويختنق بذلك نور الفطرة...الخ"
- "وكان لهم في المشارب الوثنية ينابيع لا تنضب، ومدد لا ينفذ".

وكان محمّد عبده يفضّل في بداية حياته الأدبية أسلوبا محشوّا بالسجع ونحوه من المحسّنات اللفظية، إلّا أنّه اجتنب الأسلوب المسجوع في أواخر حياته لا سيّما بعد عمله مع جمال الدين الأفغاني وبدأ يكتب بأسلوب يتميّز بنصاعة الفكرة وصدق العاطفة وبساطة في التركيب وسهولة في الألفاظ. ففي المقالة لدينا نراه يتمسّك بأسلوب

سهل بيّن لا يختفي فيه المعنى المراد بسبب المحسّنات اللفظية أو المعنويّة. فإن وجدنا مواضع غير واحدة يعتني فيها الكاتب بالسجع في التعبير إلاّ أنّنا نراه يحاول أن يجعل الكلمات التي تختلق رنّة السجع خلال التعبير كلمات سهلة وواضحة، كما في قوله:

- "دماء بين العالمين مسفوكة، وقوى منهوكة، أموال هالكة، وظلم من الإحن حالكة..."
- "..... تسوقها المطامع إلى المعامع، ويزين لها السيئات فساد الاعتقادات..."
- ".....، ولم يقم على تربيته مهذّب، ولم يعنِ بتثقيفه مؤدّب، بين أتراب من نبت الجاهلية، وعشراء من حلفاء الوثنية، وأولياء من عبد الأوهام، وأقرباء من حفدة الأصنام، ..."
- "ما هذا الذي رفع نفسه فوق النفوس؟ ما الذي أعلى رأسه على الرؤوس؟ ما الذي سما بهمّته على الهمم، حتى انتدب لإرشاد الأمم وكفالته لهم كشف الغمم، بل وإحياء الرمم."

وكذا نرى في هذه القطعة النثرية مواضع لأمثلة الاقتباس البلاغي الذي هو عبارة عن تضمين الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنّه منهما، مثلا نجده يقول:

- " إن هو إلا خطاب الله القادر على كل شيء الذي وسع كل شيء رحمة وعلما"
- " الوحي الإلهي الذي يسعى نوره بين يديه يضيء له السبيل"
- " أأقول ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم؟"

ومما يميّز أسلوب الكاتب أيضا ترتيبه لأفكاره ترتيبا منطقيّا بحيث يوجد ترابط بين الأجزاء المختلفة للمقالة، فتبدو أفكاره المتبعثرة حول موضوع رسالة النبي ﷺ دررا منتظمة في خيط متين. فكلّما يقدّم فكرة يوضّحها بأدلّة وبراهين عقلية أو نقليّة كي يثبتها في خلد القرّاء ويكسر بها سهام اتّهامات الأعداء.

4.6.3 التخطيط الفني في المقالة

من المرور عبر الأفكار المعروضة بهذه المقالة، يتبيّن لنا أنّ الكاتب رتّب ضمن سطورها كثيرا من الحقائق التاريخية وأفكاره الشخصية حول بعثة محمّد ﷺ، بحيث يتحقّق بين أجزاء هذه القطعة النثرية من أوّلها إلى آخرها تسلسل منطقيّ رائع. فرغم كونها فصلا من فصول كتاب "رسالة التوحيد"، تشتمل على الأجزاء اللازمة لفنّ المقالات الحديثة. أمّا العنوان "رسالة محمّد ﷺ" فهو مرآة صافية ينعكس فيها محاور المناقشة الواردة في هذه المقالة. فبعد العنوان يأتي الكاتب تمهيدا يشير إلى غرضه من إتيان تلك المباحث، ومفاده أنّ ذاك الفصل ليس بغرض الإلمام بتاريخ الأمم أو العرب عند البعثة المحمّدية، بل تقديم بعض من الحقائق التي يمكن استنباطها من التاريخ لمن يمعن النظر في تاريخ العهد النبوي الذي اتفق عليه المؤرّخون .

وبعد هذا التمهيد يبدأ الكاتب، كمقدّمة للموضوع الذي يبحث عنه، في بيان أحوال العصر الذي بعث إليه النبي ﷺ، فيشير إلى المعارك العظيمة التي جرت بين دولتي الفرس والرومان والآثار السلبية لتلك المعارك على الأمم الإنسانية، كما يبيّن استغلالات أصحاب الطبقات العلى من طبقات الفقراء والضعفاء في المجتمع، ثمّ يسرد لنا

حالات الأمة العربية خاصة والتي كانت تتسكّع في معتقداتها الفاسدة. وبعد تقديم صورة واضحة للعالم بشكل أدبيّ شيّق، يطرح الكاتب سؤالا أمام القراء ليثبت به أنه كان من رحمة الله بأولئك الأقوام أن يرسل إليهم رسولا منه لهديهم إلى الصراط المستقيم.

ثم يدخل الكاتب إلى مخّ الموضوع، وهو رسالة محمّد ﷺ، فأوّلا صوّر معاناة النبي ﷺ منذ طفولته والخصائص التي امتاز بها عن سائر الناس، ثمّ بيّن رغبته ﷺ منذ صغره في هداية الناس، وتحقّق هذه الرغبة من خلال نزول الوحي الإلهي إليه. فيأتي الكاتب بهذا الصدد ببراهين عقلية للإشارة إلى صحّة نبوّته وأنها ما كانت في طلب مُلك مفقود بل بأمر من الله تعالى ووحيه الصادق. ثمّ يمرّ بنا عبر مراحل مختلفة لدعوة النبي ﷺ ومعاملاته مع مختلف أنواع الناس. وفي الختام، يشير الكاتب إلى ماهية رسول الله ﷺ فيقول إنه ما كان ملكا، بل كان بشرا مثلنا يوحى إليه ويدعو الناس إلى طريق الله العليّ العظيم.

4.7 نتائج التعلم

عزيزي الطالب! تعلّمنا في هذه الوحدة عن الشيخ محمّد عبده وخدماته في المجال الديني والمجال الأدبي، كما قرأنا فصلا من فصول كتابه الشهير "رسالة التوحيد" وفهمنا من خلاله أسلوبه الساحر في مجال التعبير الفنّيّ. فالنقاط التي أضفناها إلى رصيدنا العلمي بعد إتمام هذه الوحدة هي كما يلي:

- الشيخ محمّد عبده مفكّر ديني وكاتب قدير ولد بمصر عام 1849م وتوفّي في 1905م.
- يعتبر الشيخ محمّد عبده من أبرز مفكّري تيار حركة الإصلاح والنهضة في العالم العربي في القرن التاسع عشر، وكان ممّن يدعو إلى تحرير الأفكار من كافّة أنواع التقليد ويعتمد على العقل في تفسير القرآن والسنّة، الأمر الذي جعل كثيرا من العلماء والفضلاء المعاصرين له يخالفون آرائه ومواقفه في أمور الدين.
- كان صحفيّا بارزا، وكّل إليه تحرير "الوقائع المصرية"، وساهم مع أستاذه جمال الدين الأفغاني في تأسيس مجلّة "العروة الوثقى". ومن أهمّ مؤلّفاته "رسالة التوحيد"، و"الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية"، وشرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح وتحقيق كلّ من "البصائر القيصرية" للطوسي و"دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" للجرجاني و"نهج البلاغة" لعلي بن أبي طالب ﷺ.
- مقالة "رسالة محمّد ﷺ" هي فصل من فصول كتاب "رسالة التوحيد"، انتخبه ورتّبه بشكل مقالة الشيخ أبي الحسن الندوي. فهذا الكتاب في الحقيقة مجموعة مذكّرات المحاضرات التي كان الشيخ محمد عبده يلقيها على طلبته في المدرسة السلطانية ببيروت، إلّا أنّه أخرجه بشكل كتاب مستقلّ في عام 1898 كي ينتفع به عامّة المسلمين.
- في هذه المقالة، يصوّر الكاتب الخلفيّة العالمية التي بعث فيها النبي ﷺ رحمة للعالمين والأوضاع السلبيّة التي نشأ فيها ﷺ ورغبته ﷺ في إنقاذ الأمّة البشرية من الضلالة ومحاولاته لتحقيق تلك الرغبة بأمر من الله وعونه ونصره.
- قبل مطالعة نصّ المقالة، قمنا بقراءة خلاصة الأفكار التي أوردها الكاتب في هذه المقالة، كما حلّلنا العناصر الفنية الموجودة فيها، ونظرنا أيضا في معاني الكلمات والتعبيرات فيها.

4.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

الكلمات	المعاني	الكلمات	المعاني
عقيمة: غير مُنتِجة	Fruitless, ineffective	جادّ: رزين، مُجتهِد	Working with a lot of efforts
أنمى الشيءَ: جعلَهُ ناميًا	make grow; build up	استعصى عليه: اشتدّ عليه وشقّ	be difficult; be hard
مُراهِق: غلام قارب حدّ البلوغ	teenager; adolescent	تخرّج من / في: أتمّ التعليم بالجامعة أو نحوها	graduate school
تورَّطَ فيه: وقَعَ فيه	To involve in something	الثورة العرابية: ثورة بمصر في فترة 1879-1882م	Urabi revolt
مُصادَرة المجلّة: حجزها ومنعها من الصدور	Seizure of the publishing journal	تسنّى الأمرُ: تهيّأ، تيسّر له	be easy
مكفهِرّة: مُسودّة ومُظلمة	being completely dark	على قدمٍ وساقٍ: بكلّ قوّة، بالطاقة الكاملة	in full swing
تَسَكّع: تخبّط، المشي بدون هدفٍ	Staying somewhere without a purpose	القريحة: مَلَكَة يستطيع بها ابتداع الكلام	A quality that someone has naturally
دَيْجُور (ج) دياجير: الظلمة	The state of being darkly	هُوّة (ج) هُوّات: حُفرة بعيدة القعر	Pit, deep opening or crack in the ground
أخّاذ: ساحر، جميل جدّا	Very interesting and attractive	نصاعة: وُضوح	clarity

4.9 أسئلة الاختبار النموذجية

4.9.1 أسئلة موضوعية

1- مقالة "رسالة محمّد ﷺ" مأخوذة من كتاب..... لمحمّد عبده.

(a) ضحى الإسلام (b) رسالة التوحيد (c) الإسلام والنصرانية (d) رسالة الإسلام

2- ولد محمّد عبده بمصر في عام .....م

(a) 1879 (b) 1849 (c) 1906 (d) 1890

3- كان محمّد عبده متأثرا بالشيخ الصوفي .....، الذي أنمى في قلبه محبّة نحو التعليم.

(a) حسونة النواوي (b) عاطف باشا (c) محمود درويش (d) درويش خضر

4- نفي محمّد عبده إلى بيروت لاشتراكه في .....

(a) الثورة العرابية (b) حرب الاستقلال (c) ثورة 23 يوليو (d) ثورة 1919

5- المجلّة التي أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده من باريس هي .....

(a) الثقافية الدينية (b) الجيل الجديد (c) العروة الوثقى (d) الوقائع المصرية

6- كتاب "رسالة التوحيد" لمحمد عبده هو مجموعة مذكّرات محاضراته في.....

(a) مدرسة دار العلوم (b) المدرسة السلطانية (c) الأزهر الشريف (d) المدرسة الإسلامية

7- استاق جنود الملك ..... من إبل قريش فيها لعبد المطلب مئتا بعير.

(a) أصحمة النجاشي (b) أبرهة الحبشي (c) كسرى الأوّل (d) يزدجرد الثالث

8- دعا النبي ﷺ الإنسان إلى معرفة أنّه .....

(a) جسم وروح (b) ماء وتراب (c) مؤمن وكافر (d) روح وعقل

9- يقول الكاتب: لا أقول إنه ملك كريم، ولكن أقول كما أمره الله أن يصفه "إن هو إلا بشر مثلكم ....."

(a) أرسل إليكم نبيّا (b) يعلّمكم دينكم (c) يمشِي في الأسواق (d) يُوحَى إليه

10- ..... هم الذين يخلطون بين اللاهوت الأقدس وبين الجسمانيات.

(a) الوثنيّون (b) المشبّهون (c) الثانويّون (d) الطبيعيّون

4.9.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- ماذا تعرف عن مجلّة "العروة الوثقى"؟

2- كيف كانت أحوال الأمّة العربية عندما بعث إليها رسو ل الله ﷺ؟

3- ما المراد بالضلالة في حقّ النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾؟

4- "أنا ربّ الإبل، وأمّا البيت فله ربٌّ يحميه" – بيّن الخلفية.

5- كيف كانت دعوة النبي ﷺ للمنتحلين لمرتبة التوسّط بين الله وعباده؟

4.9.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- اكتب مقالة عن الخدمات الأدبيّة والفكرية للشيخ محمّد عبده.

2- بيّن أحوال العصر الذي بعث إليه محمّد ﷺ.

3- حرّر مقالة مفصّلة عن الأسلوب الأدبي للشيخ محمد عبده في ضوء مقالته "رسالة محمّد ﷺ".

4.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م.

2- د. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، 1961م

3- رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، مطبعة المنار، القاهرة، د.ت.

4- محمّد عبده، رسالة التوحيد، دار الشروق، بيروت، 1994م
5- محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م

الوحدة: 5

التعريف بالقصة، أهميتها وأنواعها

عناصر الوحدة

5.0 التمهيد

5.1 أهداف الوحدة

5.2 فن القصة في اللغة العربية

5.2.1 القصة لغة واصطلاحا

5.2.2 أهمية القصة ووظيفتها

5.2.3 أنواع القصة

5.2.4 عناصر القصة

5.3 نشأة القصة وتطورها

5.3.1 القصة في العصر الحديث

5.4 التمرينات

5.5 نتائج التعلم

5.6 أسئلة الاختبار النموذجية

5.7 الكلمات الصعبة ومعانيها

5.8 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

5.0 التمهيد

إن القصة فن أدبي معروف لدى العرب منذ القديم، ولكنها لم تكن ناضجة مكتملة الأركان آنذاك، وإنما كانت أخبارا وآثارا تروى وتذكر بين الناس، تمزج بين الحقيقة والخيال أحيانا، وتستند إلى وقائع تاريخية أحيانا أخرى. شهد القرن العشرون تطورا ملحوظا في فن القصة في الأدب العربي الحديث، حيث نضجت فيه القصة واكتملت أركانها وأصبحت لها عناصرها الخاصة تمتاز بها، وتشعبت حتى صارت أنواعا كثيرة، وتطورت القصة في العصر الحديث وتأثرت بالعوامل التي أحاطت به كما تأثرت بالتيارات الغربية وتعرضت للتجدد المستمر حتى وصلت إلى شكلها الذي نراها الآن.

احتل فن القصص أو الأدب السردي مكانة بارزة في الفنون الأدبية في العصر الحديث، وقد أحدث الفن القصصي ثورة في الأدب العالمي من خلال معالجتها للقضايا المختلفة في الحياة الاجتماعية للجنس البشري والتوعية عنها، وإيجاد حلول لها، ولا شك أن دارس الأدب العربي لا يستغني عن الاطلاع على هذا الفن، كما أنه من الضروري له أن يتعرف على نبذة يسيرة عن رواده وأبرز الأعمال فيه، فمن هذا المنطلق تم إعداد هذه الوحدة لتزويد الطلاب بإطلالة على فن القصة في الأدب العربي، وأهميتها وأنواعها، وقراءة قصتين من أولى القصص المؤلفة في اللغة العربية، بقلم علمين شامخين من أعلام الأدب العربي والنهضة الأدبية الحديثة، وتحليلهما تحليلا أدبيا والتعرف على أساليب كتاب القصة، فنتعرف في هذه الوحدة على مفهوم القصة في الأدب العربي وأنواعها وعناصرها ونشأتها وتطورها عبر العصور، كما نتطلع فيها إلى أبرز من ساهموا في تطورها كفن أدبي لها عناصرها وأساليبها وأنواعها الخاصة بها.

5.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى تقديم أشياء جديدة للطلاب تتمثل في:

- تزويد مفاهيم أساسية عن فن القصة في الأدب العربي وأهميته بين الأنواع الأدبية الأخرى
- الاطلاع على أنواع القصص المختلفة وعناصرها وخصائصها وأساليبها
- تتبع تاريخ نشأة وتطور الفن القصصي عبر العصور قبل وصولها الشكل الذي نشاهده الآن، والتعرف على القصة الفنية الأولى والقصص المؤلفة في العصور الأولى من ظهور هذا الفن
- التعرف على كتاب القصص البارزين في الأدب العربي والذين دفعوا بفن القصة إلى التطور في مختلف البلدان العربية

5.2 فن القصة

إنما القصة فن من الفنون الأدبية القديمة قدمَ الإنسان، عرفتها البشرية بطبيعتها الفطرية منذ أن عرفت اللغات، فإنها كانت موجودة في كل الحضارات والأقوام، استخدموها لنقل الأحداث وسرد الوقائع، واتخذوها وسيلة

للهو والتعليم والحفاظ على تراث الثقافات وتلقين القيم والأخلاق، فلذلك لا نستطيع تحديد موطن ظهورها بالدقة، وقد كان رائجا بأنواعه المختلفة بشكل شفهي في العصور الماضية، ولكنه نتيجة للتغييرات السريعة وتطور الحياة واحتكاك الحضارات المختلفة ظهر بمقومات وخصائص حديثة، حتى أصبح فنًّا ذا أهمية كبرى في الآداب المعاصرة ولا سيما في فن النثر، لأنه يتسع لاستيعاب التعبير عن القضايا المختلفة.

5.2.1 القصة لغة واصطلاحا

القصة لغة هو سرد الحكاية والأحداث والوقائع رواية أو كتابة سواء كان القصد منه الإمتاع أو الإفادة، وجمعها القِصص، وليست بهذا المعنى من الألفاظ الجديدة التي دخلت اللغة العربية حديثا، وقد ورد ذكرها في التراث العربي قديما، يقول ابن منظور: "والقصة: الخبر وهو القصص. وقص علي خبره يقصه قصا وقصصا: أورده. والقصص: الخبر المقصوص، بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. والقصص بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب. والقِصة: الأمر والحديث، والقاصّ: الذي يأتي بالقصّة على وجهها كأنّه يتتبّع معانيها وألفاظها."

وفي الاصطلاح القصة هي سرد واقعي أو خيالي لأفعال قد تكون نثرًا أو شعرًا يقصد به إثارة الاهتمام والإمتاع أو تثقيف السامعين أو القراء، ويعتمد بناء القصة على اقتصار شديد في عدد الشخصيات والأحداث والأماكن والزمن وعلى تكثيف السرد، وتهدف القصة إلى تحقيق أثر واحد يصدر عن حدث مميز أو بضعة أحداث أو مشاهد، فلا تكون الشخصية فيها متكاملة الأبعاد كما في الرواية أو المسرحية، بل يكشف جانبا أو أكثر منها فقط.

إنّ القصة لم تكن في بدايتها إنتاج فكر عربي، ولكن بعد ذلك استطاع العرب أن يركبوا صهوة هذا الجنس الأدبي، وأن يبدعوا فيه منوعين في الأهداف واصلين إلى شكل القصة الفنية الحقيقي، وللقصة أنواع كثيرة يختلف كل منها عن الآخر بأوصاف ومعايير دقيقة، كما أن لها عناصر فنية لا بد من استيفائها حتى تكون قصة فنية حقيقية، وأكثر هذه العناصر يمكن مشاهدتها في الروايات والمسرحيات في أشكال ومقادير مختلفة.

5.2.2 أهمية القصة ووظيفتها

يقول ريتشارد كيرني (Richard Kearney): "تتسم القصص بأهمية بالغة للقراء، مثلها في ذلك مثل الطعام بل إنها ربما تفوقه أهمية، حيث إن الطعام يبقينا أحياء، أما القصص فتعطي معنى حقيقيا لحياتنا"، تشكل القصص غذاءً مفيدا ومشبعا للعقل والروح، وتؤدي دورا حيويا في التغير الاجتماعي الفكري والنفسي، يتم استخدام طريقة السرد والقصص لأغراض تعليم الطلاب لما تحتوي على المتعة الكبيرة والمعلومات الغزيرة وتحفيز خيالاته وملكته على التأمل والتفكير، وتسهم القصص في تعزيز الوعي العام في المجتمع حول مختلف القضايا والمشاكل الاجتماعية كما أنها تؤدي دورها في التعليم والتثقيف أيضا، وفي العصر الحديث فقد أصبح الأدب وخاصة القصة أداة فاعلة يمكن استخدامها لإقناع الناس وتغيير المجتمعات نحو الأفضل أو الأسوأ.

تقدم القصة كثيرا من الوظائف التي تعين على العيش والتقدم بصفتنا بشرا وحيوانا اجتماعيا، تربط القصة الناس بعضهم ببعض، فرغم أنها خيالية محضة فهي تثير في نفس القارئ ردود فعل عاطفية قوية، فيرى القارئ العالم من خلال عيني شخص آخر، كما تُحاول القصة أن تريه الأمور من زاوية مختلفة، حيث يشترك فيها

عدد معين من الشخصيات يتم التعريف عنهم من خلال القصة، يعيش القارئ معهم حتى نهاية القصة والوصول إلى الحل بعد تفاقم العقد وتصاعد الأحداث.

5.2.3 أنواع القصة

ينقسم الفن القصصي غالبا إلى قصة ورواية، أما الرواية فهي أكبر الأنواع القصصية حجما، وفي الواقع أصبحت ملحمة العصر الحديث، وتطور تطورا مذهلا حتى صار ديوان العصر الحديث، وهي تجربة أدبية تصور بالنثر حياة مجموعة من الشخصيات تتفاعل مجتمعة لتؤلف إطار عالم متخيل، قريب من الواقع الذي يعيش فيه الكاتب، وتشتمل على أحداث زمن طويل، أما القصة فهي تجربة أدبية تعبر عن لحظة في حياة الإنسان، يقوم على التركيز والتكثيف في وصف تلك اللحظة ولا يهتم بتفاصيلها.

يكتفي الكاتب في القصة بالاهتمام بحادثة معينة دون التفصيل في ذكر نتائجها ودوافعها ومقدماتها، ولا يقف على سبر باطن الشخصيات، وفي الرواية تظهر جميع العناصر الفنية واضحة، ليس للقصة قالب معين كقالب الحوار للمسرحية، فيمكن أن تصاغ في قالب رسائل أو مذكرات أو يوميات أو رحلات أو في قالب سرد قصصي على لسان شاهد عيان، ويمكن للقاص أن يبدأها من أول حوادثها ثم يمضي بالحوادث مسلسلا لها مع الزمن، وله أن يبدأها من نهايتها أو من فترة معينة من حياة الشخصية.

ويوجد أنواع كثيرة من القصص مثل الحكاية: وهي وقائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيها الكاتب بقواعد فن القصص والسرد الدقيقة، منها القصة القصيرة: وهي تمثل حدثا واحدا في نفس الوقت والزمان، والأقصوصة: وهي أقصر من القصة القصيرة وتقوم على رسم منظر ما،

من أنواع القصة القصيرة من حيث الموضوعات التي تعالجها:

1- القصة التسجيلية: هي تلك القصص التي لا تهتم بالطريقة التقليدية لكتابة القصة، ولا بالخواطر الوجدانية، بل تنبع من خيال الكاتب عن طريق إطلاق معين من فكر الكاتب

2- القصة الميثولوجيا: هي مزيج بين زمن الأساطير والزمن الحديث، وتعتمد على سحر الخيال الذي يوجد في الأساطير

3- القصة الفانتازيا: هي من الأنواع الأشرس من أنواع القصص القصيرة، تكون أفكارها فوضوية ولا تتقيد بالواقع

4- القصة السيكولوجية: يعتمد هذا النوع من القصص القصيرة على أن الكاتب تتحول أحاسيسه ومشاعره إلى كلمات، ومن خلال القصة يتمكن من عكس أفكاره وخواطره النفسية، ويكون هذا النوع من القصص مشتملا على الكثير من خفايا النفس البشرية.

5.2.3 عناصر القصة

تتكون القصة من مجموعة عناصر مهمة:

1- الفكرة أو الرؤية: وهي جوهر العمل الفني والغاية التي يسعى الكاتب إلى عرضه أمام القارئ، وتتضمن العبرة

والدرس التي يريد نقلها إلى القارئين، ولكنها تكون متوارية ضمن سرد القصة، وتمثل نظرة الكاتب للحياة، فبإبداع الرؤى يختلف الكاتب الكبير عن الكاتب الصغير.

2- الحدث: وهو عبارة عن معادل موضوعي لقضية فكرية يريد الكاتب إيصالها إلى القارئ، تتجسد من خلالها الرؤية، القصة تروي خبرا كأنه حدث في زمن، ويتضمن على وقائع وأفعال مرتبة ترتيبا منطقيا، تصور الشخصيات والصراع الذي يعيشونه، من خلال سرد القصة، والحدث يحرك الشخصيات ويديرها على صفحات القصة وتكون الشخصيات تابعة للحدث، ولذلك ينمو الحدث نموا فنيا متناغما، ويزيد هذا النمو حسنا وبهاء في القصة.

يختار القاص موضوعه من تجاربه النفسية وسلوكها وأهوائها أو تجارب الآخرين من المجتمع نقدا وتحليلا، ومن ثقافته الواسعة من الفكر والفلسفة، ومن تاريخ الشعوب ومن الوثائق المختلفة.

3- الشخصيات: الشخصية لها أهمية كبرى في القصة حيث إن القصة مواقف إنسانية لا يتم صياغة القصة إلا من خلال عرض أشخاص واقعية أو خيالية تدور الأحداث حولهم وتحديد معالمهم الشخصية، يصور الكاتب من خلالها أمورا وأبعادا عديدة، وتعد الشخصيات العمود الفقري للقصة ولذلك اعتبر بعض النقاد القصة "فن الشخصية".

تنقسم الشخصيات على نوعين: 1- شخصية ثابتة تمثل صفة أو عاطفة واحدة من مبدأ القصة حتى نهايتها ويعوزها عنصر المفاجأة، 2- وشخصية نامية تتطور وتنمو قليلا قليلا وفقا لتطور القصة، وذلك بحسب الثبات والظهور، وأما أنواع الشخصيات بحسب الدور فمنها شخصيات رئيسية تلعب الأدوار ذات الأهمية الكبرى، وشخصيات ثانوية؛ دورها مقتصر على مساعدة الشخصيات الرئيسية وربط الأحداث فقط.

4- الحبكة: وهي المجرى العام للأحداث المتتابعة والمتسلسلة التي يتم بها سرد الوقائع في القصة، ومن خلال ذلك الترتيب يتعرف القارئ على أسباب الأحداث ونتائجها، وهي فن ترتيب الحوادث وسردها وتطويرها، فيكون هناك حبكة محكمة تقوم على حوادث مترابطة تتشابك بعضها مع بعض حتى تبلغ الذروة، وأخرى حبكة مفككة يورد فيها القاص أحداثا متعددة غير مترابطة برابط السببية.

5- البيئة: هي الزمان والمكان والحيز الطبيعي الذي يحيط بالفرد ويؤثر على تصرفاته، لأن أحداث القصة تقع في زمان ومكان وبيئة محددة، فهي عنصر مهم في القصة، كثيرا ما يلجأ القاص إلى تصوير البيئة قبل ذكر الأدوار القصصية التي تلعبها الشخصيات في القصة.

6- العقدة والحل: العقدة هي المشكلة التي يواجهها بطل القصة ويتوجب عليه إيجاد مخرج منها وهو الحل، وتأتي القصة إلى الحل بعد تصاعد العقدة والصراع النفسي للبطل إلى ذروتها، ويكون هذا التصاعد هو عامل التشويق في نفس القارئ.

7- الحوار والسرد: الحوار هو ما يدور من حديث بين الشخصيات، ويشكل جزءا فنيا مهما من عناصر القصة لأنه يوضح طبيعة الشخصية التي تفكر بها ومدى وعيها بالقضية أو المأساة التي تشكل حياتها المتخيلة، ويكون الحوار تارة مع غيره من الشخصيات أو مع النفس حيث يفكر أو يتحدث بلا صوت.

والسرد هو الأسلوب أو الطريقة التي يصف أو يصور به الكاتب جزءا من الحدث أو جانبا من جوانب الزمان أو المكان اللذين يدور فيهما، يمكن أن يكون السرد بطرق مختلفة، فتارة يختار الأديب أسلوبا وصفيا أو أسلوب سرد قصصي أو طريقة الرسائل.

وعليه يعتمد أسلوب القصة، فإن للأسلوب مكانة مهمة في أي عمل أدبي صغير أو كبير، لأنه هو الذي يأذن لإنتاج الأديب التسرب إلى داخل قلب القارئ، وهو صلة وصل بينه وبين المؤلف والقارئ، وهو المطية التي يستطيع الكاتب من خلالها تحقيق أهدافه الفنية التي يريدها الكاتب من جمع الشخصيات والحوادث والبيئة، ولذلك يكون أسلوب القصة أسلوبا مطنبا يمس جوانب متعددة من نفسية الشخصية على لسانها ولسان غيرها من الشخصيات. وكذلك اللغة أيضا عنصر مهم من عناصر القصة كما أنها عنصر مهم في سائر الفنون الأدبية، تسهم في بث الروح في القصة وجعلها كائنا نابضا بالحياة، لا بد أن تكون اللغة ذات طابع شعري عال.

5.3 نشأة القصة وتطورها

يعود تاريخ القصة إلى ما قبل معرفة الإنسان الكتابة، ولذلك كانت أكثرها في العالم القديم ذات قالب شعري، فقد عرفت الحضارات الشرقية من كنعان وبلاد الرافدين والهند ووادي النيل وفارس والحضارات الغربية مثل اليونان والرومان فن القصص في مختلف أشكالها وأنماطها، وكان موجودا في التراث العربي منذ زمن مبكر، في مختلف الأشكال والأنماط، ولكن بأسماء مثل الأخبار والحكايات والقصائد عن أيام العرب والوقائع والأحداث الأخرى، كانت بذور القصة الأولى تكمن في الخرافة والأسطورة والحكاية عند العرب، كانت أيام العرب وحروبهم مادة خصبة للقصص، كما كان الشعر العربي القديم أيضا حافلا بكثير من القصص، ولما جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم واشتغل الناس به خمد هذا النشاط القصصي قليلا، ولكن القرآن الكريم اتخذ القصص من أساليبه المختارة، كما استخدمه الرسول ﷺ في أساليب دعوته، ثم في العصر الأموي بدأ هذا الفن ينشط من جديد وظهر قصاصون في المساجد ومجالس الخلفاء وقصور الحكام.

وفي العصر العباسي انتشرت الكتابة ونشطت حركة الترجمة والتأليف، ونشأت وتشكلت علوم جديدة، وكانت كتب الأدب حينذاك حافلة بأخبار الماضين وحكايات الغابرين، واشتهرت منها كتب الجاحظ مثل "البخلاء" و"الحيوان" والتي احتوت على الحكايات والأخبار، وكثر التدوين في هذا العصر، وظهرت كتب وتأليفات ومدونات.

والقصص العربية في عصورها الأولى كانت على نوعين: الأول قصص موضوعة أو مؤلفة مثل قصص عنترة والأميرة ذات الهمة ومجنون ليلى وسيرة بني هلال وما إليها، والثاني قصص منقولة أو مترجمة مثل كتاب "كليلة ودمنة" و"ألف ليلة وليلة"، والقصص الموضوعة كانت مستقاة من أصول تاريخية، وأشخاصها أبطال حرب أو حب حقيقيون، ولكنها تغيرت بمرور الزمن عندما تناقلتها ألسن الرواة، ومعظم القصص العربية الموضوعة عديمة القيمة لغة وموضوعا وتأليفا، فقد وضعت للتسلية فحسب وكتبت بأسلوب مهلهل يرضى العامة قبل الخاصة، ورغم كل ما فيها من العيوب فقد نجحت إلى حد ما في تصوير المجتمع العربي في العصور التي ألفت فيها.

فكان من القصص الموضوعة القصص الغرامية مثل قصص مجنون ليلى وجميل بثينة وقيس لبنى، وقصص الحرب والبطولة أو قصص العوام مثل عنترة والزير سالم وبني هلال والبطال والبراق التي منها حرب البسوس، والقصص العلمية والفلسفية مثل و"رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري، و"حي بن يقظان" لابن الطفيل، وكتاب "الإنسان والحيوان" لإخوان الصفا، ثم ظهر فن المقامات الذي اهتم بالعرض والمحسنات اللفظية، مثل "مقامات" بديع الزمان الهمذاني و"مقامات" الحريري والزمخشري، وقد تأثر بالمقامات في العصر الحديث أمثال ناصيف اليازجي وأحمد فارس الشدياق ومحمد المويلحي وحافظ إبراهيم والذين كتبوا على نمط المقامات.

ومن القصص المترجمة من اللغات الأجنبية كتاب "كليلة ودمنة"، ترجمه إلى اللغة العربية الأديب الكبير عبد الله بن المقفع من اللغة البهلوية (الفارسية)، وكان أصله من الهند، كما ظهر كتاب "ألف ليلة وليلة" في العالم العربي، وكانت هذه الكتب هي الجيل الأول من القصة العربية، والإرهاصات الأولى لفن القصة المتعارف عليه الآن.

يلخص محمود تيمور أهم الأسباب التي دعت العرب لإهمال القصة الفنية أو عدم تطورها عندهم في أمرين، أولهما قلة الأساطير عندهم بتأثير البئية البدوية والصحراوية في عقلية العربي، وثانيهما اعتزار العرب بآدابهم معتقدين أنها متفوقة على باقي آداب الأمم الأخرى ولأن تلك الآداب كانت مليئة بالقصص الإلهية والتي يمكن أن تفسد عقائد الناس.

5.3.1 القصة في العصر الحديث

تأخر ظهور القصة القصيرة ونضوجها في الأدب العربي حتى إلى القرن التاسع عشر لأن العرب كانوا يعتقدون أنها فن غربي غير ملائم مع البيئة العربية، وأن تقليد الغرب سيؤدي إلى إفساد قيمة الأدب العربي الموروث، ولذلك لم يشتغل بها كبار الكتاب والأدباء، ولم تكن هناك وسائل كافية لنشر القصة وإشاعتها، ومع ازدهار الصحافة والطباعة لاقت رواجا واسعا بين القراء.

كان الشكل المقامي هو الشكل القصصي الذي حاول العرب إحياءها في بداية عصر النهضة الأدبية في القرن التاسع عشر، فألف ناصيف اليازجي كتابه "مجمع البحرين" سنة 1856م، وألف عبد الله باشا فكري "المقامة الفكرية"، وكان في تلك المؤلفات من مقومات القصة القصيرة الشيء الكثير، ثم ألف أحمد فارس الشدياق كتابه "الساق على الساق في ما هو الفارياق" والذي يعده بعض النقاد البداية الحقيقية للقصة القصيرة في الأدب العربي الحديث، ونشر محمد المويلحي كتابه "حديث عيسى بن هشام" على هذا المنوال، وهكذا كانت بداية الفن القصصي في العصر الحديث.

نشأت القصة القصيرة الفنية في الأدب العربي في العصر الحديث، ولم تنشأ من أصل عربي فنا متكاملا ولو كانت موجودة من ناحية الموضوع، فقد تأثرت بالأدب الأوروبي مباشرة بعد النهضة الأدبية الحديثة، حيث نشطت موجة الترجمة والاقتباس عن الغرب بعد الاطلاع على قصصها وروايتها، وظهرت أعمال أدبية في العالم الغربي على الساحة الأدبية العربية، وأحدثت تلك الأعمال آثارا إيجابية في البنية الفكرية العربية، بعد ما سادت على النشاطات الأدبية فترة من السكون.

تعد الترجمة من أهم القنوات التي وصلت من خلالها الفن القصصي الغربي إلى الأدب العربي الحديث، فأول قصة غربية نقلت إلى العربية هي "مغامرات تليماك" للكاتب الفرنسي فينلون والتي عربها رائد حركة الترجمة رفاعة الطهطاوي بعنوان "مواقع الأملاك في وقائع تليماك" عام 1867م، أدت مجلة "الجنان" التي أصدرها المعلم بطرس البستاني ببيروت دورا كبيرا في نقل الأدب الغربي إلى العربية وفتحت صفحاتها للمحاولات القصصية الأولى في اللغة العربية، ثم قام نجيب حداد ومحمد عثمان جلال بترجمة بعض الأعمال الأدبية الغربية، كما ترجم مصطفى لطفي المنفلوطي قصصا فرنسية مثل "بول وفرجيني" لبرنار دين دي سان بير وسماها "الفضيلة"، وقصة "ماجدولين" لألفونس كار وقصة الشاعر أو سيرانودي برجراك لأدمون روستان مع إعادة كتابة القصة وتمصيرها والتصرف فيها

بحرية وتحويلها إلى أسلوب عربي رصين، مما هيأت الذهن العربي لقبول فن القصة القصيرة على نطاق واسع.

تطورت القصة من مرحلة الاقتباس والترجمة من الأدب الغربي إلى مرحلة التأليف في بداية القرن العشرين، فإن أول قصة عربية فنية متكاملة وبمعنى الكلمة الحديثة هي "في القطار" للأديب المصري محمد تيمور (ت 1921م) والتي نشرت في جريدة "السفير" سنة 1917م، وقد أسهم محمد تيمور في ترسيخ قواعد وأصول القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث، وقدموها إلى المجتمع كفن له قواعده وأصوله، كتب ست قصص جمعت بعد وفاته في كتاب بعنوان "ماتراه العيون"، وهناك آراء تقول إن أول قصة عربية ظهرت في العصر الحديث هي "سنتها الجديدة" للكاتب المهجري ميخائيل نعيمة (ت 1988م)والتي نشرت عام 1914م، ورأي آخر يقول إنها قصة "العاقر" لميخائيل نعيمة أيضا والتي نشرت عام 1915م، ويرى بعض الباحثين أن محمود عزي نشر أول قصة له في مجلة "السفور" عام 1915م باسم "علي وسميرة" وبذلك يكون أول من كتب قصة فنية مكتملة العناصر.

وبعد ذلك ساهم في هذا الفن الأخوان شحاتة عبيد وعيسى عبيد، أصدر الأول منهما مجموعة بعنوان "درس مؤلم" 1922م، وأصدر الثاني مجموعتين "إحسان هانم" 1921م و"ثريا" 1922م، وأصدر أحمد حسن الزيات مجلة "الرواية" لنشر القصة والرواية، وكتب محمود تيمور أخو محمد المذكور عشرين مجموعة قصصية تضم أكثر من ثلاثمائة قصة في الفترة 1920م – 1973م، وظهر إلى النور ما سمي "المدرسة الحديثة في القصة" والتي قادها "أحمد خيرت سعيد" من خلال مجلة "الفجر" التي كان شعارها الهدم من أجل البناء، ومن أبرز أعضاء هذه المدرسة: حسين فوزي، ويحيى حقي الذي أصدر عدة مجموعات من القصص ، وإبراهيم المصري، وحسن محمود، وسعيد عبده، ومحمود البدوي.

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت مجموعات قصص كثيرة لكتاب بارزين من أمثال: توفيق الحكيم(م:1987م) في مجموعاته "عهد الشيطان" و"سلطان الظلام" و"ليلة زفاف"، ونجيب محفوظ(م: 2006م) في مجموعاته "همس الجنون" و"رأيت فيما يرى النائم" و"صباح الورد" و"الفجر الكاذب" و"صدى النسيان" و"شهر العسل" و"الحب فوق هضبة" و"دنيا الله"، وإبراهيم عبد القادر المازني(م: 1949م) في مجموعاته "صندوق الدنيا" و"خيوط العنكبوت" و"في الطريق".

ثم نضج الفن القصصي في اللغة العربية وازدهر في شكله ومضمونه، ولا يزال هذا التطور متواصلا إلى يومنا هذا، وانتهجت القصة في الفترة بعد الحرب العالمية الثانية كثيرا من الاتجاهات الفنية مثل الرومانسية والواقعية، وتنوعت ألوانها وأشكالها من القصة القصيرة والأقصوصة والقصة القصيرة جدا، واخترقت القصص الحدود القومية إلى رحاب العالمية، وترجمت الأعمال القصصية العربية إلى مختلف اللغات الأجنبية مما جعل الفن القصصي العربي أدبا عالميا .

من رواد القصة العربية في مصر محمد تيمور(م: 1921م) وعيسى عبيد، وشحاتة عبيد ومحود تيمور(م1973م) ومحمد طاهر لاشين(م:1954م)، وحسين فوزي(م: 1962م) ويحيى حقي(م: 1992م) ومحمود البدوي(م:1986م)، ويوسف إدريس(م:1991م)، وإدوار الخراط(م:2015م) وجمال الغيطاني(م:2015م) ونجيب

محفوظ وطه حسين(م:1973م) وتوفيق الحكيم وغيرهم.

ومن روادها في المغرب عبد المجيد بن جلون(م:1981م)، ومحمد زفزاف(م:2001م)، ومحمد برادة (من مواليد 1938م) وإدريس الخوري(م:2022م) وغيرهم. وفي الجزائر محمد سعيد الزهاوي، وعثمان سعدي وعبد الله ركيبي والطاهر وطار وغيرهم، وفي السودان عبد الحليم محمد والسيد الفيل وخليل علي وعثمان علي نور وغيرهم، وفي سوريا زكريا تامر وحيدر حيدر ومحمد حيدر وغيرهم، وفي العراق عبد الملك نوري وفؤاد التكرلي وذو النور أيوب وغيرهم، وفي فلسطين نجاتي صدقي وجبرا إبراهيم، وعبد الحميد ياسين وسميرة عزام وغسان كنفاني وغيرهم، وفي الأردن محمود سيف الدين الإيراني وأحمد الدباغ ومحمد صبحي وغيرهم، وفي لبنان أمثال وداد سكاكيني.

وفي عالم المهجر كان جبران خليل جبران(م:1931م)، وميخائيل نعيمة(م: 1988م) من رواد القصة، ومن رواد القصة في السعودية أحمد عبد الغفور العطار(م: 1991م) ومحمد حسن عواد(م: 1980م) وعبد الواهاب آشي(م:1985م) وخالد خليفة(من مواليد 1964م)، وفي الكويت فاضل خلف(من مواليد 1927م) وفاطمة يوسف العلي(من مواليد 1953م) وثريا البقصمي وليلى عثمان وسعاد عبد الرحمن الولايتي، وفي قطر عيسى منصور ونورة السعد، وفي الإمارات عبد الله صقر وعبد العزيز الشرهان ومريم جمعة فرج، وشيخة التاجي وعائشة الزعابي ومحمد المر وغيرهم.

5.4 التمرينات

5.4.1- أسئلة للمراجعة

1- ما معنى القصة لغة واصطلاحا
2- ماذا تعرف عن أهمية القصة ووظيفتها في المجتمع؟
3- ما هي أنواع القصة؟
4- ما المراد بالقصة الميثولوجيا؟
5- اكتب فقرة عن أهم عناصر القصة؟
6- ما أنواع الشخصيات في القصة؟
7- ما المراد بالعقد والحل في القصة؟
8- ناقش مكانة الأسلوب واللغة في العمل القصصي.
9- ما الفرق بين القصص الموضوعة والقصص المترجمة؟ بين مع المثال
10- من هم أبرز كتاب المقامات عبر العصور؟
11- لم تأخر ظهور القصة الفنية في الأدب العربي؟
12- ما هو الدور الذي أداه فن المقامة في ظهور القصة الفنية في الأدب العربي؟
13- ماذا تعرف عن مرحلة الترجمة والاقتباس في مراحل تطور القصة؟
14- اذكر ثلاثة أسماء من رواد الفن القصصي في مصر.
15- ما هو السرد وما أهميته في القصة الفنية؟

16- ما الفرق بين القصة والرواية؟

5.4.2- نشاطات الوحدة

1- حاول الاطلاع على ثلاث من القصص القصيرة المشهورة في الأدب العربي واقرأها واكتب مذكرة حول كل قصة منها محللا وجود عناصر القصة فيها وقيمتها الفنية.
2- قم بإقامة استطلاع في المكتبات والمواقع الإلكترونية لاكتشاف أسماء كتاب القصص المعاصرين وأعد ترجمة يسيرة حول عشرة أدباء منهم على الأقل.

5.5 أهم النتائج من دراسة الوحدة

بعد مطالعة ومدارسة هذه الوحدة يحقق الطالب الأهداف التي من أجلها تم تصميم هذه الوحدة، وتتمثل تلك النتائج في النقاط التالية:

- تم الاطلاع على مفاهيم أساسية حول فن القصة في الأدب العربي وتعريفها لغة واصطلاحا وأنواعها المختلفة وأهميتها ووظيفتها في المجتمع.
- تم التعرف على عناصر القصة الفنية والتي بدونها لا تكتمل القيمة الفنية للقصة.
- تمت المسايرة مع القصة ونشأتها وتطورها في مختلف العصور والأمصار، مع نبذة يسيرة حول شأن القصة منذ الجاهلية وحتى العصر الحديث.
- اطلع الدارس على بعض أسماء بارزة في مجال كتابة القصة وبعض الكتب المهمة في مجالها، كما اطلع على أسماء رواد فن القصة في العالم العربي.
- تم التعرف على بعض المفردات المتعلقة بفن القصة والتي لا يستغني عنها دارس الأدب العربي.
- تم تعريف الطالب عن أساليب اختبار فهمه واستيعابه من خلال الأسئلة للمراجعة والأنشطة المختلفة وغيرها وتقديم أسئلة نموذجية تسهل على الطالب الاستعداد للامتحانات.

5.6 أسئلة الاختبار النموذجية

5.6.1 أسئلة موضوعية

1- "رسالة الغفران" ألفها .....

أ) طه حسين ب) أبو العلاء المعري

ج) توفيق الحكيم د) ابن الطفيل الأندلسي

2- من هو مؤسس فن المقامات؟

أ) بديع الزمان الهمذاني ب) أبو القاسم الحريري

ج) الإمام الزمخشري د) ناصيف اليازجي

3- كتاب "كليلة ودمنة" ترجمه إلى العربية من الفارسية .....

أ) حنين بن إسحاق ب) عمرو بن بحر الجاحظ

ج) عبد الله بن المقفع د) أبو العلاء المعري

4- كتاب "مجمع البحرين" الذي تم تأليفه على الشكل المقامي ألفه .....

أ) محمد المويلحي ب) رفاعة الطهطاوي

ج) أحمد فارس الشدياق د) ناصيف اليازجي

5- أول قصة عربية فنية متكاملة وبمعنى الكلمة الحديثة هي .....

أ) في القطار لمحمد تيمور ب) زينب لمحمد حسين هيكل

ج) العاقر لميخائيل نعيمة د) مواقع الأملاك في وقائع تليماك للطهطاوي

6- ليس من مجموعات قصص نجيب محفوظ مما يلي:

أ) صباح الورد ب) سلطان الظلام

ج) الفجر الكاذب د) شهر العسل

7- غسان كنفاني قاص وروائي شهير من دولة .....

أ) فلسطين ب) العراق ج) مصر د) السعودية

8- أول قصة غربية نقلت إلى العربية هي ..... للكاتب الفرنسي فينلون

أ) مغامرات تليماك ب) بول وفرجيني

ج) سيرانودي برجراك د) ماجدولين

9- كتاب "الحيوان" وكتاب "البخلاء" ألفهما الجاحظ في العصر .....

أ) الإسلامي ب) العباسي

ج) الأموي د) العثماني

10- "حي بن يقظان" لابن الطفيل الأندلسي قصة .....

أ) غرامية ب) بطولات حرب

ج) فلسفية د) مترجمة

5.6.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- ما معنى القصة لغة؟

2- ما المراد بالقصة الميثولوجيا؟

3- اذكر ثلاثة أسماء لرواد فن القصة من مصر

4- من هم أبرز كتاب المقامات عبر العصور؟

5- اكتب أنواع الشخصيات في القصة حسب الثبات والظهور.

5.6.4 أسئلة الإجابة الطويلة

1- اكتب مقالة حول عناصر القصة ودورها في فنية القصة.
2- كيف كان تطور القصة في العصر الحديث؟
3- اكتب عن أكبر رواد القصة من مصر.

5.7 الكلمات الصعبة ومعانيها

الكلمات	المعاني بالإنكليزية
الأدب السردي:	Narrative literature
رائد (ج) رواد:	Pioneer
احتكاك الحضارات:	Mingling/ Interaction of Civilizations
الرواية:	Novel
المسرحية:	Drama
القصة القصيرة:	Short story
تكثيف السرد:	Intensifying the narration
الحدث:	Incident
الشخصية:	Character
الحبكة:	Plot
العقدة والحل:	Conflict and resolution
تمصير:	Egyptianization
ترسيخ القواعد:	Consolidating the foundation
الرومانسية:	Romanticism
الواقعية:	Realism
الحرب العالمية:	World war

5.8 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

7- أحمد أبو سعيد، فن القصة، دار الشرق الجديد، عمان 1959م.
8- أحمد أمين، فجر الإسلام، الطبعة العاشرة، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، 1969م
9- عبد الشافي الشوري، التراث القصصي عند العرب، مكتبة شباب، مصر، 1991م.

10- د. رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1964م.
11- الدكتور محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955
12- د. محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة
13- شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، دار الفكر العربي، 1924م
14- محاضرة محمود تيمور، ألقاها في الجامعة الأمريكية حول "نشوء القصة وتطورها"، المطبعة السلفية 1936

الوحدة: 6

"الدفين الصغير"

لمصطفى لطفي المنفلوطي

عناصر الوحدة

6.0 التمهيد

6.1 أهداف الوحدة

6.2 "الدفين الصغير" من كتاب "النظرات" لمصطفى لطفي المنفلوطي

6.2.1 نبذة عن كتاب "النظرات"

6.2.2 نبذة عن الكاتب مصطفى لطفي المنفلوطي

6.2.3 ملخص قصة "الدفين الصغير"

6.2.4 نص القصة

6.2.5 معاني المفردات الصعبة

6.2.6 تحليل نص القصة

6.3 التمرينات

6.4 نتائج التعلم

6.5 الكلمات الصعبة ومعانيها

6.6 أسئلة الاختبار النموذجية

6.7 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

6.0 التمهيد

إن القصة فن أدبي معروف لدى العرب منذ الزمن القديم. وقد تطور على مرِّ الدهور وتأثّر بالعوامل التي أحاطت به في العصر الحديث كما تأثر بالتيارات الغربية حتى صار في شكله الذي نشهده الآن. وقد أحدث الفن القصصي ثورة في الأدب العالمي من خلال معالجتها للقضايا المختلفة في الحياة الاجتماعية للجنس البشري والتوعية عنها وإيجاد حلول لها. ولا شك أن دارس الأدب العربي لا يستغني عن الاطلاع على هذا الفن ورواده وأبرز الأعمال فيه.

فمن هذا المنطلق تم إعداد هذه الوحدة لتزويد الطلاب بإطلالة على فن القصة في الأدب العربي الحديث، فنتعرف في هذه الوحدة على قصة "الدفين الصغير". وهي قصة كتبت في مرحلة نشوء الفن القصصي، ولو لم ترتفع إلى مكانة قصة فنية بمعنى الكلمة. وكتبها مصطفي لطفي المنفلوطي، الأديب المصري الكبير والكاتب القدير والمؤلف النابغ في الإنشاء والأدب العربي، الذي انفرد بأسلوب نقي في مقالاته وقصصه، والذي يمثل المرحلة التي تحول فيه الأدب العربي من التقليد والجمود إلى الإبداع والحركة. ونص القصة مأخوذ من كتاب "النظرات".

6.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى:

- تزويد الطالب بنموذج راق من الإبداعات المؤلفة في مسيرة القصة العربية عبر العصور وتمكينه من قراءته وتذوقه والتمتع به.
- التعريف بكتاب "النظرات" من خلال إحدى قصصها، وكاتبه مصطفى لطفي المنفلوطي.
- قراءة نص قصة "الدفين الصغير" وتوضيح كلماتها وأسلوب الكاتب فيها، مع تقديم خلاصة وجيزة للقصة قبل البدء في قراءة النص.
- تحليل القصة من النواحي المختلفة من حيث مضمونها ووجود العناصر الفنية واللغوية والبلاغية فيها وجودتها ومكانتها في الفن السردي.
- تحديد الإفادة من النص في الحياة.
- الإيقاف على ملامح البيئة التي جيء بها النص زمانا ومكانا وثقافة.

6.2 "الدفين الصغير" من كتاب "النظرات" لمصطفى لطفي المنفلوطي

"الدفين الصغير" قصة قصيرة من أوائل ما كتب في هذا الفن، وهذا النص مأخوذ من كتاب "النظرات" للأديب المصري الكبير مصطفى لطفي المنفلوطي، والذي يعدّ من أبلغ كتّاب القرن العشرين. وقد تمكّن المنفلوطي من تكوين مكان فريد له في الأدب العربي، وشقّ طريقه إلى صفوف الأدباء العظام، بأسلوب يأخذ بِلُبِّ القَارِئ، ويُشغل ذهنه، وفتح نافذة جديدة في نوافذ الإنشاء والنثر في الأدب العربي. وكتابه "النظرات" يعدّ من أبلغ وأجمل كتب الأدب في العصر الحديث.

6.2.1 نبذة عن الكاتب مصطفى لطفي المنفلوطي

الكاتب الكبير مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المنفلوطي (1289 - 1343 هـ / 1872 - 1924 م) أديب مصري من مواليد منفلوط(من مدن الوجه القبلي بمصر)، نابغة عصره في الإنشاء والأدب، كان منفردا بأسلوب نقي في مقالاته وكتبه، وله شعر جيد فيه عذوبة ورقة، وكان منتميا إلى أسرة حسينية. وهي مشهورة بالتقوى والعلم والقضاء. نهج المنفلوطي سبيل آبائه في الثقافة والتحق بكتاب القرية كالعادة المتبعة في البلاد آنذاك، فحفظ القرآن الكريم كله وهو في التاسعة من عمره، ثم أرسله أبوه إلى الجامع الأزهر بالقاهرة تحت رعاية رفاق له من أهل بلده.

وكان المنفلوطي كثير المطالعة في كتب: الأغاني والعقد الفريد وزهر الآداب، وسواها من آثار العربية الصحيحة. وكان هذا التحصيل الأدبي الجاد، الرفيع المستوى، الأصيل البيان، الغني الثقافة، حريا بنهوض شاب كالمنفلوطي مرهف الحس والذوق، شديد الرغبة في تحصيل المعرفة. واتصل بالشيخ (محمد عبده) اتصالا وثيقا. وسجن بسببه ستة أشهر، لقصيدة قالها الشيخ محمد عبده تعريضا بالخديوي عباس حلمي، وقد عاد من سفر، وكان على خلاف مع محمد عبده.

وابتدأت شهرته تعلو منذ سنة 1907 بما كان ينشره في جريدة (المؤيد) من المقالات الأسبوعية تحت عنوان (النظرات)، وكان ينشر في بعض المجلات الإقليمية الأخرى كمجلة "الفلاح"، و"الهلال"، و"الجامعة" و"العمدة"، وولي أعمالا كتابية في وزارة المعارف (سنة 1909) ووزارة الحقانية (1910) وسكرتارية الجمعية التشريعية (1913) وأخيرا في سكرتارية مجلس النواب، واستمر إلى أن توفي.

وفي الثامن عشر من يوليو عام 1924م، أصاب المنفلوطيَّ احتباس في البول أدّى إلى تسمم في الدم، وأعقبه ذلك تدهور في صحته وإصابته بذبحة صدرية، حتى رحلت شمس مصطفى لطفي المنفلوطي عن العالم في يوم الجمعة الموافق الخامس والعشرين من شهر يوليو عام 1924م، تاركًا خلفه تراثًا أدبيًا وشعريًا يُضيء الدرب لكل من أتى بعده.

كان المنفلوطي قطعة موسيقية في ظاهره وباطنه، فكان مؤتلفَ الخلق متلائمَ الذوق متناسقَ الفكر متسّقَ الأسلوب منسجمَ الزِي، سليمَ الفكر، كما كان أديبا موهوبا مطبوعا على الأدب، حظُّ الطبع في أدبه أكثرُ منْ حَظِّ الصنعة؛ لأن الصنعة لا تخلق أدبا مبتكرا ولا أديبا ممتازا ولا طريقة مستقلة. كان النثر الفني في عصره مائلا إما إلى أساليب العصر العباسي أو العصر المملوكي، ولكنه لم يكن مضروبا على أحد القالبين. كان أسلوبه في الأدب بديعا أنشأه طبعه القوي على غير مثال سابق. كان من أوائل كتّاب القصص القصيرة، فاجأ الناس بقصصه الرائعة ويعده بعض النقاد أنه في النثر بمنزلة محمود سامي البارودي في الشعر.

وللمنفلوطي أعمال أدبية كثيرة، منها كتاب (النظرات) في ثلاثة أجزاء والذي أخذ منه النص الذي نريد قراءته في هذه الوحدة، ورواية (في سبيل التاج) ترجمها المنفلوطي من اللغة الفرنسية وتصرف بها، وكتاب (العبرات) الذي يضم تسع قصص: ثلاثة وضعها المنفلوطي وواحدة مقتبسة من قصة أمريكية وخمس قصص عربها المنفلوطي، و(مختارات المنفلوطي) من أشعار المتقدمين ومقالاتهم، ورواية سيرانو دي برجراك (الشاعر) لأدمون رستان ترجمها من الفرنسية، ورواية تحت ظلال الزيزفون (مجدولين) لـ "ألفونس كار" ترجمها من اللغة الفرنسية ورواية بول وفرجيني (الفضيلة) لـ"برناردي سان بيير"، صاغها بأسلوبه البليغ الرصين صياغة حرة لم يتقيد فيها بالأصل، فأضافت إلى ثراء الأدب العربي ثروة وكانت للفن القصصي الحديث قدوة. ولم يكن المنفلوطي يحسن الفرنسية، وإنما

كان بعض العارفين بها يترجم له القصة إلى العربية، فيتولى هو وضعها بقالبه الإنشائي، وينشرها باسمه.

يقول الدكتور شوقي ضيف في "الأدب العربي المعاصر في مصر": "ومن غير شك أفسد هذه القصص الفرنسية بتمصيره، إذ أحالها عن أصلها، وكأنه ظن القصة مجموعة من المقالات في غير حبكة، ومن ثم أدخل في هذه القصص تغييرا واسعا وهو تغيير لم يستطع إحكامه إذ كانت تنقصه موهبة القصاصين، ويتضح ذلك في قصصه التي حاول أن يؤلفها إذ ينقصها الخيال والدقة في مراقبة أحداث الحياة وتجارب الأشخاص، كما أنه تنقصها طرافة المفاجأة، وإذا كان في هذه القصص شيء يعجب به القارئ فهو الأسلوب المصفى الذي يتميز به المنفلوطي، والذي أتاح لمقالاته أن تذيع وتنتشر في الناشئة من عصره إلى يومنا الحاضر."

6.2.2 نبذة عن كتاب "النظرات"

إنّ كتاب "النظرات" مجموعة مقالات ورسائل يقع في ثلاثة أجزاء، وكان المنفلوطي ينشرها في جريدة "المؤيد" التي كان يحررها الشيخ علي يوسف، في أعمدة أسبوعية تحت عنوان "النظرات" أو غيرها من العناوين، بدءًا من عام 1907م، ومقالات كتبها ولم ينشرها، ويتضمن الكتاب أيضا على مقطوعات شعرية وقصائد كان ينشرها في بعض الجرائد والمجلات أيضا، كما يتضمن على ما يقرب من ثلاثين قصة تسحر النفوس وتجذب القراء، وبعض تلك القصص مترجم أو مقتبس من اللغة الفرنسية، وبعضها الآخر مكتوب وموضوع من عند نفسه. استعان الكاتب في الكتاب بأنواع مختلفة من الفنون الأدبية مثل المقالة والقصة والقصائد كما يلجأ إلى أسلوب الخطاب والتكلم والغائب والحوار لتوصيل الرسالة إلى الناس. وناقش فيها القضايا المختلفة المتعلقة بالمجتمع والأدب والدين والسياسة، هادفا إصلاح فساد المجتمع وإحداث تغيير فيه.

صدر الجزء الأول من الكتاب عام 1910م والجزء الثاني في عام 1912 والجزء الثالث في عام 1921، فإنه لم يكن يكتب عليه الجزء الأول أو المجلد الأول وإنما تم اعتباره كذلك فيما بعد. وأسلوبه في هذا الكتاب وغيره من الكتب نقي خالص خال من العامية والسجع والتكلف والبديع والعامية التي سادت على كتابة الأدباء في عصره، وكان صاحب إبداع لم يحاول تقليد السابقين عليه ولا التقيد بأسلوبهم. نشرت مجموعة مؤلفاته بعد وفاته وفقا لموضوعاتها مثل الاجتماعيات (46 مقالة) والوجدانيات (13 مقالة) والرثاء (6 مقالة) والدينيات (7 مقالة) والأدبيات (4 مقالة) والسياسيات والرسائل والقصصية.

ويُحاول المنفلوطي من خلال مقالات كتاب "النظرات" مُعالجة بعض المشاكل التي طرأت على مجتمعه وقتها، وأيضًا بعض المشاكل التي كانت مترسخة في المجتمع. وقد خص المنفلوطي المرأة بمقالتين في هذا الكتاب يتحدث فيهما عن مكانة المرأة ودورها في الحياة، وكان ذلك بسبب تأثره بالشيخ محمد عبده، فكان يردد آراء المصلحين حوله ويؤديها بلغته التي تأسر السامع وتخلب لبه.

وقد قدم المؤلف للكتاب بمقدمة طويلة بيّن فيها حياته الشخصية والأدبية ومسيرته الفنية ونظرته إلى اللغة والأدب، وتأثره بمطالعة المواد المثيرة للهموم والأحزان ومواقف البؤس والشقاء وقصص المحزونين والمنكوبين، وتجاربه من البؤس والشقاء في الحياة الشخصية، وفقدانه للأولاد وهو على قيد الحياة، وعبر فيه عن أرائه ونظرياته عن اللغة والعلوم والأدب والثقافة والشعر والفلسفة. وهذا النص المختار تحت عنوان "الدفين الصغير" هي الرسالة الثالثة من كتاب "النظرات" الجزء الأول.

6.2.3 ملخص قصة "الدفين الصغير"

يتحدث المنفلوطي بنبرة حزينة بلسان أب ثكل طفله الصغير، يخاطب ابنه "فاضل" الذي قد سكن الثرى، كأنما كتب هذه القصة بعد مجيئه من دفن ابنه، يسكب الدمع على فراق الطفل العزيز، ويعبر عن مشاعر الحزن المتراكمة في وجدانه وألوانها المختلفة التي لا تزال تطارحه طيلة حياته، فيجد في إيمانه بقضاء الله وقدره ملجأ للتسلي والتجلد على تلك المصائب والبلايا، ويتذكر أيامًا كان الطفل فيها طريح الفراش عليلا في مرض موته، لم يأل ذلك الأب الحنون جهدا في محاولاته لإنقاذ حياة الابن العزيز، فزع الأب من استفحال أمر المرض واستشار في أمره طبيبا وكان الأب يضع الدواء المرير الذي وصفه الطبيب في فم الولد رجاء شفائه، حتى فارق الابن الدنيا أمام عيني الوالد حينما كان الوالد يمرضه ويعتني بأموره، فيحزن الوالد على ما أذاقه من مرارة الدواء حينما كان يتجرع من آلام الموت ما لا يستطيع أحد أن يقاومه، ويذكر أن هذه الذكرى المريرة لا تزال تراوده حتى آخر لحظته من حياته هذه وحتى حينما يكون على فراش الموت.

يحس الوالد أن الحياة فقدت بهجتها وأن البيت قد غشيته ظلمة بعد فراق الابن العزيز، ويرى أن كافة الناس الذين تفجعوا على موت الابن وبكوا على فراقه لجؤوا إلى مضاجعهم حينما أحسوا بالتعب والإرهاق في الليل، ولكن لا تكتحل أعين الوالدين بالنوم، ويشعر أن الليل طويل لا يكاد أن ينبلج الصبح بعده، ولكنه لا يرى أن الإصباح ليس بأمثل من الليل البهيم، حيث يتذكر ما فقد من أبنائه وما دفنهم بيديه، ويتفجع من توالي المصائب عليه.

وفي آخر القصة يخاطب أبناءه المتوفين جميعا، ويسائلهم لماذا جاؤوا إلى هذا الكون؟ ويشتكي من الدهر أنه يعطيه تارة ما يبهجه ثم يختطفه منه، ويلتمس من أبنائه أنهم إذا اجتمعوا في رياض الجنة أن يذكروا أمره أمام الله جل شأنه ويطلبوا منه سبحانه أن يأخذ ذلك الوالد الحزين إليهم حتى يتلاقوا جميعا في الجنة حيث لا يبقى هم ولا حزن.

6.2.4 نص القصة

الدَّفينُ الصغيرُ

الآنَ نفَضْتُ يدي من تراب قبرك يا بُنيّ، وعُدْتُ إلى منزلي كما يعود القائدُ المنكسرُ من ساحةِ الحربِ لا أملِك إلا دمعةً لا أستطيعُ إرسالَها، وزَفْرةً لا أستطيع تصعيدَها؛ ذلك لأن اللهَ الذي كتَب لي في لوح مقاديره هذا الشقاءَ في أمرِك، فرزقني بك قبل أن أسأَلَه إياك، ثم استلبَكَ مني قبل أن أستعفيَه منك - قد أراد أن يتممَ قضاءه فيَّ، وأن يجرّعَني الكأسَ حتى ثمالتَها، فحرَمني حتى دمعةً أُرْسِلُها، أو زفرةً أُصَعِّدُها، حتى لا أجد في هذه، ولا تلك ما أتفرَّجُ به مما أنا فيه؛

فله الحمد راضيًا وغاضبًا، وله الثناء منعِمًا وسالبًا، وله مني ما يشاءُ من الرِّضا بقضائه، والصبر على بلائه.

رأيتُك يا بنيّ في فراشك عليلاً فجزِعْتُ، ثم خِفتُ عليك الموت ففزِعْتُ، وكأنما كان يخيَّلُ إلي أن الموت والحياة شأنٌ من شؤون الناس، وعملٌ من الأعمال التي تملِكها أيديهم، فاستشرت الطبيبَ في أمرك، فكتب لي الدواء، ووعَدني بالشفاء، فجلست بجانبك أصُبُّ في فمك ذلك السائلَ الأصفر قطرةً قطرةً، والقدَرُ ينتزع من بين جنبيك الحياةَ قطعةً قطعةً، حتى نظرتُ فإذا أنت بين يديّ جثةٌ باردةٌ لا حراك بها، وإذا قارورةُ الدواء لا تزال في يديّ، فعلمتُ أني قد ثكِلْتُك، وأن الأمرَ أمرُ القضاء، لا أمرُ الدواء.

سأنام يا بُنيَّ بعد قليل على فِراشٍ مثلِ فراشك، وسيُعالج مني المقدارُ ما عالَج منك، وأحسب أن آخرَ ما سيبقَى في ذاكرتي في تلك الساعة من شؤون الحياة وأطوارها، وخطوبها وأحداثها، هو الندمُ العظيم الذي لا أزال

أُكَابِدُ ألَمَه على تلك الجُرَع المريرة التي كنت أجرّعُك إياها بيدي، وأنت تجُود بنفسك فيربَدُّ وجهُك، وتختلج أعضاؤك، وتدمَعُ عيناك، وما لك يد فتستطيع أن تمدَّها إليَّ لتدفعَني عنك، ولا لسان فتستطيع أن تشكو إليَّ مرارة ما تذوق.

لقد كان خيرًا لي ولك يا بنيّ أن أكِل إلى الله أمرَك في شفائك ومرضك، وحياتك وموتك، وألا يكون آخرُ عهدك بي يوم وداعك لهذه الدنيا تلك الآلامَ التي كنتُ أجشِّمُك إياها؛ فلقد أصبحتُ أعتقد أنني كنتُ عونًا للقضاء عليك، وأن كأس المنية التي كان يحملها لك القدرُ في يده لم تكُنْ أمرَّ مذاقًا في فمك من قارورة الدواء التي كنت أحمِلُها لك في يدي.

ما أسمَجَ وجهَ الحياة من بعدك يا بني! وما أقبَحَ صورةَ هذه الكائنات في نظري، وما أشدَّ ظُلمةَ البيت الذي أسكنه بعد فِراقِك إياه! فلقد كنتَ تطلُع في أرجائه شمسًا مشرقة تضيء لي كلَّ شيء فيه، أما اليوم فلا ترى عيني مما حولي أكثرَ مما ترى عينُك الآن في ظلمات قبرِك.

بكى الباكون والباكيات عليك ما شاؤوا، وتفجَّعوا ما تفجَّعوا، حتى إذا استنفدوا ماءَ شؤونهم، وضعُفت قُواهم عن احتمال أكثرَ مما احتملوا، لجؤوا إلى مضاجعهم فسكنوا إليها، ولم يبقَ ساهرًا في ظلمة هذا الليل وسكونه غيرُ عينين قريحتين، عين أبيك الثاكل المسكين، وعين أخرى أنت تعلَمُها.

لقد طال عليَّ الليلُ حتى مللتُه، ولكنني لا أسأل اللهَ أن ينفرج لي سواده عن بياض النهار؛ لأن الفجيعةَ التي فُجِعْتُها بك يا بنيَّ لم تُبْقِ بين جنبيَّ بقيةً أقوى بها على رؤية أثر من آثار حياتك، فليت الليلَ باقٍ حتى لا أرى وجه النهار، بل ليت النهار يضيء؛ فقد مللتُ هذا الظلام.

دفنتُك اليوم يا بني، ودفنتُ أخاك من قبلك، ودفنتُ من قبلكما أخويكما؛ فأنا في كل يوم أستقبل زائرًا جديدًا، وأودع ضيفًا راحلاً، فيا لله لقلب قد لاقى فوق ما تلاقي القلوبُ، واحتمل فوق ما تحتمل من فوادح الخطوب!

لقد افتَلَذ كلٌّ منكم يا بنيَّ من كبدي فلذةً؛ فأصبحتْ هذه الكبدُ الخرقاء مزقًا مبعثرة في زوايا القبور، ولم يبقَ لي منها إلا ذماء قليل لا أحسبه باقيًا على الدهر، ولا أحسب الدهرَ تاركه دون أن يذهب به كما ذهب بأخواته من قبل.

لماذا ذهبتم يا بَنِيَّ بعدما جئتم؟ ولماذا جئتم إن كنتم تعلَمون أنكم لا تقيمون؟

لولا مجيئُكم ما أسفتُ على خلوِّ يدي منكم؛ لأنني ما تعودتُ أن تمتدَّ عينيَّ إلى ما ليس في يدي، ولو أنكم بقيتم بعدما جئتُم ما تجرَّعتُ هذه الكأسَ المريرة في سبيلكم.

لقد كنتُ أرضى من الدهر في أمركم أن يتزحزح لي عن طريقي التي أسير فيها، وأن يزويَ وجهه عني فلا أراه ولا يراني، ولا يُحسِن إليّ ولا يسيء، ولا يتقدم إليَّ بخير ولا شر، ولا يتراءى لي مبتسمًا، ولا مقطبًا، ولا ضاحكًا ولا باكيًا، لو أنه رضي مني بذلك، ولكنه كان أذكى قلبًا، وأنفَذَ بصرًا، من أن يفوته العلم بأنني ما كنت أبكي على النعمة لو لم تكن في يدي، وما كنت أجِدُ مرارة فقدانها، لو لم أذُقْ حلاوة وجدانها.

وكان لا بد له أن يجري فيَّ سُنة الشقاء الذي أخذ على نفسه أمام الله أن يجريَها بين عباده، فلمَّا عجَز عن أن يدخُل إليَّ من باب الطمع، دخل إليَّ من باب الأمل؛ فهو يمنحني المنحةَ، فأغتبطُ بها حِقبة من الدهر، حتى إذا علِم أن بذرة الأمل التي غرسها في نفسي قد نَمَتْ وأزهرت، وأنني قد استعذَبْتُ طعم النعمة التي آتاني، كرَّ عليَّ فانتزَعها من يدي أنعَمَ ما أكونُ بها كما تُنتزع الكأسُ الباردة من يد الظامئ الهيمان؛ ليعظُمَ وقوعُ السهم في كبدي، ويفدح سلب النعمة من يدي، ولولا ذلك ما نال مني منالاً، ولا وجد إليَّ سبيلاً.

يا بنيَّ، إنَّ قدرَ الله لكم أن تتلاقوا في روضة من رياض الجنة، أو على شاطئ غدير من غدرانها، أو تحت

ظلال قصر من قصورها، فاذكُروني مثلَما أذكركم، وقِفُوا بين يدي ربكم صفًّا واحدًا كما يقف بين يديه المصلون، ومدُّوا إليه أكفَّكم الصغيرة كما يمدها السائلون، وقولوا له: اللهم إنك تعلَمُ أن هذا الرجلَ المسكين كان يحبنا، وكنا نحبه، وقد فرَّقت الأيامُ بيننا وبينه؛ فهو لا يزال يلاقي من بعدِنا من شقاء الحياة وبَأْسَائِها ما لا طاقةَ له باحتماله، ولا نزال نجد بين جوانحنا من الوَجْد به، والحنين إليه، ما ينغِّصُ علينا هناءَ هذه النعمة التي ننعَمُ بها في جوارك، بين سمعِك وبصرك، وأنت أرحم بنا وبه من أن تعذِّبَنا عذابًا كثيرًا، فإما أن تأخذنا إليه أو تأتي به إلينا، لا... بل لا تطلبوا منه إلا أن يأتيَ بي إليكم؛ فإن الحياةَ التي كرهتُها لنفسي لا أرضاها لكم، فعسى أن يستجيب الله من دعائكم ما لَمْ يستجب من دعائي، فيرفع هذا الستارَ المُسبَل بيني وبينكم، فنلتقي كما كنا.

6.2.5 معاني المفردات الصعبة وتحليلها

الكلمات العربية	معانيها بالعربية	معانيها بالإنجليزية
نفض يده من التراب	أزال عنها التراب وأسقطه، يقال نفض يده من الأمر بمعنى امتنع عن الاستمرار فيه، وتخلّى عنه.	Washed his hands of
استلب الشيء	أخذه قهرا	To embezzle, to loot
أرسل الدمعة	سكبها وبكى	To cry
الزفرة	التنفس، وصعَّد الزفرة: أخرجها بصعوبة	To sigh deeply, to heave deep sighs
جَرَّعَ الْمَرِيضَ دَوَاءً	جَعَلَهُ يَبْلَعُهُ، جَرَّعَهُ الماءَ: سقاه إياه	To gulp down; to make (someone) swallow
الثُّمالَة	البقيّة في أسفل الإناء من شراب ونحوه شرب الكأس حتَّى الثُّمالة: احتمل ما هو شاقّ ومؤلم حتى النهاية، لم يُبقِ فيها شيئًا، سكِر وغاب عن وعيه	Residue; sediment
الحراك	الحركة، وما به حراك: هامد	Motion, activity
ثَكِلَ ابنَه	مات ابنه، وفَقَده، وفُجِع به	To be deprived of a child (for his death)
جاد المريض بنفسه	قارب أن يموت	About to die
كابد الأمرَ	تكبّده وعانى شدَّته وتحمَّل مشاقه	Go through; pass through; get through; suffer pain; bear; endure; experience

اربدَّ وجهُه	تغيَّر لونُه	Turned pale
العهد	المعرفة واللقاء، وآخر عهدك بي: اللقاء الأخير معي	Last encounter or meeting
اختلج الشيء	تحرَّك واضطرب	Flicker; flutter
جشَّمه الآلام	كلّفه إياها وحمله عليها على كُره ومشقة	Burden; impose; inflict
سمج الشيء	قبُح	Be disgusting
استنفد الشيء	أنفقه كله	Wear away; use up; consume; deplete; drain; exhaust
قرِح القلب من الحزن	أصابته قروح من الألم والعين القريحة: الحزينة	Wound
فوادح	جمع فادحة، وهي المصيبة، وفوادح الخطوب هي المصائب العظيمة	Disaster; misfortune; suffering; trouble; catastrophe
افْتَلَذَ الشيءَ	اقتطعه؛ والفلذة القطعة	Piece
الكبد الخرقاء	القلب الحزين المتحير	Bereaved heart
المزِق	الممزق	Shattered , ripped apart, broken
الذَّماء	بقيَّة الروح في المذبوح وغيره	Last breath of life - Last gasp of life
المبعثرة	المفرقة المشتتة	Scattered, dispersed
تَزَحْزَحَ	تنحّى وتباعد	Be displaced; be removed
زوَى وجهَه	نحَّاه وصرفه	Turn
الحِقبة	مدة من الدهر لا وقت محدد لها	Duration, span
مقطّب الوجه أو الجبين	مكشّر عابس الوجه	Frowning; gloomy; glowering; glum; grim
استعذب الطعام أو الشراب	وجده عذبا	Find sweet; be pleasant
الهيمان	العطشان أشد العطش	Very thirsty; parched; longing
لا ينال منه منالا	لا يؤثر عليه أي تأثير	Makes no effect
غدير	جمعه غدران: الجدول أو النهر الصغير	Runnel; rush; watercourse; beck; brook; creek; current; flow; rill; rivulet
نغَّص عليه عيشه/ حياته/ نعمته	كدّر عيشة وقطع النعمة عليه	Make someone's life miserable; give someone a hard time

الجوانح	جمع جانحة: الأضلاع، وبين جوانحه: في قلبه	Deep in his heart

6.2.5 تحليل القصة

إن القصة التي تناولناها آنفا هي قصة جميلة تأخذ بمجامع قلب القارئ، كتبها أحد عباقرة اللغة والأدب مصطفى لطفي المنفلوطي. والمعروف أن أسلوب المنفلوطي يسحر القارئ بتسلسل عباراته تسلسل الماء الصافي من غير اضطراب ولا قلق ولا غموض، وفي دقة أدائية تعبيرية عجيبة. وفي الحقيقة هذه القصة مقالة قصصية يمكن عدّها في صدر مقالات الرثاء التي كتبها المنفلوطي، يرثي فيها ولده "فاضل" أولا ثم يبكي معه ثلاثة أولاد غيره، وتراود القارئ من قراءة هذا النص عاطفة ملتاعة، ويحقق مدى تأثر الكاتب بهذه الفاجعة وتمزق قلبه وإحساسه في عمق نفسه، وقد نجح الأديب في تأمل مشاعره وتوصيلها بكل جِدٍّ وعُمُقٍ إلى قلوب القارئين أيضا.

إن أسلوبه في هذه القصة لم يكن مختلفا عن الأسلوب المألوف عنده، فإن حرصه على التوازن في أقسام الكلام، والجرس الموسيقى الذي يرافق اللفظ والعبارة عنده، والذي يحمله على الإطناب بالترادف والتزاوج، ولهذا توجد المعاني عنده مكرورة أو متقلبة في عدة عبارات، أو منشورة في صور مختلفة ترضي برونقها وتنميقها أكثر ما ترضي بعمقها وامتداد آفاقها.

فنرى من تكراره العبارات، فإنه قد كرّر إرسال الدمعة وتصعيد الزفرة في الفقرة الأولى من القصة نفسها حيث قال مرة "دمعة لا أستطيعُ إرسالها، وزَفْرة لا أستطيع تصعيدَها" وقال مرة أخرى "فحرَمني حتى دمعةً أرسلها، أو زفرة أصعِّدها". ويورد المعنى الواحد بعبارات متعددة وبكلمات بليغة من غير تكلف في الصياغة ولا تصنع في الأسلوب، كما نرى في قوله " وما لك يد فتستطيع أن تمدَّها إليَّ لتدفعَني عنك، ولا لسان فتستطيع أن تشكو إليَّ مرارة ما تذوق." فإنه يريد أن يبين حالة الطفل العاجز فيصوغها في جمل جميلة.

يزركش النص بأساليب بلاغية وتشبيهات طريفة واستعارات ومجازات بديعة، ومن عادته تشبيه الأحوال والأشياء تشبيهات بديعة، فإنه في هذا النص يشبه رجوعه بعد دفن ابنه العزيز بعودة القائد المنهزم من ساحة القتال حيث قال "وعُدْتُّ إلى منزلي كما يعود القائدُ المنكسر من ساحةِ الحرب"، ونرى تشبيهاته الممتعة في مواضع كثيرة من القصة، ومنها قوله "فاذكُروني مثلَما أذكركم، وقِفُوا بين يدي ربكم صفًّا واحدًا كما يقف بين يديه المصلون، ومدُّوا إليه أكفَّكم الصغيرة كما يمدها السائلون"، قد ضمن في كل جملة تشبيها من أجمل التشبيهات، مما تعطي للعبارات وضوحا وقوة وجمالا.

وهذه التشبيهات تعبر عن جمال الخيال وقوة العاطفة كما هو ظاهر في تشبيهه فقدان أولاده بعدما كان يتلذذ بوجودهم في حياته بقوله "كما تنتزع الكأس الباردة من يد الهيمان"، ما أشد تأثير هذا التشبيه في نفس القارئ! وقد استخدم المنفلوطي المجازات والكنايات في ثنايا تعبيراته بكل جزالة وفخامة حيث بدأ القصة بقوله "نفضت يدي من تراب قبرك" كناية عن الانتهاء من مراسيم الدفن، وقوله "خلو يدي منكم" لفقدانهم، وقوله "وقوع السهم في كبدي" لتحمله الأحزان والمشاق.

وأما من الناحية البلاغية والمحسنات البديعية، فإنه قد استخدم الطباق – وهو الجمع بين شيئين متقابلين

أي متضادين في الكلام الواحد – فنرى ذلك في معظم كتاباته بكثرة، فمن مثاله الرائع في هذا النص قوله " فله الحمد راضيًا وغاضبًا، وله الثناء منعِمًا وسالبًا، وله مني ما يشاءُ من الرِّضا بقضائه، والصبر على بلائه."، فجمعه بين الرضى والغضب تارة، والإنعام والسلب تارة أخرى من طباق الإيجاب. ومن مثاله أيضا في هذا النص قوله: " يوم أستقبل زائرًا جديدًا، وأودع ضيفًا راحلاً"

وطابع التشاؤم الذي غلب على كتابات المنفلوطي وواجه انتقادات بسببه واضح على هذه القصة أيضا، يقول حنا الفاخوري في كتابه "تاريخ الأدب العربي" عن هذه الظاهرة البارزة في كتابات المنفلوطي: "والذي يطالع اجتماعيات المنفلوطي يجد نفسه في نفق مظلم من الشذوذ الإنساني، والظلم الاجتماعي والبؤس الحياتي، والغدر في التعامل والخيانة في الحياة الزوجية فكأن المجتمع البشري جحيم، وكأن الناس فيه ذئاب مفترسة وكأن الشقاء نصيب من لا يقف الحظ إلى جانبهم، وكأن المنفلوطي لا يرى الوجود إلا من خلال السواد ولا ينظر إلى الناس إلا من خلال الغيوم السود".

وأما من الناحية الفنية فكما هو معروف في الأوساط الأدبية، إن فن القصة لم يكن قد نضج واكتمل نموه الفني في عصر كتابة المنفلوطي لهذه القصة، ولم يكن المنفلوطي قصاصا بمعنى الكلمة الحديثة، كما أنه لم يكن يحسن ربط أجزائها بحيث تخلق المتعة الفنية المتوقعة من الفن السردي، ولم تكن العناصر الفنية للقصة موجودة متكاملة في قصصه، ولكن كان يصوغ قصصه بعبارات لينة موسيقية تترك في النفس صدى عميقا وأثرا بعيدا.

ومن ناحية توافر عناصر القصة، فإن فكرة هذه القصة هي الحزن الذي أثاره فراق ابنه العزيز ليكون دائرة جديدة في سلسلة المصائب والنكبات التي مر بها، ومن ناحية الشخصيات الواردة فيها فإن الكاتب يسرد القصة بنفسه متكلما هو لنفسه تارة ولابن الراحل تارة ولأبنائه الراحلين تارة. فيعبر عن أحواله النفسية قبيل موت الطفل وبعده، وليس في القصة ذكر لشخصيات أخرى، وحدث القصة هو ما جرى من أحداث ووقائع منذ أن تم تشخيص الطفل بمرض موته وما يعقب ذلك من علاج ومعاناة وموت ودفن ومشاعر حزن، وليست حبكة القصة معقدة، ولا تتابع أحداثها وتسلسلها غامضا، والبيئة التي تحدث فيها القصة ليس لها كبير ذكر في هذا النص السابق.

6.3 التمرينات

6.3.1- أسئلة للمراجعة

1- من هو مصطفى لطفي المنفلوطي؟
2- ما هي أهم مؤلفات المنفلوطي؟
3- ماذا تعرف عن كتاب "النظرات"؟
4- ما هو العبرة والعظة المستفادة من قصة "الدفين الصغير"؟
5- من هم الشخصيات الواردة في تلك القصة؟
6- لماذا يظن الأب أن سقيه الدواء لابنه كان ظلما له؟
7- ما ذا يطلب الأب من الأولاد المتوفين له أن يلتمسون من الله لصالح الأب؟
8- ما هي تلك العيون التي لم تنم بعد أن لجأ جميع الناس إلى النوم والراحة؟

9- ما هي المواضع من قصة "الدفين الصغير" التي ترى فيها أسلوب المنفلوطي المتميز؟

10- ما هي التعبيرات التي أخذت بمجامع قلبك من قصة "الدفين الصغير"؟

11- بيّن السياق: "فإن الحياةَ التي كرهتُها لنفسي لا أرضاها لكم"

12- ما المراد بقول الكاتب: "وما كنت أجدُ مرارة فقدانها، لو لم أذُقْ حلاوة وجدانها"

13- بيّن السياق: "فليت الليلَ باقٍ حتى لا أرى وجه النهار، بل ليت النهار يضيء؛ فقد مللتُ هذا الظلام."

14- اشرح العبارة " لقد افتَلَذ كلٌّ منكم يا بَنِيَّ من كبدي فِلذةً؛ فأصبحتْ هذه الكبدُ الخرقاء مزقًا مبعثرة في زوايا القبور ".

15- ماذا يريد الكاتب بقوله " فإن الحياةَ التي كرهتُها لنفسي لا أرضاها لكم"؟

6.3.2- نشاطات الوحدة

1- اكتب ملخصا وجيزا لقصة "الدفين الصغير" في عبارات من إنشائك.

2- ترجم قصة "الدفين الصغير" إلى لغتك الأم في أسلوب أدبي .

3- أعدَّ قائمة من التعبيرات الجميلة والاستعمالات الأخاذة من القصة.

4- حاول أن تكتب قصة بليغة في اللغة العربية.

5- ترجم الفقرة التالية إلى الإنجليزية:

أ – "دفنتُك اليوم يا بني، ودفنتُ أخاك من قبلك، ودفنتُ من قبلكما أخويكما؛ فأنا في كل يوم أستقبل زائرًا جديدًا، وأودع ضيفًا راحلاً، فيا لله لقلب قد لاقى فوق ما تلاقي القلوبُ، واحتمل فوق ما تحتمل من فوادح الخطوب!"

ب – "ما أسمَجَ وجهَ الحياة من بعدك يا بني! وما أقبَحَ صورةَ هذه الكائنات في نظري، وما أشدَّ ظُلمةَ البيت الذي أسكنه بعد فِراقِك إياه! فلقد كنتَ تطلُع في أرجائه شمسًا مشرقة تضيء لي كلَّ شيء فيه، أما اليوم فلا ترى عيني مما حولي أكثرَ مما ترى عينُك الآن في ظلمات قبرِك."

6- اكتشف مفردات الكلمات التالية:

الأدوية	.....	المقادير	.....
الألواح	.....	المنايا	.....
الأعمال	.....	السهام	.....

7- اكتشف جموع الكلمات التالية:

الطور	.....	الجثة	.....
الخطب	.....	الجرعة	.....
الحدث	.....	الكأس	.....

8- ابحث عن معاني الكلمات الآتية في المعجم وسجل معانيها:

المنكسر	.....	استقبل	.....
اختلج	.....	انفرج	.....

استنفد ..... استعفى .....

9- استعمل التعبيرات التالية في جمل بليغة من إنشائك:

تجرع الكأس حتى ثمالتها .....

صعّد الزفرة .....

شرب كأس المنية .....

استعذب طعم النعمة .....

استنفد ماء الشؤون .....

6.4 نتائج التعلم

لقد درسنا قصة "الدفين الصغير" لمصطفى لطفي المنفلوطي وتعلمنا أشياء مهمة عنها وهي تتمثل في النقاط التالية:

- التعرف على إحدى القصص الرائعة من القصص العربية الأولى، ومطالعة نص قصة "الدفين الصغير" وفهمها واستيعاب معانيها وكلماتها وأسلوب الكاتب فيها.
- الاطلاع على كتاب "النظرات" من خلال إحدى قصصها، وكاتبه المنفلوطي ومساهماته الأدبية ومؤلفاته بشكل موجز.
- دراسة وحفظ المفردات والاستعمالات الواردة في النص مع معانيها.
- معرفة طريقة تحليل القصة من حيث وجود العناصر الفنية واللغوية فيها وتحديد جودتها الفنية ومكانتها الأدبية.

6.5 الكلمات الصعبة ومعانيها

الكلمات	المعاني بالعربية	المعاني بالإنكليزية
التيارات الغربية	الاتجاهات أو النزعات الغربية	Western trends or movements
التقليد	المحاكاة	Imitation
الجمود	الركود، التوقف التام	Stagnation, inanimateness, standstill
شق طريقه إلى	مهّده وهيّأه للمرور، كد ونجح	Thrust into; to advance, made his way, fought his way
مجلس النواب	مجلس الشعب، البرلمان	Parliament, lower house
نبرة حزينة	نغمة مملوءة بالحزن	Melancholic/ sad tone
أخذ بمجامع القلب	سحره وفتنه	Allure, bewitch, attract
عبقري	(ج) عباقرة: نابغة فائق الذَّكاء	Genius

زركش	يُزركشُ زركَشة، زيَّن ونمَّق يقال ورق/ قلم مُزركَش	Adorn; brocade; decorate; embellish
التشاؤم	حالة نفسيّة تقوم على اليأس والنّظر إلى الأمور من الوجهة السَّيِّئة، والاعتقاد أنّ كلَّ شيء يسير على غير ما يُرام، عكسُ تَفَاؤُل	Tendency to be gloomy – pessimism
رَأْيٌ رَصينٌ	مُحْكَمٌ، مَتينٌ	Calm; composed;sober-sided
رائد	(ج) رُواد: رَائِدُ قَوْمِهِ : مَنْ يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ وَيُنِيرُ لَهُمُ الطَّرِيقَ	Pioneer
التوعية	جَعْلُهُمْ يُدْرِكُونَ حَقَائِقَ الأُمورِ	Making aware
القالَبُ	ما تُفْرَغ فيه المعادنُ وغيرها ليكون مثالاً لما يصاغ منها	Matrix, mould
تحليل	عمليّة تقسيم الكلّ إلى أجزائه وردّ الشّيء إلى عناصره، تفكير تحليليّ	Analysis

6.6 أسئلة الاختبار النموذجية

6.6.1 أسئلة موضوعية

1- المنفلوطي أديب:

(a) سعودي (b) مصري (c) عراقي (d) هندي

2- من الشخصيات البارزة الذين اتصل بهم المنفلوطي:

(a) طه حسين (b) رشيد رضا (c) محمد عبده (d) جبران خليل جبران

3- كانت مقالاته المجموعة في كتاب النظرات تنشر في جريدة .....

(a) المقطم (b) الأدب (c) العبرات (d) المؤيد

4- الشاعر أو سيرانو دي برجراك كتاب ألفه .....

(a) المنفلوطي (b) جبران خليل جبران (c) نجيب محفوظ (d) طه حسين

5- الدفين الصغير قصة كتبها المنفلوطي في رثاء

(a) حفيده (b) ابنه (c) أبيه (d) زوجته

6- ما معنى "جاد المريض بنفسه"

(a) شُفيَ (b) قارب أن يموت (c) مات (d) رجع إلى الحياة

7- ما المراد بـ"ماء الشؤون"؟

(a) الدم (b) العرق (c) الدمع (d) الماء

8- غلب على كتابات المنفلوطي طابع

(a) التفاؤل (b) المثالية (c) الرمزية (d) التشاؤم

9- قصة الدفين الصغير مأخوذة من كتاب

(a) النظرات (b) العبرات (c) الشاعر (d) مختارات المنفلوطي

10- علامَ يحزن الأب المسكين حتى آخر لحظة من حياته

(a) موت ابنه العزيز (b) عدم تقديم علاج كاف لابنه

(c) بكاء الطفل عند الموت (d) ألم الطفل على الجرعة المريرة من الدواء

6.6.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- لأي سبب تم إلقاء المنفلوطي في السجن؟

2- ما هو المحور الذي تدور حوله قصة "الدفين الصغير"؟

3- ما هو سبب غلبة نغمة الحزن على كتابات المنفلوطي؟

4- ماذا أراد المنفلوطي بقوله: " ولم يبقَ لي منها إلا ذماء قليل لا أحسبه باقيًا على الدهر"؟

5- لماذا يظن الأب الثاكل أن سقيه الدواء لابنه كان ظلما؟

6.6.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- حلل العناصر الفنية والأدبية في قصة "الدفين الصغير"

2- ما هي الظاهرة البارزة والطابع الظاهر على كتابات المنفلوطي؟

3- اكتب قصة بليغة حول حادثة وقعت في حياتك الشخصية

6.7 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1- أحمد أبو سعيد، فن القصة، دار الشرق الجديد، عمان 1959م.

2- عبد الشافي الشوري، التراث القصصي عند العرب، مكتبة شباب، مصر، 1991م.

3- عبد الهادي ، أحمد محمد، المنفلوطي حياته ومؤلفاته، دار نهضة الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، يناير 2002م.

4- المازني، إبراهيم عبد القادر، كتاب الديوان، القاهرة، 1921.

5- مصطفى لطفي المنفلوطي حياته وأدبه – الشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان

6- مصطفى لطفي المنفلوطى إمام البيان العربي، محمد أبو الأنوار، الدار المصرية اللبنانية، 2000

7- مصطفى لطفي المنفلوطي، كتاب النظرات، المطبعة الجمالية، مصر 1913م.

8- مصطفى لطفي المنفلوطي، كتاب العبرات، دار الهدى الوطنية، بيروت.

9- مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، دار الثقافة بيروت.

10- مصطفى لطفي المنفلوطي ، في سبيل التاج، دار الثقافة بيروت.

الوحدة: 7

"حكاية" من "دَمْعَةٌ وابْتِسَامَةٌ"

لجبران خليل جبران

عناصر الوحدة

7.0 التمهيد

7.1 أهداف الوحدة

7.2 "حكاية" من كتاب "دمعة وابتسامة" لجبران خليل جبران

7.2.1 نبذة عن الكاتب جبران خليل جبران

7.2.2 نبذة عن كتاب "دمعة وابتسامة"

7.2.3 ملخص قصة "حكاية"

7.2.4 نص القصة

7.2.5 معاني المفردات الصعبة

7.2.6 تحليل نص القصة

7.3 التمرينات

7.4 نتائج التعلم

7.5 الكلمات الصعبة ومعانيها

7.6 أسئلة الاختبار النموذجية

7.7 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

7.0 التمهيد

طلبتي الأعزة! لقد درسنا في الوحدة السابقة قصة "الدفين الصغير" لمصطفى لطفي المنفلوطي، وقمنا بتحليلها تحليلا فنيا. وفي هذه الوحدة ندرس قصة أخرى طريفة من إبداعات كاتب مشهور على المستوى الدولي، وهذه القصة كتبت في العصور الأولى من تطور هذا الفن الحديث. وهي قصة "حكاية" مأخوذة من كتاب "دَمعة وابْتِسامة" للكاتب لبناني الأصل أمريكي النشاط الأدبي، جبران خليل جبران. وهو أحد رواد النهضة الأدبية ومن كبار الأدباء الرمزيين، وأشهر أدباء القرن العشرين في العالم. وهو صاحب مدرسة أدبية خاصة اتسمت بعمق التفكير وسعة الخيال وغزارة الإنتاج. وكتاب "دمعة وابتسامة" الذي اقتُبس منه نص القصة الموسومة بـ "حكاية" كتاب أحدث الكاتب من خلاله ثورة أسلوبية في الأدب، وأرسى حجر الأساس للحركة الرومانسية في الأدب العربي.

ففي هذه الوحدة نقرأ نص القصة ونطلع على العناصر الفنية واللغوية فيها مع بيان الكلمات والاستعمالات الصعبة الواردة فيها.

7.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى تقديم أشياء جديدة للطلاب تتمثل فيما يلي:

- تزويد الطالب بنموذج راق من الإبداعات المؤلفة في طور نشوء ونضوح القصة العربية.
- التعريف بكتاب "دمعة وابتسامة" من خلال إحدى قصصها، وكاتبه جبران خليل جبران.
- مطالعة نص قصة "حكاية" وفهمها واستيعاب معانيها وكلماتها وأسلوب الكاتب فيها، مع توفير خلاصة وجيزة للقصة للاطلاع على القصة بشكل إجمالي قبل البدء في القراءة.
- تحليل القصة من حيث وجود العناصر الفنية واللغوية فيها وجودتها ومكانتها.

7.2 "حكاية" من كتاب "دمعة وابتسامة" لجبران خليل جبران

إن قصة "حكاية" قصة قصيرة مأخوذة من كتاب "دمعة وابتسامة" للكاتب الشهير الفنان اللبناني الأمريكي جبران خليل جبران. وهو صاحب الأفكار والمقولات الحية والكتب والفلسفات الشهيرة، ومن أعلام النثر الأدبي في العصر الحديث. كتب باللغتين العربية والإنجليزية. تمتاز كتاباته ونصوصه بالرومانسية الزاهرة، وبنغمة الأسلوب الذي ينتهجه في مؤلفاته. وقد تلقى العالم جميع كتبه بقبول واسع. هذه القصة قصة فلسفية عن الحب وما يكابده المحبون في طريقهم، مع وصف للطبيعة والحب.

7.2.1 نبذة عن الكاتب جبران خليل جبران

إن جبران بن خليل بن ميخائيل بن سعيد، شاعر وقاص وفنان، وأديب لبناني. وهو أحد رواد النهضة الأدبية ومن كبار الأدباء الرمزيين. ولد في قرية "بشرى" في لبنان، وكان والده فظا سكيرا. سافر في صغره مع والدته وإخوته إلى

الولايات المتحدة عام 1895 ونزل ببوسطن. عانى هناك جبران معاناة نفسية ومادية، حيث مات أعضاء أسرته مصابين بداء السل، حتى تعرف على سيدة تدعى ماري هاسكل التي أعجبت بفنه ومنحته الكثير من مالها وعطفها. رجع جبران إلى لبنان لدراسة اللغة العربية والتمكن فيها، كما درس فن الرسم في الولايات المتحدة، وأتقن دراسته عندما سافر إلى فرنسا فيما بعد.

اتصل جبران بجمعية الشعر الأمريكية، وأخذ يسهم في تحرير مجلة "الفنون السبعة" الإنكليزية، وفي نيويورك، أثناء نشوب الحرب العالمية الأولى. اجتمع معه جماعة من الأدباء والشعراء الذين هاجروا من سوريا ولبنان إلى الولايات المتحدة، ومنهم ميخائيل نعيمة، وعبد المسيح حداد، ونسيب عريضة، وأنشؤوا في عام 1920م جمعية "الرابطة القلمية" بغرض تجديد الأدب العربي، وانتخبوه عميدا لها. وقد ساهمت تلك الرابطة في تكوين أساس "أدب المهجر" على وجه الخصوص وترقية مستوى الأدب العربي بشكل عام.

توفي جبران في نيويورك عام 1931م، في مستشفى القديس فنسنت بسبب مرض السل، وكان يتمنى أن يدفن في مسقط رأسه لبنان، وتحققت أمنيته عام 1932م حيث تم نقل رفاته إلى لبنان ودفن فيها حيث يعرف الآن باسم متحف جبران.

كتب جبران مؤلفات في اللغتين العربية والإنجليزية، وترجمت مؤلفاته إلى عشرات اللغات. ومن مؤلفاته في العربية عرائس المروج (مجموعة قصصية)، والأرواح المتمردة (مجموعة قصصية)، والأجنحة المتكسرة (رواية)، ودمعة وابتسامة (مجموعة من المقالات والقصص والقصائد النثرية)، والمواكب، والعواصف، والبدائع والطرائف، ومناجاة أرواح، وآلهة الأرض، ومن كتبه بالإنجليزية كتاب المجنون، وكتاب النبي، ورمل وزبد، وحديقة النبي، ويسوع ابن الإنسان، والشعلة الزرقاء، وأرباب الأرض وغيرها الكثير. وتبلغ لوحات رسمه وأعماله الفنية أكثر من سبعمائة عمل فني.

كان جبران صاحب مدرسة أدبية خاصة، تتسم بعمق التفكير وسعة الخيال وغزارة الإنتاج، والأسلوب السهل الجامع بين حرارة الوجدان وجمال الصورة، ويعد أسلوبه السردي من الأسلوب الرمزي، ويثير وجدان القارئ وتفكيره معا، كما يعد من رواد الحركة الرومانسية في الأدب العربي، حتى قيل: إن جميع كتابات جبران تدعو إلى التفكير العميق، فإن كنت تخاف أن تفكر فالأجدر بك ألا تقرأ جبران.

كان في كتاباته اتجاهان بارزان: أحدهما القوة والثورة على عقائد الدين، والآخر تتبع الميول وحب الاستمتاع بالحياة. وكان يتفاعل مع قضايا عصره، وكان للحب في حياته مكانة كبيرة، كتب عن الحب كثيرا، وقل في الأدب العالمي من وصف الحب ولوعته ومشاعره مثل ما وصفه جبران، ونص قصة "حكاية" من كتابه "دمعة وابتسامة" خير دليل على وصف الحب وتصوير صراع المحب، ووصف الطبيعة وجمالها.

7.2.2 نبذة عن كتاب "دمعة وابتسامة"

كتاب "دمعة وابتسامة" من أبرز أعمال جبران ويعد أول ما ألف من نوعها في الأدب العربي الحديث، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات والقصص الوعظية والرمزية، وبعض القصائد النثرية، كتبها جبران لجريدة "المهاجر" ما بين 1903 و1908، وهي التي جُمعت ونُشرت لأوّل مرّة في كتاب واحد عام 1914م. ومن خصائص هذه المجموعة أن أسلوبها سهل، ولغتها متحرّرة، والإيقاع الموسيقي لا يغيب عن نصٍّ من نصوصها. ويبحث جبران في مواضيع

المجتمع، والطبيعة، ويعبر عن الحالات النفسية وظروف حياته الاجتماعية التي واجهها في بداية حياته. وتتميز أغلب مؤلفات جبران خليل جبران بنوعية أدب ما بين التنوع والثراء الفني.

ويحتوي الكتاب على مجموعة من القصائد النثرية والقصص، حيث خصَّها جبران خليل جبران لجريدة "المهاجر" ولكنه بعدئذ جمعها في كتاب واحد بتشجيع من أصدقائه. قدم جبران من خلاله لونًا جديدًا من الأدب، الذي أطرب الآذان بألفاظه البديعة، وأخضع القلوب لجلال معانيه، كما أذهل الألباب بروعة الخيال فيه. فالكتاب يعتبر أنشودة ذات مستوى رفيع، ورسالة إنسانية سامية غاية في الروعة والجمال والإبداع.

وأما سبب تسمية الكتاب فاسمه مستوحى من إحدى عشيقاته حلا الضاهر يوم زارها جبران فوجدها تبكي، ثم كفكفت دمعها فجاءت وابتسمت، ولما استفسرها جبران عن معنى البكاء، ابتسمت وقالت بغنج معناه "دمعة وابتسامة" فكانت هذه العبارة عنوان كتابه وآخر ما بقي في ذهن جبران من حلا الضاهر التي ألهمته معظم مواضيع هذا الكتاب، وقدمه جبران إلى عشيقته ميري هاسكل.

وقد كان للتوراة والإنجيل أبعد الأثر على الأسلوب الذي اختاره جبران في الكتاب، ويمكن للقارئ الاطلاع على تاريخ قلب جبران وفكره وتاريخ حياته حتى عام 1908، والمحاور الرئيسية لعناوين الكتاب هي في عمومها مزيج من المحبة والنفس البشرية والآلام والآمال الإنسانية، وكراهية الحرب، وتمجيد الحب النبيل، والرثاء لحال الفقير، وذم الغنى المطغي، والتغني بالطبيعة ومظاهرها من الفصول الأربعة والأزهار والرياح والقمر والشمس والأنهار والطيور، بأساليب قوية وصور فنية جميلة سهلة على جميع درجات القراء.

جذب الكتاب اهتماما واسعا من قرائه على حد سواء في العالم العربي وبين أدباء العربية في أمريكا، وشغلت قصصه وأمثاله وقصائده الرائعة عالم الشباب الخيالي. والكتاب مملوء بعبارات الدموع والابتسامات، لكن جانب الدموع هو الغالب، ويقدم فيه فلسفته عن الحب والحياة البشرية.

وقد خالف جبران في الكتاب التراكيب والأساليب المألوفة آنذاك في الكتابة الأدبية العربية، مما يعتبر تمهيدا للحركة الرومانسية في الأدب العربي، ويحمل الكتاب نغمة خاصة تطرب لجمالها الآذان، وموسيقى فنية ترقص لروعة معانيها القلوب، وتركز معظم قصصه في هذا الكتاب حول الروح الإنسانية، والقصائد يعبر بعضها عن السعادة وبعضها يعبر عن الكآبة، ويحتوي على مجموعة واسعة من العواطف والأفكار البسيطة للغاية والتي يسهل على القارئ فهمها.

7.2.3 ملخص قصة "حكاية"

تدور هذه القصة حول فتى فقير، كان ابنا لفلاح في سن العشرين أحب فتاة صغيرة رآها على الينبوع، ثم بعد أن وقع في قلبه حب وشُغف بها علم أنها ابنة الأمير فلام قلبه وعاتب نفسه، ولكن الملامة لا تأتي بجدوى ولا تصرف القلب عن هواه، فإن قلب الإنسان وعقله لا يكونان متوافقين دائما، ثم يسرد الكاتب باقي تفاصيل القصة في أسلوب شيق وممتع مليء بالحب، فيتحدث الفتى لما حوله من الكائنات، حيث يشعر الفتى بخيبة أمل كبيرة، وخاصة حينما يرى مظاهر التزاوج والصداقة في الطبيعة وهو لا يزال بعيدا عن حبه، ويمل من الحياة ويلتهب في نار لوعة العشق، ويتذمر ويهذي عن مشاعره وعواطفه للينبوع والأشجار هناك.

يشتاق إلى الوصال بحبيبته ولكنه لن يستطيع الوصول إليها حيث إن تلك الفتاة التي عشقها هي ابنة أمير

وهو ابن زرّاع، يخاطب الفتى حبه ويعاتبه على حرمانه من الوصال، ويشعر أن كل شيء في الطبيعة يسير إلى حبيبه، إلا هو فإنه رغم ما في قلبه من الشيء الكثير من الحب والغرام، لا يستطيع ذلك، فيخاطب حبيبته ويبوح عن مشاعره تجاهها، ويصرح بأنه يخاف حتى أن يناديها باسمها، ويظن أن حبيبته أيضا لن ترضى به حتى خادما في قصر أبيها، يشعر أنه لن يصل إليها إلا في الدار الآخرة. ثم يوضح فلسفته عن الإنسان ونظرته للحياة، يقول إن الحياة لن تكون كما يظن الإنسان أو يفكر فيها، فإن حياته كانت مملوءة بألوان من السعادة حينما وقعت عيناه عليها، ولكن شرفها وشرف عائلتها جعل علاقتهما مستحيلة.

ثم يمشي نحو الينبوع خائبا لا حاجة له في الحياة ويرغب أن يموت ليتخلص من هذه الحياة الظالمة ويلتقي بحبيبته في الأبدية، ويذهب إلى وطأة أقدام حبيبته ويذرف الدموع على أطلال ذكراها الدافئة، فحينئذ تظهر الفتاة من بين أشجار الصفصاف، وقد جاءت مختفية للقاء حبيب حياتها، يندهش الفتى من روعة ما يشاهده ولا يستطيع أن ينبس ببنت شفة، ثم تعانقا وتقاسما الحب الدافئ بين جوانحهما، فصرحت البنت حبها له ورغبتها في حياتها معه وموتها معه، وأنها قد أتت إليه طائعة تاركة وراءها مجد أبيها. اقترحت أن يمشيا إلى حيث لا يمنعهم من الحب واللقاء مانع بعيدا عن أماكن وجود الناس، ومشيا معا في ظلمة الليل إلى غير غاية، مستمتعين بلقائهما. ويبدو أن والدها الأمير أرسل جنوده للاطلاع على حالة ابنته المفقودة، ثم بعد أيام كثيرة تم العثور عليهما ميتين، لم يبق منهما إلا هياكل عظمهما. وهكذا عاش الحب وفارق الحبيبان الدنيا، إلى حيث لا ينغص عيشهما ولا يفرق بينهما أحد.

7.2.4 نص القصة

حِكايَةٌ

على ضَفَّةِ ذلك النهر، في ظل أشجار الجَوز والصَّفصَاف، جلس ابنُ زَرّاع يتأمل المياهَ الجاريةَ بسكينة وهدوء. فتًى رَبِيَ بين الحقول حيث يتكلمُ كل شيء عن الحب، حيث الأغصانُ تتعانقُ، والأزهار تتمايل، والطيور تَتَشَبَّبُ، حيث الطبيعةُ بأسرها تَكرُزُ بالروح، ابن عشرين رأى بالأمس على الينبوع صبيةً جالسةً بين الصبايا فأحبها، ثم علِم أنها ابنة الأمير فلامَ قلبَه وشكا نفسَه إلى نفسه، لكن الملامةَ لا تميل بالقلب عن الحب، والعذلَ لا يصرف النفس عن الحقيقة، والإنسان بين قلبه ونفسه كغُصنٍ ليّنٍ في مَهَبِّ ريح الجنوب وريح الشمال.

نظر الفتى، فرأى زهرةَ البنفسجِ قد نبتتْ بقرب زَهرة الأُقْحُوَانِ، ثم سمِع الهزارَ يناجي الشُّحْرُوْرَ فبكى لوحدته وانفرادِه، ثم مرت ساعاتُ حبه أمام عينيه مرورَ الأشبَاحِ، فقال -وعواطفُه تَسِيْلُ مع كلماته ودموعه:

"هو ذا الحبُّ يستهزئ بي، ها قد جعلني سخريةً، وقادني إلى حيث الآمالُ تُعَدُّ عيوباً، والأمانيُّ مَذَلَّةً. الحب الذي عبدتُه قد رفع قلبي إلى قصر الأمير، وخفَضَ منزلتي إلى كُوخِ الزّرَّاعِ، وسار بنفسي إلى جمال حورية تحيط بها الرجال ويحميها الشرف الرفيع...

أنا طائع أيها الحب، فماذا تريد ؟ قد اتبعتُكَ على سُبُلٍ ناريةٍ فلذَعَنِيْ اللهيبُ. قد فتحتُ عينَيَّ فلم أرَ غيرَ الظلمة، وأطلقتُ لساني فلم أتكلمْ بغير الأسَى. قد عانقني الشوقُ، أيها الحب بِمَجَاعَةٍ روحيةٍ لن تزولَ بغير قُبَلَ الحبيبِ.

أنا ضعيف أيها الحب، فلِمَ تخاصِمْنِي وأنت القوي؟ لماذا تظلِمُني وأنت العادل وأنا البريء؟ لماذا تُذِلُّنِيْ ولم يكن غيرك ناصري؟ لماذا تتخلى عني وأنت مُوْجِدي ؟ إن جرى دمي بغيرِ مشيئتِكَ فأَهْرِقْهُ، وإن تحركت قدماي على غير طرقك فشُلَّهُما - افعل مشيئتك بهذا الجسد، وخلِّ نفسي تفرح بهذه الحقول المُسْتَأْمِنَةِ بظل جناحيك...

الجداول تسير إلى حبيبها البحر، والأزهارُ تبتسِمُ لعشيقِها النورِ، والغُيُوْمُ تهبِط نحو مريدِها الوادي، وأنا وبي ما لا تعرفه الجداولُ، ولا تسمع به الأزهارُ، ولا تُدْرِكُه الغُيوم، قد رأيتُنِي وحيدا في مِحنتي، منفرداً في غَرامي، بعيداً عن التي لا تُريدُني جندِياً في كتائبِ أبيها، ولا ترضاني خادماً في قصرها ".

وسكتَ الفتى هُنَيْهَةً كأنه يريدُ أن يتعلم الكلامَ من خَرِيْرِ النهرِ وحَفيفِ أَوْرَاق الغصون، ثم عاد فقال:

"وأنتِ يا من أخاف مِن اسمِها أن أدعوها باسمها، أيتها المحجوبةُ عني بستائر العظمة وجدران الجلالِ؛ أيتها الحوريةُ التي لا أطمَعُ بلقائها إلا في الأبدية حيث المساواةُ، يامن تُطِيعُها الصوارم، وتنحني أمامها الرقابُ، وتنفتح لها الخزائنُ والمساجدُ، قد ملكتِ قلباً قدَّسه الحبُ، واستعبدتِ نفساً شرفها اللهُ، وخَلَبْتِ عقلاً كان بالأمس حُراً بحرية هذه الحُقولِ، فصار اليوم أسيرا بقيود هذا العالَم، ولما عرفتُ رفعة منزلتِكِ ونظرتُ إلى حقارتي، علمت أن للآلهةِ أسراراً لا يعرفها الإنسان، وسُبُلاً تذهب بالأرواح إلى حيث المحبةُ تقضي بغير الشرائعِ البشريةِ، أيقنتُ لما نظرتُ إلى عينيكِ أن هذه الحياةَ فردوسٌ، بابه القلب البشري، ولما رأيت شرفكِ وذُلي يتصارعانِ صِرَاعَ مارِدٍ ورِئْبَالٍ، علمتُ أن هذه الأرضَ لم تعُدْ وطناً لي، ظننتُ لما وجدتكِ جالسةً بين نسائكِ، كالوردةِ بين الرّيَاحِيْنِ، أن عَروسَ أحلامي قد تجسدتْ وصارتْ بَشَراً مِثلي، ولما تخبرتُ مجد أبيكِ وجدتُ أن دون اجتناءِ الوَرْدِ أشوَاكاً تُدْمِيْ الأصابعَ، وأن ما تجمعُه الأحلامُ تُفَرِّقُهُ اليقظة" ...

وقام إذْ ذَاك ومشى نحو الينبوعِ منخفضَ الجَناح، كسيرَ القلب، مجسِّمَاً الأسَى والقُنُوْطَ بهذه الكلمات:

"تعالَ يا موت وأنقذْني، فالأرضُ التي تخنق أشواكها أزهارها لا تصلح للسكن. هلم وخلصني من أيامٍ تخلعُ الحبَّ عن كرسي مجده وتقيمُ الشرف العالي مكانه. خلِّصْنِيْ، يا موتُ فالأبدية أجدر ببقاء المحبين من هذا العالَم. هناك يا موتُ أنتظر حبيبتي، وهناك أجتمِعُ بها."

بلغ الينبوعَ وقد جاء المساءُ، وأخذتِ الشمسُ تلُمُّ وَشاحَها الذهبيَّ عن الحَقل، فجلس يذرِف الدموعَ على حضيضٍ وطِئَتْهُ قدمَا ابنةِ الأمير، وقد حنى رأسَه على صدره كأنه يمنَع قلبه من الخروج.

في تلك الدقيقة ظهرت من وراء أشجار الصَّفْصَاف صبيةٌ تجُرُّ أذيالَها على الأعشاب، ووقفتْ بجانب الفتى، ووضعتْ يدها الحريرية على رأسه، فنظر إليها نظرةَ نائمٍ أيقظه شعاعُ الشمسِ، فرأى ابنةَ الأمير واقفةً حذاءَه، فجثَا على ركبتيه مثلما فعل موسى عندما رأَى العُلّيْقَةَ مشتعلةً أمامَه، ولما أراد الكلامَ أُرْتِجَ عليهِ، فنابتْ عيناه الطافحتانِ بالدمع عن لسانه.

ثم عانقتْه الصبيةُ وقبَّلتْ شفتَيْه، وقبَّلَتْ عينيه راشفةٌ المدامعَ السخينةَ، وقالت بصوتٍ ألطفَ من نغمة الناي:

" قد رأيتك، يا حبيبي في أحلامي، ونظرت وجهَك في وحدتي وانقطاعي، فأنت رفيقُ نفسي الذي فقدتُه، ونصفي الجميل الذي انفصلتُ عنه عندما حُكِمَ عليَّ بالمجيء إلى هذا العالَم. قد جئتُ سراً، يا حبيبي، لألتقي بك؛ وها أنتَ الآن بين ذراعيَّ، فلا تجزَعْ! قد تركتُ مجدَ والدي لأتْبَعَكَ إلى أقاصي الأرضِ، وأشرَبَ معك كأسَ الحياة والموتِ. قمْ، يا حبيبي، فنذهب إلى البرية البعيدةِ عن الإنسان. "

ومشى الحبيبان بين الأشجارِ تَخْفِيْهُمَا ستائرُ الليل، ولا يُخِيْفُهُمَا بطشُ الأمير، ولا أشباحُ الظُلْمَة.

هناك في أطراف البلاد عثَر روّاد الأمير على هَيْكَلَيْنِ بَشَريين في عنق أحدهما قلادة ذهبية، وبقربهما حجرٌ كُتبت عليه هذه الكلمات:

"قد جَمَعَنَا الحبُّ فمن يُفرّقُنا، وأخذنا الموت فمن يُرجِعُنَا؟".

7.2.5 معاني المفردات الصعبة وتحليلها

الكلمات العربية	معانيها بالعربية	معانيها بالإنكليزية
الصَّفصاف	شجر الخِلاف، وهو جنس شجر ينمو في المناطق الباردة والمعتدلة وعلى الأخصّ بالقرب من المياه	Willow tree
كرز بالشيء	بشر به	Preach, propagate
تشَبَّب الشاعر بالمرأة	تَغَزَّل فيها وذكر محاسنها وجمالها	To talk or write in a rhapsodic manner, love poetry
زهرة الأقحوان	زهرة حمراء أو بيضاء	Chrysanthemum, daisy
ريحُ الشَّمال	الريح التي تهبُّ من تلك الجهة، وهي ريح باردة، وعكسها ريح الجنوب	North wind
الهزاز	طائر	Red crossbill
زهرة البنفسج	زهرة ذات رائحة عطرة	Violet flower, martagon lily
الشحرور	الزرياب	Common blackbird
الأشباح	جمع شبح، الظل والخيال	An indistinct shape, phantom, ghost
الكوخ	بيت صغير من قصب أو غيره بدون نافذة	Wooden shed, small house
الحورية	المرأة الحسناء	Beautiful young woman, nymph
لذعه اللهيب	أحرقته النار	Burn

أهرق الماء	أراقه أو صبه أو سكبه	Pour, shed, spill
شل	أصيب بالشلل وهو تعطل في حركة العضو	Paralysis, disability
الجدول	نهر صغير	Streamlet, watercourse, current
تنسم	تنفس وشم	Breathe, respire
كتيبة	جمعها كتائب، الجيش	Brigade, battalion
هنيهة	يقال انتظر هنيهة أي وقتا يسيرا وقليلا من الزمان	A short span of time, brief period of time
الخرير	صوت يحدث من شدة جريان الماء	Burble, low continuous vibrating sound of water
حفيف أوراق الشجر	الصوت الصادر عن تحركها	Murmuring, rustling
صوارم	جمع صارم: السيف القاطع	Sharp
خلب عقلَه	سلبه إياه، وخدعه بحلو الكلام	To play trick on, allure, cheat
الأبدية	دوام لا نهاية له، المراد به الحياة الأخروية	Eternity, life hereafter
المارد	العفريت من الجن	Ifrit, mischievous devil
الرئبال	من أسماء الأسد والذئب، والمراد صراع شديد بين قوتين بارزتين	Wolf
تجسد الحلم	اكتسب شكلا أو قالبا محسوسا	Materialise, realise
منخفض الجناح	عاجزا ذليلا	Having lost honour
الحضيض	ما سفل من الأرض	Depth, lowland
تخبَّر الخبر	سأل عنه	Inquire about, search into
لمَّ الشيء	جمعه	Collect, gather
الوشاح	نسيج عريض يرصع بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها، ولم الوشاح كناية عن ذهاب ضوء الشمس	Neckerchief
الذيل	أسفل الثوب	Train of the cloth
أُرتج عليه	استغلق الكلام عليه	Be tongue-tied, be dumbfounded
العُلّيقة	هي الأعشاب، إشارة إلى قصة ظهور النور الإلهي أمام موسى عليه السلام، كما في الكتاب المقدس أنه ظهر من بين عليقة وأعشاب.	Burning bush
النغمة	الرنة والصوت الحسن	Note, tone
الناي	آلة موسيقية	Flute, reed pipe

طفح	امتلأ حتى فاض من الجوانب	Overflow, brim with
الأقاصي	جمع أقصى: الجهات البعيدة من الأرض	Farthest
رشق	رمى، راشقة المدامع معناه وهي تبكي بكاء مرًّا	Cry bitterly

7.2.6 تحليل القصة

هذه القصة من أعمال الكاتب القدير والفنان البليغ جبران خليل جبران الذي آمن بالحب وعاش للحب ودعى إلى الحب بين الإنسانية، لم يعد جبران لأن يكون قصاصا بكل ما في الكلمة من معنى، فقصصه تسيطر عليه طبيعة الفنان الوجداني المرهف الحس والشعور وطبيعة المرشد والمصلح والواعظ، ولهذا لم يهتم جبران للعقدة والسرد والسياق قدر ما اهتم للمغزى ولبث الشعور وتركيب الصور، واختراعات الخيال الخلاق الساحر.

فقد رمى في قصصه إلى النقد المتهكم، ومزج أقاصيصه بآرائه الاجتماعية وجعلها مركبا لانطلاق خياله وتلوينات فنه، وملأها بالعناصر المؤلمة من الحياة التي كان نظره دائم الامتداد إليها، رغبة منه في تفجير شعوره على قلوب المتألمين، ورغبة منه في إطلاق صوته في وجوه المتكبرين والمستبدين الذين لا يشعرون بشعور البائسين، وهكذا كان قصصه دروسا ورسوما ورحلات فنية تنطلق من الواقع وتهبط في اللا واقع.

كان جبران فيلسوفا في برد شاعر، سكب أفكاره في قالب جبراني خاص يقوم على التلوين الكتابي والتقطيع الموسيقي والابتكار البديعي والانطلاق الخيالي الذي ينطلق بالصور الجديدة التي لا يحلم بها غير جبران، كانت كتابته عمقا في الفكر في عالم من السحر، وهو لا شك ساحر بلفظه وعباراته ومجمل كتابته، وكانت قصصه مسرودة في أسلوب شعري يحتل فيها الخيال وصور الطبيعة مكانة مرموقة.

ويعمد جبران إلى الرمزية في كتاباته، تلك الرمزية الرومانطيقية التي تصوغ من العاطفة والخيال والموسيقى سلم جمال يصعد فيها القارئ لتصيد الأفكار والتمتع برؤى الإيحاء من وراء أجواء لا تخلو من ضباب، بالإضافة إلى اللغة الشعرية التي لجأ إليها كي يعبر بها عن رؤيته وتصوّره، وبالطبع هذا من الخصائص الفنيّة للأدب الرّومانسيّ، وكما يبدو البعد الفلسفي جليًّا عند جبران وعميقًا، وتتجلّى الرؤية التي كوّنها حول الحرية، والإنسان، والحياة وغيرها، ويظهر هذا الاتجاه الفلسفي في هذه القصة جليا في مواضع شتى.

نرى الفتى بطل القصة يخاطب الحب ويبوح له بجميع خيبات أمله، بحيث يشعر القارئ أن الحب هو الشعور الأمثل والأعلى في الكون، ويرى سير الحبيب إلى محبوبه في الظواهر الكونية كلها، ولكنه يحب الفتاة التي عشقها حبا عميقا لا يرى في وجوده سببا ولا غاية غير الوصال إليها، حتى ولو كان ذلك بعد الموت، ويخاطب الموت أن ينتشله من الحياة حتى يجتمع بحبيبته في الأبدية، وتنتهي القصة بوصال الحبيبين ووصولهما إلى حيث كان يرغب في الوصول إليه، والكتابة الموجودة على الحجر بجانب هيكل الحبيبين "قد جمعنا الحب فمن يُفرّقنا، وأخذنا الموت فمن يُرجعنا؟" تُعلنُ فلسفة جبران عن الحب الخالد.

فقد أكثر جبران من استعمال المجازات والاستعارات البديعة كما في قوله "عانقني الشوق بمجاعة روحية لن تزول بغير قُبَل الحبيب"، فإنه شبه إحاطة الشوق به باللوعة بالمعانقة وعبر عن شعوره الشديد وحاجته إلى الوصال بمجاعة روحية مما لا يكتب مثله غير جبران، وكذلك نجد الكثير من التشبيهات الأخاذة كما في قوله "فجثا على ركبتيه مثلما فعل موسى عندما رأى العليقة مشتعلة أمامه"، مما يرمز به إلى تاريخ موسى عليه السلام فوق الطور.

وعباراته ملئية بالشعر والشعور، فنرى عبارته " وسكت الفتى هنيهة كأنه يريد أن يتعلم الكلام من خرير النهر وحفيف أوراق الغصون" في غاية الروعة والجمال، ومن أمثلتها أيضا قوله"أيقنت لما نظرت إلى عينيك أن هذه الحياة فردوس بابه القلب البشري"وقوله "وأخذت الشمس تلم وشاحها الذهبي عن الحقل" معبرا عن غروب الشمس وغياب الضوء.

وأما من ناحية عناصر القصة، فإن جبران أحد رواد هذا الفن ومن أوائل من كتبوا القصة القصيرة في اللغة العربية، ولم تكن العناصر الفنية موجودة في كتاباته بشكل متكامل، فمن حيث الحدث: هو وقوع الفتى الفقير ابن زراع في حب الفتاة ابنة الأمير، واللوعة وخيبة الأمل التي يشعر بها الفتى بعد ذلك، ثم وصالهما ووصولهما إلى حيث كانا يرغبان الوصول، ومن حيث الشخصيات: الشخصية الرئيسية هو الفتى الذي يدور القصة حوله والذي سرد الكاتب تفاصيل عن شخصيته ونفسيته طوال مسيرة القصة، والشخصية الثانية الفتاة، ولكن ليس في القصة تصوير كاف لحالتها أو نفسيتها.

وأما من حيث الزمان والمكان فتبدأ قصة الحب من ضفة نهر هادئة تظللها الأشجار وتناسب أن يقع الحب فيها، ثم تدور الأحداث في ذهن الفتى ونفسه، ثم يلتقي الحبيبان على شاطئ الينبوع في مساء حيث يكون الطبيعة جميلة خلابة ومواتية للوصال، ويمشيان في الليل إلى الأبدية حيث لا يزعجهما شيء، ثم بعد أيام يتم العثور على جثيهما في أطراف البلاد.

وأما حبكة القصة فهي محكمة مرتبة ترتيبا منطقيا ومسلسلة بشكل سردي جميل، حتى تتمكن من توليد أثر عاطفي أو فني لدى المتابع، فبدءًا من وقوع الحب وما يترتب بعد ذلك من الأزمات النفسية والعملية وخيبات الأمل وتمني الموت حتى يتحقق الوصال والمشي والحياة والموت معا، وأما الحوار فقد استخدمه الكاتب لإبداء فلسفته وفكرته حيث يستغرق الحوار حيزا كبيرا من القصة، وأكثر هذه الحوارات ليست لمخاطب معين، حيث خاطب الفتى الحب والموت والطبيعة والفتاة حالة غيابها، فهي حوارات ذهنية، وأما الحوار الذي في شكل محادثة فهو ما بعد لقاء الحبيبين أخيرا.

وأما اللغة المستعملة في القصة فهي لغة جذابة فنية، ليست بالعامية المبتذلة و لم تكتب بالفصحى المتقعرة الألفاظ، وإنما كتبت بلغة وسطى يفهمها كل قارئ لها، لغة تتشكل من خلالها المواقف والرؤى والمشاعر.

7.3 التمرينات

7.3.1- أسئلة للمراجعة

1- من هو جبران خليل جبران؟

2- ما هي الجمعية التي أنشأها جبران مع أدباء آخرين في نيويورك؟

3- أين مات جبران وأين دُفن؟

4- ماذا تعرف عن كتاب "دمعة وابتسامة"؟

5- ما هي الفلسفة التي يقدمها جبران من خلال قصة "حكاية"؟

6- ما هي المؤلفات المهمة لجبران خليل جبران؟ وأيها ألفت باللغة الإنجليزية؟

7- ماذا تعرف عن أسلوب كتابة جبران؟

8- أين رأى الفتى الصبية التي عشقها لأول مرة؟

9- من كانت تلك الصبية التي رآها الفتى؟

10- ماذا يقول الفتى مخاطبا للحب؟

11- متى عرف الفتى سبب مجيئه إلى هذا العالم؟

12- ماذا فعل الفتى حينما رأى الصبية التي يعشقها أمامه؟

13- ماذا يريد الكاتب بقوله "وسبلاً تذهب بالأرواح إلى حيث المحبة تقضي بغير الشرائع البشرية".

14- بيّن السياق: "خلصني يا موت فالأبدية أجدر ببقاء المحبين من هذا العالم"

15- اشرح العبارة: "وأن ما تجمعه الأحلام تفرقه اليقظة".

16- إلى ماذا يشير الكتابة الموجودة قرب جثث الحبيبين: "قد جمعنا الحب فمن يُفرّقنا، وأخذنا الموت فمن يُرجعنا؟".

7.3.2- نشاطات الوحدة

1- اكتب ملخصا وجيزا لقصة "حكاية" في عبارات من إنشائك.

2- ما هي التعبيرات التي أعجبتك بها في هذه القصة؟ اخترها واكتبها في دفترك، واستعملها في جمل أدبية فصيحة من إنشائك.

3- ترجم قصة "حكاية" إلى لغتك الأم في أسلوب أدبي وبكلمات فصيحة رائعة.

4- ترجم الفقرة التالية إلى الإنجليزية أو الأردية:

أ- "رأيتك أيتها الجميلة فعرفت سبب مجيئي إلى هذا العالم، ولما عرفت رفعة منزلتك ونظرت إلى حقارتي علمت أن للآلهة أسراراً لا يعرفها الإنسان، وسبلاً تذهب بالأرواح إلى حيث المحبة تقضي بغير الشرائع البشرية."

ب- الجداول تسير إلى حبيبها البحر، والأزهار تتنسم لعشيقها النور، والغيوم تهبط نحو مريدها الوادي. وأنا وبي ما لا تعرفه الجداول ولا تسمع به الأزهار ولا تدركه الغيوم.

5- اكتشف مفردات/ جموع الكلمات التالية:

ضفة	.....	حقول	.....
فتى	.....	ينبوع	.....
أغصان	.....	الأشباح	.....
البريء	.....	الجداول	.....
ستائر	.....	الشرائع	.....
فردوس	.....	أشواك	.....
مدامع	.....	أحلام	.....
شعاع	.....	هيكل	.....

6- اكتشف ماضي/ مضارع الكلمات التالية:

مشى	.....	عثر	.....
يُرجع	.....	رُبّي	.....
تسيل	.....	أطلق	.....
تتخلى	.....	تُدرك	.....
ترضاني	.....	أخاف	.....
تخاصم	.....	أيقن	.....

7- حاول اكتشاف مترادفات الكلمات التالية:

غصن	.....	الدمع	.....
الشعاع	.....	الجدول	.....
ضفة	.....	حُلم	.....
كتيبة	.....	سال	.....

8- كون جملة مفيدة باستخدام الكلمات التالية:

خرير المياه .....

لذعه اللهيب .....

هيكل بشري .....

قلادة ذهبية .....

الوردة بين الرياحين .....

7.4 نتائج التعلم

بعد دراسة هذه الوحدة تعلمنا أشياء كثيرة عن قصة "حكاية"، ومن أهمها:

- الاطلاع على نبذة يسيرة عن كتاب "دمعة وابتسامة" من خلال إحدى قصصها، وكاتبه جبران خليل جبران ومساهماته الأدبية ومؤلفاته بشكل موجز.
- التعرف على قصة "حكاية "، ودراسة متنها وتحليلها تحليلا لغويا وفنيا.
- معرفة طريقة تحليل القصة تحليلا فنيا.

7.5 الكلمات الصعبة ومعانيها

إطلالة	أطلَّ على الشَّيءِ: أشرف عليه، يقال مدينة تُطِلّ على البحر	Peep into
أرسى حجر الأساس	وضع الحَجَرَ الأوَّلَ إِشَارَةً إلى بِدَايَةِ عَمَلِيَّةِ بناء	Laying the foundation stone
المرهَف الحس	حساس رقيق الحس	Delicate; sensitive

النقد المتهكم	النقد المُسْتَهْزِئُ، أَي يَتَهَكَّمُ وَيَسْخَرُ مِنْ الأمور	Sarcastic criticism
المستبد	المتعسف	Autocratic, despotic, totalitarian
فظ	الجافي المسُيءُ، مفتقر للسلوك الحسن والتصرفات المهذبة	Discourteous, cruel, ill-mannered
سِكّير	خِمير	Drunkard, alcoholic, boozer
المغزى	الفحوى	Content, purport, gist
العقدة	لُغز، مشكلة	Problem

7.6 أسئلة الاختبار النموذجية

7.6.1 أسئلة موضوعية

1- وُلد جبران في :

(a) سوريا (b) أمريكا (c) لبنان (d) العراق

2- سيدة منحت جبران حبها ومالها:

(a) ماري هاسكل (b) مي زيادة (c) وردة اليازجي (d) عائشة تيمورية

3- الجمعية التي أسسها جبران وأصدقاؤه من الأدباء

(a) الديوان (b) الرابطة القلمية (c) العصبة الأندلسية (d) عصبة العشرة

4- الأدب العربي في البلاد الذي نزح إليها العرب يعرف باسم

(a) أدب المنفى (b) أدب المهجر (c) أدب اللجوء (d) أدب السجن

5- توفي جبران في مدينة

(a) لندن (b) واشنطن (c) نيويورك (d) بيروت

6- ينتمي جبران إلى الاتجاه .....

(a) النيو كلاسيكي (b) الواقعي (c) الكلاسيكي (d) الرومانسي

7- قصة "حكاية" مأخوذة من كتاب .....

(a) الأرواح المتمردة (b) الأجنحة المتكسرة (c) عرائس المروج (d) دمعة وابتسامة

8- كان الفتى بطل القصة

(a) نجارا (b) ابن زراع (c) أميرا (d) جنديا

9- محور قصة "حكاية"

(a) الحب (b) الحرب (c) الفقر (d) الملك

10- ما معنى "لذعه اللهيب"

(a) أحرقته حرارة النار (b) لدغه العقرب (c) أوجعته لوعة الحب (d) أيقظه الشعاع

7.6.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- ماذا تعرف عن كتاب "دمعة وابتسامة"؟

2- ما هو المحور الذي تدور حوله قصة "حكاية"؟

3- بين السياق: "خلصني يا موت فالأبدية أجدر ببقاء المحبين من هذا العالم"

4- اكتب ملخصا وجيزا لقصة "حكاية" بحيث لا يقل عن عشرة سطور.

5- كيف كانت خاتمة القصة؟

7.6.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- حلل العناصر الفنية والأدبية في قصة "حكاية"

2- إسهامات جبران خليل جبران ومكانته في الأدب العربي

3- شكل العبارة التالية بالتشكيل الإعرابي ثم ترجمها إلى اللغة الأردية أو الإنجليزية واشرحها شرحا وافيا.

"قد رأيتك يا حبيبي في أحلامي، ونظرت وجهك في وحدتي وانقطاعي، فأنت رفيق نفسي الذي فقدته، ونصفي الجميل الذي انفصلت عنه عندما حكم علي بالمجيء إلى هذا العالم، قد جئت سراً يا حبيبي لألتقي بك، وها أنت الآن بين ذراعي فلا تجزع! فقد تركت مجد والدي لأتبعك إلى أقاصي الأرض وأشرب معك كأس الحياة والموت. قم يا حبيبي فنذهب إلى البرية البعيدة عن الإنسان."

7.7 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1- ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران: حياته، موته، أدبه، فنه، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، طبعة سابعة، 1974م.

2- جبر جميل، جبران: سيرته أدبه فلسفته ورسمه، بيروت ريحاني هاوس، 1958

3- غطاس أنطون كرم، محاضرات في جبران خليل جبران وسيرته وتكوينه الثقافي، مؤلفاته العربية، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالمية، 1964م.

4- الأجنحة المتكسرة، جبران خليل جبران، المكتبة الثقافية، بيروت

5- الأعمال الكاملة، جبران خليل جبران، المكتبة الثقافية، بيروت

6- البدائع والطرائف، جبران خليل جبران، مركز إنسان للدراسات والنشر والتوزيع.

7- دمعة وابتسامة، جبران خليل جبران، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2011م.

8- العواصف، جبران خليل جبران، الهلال، القاهرة، 1920

9- النبي، جبران خليل جبران، القاهرة، دار الشروق، 2000

10- المواكب، جبران خليل جبران، مرآة الغرب، نيويورك 1919

الوحدة: 8

أسلوب المنفلوطي وجبران

عناصر الوحدة

8.0 التمهيد

8.1 أهداف الوحدة

8.2 أسلوب المنفلوطي

8.2.1 ازدهار شخصية المنفلوطي

8.2.2 مؤلفات المنفلوطي

8.2.3 خصائص أسلوبه

8.2.4 البؤس والشقاء والتشاؤم في أدبه

8.2.5 الانتقادات التي واجهها

8.3 أسلوب جبران

8.3.1 مؤلفات جبران

8.3.2 خصائص أسلوبه

7.3.3 آراء النقاد في جبران والانتقادات التي واجهها

8.4 التمرينات

8.5 نتائج التعلم

8.6 الكلمات الصعبة ومعانيها

8.7 أسئلة الاختبار النموذجية

8.8 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

8.0 التمهيد

قرأنا في الوحدتين السابقتين قصتين قصيرتين نابعتين لأديبين كبيرين، ولهما بالغ الأثر في تطور فن القصة في العصر الحديث. يجدر بنا الآن الاطلاع على حياة وأساليب الكاتبين بشيء من التفصيل، حتى نكون على بصيرة كاملة عن الكاتبين وطريقة كتابتهما في فن القصة القصيرة. إنهما من رواد فن القصة القصيرة، ويمثلان الريادة غير الناضجة لفن القصة، كما سبقت الإشارة إليها في الوحدات السابقة. وقد أسهم الكاتبان بدورهما المبدع الخلاق في تطور الفن إلى الحالة التي هي عليها في العصر الراهن.

فقد كان للأدباء على مر العصور أساليب مختلفة وألوان متباينة لإنتاجهم الأدبي، ويعود سببها إلى عوامل متنوعة، منها ظروف العيش والتربية وطبائع النفوس ومنابع استقاء العلم، والمدرسة الأدبية والشخصيات المؤثرة في حياة الأديب، وغيرها من العوامل. فكاتب القصة الأولى هو "مصطفى لطفي المنفلوطي" قد تميز بأدب فريد مبتكر في قصصٍ رائعة، يصف الألم والبؤس ويمثل العيوب، بأسلوب عذب ولفظ قوي وبيانٍ جَزل، كما تميز أدب المنفلوطي بروعة البيان وعمق التعبير، وبأنه لم يحتذ حذو أحد من الأدباء؛ بل كان له أسلوب خاص فريد. وأما كاتب القصة الثانية فهو جبران خليل جبران. وهو من أحد ألمع الأعلام اللبنانيين في الوطن العربي والمهجر، ويعد من أحد أبرز رواد النهضة الأدبية الحديثة، ورائد من رواد المدرسة الرومانطيقية. وكان يمتلك أسلوبا فذا يمتاز به عن غيره من الأدباء المعاصرين ومن جاؤوا بعده. وهو لم يكن أديبا فحسب، بل وكانت مواهبه تتسع للفن والرسم والفلسفة، وكذلك كتب في مجال المقالات والسرد والشعر. يتميز أسلوبه بالثورة على القيود والعادات والتقاليد وعقائد الدين، ومحاولة التحرر منها، والتجديد في اللغة والكلمات، والتمتع بالحياة النقية.

نطلع في هذه الوحدة على أسلوب ومناهج الكاتبين في كتابتهما السردية وخاصة في مجال القصة القصيرة، مع تحليلها وتسليط الضوء على إنتاجهما الأدبي الهائل.

8.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى:

- تزويد الطالب بمعلومات أساسية عن مؤلفات وكتب الكاتبين مصطفى لطفي المنفلوطي وجبران خليل جبران والعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيتهما وأسلوبهما الأدبي.
- البحث عن مكانة الكاتبين وإنتاجاتهما الأدبية في موكب الأدب العربي، وإبداء دورهما الفعال في نهضة النثر الفني في العصر الحديث بعد ما كان راكدا جامدا في العصور الوسطى.
- تحليل أسلوبهما في الكتابة نثرا وشعرا والاطلاع على آراء النقاد فيهما فنا وأسلوبا.

8.2 أسلوب المنفلوطي

إن الأديب أو الكاتب يتأثر أسلوبه إلى حد بعيد بشخصيته. وشخصيته تنمي وتزدهر بالأوضاع والبيئة التي تعيش فيها الأديب. فلا بد لنا أن نتعرف على الأوضاع التي ترعرع فيها الأديب قبل أن نخوض في مباحث أسلوبه. ولذا نذكر هنا ازدهار شخصية المنفلوطي في البيئة المحيطة بها والأوضاع التي تأثرت بها تأثرا كبيرا.

8.2.1 ازدهار شخصية المنفلوطي

هام المنفلوطي بالأدب حبا منذ حداثة سنه، وأخذ يتزود من ينابيع الأدب العربي قديمه وحديثه شعرا ونثرا، وقد حاربه شيوخه في الأزهر وحاولوا أن يقفوا بينه وبين كتبه الأدبية، فنفر منهم وازداد شغفا به وعكوفا عليه، واتصل بالشيخ محمد عبده، وكان لصحبته للشيخ محمد عبده أثر عميق في تفكيره، وتحديد أهدافه، حيث حبب إليه دراسة الأدب، ثم اتصل بسعد زغلول عن طريق الشيخ محمد عبده، وعن طريقهما تعرف بالسيد علي يوسف، صاحب المؤيد. وقد كان لهؤلاء الثلاثة: الشيخ محمد عبده، والسياسي سعد زغلول باشا، والصحفي الكاتب علي يوسف أثر كبير في تكوين المنفلوطي الأديب، وشهرته ودفعه في الطريق الذي اختاره لنفسه، وهو طريق الأدب والإصلاح الاجتماعي.

وما لبث منذ أن آنس من نفسه القدرة على الإفصاح عما يجيش في صدره حتى أشهر يراعه ولم يضعه إلا حين وافته المنية. إن المنفلوطي رغم قصر عمره ووفاته دون سن الخمسين وقلة عدد أعماله الأدبية مؤلفة ومترجمة، كان أشد تأثيرا في معظم الذين اشتغلوا بالأدب شعرا ونثرا خلال النصف الأول من القرن العشرين، وأكثر الناس تأثرا به هم كتاب الرواية أمثال نجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوي ويوسف السباعي، أكثر من هذا أنه أقوى الأدباء العرب قاطبة انتشارا وقراءة.

لم يكن المنفلوطي يعرف من اللغات غير العربية، ولكن ذلك لم يمنعه من قراءة ما ترجم من اللغات الأجنبية إليها، وأعجب بآثار الرومانسيين، وأقبل عليها بشغف ولذة، وقد حرضته روحه الطامحة أن يترجم بعض الآثار القصصية، فاستعان بمن يترجم له تلك القصص ترجمة حرفية ثم صاغها بقلمه صياغة عربية مع كثير من التصرف والحرية في التعبير كما فعل في "الفضيلة"، وكانت قد ترجمت من قبل على يد محمد عثمان جلال، وفي "ماجدولين"، و"الشاعر"، و"في سبيل التاج". والأخيرتان تمثيليتان أحالهما المنفلوطي إلى الأسلوب القصصي السردي، كما فعل كذلك ببعض القصص القصيرة التي نشرها في كتابه "العبرات".

وقد كتب المنفلوطي شعرا رقيقا، أو بدأ المنفلوطي حياته الأدبية شاعرا قبل أن يصبح كاتبا معروفا صاحب أسلوب خاص ثم هجر الشعر وركز على النثر فيما بعد. وقد نظم الشعر في أغراض اعتاد الناس أن ينظموا فيها. فكان شاعر السياسة والمدح والرثاء، وكان من شعراء الاتجاه المحافظ البياني، الذي راده البارودي،حريصا على مراعاة التقاليد الفنية للشعر العربي في عصره. يتميز شعره بروح البلاغة العربية، كما أن شعره يمتاز بالسهولة والصفاء والوضوح.

كان لسان حال عصره وطبقته الفقيرة من الناس. وكان شاعر الشعب كما كان كاتبهم يعبر عن مشاعرهم وقضاياهم، وقد حكم عليه بالسجن بسبب قصيدته التي هجا فيها الخديوي عباسا هجاء لاذعا. وقد تقدم تلك القصيدة وشعره بعد الإفراج عنه من السجن في طلب العفو والاعتذار. ومن نماذج أشعار المنفلوطي من قصيدة (سقاها وحيّا تربها وابلُ القطرِ):

سقاها وحيّا تربها وابلُ القطرِ وإن أصبحت قفراءَ في مهمةٍ قفرِ
طواها البلى طيَّ الشحيحِ رداءَه وليس لما يطوى الجديدانِ من نشرِ

وفي أثناء تعليمه في الأزهر وحينما اشتد الخلاف بين الشيخ محمد عبده والخديوي عباس هجا المنفلوطي عباسًا بقصيدة مطلعها:

قدوم ولكن لا أقول سعيد وملك وإن طال المدى سيبيد

وقد نشرت في إحدى الصحف الأسبوعية في يوم عودة عباس من رحلته إلى أوروبا. فحكم على المنفلوطي بالسجن عامًا، وبغرامة قدرها عشرون جنيهًا، وبعد وساطة من الإمام محمد عبده لدى الخديوي حين عاد الوفاق بينهما أفرج عنه. ولما خرج مدح الخديوي شاكرًا بعدة قصائد يقول في إحداها:

وعفوت عني عفو مقتدر والذنب فوق العفو والغفر

لم يشتهر المنفلوطي بالشعر العربي مثلما ذاع صيته بالنثر الأدبي. وقبل أن نخوض في مباحث أسلوبه لا بد لنا أن نتعرف على مؤلفاته النثرية القيمة التي اشتهر بها المنفلوطي وأصبح من رواد الأدب العربي الحديث. وهي كما يلي:

8.2.2 مؤلفات المنفلوطي

بدأ المنفلوطي ينشر بعض مقالاته الأدبية عام 1897م في بعض الصحف المشهورة في ذلك الوقت مثل "الصاعقة" و"المؤيد"، وبدأت شهرته تتأكد من خلال مقالاته التي يدعو فيها إلى الإصلاح بأسلوب أدبي يجمع بين حسن الصنعة وتلقائية الموهبة، ولا ريب في أن أسلوب المنفلوطي السهل الممتنع تأليفا وترجمة، هو الذي أعطاه بعض ما يحمل من شهرة أدبية واسعة على امتداد الوطن العربي كله منذ ظهوره إلى اليوم. وقد لاقت كتب المنفلوطي الروائية وكتبه الأدبية شهرة واسعة في جميع الأقطار العربية، فطبعت عدة مرات. فقد طبعت بعض أعماله حتى اليوم حوالي ثلاثين مرة. ولم يكن أدب المنفلوطي مقروءا فحسب، وإنما كان الكثيرون يحفظونه عن ظهر قلب، يتساوى في ذلك الأدباء والهواة، والرجال والنساء، والشباب والشابات، وهي:

1- كتاب "النظرات":

اطلعنا على نبذة يسيرة عن كتاب النظرات في الوحدة الخامسة، وهو في ثلاثة أجزاء تضم مقالات في الأدب الاجتماعي والنقد الأدبي والسياسة والإسلاميات والشعر والرثاء ومجموعة من القصص القصيرة المنقولة أو الموضوعة، نُشرت جميعها في جريدة "المؤيد" وجرائد أخرى، وقد بدأ كتابتها منذ العام 1907م.

2- مختارات المنفلوطي:

وهي مجموعة من جيد منظوم العرب ومنثورها في حاضرها وماضيها، جمعها المنفلوطي بنفسه لتهذيب بيان الناشئة وتقويم لسان طلاب المدارس، وقد طبع من المختارات جزء واحد فقط عام 1971م.

3- كتاب "العبرات":

يضم تسع قصص، ثلاث وضعها المنفلوطي وهن: اليتيم والحجاب والهاوية، وواحدة مقتبسة من قصة أمريكية اسمها : صراخ القبور وجعلها كاتبنا بعنوان: العقاب، وخمس قصص مترجمة صاغها المنفلوطي وهن: الشهداء، الذكرى، الجزاء، الضحية، الانتقام. كل هذه القصص تدور حول مآسي الحياة بما فيها من معاناة وآلام وشقاء ويجمعها أنّ في كل منها عبرة ومغزى وقيمة أخلاقية أو اجتماعية يهدف بها المنفلوطي إلى معالجة بعض القضايا التي كانت ملمّة بالأمة والناس في عصره كالحجاب والإدمان، وقد طبع هذا الكتاب عام 1916م.

4- رواية "ماجدولين" أو (تحت ظلال الزيزفون) ١٩١٧م:

كتبها المنفلوطي بعد ترجمتها له عن الفرنسية وجعلها بعنوان (ماجدولين). هي رواية من الأدب الرومانسي، تُظهر مقدرة الحب على إنهاء الحياة بشكل تراجيدي، وهي في الأصل للكاتب الفرنسي ألفونس كار.

5- رواية "في سبيل التاج":

ألفها المنفلوطي وتصرف فيها بعد أن ترجمت له عن الفرنسية. وهي أساسا مأساة شعرية تمثيلية، كتبها فرانسوا كوبيه أحد أدباء القرن التاسع عشر في فرنسا. وكان المنفلوطي قد أهداها إلى الزعيم سعد زغلول في العام ١٩١٠م.

6- رواية "الشاعر":

صاغها المنفلوطي بأسلوبه الخاص بعد أن ترجمت له عن الفرنسية وهي في الأصل بعنوان : "سيران دي برجراك" للكاتب الفرنسي إدموند روستان. وقد نشر النص العربي في العام ١٩٢١م.

7- رواية "الفضيلة" أو (بول وفرجيني) ١٩٢٣م :

صاغها المنفلوطي بعد ترجمتها له عن الفرنسية وجعلها بعنوان "الفضيلة"، وهي قصة تدعو إلى مكارم الأخلاق وتمجيد الفضيله وفيها يصور المنفلوطي القيم الأخلاقية التي يجب أن تغرسها الأمهات في الأبناء عند تربيتهم، وهي في الأصل للكاتب برناردين دي سان بيار أحد أدباء القرن التاسع عشر في فرنسا، وكان قد كتبها في العام ١٧٨٨م.

8.2.3 خصائص أسلوبه

يقول المنفلوطي في مقدمة "النظرات":

"يسألني كثير من الناس كما يسألون غيري من الكتاب: كيف أكتب رسائلي؟ كأنما يريدون أن يعرفوا الطريق التي أسلكها إليها فيسلكوها معي، وخيرا لهم أن لا يفعلوا، فإني لا أحب لهم ولا لأحد من الشادين في الأدب أن يكونوا مقيدين في الكتابة بطريقتي أو طريقة أحد من الكتاب غيري، وليعلموا – إن كانوا يعتقدون لي شيئا من الفضل في هذا الأمر – أني ما استطعت أن أكتب لهم تلك الرسائل بهذا الأسلوب الذي يزعمون أنهم يعرفون لي الفضل فيه إلا لأني استطعت أن أتفلت من قيود التمثل والاحتذاء، وما نفعني من ذلك شيء ما نفعني ضعف ذاكرتي والتواؤها علي، وعجزها عن أن تمسك إلا قليلا من المقروءات التي كانت تمر بي".

بهذه العبارة يتجلى أن المنفلوطي يقرر أنه رغم قراءاته الكثيرة فلم يحاول أن يحاكي كاتبا بذاته، بل استطاع أن يصنع لنفسه أسلوبا بديعا ويسلك طريقة جديدة في التعبير متحاشيا قدر المستطاع تقليد غيره.

يمكن تلخيص أهم ميزات أسلوب المنفلوطي في كتاباته، كما يلي:

- البعد عن التكلف والنأي عن التقليد.
- الاهتمام بحسن الصياغة وجمال الإيقاع.
- سلامة الألفاظ وقصر الجمل والاهتمام بالألفاظ العربية.
- ترك التعقيد والمحسنات فيما عدا بعض السجع المطبوع الذي يأتي بين الحين والآخر لدعم موسيقى الصياغة، ورعاية الجانب العاطفي.
- القوة والمتانة والرقة والعذوبة إضافة إلى السلاسة والترسُّل.
- خلوّ التراكيب من أي عيب ونسجها بطريقة بيانيّة غاية في الروعة.

كما تتجلى واضحة في القصة التي سبق أن قرأتها، فقد كتب في الموضوعات الاجتماعية بما فيها الدين والرثاء والأدب، فساعدت النشأة الدينية التي حظي بها المنفلوطي وصحبته للعلماء والزعماء البارزين على التوجه إلى هذه الوجهة في الكتابة.

ومن الأمور اللافتة للنظر في اجتماعياته شدة سخطه وحنقه على الحضارة الغربية. ويرى أن الحضارة الغربية هي التي جرت الموبقات والمفاسد إلى الأمة، وأنها خدعة من خدع الاستعمار لافتتان الشعوب. وقد كتب المنفلوطي عن قضايا الدعارة والخيانة الزوجية والانتحار وسقوط الفتيان والفتيات في مهواة الرذيلة وانحراف بعض الأزواج عن جادة الدين والفضيلة وغير ذلك من التحلل الخلقي، وينسب معظم هذا الفساد إلى تسرب المدنية الغربية، كما كان يفرط في حنوه على المرأة ويبالغ في قضاياها وينعى على الرجل قسوته وغلظته.

وكان يحتفظ بنظرة رومانسية وإنسانية نحو المرأة وقضاياها المختلفة، فلا يرى المنفلوطي فرقا بين المرأة والرجل، ويراها مساوية له وليست تابعة، وأنها حرة، لها كيانها وشخصيتها الخاصة، كما يجل الأمومة ودورها الإنساني العظيم. تظهر هذه النظرة الجميلة الراقية للمرأة والتي يؤكدها بكلماته الخاصة في "النظرات"، فيقول: "إنّ الحياة مسرّات وأحزان، أمّا مسراتها فنحن مدينون بها للمرأة؛ لأنّها مصدرها وينبوعها الذي تتدفق منه، وأمّا أحزانها فالمرأة هي التي تتولى تحويلها إلى مسرّات، أو ترويحها عن نفوس أصحابها على الأقل، فكأننا مدينون للمرأة بحياتنا كلها".

8.2.4 البؤس والشقاء والتشاؤم في أدبه

وأبرز ما ميز أدب المنفلوطي أنه يصف البؤس والشقاء ويظهر في حلة من التشاؤم، ويصور حال المكلومين والتعساء في صور أدبية بديعة تتفجر من أعماق الألم، فكان يحب مطالعة شعر الهموم والأحزان وقصص البؤساء ومواقف الشقاء، وذلك لثلاثة أسباب؛ أولها: أنه كان يرى أن الدموع هي مظهر الرحمة في نفوس الباكين، وأن الباكين هم أصدق الناس حديثًا عنها وتصورًا لها، وثانيها: أنه كان يرى شبهًا قريبًا بين حياته وحياة أولئك البائسين والمنكوبين؛ فلما بكى لبكائهم وجد في مدامعهم شفاءً لنفسه، والثالث: أنه كان يرى جمال العالم كله في الشعر وأن الشعر هو تفجر من صدع الأفئدة الكليمة، فجرى من عيون الباكين مع مدامعهم، وصعد من صدورهم مع زفراتهم.

واختلف الأدباء على بكاء المنفلوطي الأدبي، وأدلى الكثير بآرائهم حول كتاباته الحزينة، منهم من أرجع ذلك إلى أن البكاء كان زيًا من أزياء الأدب الحديث حينذاك، وشغِف به الكتاب والشعراء لأنهم رأوه يتلاءم مع حال الشرق، وحرمانه الحرية ومكابدته الأذى والضيم، فيقول د/ طه حسين، أنه كان البدع في أيام صباه تَكلُّف البؤس وانتحال سوء الحال، والافتتان في شكوى الناس والزمان.

فعصر المنفلوطي كان يعاني الكثير على يد الاستعمار وأعوانه، وقد التأم في نفس المنفلوطي بؤس أمته ببؤس نفسه، فتحول بوقًا لهذا البؤس يبكي في كتاباته ويئن، كما قال الدكتور شوقي ضيف، في حين أن العقاد رأى أن المنفلوطي لم يكن غريبًا أو متطرفًا في بكائه، بل عاديًا وبسيطًا، ذلك لأنه لا يبكي إلا أمام تلك المصائب التي يحس بها الرحماء والقساة، ويتلاقى عليها الأعداء والأصدقاء، لأنها مصائب جسيمة يسمعها الأعمى ويبصرها الأصم.

ويمكن القول بأن المنفلوطي كان صادقًا في حزنه وشقائه، وشعر بمرارة الحياة في أفواه المساكين، ورأى مواقع سهام الدهر في أكباد البائسين والمنكوبين، فما كان همه إلا أن يبكى هؤلاء ويكتب عنهم، يقول المنفلوطي عن البكاء: "ليتك تبكي كلما وقع نظرك على محزون أو مفؤود، فتبتسم سرورًا ببكائك، واغتباطًا بدموعك، لأن الدموع التي تنحدر على خديك في مثل هذا الموقف إنما هي سطور من نور، تسجل لك في تلك الصحيفة البيضاء: أنك إنسان."

8.2.5 الانتقادات التي واجهها

تعرض المنفلوطي وأسلوبه لانتقادات لاذعة في حياته وبعد موته. وقد هاجم عليه إبراهيم عبد القادر المازني وعباس محمود العقاد من زعماء مدرسة الديوان كما انتقده طه حسين، وعمر فاخوري وغيرهم. فإن المازني كان أشد قسوة ووطأة على المنفلوطي، وهو يقرأ كتابيه "النظرات" و"العبرات" ففي فصل عنونه بـ (أدب الضعف) من الجزء الثاني من كتاب "الديوان" يقول المازني: "الأدعياء في كل بلد كثيرون وفي كل قطر كالذباب يعيشون عيالاً على الأدب .... يظهر الدعي فيستولي على الميدان، ويخر الناس له سجداً إلى الأذقان، ويباهون به الأمم والأزمان"، يصف أدب المنفلوطي بالضعف وأنه من أدعياء الأدب!!

كان نقد المازني في أول الأمر في شكل اتهام وانتقاص، ولكن أعطاه المازني بعض حقه المغبون بعد موته؛ بعد أن هاجمه بضراوة من قبل؛ ففي مقال له عقب وفاة المنفلوطي في جريدة «الأخبار» ؛ قال: "فليس من شك في أن المنفلوطي أصاب حظاً وافراً من الشهرة واستفاضة السمعة، وأن كتبه العديدة تلقى إعجاباً وموافقة ليس بهما من خفاء، فإذا كان هذا دليلاً على شيء؛ فهذا الشيء عندنا هو أنه ابن عصره ووليد زمنه الذي نشأ فيه، وأن بينه وبين جمهور قرائه تشاكلاً لا يزال مستمراً إلى حد كبير في عصرنا هذا، وقد يصعب على من تأخر به الزمن عن المنفلوطي وورد شِرعة أخرى من الأدب؛ أن يقدّر النجاح الذي وُفِّق إليه رحمه الله من أول الأمر"

وقد شبه الدكتور شوقي ضيف أدب المنفلوطي بالآنية المزخرفة، الخالية من أي غذاء للذهن والفكر، وصرح أن العصر يقتضي أن يقدم الأدب غذاء للفكر أكثر من أي شيء آخر، ولا يعني هذا أنه ذكره بهذه الأوصاف فقط وقد نجده يستدرك ليفي الرجل حقه، فيقول "ومن الواجب أن نقيس الأديب بمقاييس عصره وأن نحكم عليه بظروف بيئته، وأن لا ننتقل به إلى عصر تال نستمد منه مقاييسنا عليه، والمنفلوطى من هذه الناحية أدى لمصر في أوائل القرن وإلى الحرب العالمية الأولى آثارا أدبية بارعة، وكانت هذه الآثار المثل الأعلى للشباب في إنشائهم وفى صقل مواهبهم".

وكان طه حسين أيضا يستهدفه بنقد لاذع على مصطفى لطفى المنفلوطى. فكان طه حسين فى شبابه مندفعا فى النقد وظل يكتب مقالات متتالية فى تشويه ما يكتبه المنفلوطى، وشجعه على ذلك الشيخ عبد العزيز جاويش الذى كان ينشر هذه المقالات فى جريدته وكانت تجذب القراء وتزيد توزيع الصحيفة. كتب طه حسين عن المنفلوطى: "وهو شيخ أزهرى يخطئ في اللغة، ويضع الألفاظ في غير مواضعها ويصطنع ألفاظا لم ترد في المعاجم مثل لسان العرب والقاموس المحيط"، ولكنه بعد ذلك بسنوات اعترف بأنه يشعر بالندم، بل بالخجل، كلما جاء ذكر هذه المقالات، وكتب يصفها بأنها نقد سخيف أقرب إلى طول اللسان وشيء من الشتم ليس بينه وبين النقد صلة، وكتب في «الأيام» أنه كلما تذكر المقال السخيف الذي أعجب به عبد العزيز جاويش وقرأه للحاضرين في مكتبه بصوت عال.. كلما تذكر هذه الساعة طأطأ رأسه وسأل الله أن يتيح له التكفير عن ذنبه العظيم.

نقد طه حسين على المنفلوطي في مقالاته التي كان عنوانها «نظرات في النظرات» وقيل إنها نسبت إليه، فقال: «للكاتب على شغفه بجودة العبارة، وحسن الإشارة؛ كلّفه بأن يكون كلامه فخماً سهلاً، وخفيفاً جذلاً، وأن يكون أسلوبه أنيقاً، ولفظه رشيقاً؛ فكثيراً ما يُلجئه الحرج إلى سخف الاستعارة، والتشبيه، ويضطره إلى أن يكون كلامه رثاً غثاً، وأسلوبه ساقطاً مبتذلاً، وكثيراً ما تحمله قلة المادة اللغوية على اللحن الفظيع، والغلط الشنيع، والخطأ المخجل في الاستعمال». لكن الأديب وديع فلسطين يروي أن الشيخ محمود أبو رية أخبره أن كاتب هذه المقالات هو محمد صادق عنبر، وأنها حملت اسم طه حسين لاعتبارات سياسية، والدليل أن النقد الموجه إلى «النظرات» انصب على الجانب

اللغوي، وهو ما يختلف عن أسلوب طه حسين في النقد.

ومن قبل؛ كان عباس العقاد ينهى تلامذته عن احتذاء المنفلوطي في أدبه الحزين الدامع، فقال لهم بلهجة حازمة: «من كان لديه إفراط في إفراز الدمع؛ فليذهب إلى طبّاخ المدرسة، ويشمّ البصل الصعيدي ليُخرج ما في داخله من دموع، ثم يكتب شيئاً قوياً لا حزيناً باكياً دامعاً»، لكنه اعترف له بعد ذلك بمكانته في دنيا الأدب، ويقال إنه في أواخر عمره تصالح مع المنفلوطي، وأشاد بأدبه، وجزالة ألفاظه، واعتذر عن الدعوة لتقطيع البصل، وسكب الدموع حيث قال: "فلا يعرف له نظير بين أعلام الأدباء الناثرين من مطلع النهضة الكتابية قبل مولده إلى ما بعد وفاته، فليس بين أدبائنا الناشرين من استطاع أن يقرب بين أسلوب الإنشاء وأسلوب الكتابة كما استطاع صاحب النظرات والعبرات".

وقد واجه المنفلوطي النقد بسبب صياغة الروايات المترجمة بقالبه العربي الخاص، فنقده عمر فاخوري؛ فقال: "إن للمنفلوطي رأياً عجيباً في التعريب، وجرأة على التغيير والتحوير والقلب عالياً على سافل، جرأة لا يسمح المؤلف نفسه لنفسه بأكثر منها"، وقال عنه الناقد عبد المحسن طه بدر في كتابه "تطور الرواية العربية الحديثة في مصر": "كان يخلق الرواية المترجمة خلقاً جديداً يتلاءم مع ذوق قراء عصره، هذا الذوق الذي يعجب بالإغراق في العاطفة".

وقد أصاب الحقيقة المستشرق الفرنسي هنري بيريس في مقال نشره في حولية معهد الدراسات الشرقية في الجزائر، عقد فيه موازنة بين الأصل والتعريب في فن المنفلوطي؛ فقال: «إن المنفلوطي لا يُبقي من النماذج التي بين يديه إلا ما يخدم رسالته، وعندما يشعر أن النص لا يُسعفه، أو أن إسعافه ضعيف؛ فإنه يتدخل تدخلاً ذاتياً؛ كيما يُضخّم بمنطقه الشرقي فكرة داخل النص لا تكاد تبين لإيجازها".

يتجلى بهذه الآراء أن الأديب الكبير مصطفى لطفي المنفلوطي قاد أدباء العرب إلى العالم الجديد من إبداعه الفني، فقد حاول التخلص من الأسلوب السائد آنذاك المملوء بالتراكيب الركيكة والمحسنات البلاغية الثقيلة واهتم بحسن الصياغة مع سلامة الألفاظ ووضوح المعنى المقصود بدون التعقيد اللفظي والمعنوي. وبهذه المحاولة كلها فتح بابا واسعا لتطوير الأدب العربي وساهم في عصرنة الأدب وتجديده بشكل كبير قبل أن يتوجه إليه الرواد.

8.3 أسلوب جبران

كان جبران أديبا وشاعرا ورساما وفيلسوفا، اجتمع فيه جميع أشكال الفنون الجميلة. يتميز أسلوب جبران في الكتابة بالثورة على القيود والعادات والتقاليد وعقائد الدين، ومحاولة التحرر منها والخروج على المألوف، والتجديد في اللغة والكلمات وتنويعهما، والابتعاد عن كل ما هو قديم ومستهلك وتقليدي. وكان يحب الاستمتاع بالحياة النقية، وذلك واضح في شعره ونثره على حد سواء.

8.3.1 مؤلفاته

خلف جبران وراءه عددا من المؤلفات التي تعكس مراحل حياته المختلفة وآراءه وأفكاره وفلسفته في الحياة ونظرته نحوها. ترجمت أعماله إلى عدة لغات العالم ونالت شهرة فائقة وقبولا واسعا في أوساط القراء والأدباء. كان جبران في أول الأمر يكتب في اللغة العربية، وفي وقت لاحق أدرك أنه لا بد من الكتابة باللغة الإنجليزية كي يتسنى له الانتشار المطلوب في العالم الأمريكي الشاسع، فراح يُعد العدة ويبذل جهودا متواصلة أعانته عليها ماري. ففي أوائل 1918 أسهم جبران في إدارة مجلة "الفنون السبعة" الإنجليزية وفيه قصيدة منثورة بقلمه، حضت هذه التجربة جبران على الكتابة بالإنجليزية وهجر الكتابة بالعربية إلا قليلا، وما نشره بعد ذلك مثل "المواكب"، و"العواصف"،

و"البدائع والطرائف" يمكن اعتبارها من نتاج المراحل السابقة، وهنا نبذة عن مؤلفاته:

- الموسيقى (1905):

وضعه جبران في صباه في نيويورك، وهو أول مؤلفات جبران وباكورة إنتاجه في الكتابة، انبثق فيه أسلوبه السهل العذب اللطيف.

- عرائس المروج (1906):

وهي عبارة عن ثلاث قصص قصيرة: رماد الأجيال والنار الخالدة، ومرتا البانية، ويوحنا المجنون.

- الأرواح المتمردة (1908):

هو كتاب طويل يشتمل على أربع قصص، وهي: السيدة وردة الهاني، وصراخ القبور، ومضجع العروس، وخليل الكافر، ويُوجّه فيه جبران نقدًا لاذعًا للمجتمع وعاداته، وتحدث فيه عن الشرائع البشريّة الظالمة، وعن بعض الأشخاص الذين تمردوا على هذه الشرائع والعادات البالية.

- الأجنحة المتكسرة (1912):

رواية حب جبران الأول في لبنان يوم كان طالبا في مدرسة الحكمة، بطلتها هي حبيبته الأولى حلا الضاهر تحت اسم سلمى كرامة. يبين كيف حالت التقاليد وسلطة رجال الدين دون الاقتران بينهما، واقترنت برجل آخر كان سببا في شقائها. صدر الكتاب سنة 1912 وكان حدثا كبيرا في العالم العربي، احتدم النقاش حوله بين مؤيد ومعارض، وأكبر فائدة جلبها إلى حياة جبران هو أنه تعرف على صديقيه الحميمين والذين رافقاه طوال حياته وهما نسيب عريضة وميخائيل نعيمة.

- دمعة وابتسامة (1914):

مجموعة قصص ومواعظ وقصائد أدبية، يضم ستا وخمسين قطعة. كان جبران قد نشرها في جريدة "المهاجر". وجمعها صديقه نسيب عريضة ونشرها بموافقة جبران، وأهدى نسخة منها إلى ميخائيل نعيمة. وقد تحدثنا عن الكتاب وقرأنا قصة منه في الوحدة الخامسة من هذا الكتاب.

- المجنون – The Mad Man (1918):

وهو أول كتبه باللغة الإنجليزية. والمشهور أن مجنون جبران الذي جعله عنوانا لكتابه هو نيتشه المفكر الغربي الكبير. وكانت للفلسفة الغربية وخاصة كتاب "هكذا تكلم زرادشت" أثر كبير في الفكر الجبراني. تم استقبال الكتاب بحفاوة كبيرة في الأوساط الثقافية في الولايات المتحدة.

- المواكب (1919):

هو عبارة عن قصيدة طويلة مزينة بالرسوم الجميلة التي أبدعها جبران. ومن قصة صدوره أن جبران أعد بعد صدور كتاب "المجنون" العدة لإصدار قصيدته المواكب، وقد قرأها جبران على ميخائيل نعيمة حينما زاره وعرض عليه الرسوم التي أعدها له، فاستحسنها وأشاد بها نعيمة، فكان إعجابه بالرسوم أكثر من إعجابه بالقصيدة.

- العواصف (1920):

مجموعة مقالات وأقاصيص ظهرت في صحف ومجلات عديدة بين العامين 1912 و 1918. وقد حافظ في اختيارها وجمعها بين دفتي الكتاب على الألفة المعنوية أو الوحدة الفنية بينها، يمثل ذروة التمرد والثورة

الجبرانية كما يمثل نهاية مرحلة ويمهد لبداية مرحلة في تطور الفكر الجبراني.

- السابق - The Forerunner (1920):

وهو مجموعة من الحكايات والأمثال فضلا عن قصائد منشورة تتناول في معظمها شقاء الروح في عالم المادة، وشوقها الدائم إلى عناق الروح الكونية الشاملة.

- البدائع والطرائف (1923):

كتاب بالعربية وهو مجموعة مقالات اجتماعية نقدية ذات البعد الفلسفي والصوفي، وبعض قصائد كتبت في عهود مختلفة ورسوم لبعض مفكري العرب. وضع جبران أكثرها يوم كان طالبا في مدرسة الحكمة في بيروت، يشتمل الكتاب على إحدى وعشرين مقالة.

- النبي - The Prophet (1923):

وهو كتابه الأكثر شهرة على الإطلاق، يمثل القمة التي اتجهت إليها جميع قواه، وضع المسّودة الأولى للكتاب بعد عامين على وصوله إلى بيروت للالتحاق بمدرسة الحكمة، وفي العشرين من عمره قرأ هذه المسّودة لأمه في بوسطن، ثمّ طواها بناءً على نصحها، وفي الخامسة والعشرين أعاد كتابتها وطواها أيضا بعد أن قرأها لنفسه، وبعد سنوات عشر، وخلال إقامته في نيويورك كتب الصورة الإنجليزيّة الأولى لذلك الكتاب الخالد، ولم تكن هذه الصورة ترجمة من النسخة العربيّة، لكنّها كانت صورة إنجليزيّة مبتكرة، وقد أعاد كتابته بيده خمس مرات في خمس سنوات متوالية كاملة، قبل أن يُوضع في يد الناشر.

- رمل وزبد - Sand and Foam (1926):

وهي مجموعة خواطر كتب بعضها بالعربية ثم نقلها إلى الإنجليزية، وأضاف إليها مجموعة أخرى كتبها بالإنجليزية.

- مملكة الخيال (1927)

أقوال جبران (1927).

- يسوع ابن الإنسان - Jesus, the Son of Man (1928)
- آلهة الأرض - The Earth Gods (1931):

آخر ما نشر في حياة جبران.

- التائه - The Wanderer (1932):

صدر الكتاب بعد وفاته بنحو أكثر من عام.

- حديقة النبي - The Garden of the Prophet (1933):

عثر عليه بعد وفاته غير مكتمل، فأخذتها برباره يانغ، الكاتبة والشاعرة ورفيقة جبران في السنوات السبع الأخيرة، وأصدرتها عام 1933.

- الشعلة الزرقاء:

كتاب لجبران يضم رسائل حبه للكاتبة المصرية مي زيادة وعددها 37 رسالة.

8.3.2 خصائص أسلوب جبران

كتب جبران في مختلف الأجناس الأدبية موظفا خصائص كل جنس للتعبير عن تجربته وآرائه وفلسفته، ففي

مجال السرد لم يعتمد جبران على مصطلح واحد للإشارة إلى أعماله السردية، بل استخدم مصطلحات كثيرة مثل حكاية ومأساة ورواية وقصة، فإن فن القص بما فيه القصة والرواية ما زال جنينا في ذلك العصر لم تستقر قواعده ولم تتطور ملامحه الفنية، ولكن أهم ما تميزت به أعماله السردية هو إلغاؤه الحدود بين الأجناس الأدبية المختلفة، فهي مزيج من القصة والشعر والخاطرة والسيرة الذاتية، فكانت كتاباته فضاء واسعا توجد فيه جميع هذه الأجناس.

ورغم كتابته القصص والروايات فإن جبران لم يُعدّ بين الأدباء قصاصا بكل ما في الكلمة من معنى، فقصصه تسيطر عليه طبيعة الفنان الوجداني المرهف الحس، وطبيعة المرشد والمصلح والواعظ، ولم يهتم لعناصر القصة مثل العقدة والسرد والسياق اهتمامه للمغزى وبث الشعور وتركيب الصور واختراع الخيال الساحر، رمى في قصصه إلى النقد المتهكم، ومزج أقاصيصه بآرائه الاجتماعية، وجعلها مركبا لانطلاق خياله وتلوينات فنه. كان جبران فيلسوفا في برد شاعر، سكب أفكاره في قالبه الخاص القائم على الجمال الفني والموسيقى الداخلي والخارجي والابتكار الإبداعي والانطلاق الخيالي، كما عمد إلى الرمزية الرومانطيقية التي تصوغ من العاطفة والخيال والموسيقى سلم جمال يصعد فيها القارئ لتصيُّد الأفكار.

نشر جبران مجموعتين من القصة القصيرة، أولاهما "عرائس المروج"، وهي تشتمل على ثلاث قصص في الحياة الاجتماعية ومشكلاتها في لبنان. وهي "رماد الأجيال والنار الخالدة"، و"مرتا البانية"، و"يوحنا المجنون". والمجموعة الثانية هي "الأرواح المتمردة" تشتمل على أربع قصص. وهي: "وردة الهاني"، و"صراخ القبور"، و"مضجع العروس"، و"خليل الكافر".

ونجد له أربع مجموعات من المقالات، أولاها "دمعة وابتسامة"، وهي مجموعة لنثره الشعري المنشور في جريدة "المهاجر"، وكان صدورها حدثا كبيرا في مسيرة الأدب العربي حيث أبدع فيه جبران بتراكيب فنية وأساليب جديدة، لم يألفها الأدب العربي من قبل، وهي تشتمل على ست وخمسين قصيدة نثرية. والمجموعة الثانية هي "العواصف" تشتمل على إحدى وثلاثين مقالة. والمجموعة الثالثة الموسومة بـ"البدائع والطرائف"، وهي مجموعة مقالات أدبية واجتماعية ونقدية ذات البعد الفلسفي والصوفي، يحلل فيها النفس الإنسانية، وهي تشتمل على إحدى وعشرين مقالة. ومجموعة مقالاته الرابعة هي "الموسيقى" فهو أول كتبه وباكورة قلمه، كتبها ولم يبلغ العشرين من عمره، وهي تشتمل على أربع مقالات.

كانت كتابات جبران في مرحلتها الأولى تتركز على وجوه وأحداث لبنانية في طور تكونه الذاتي، ولا يتسع إطارها إلى خارج الشرق. فإن سلسلة من القصص في أعماله الأولى مثل عرائس المروج والأرواح المتمردة والأجنحة المتكسرة تمثل تجارب حياته في لبنان وثورته ضد إقطاعية السياسة وإقطاعية التقاليد الاجتماعية وإقطاعية الدين، وهي انتفاضات طبيعية منفعلة بما شاهده جبران في بلاده والتي رآها متقهقرة مقيدة للإنسان. ففي قصتي "وردة الهاني" و"مضجع العروس" تمرد على شريعة الزواج وتقاليد الشرقيين التي تتزوج فيها الفتيات كأنهن سلع تباع وتشترى. وفي قصتي "خليل الكافر" و"يوحنا المجنون" ثورة على رجال الدين واتهام لهم بأنهم يستبيحون أموال الناس. يقول ميخائيل نعيمة عنه: أما في كتابات جبران فقد لمست بروحي أشواق روح لبنان وشاهدت هيبة ذلك الجبل وأنفقته وشعرت بعزمه وسمعت موسيقى عذاراته وتنشقت عطر ريحانه في منشورات ومنظوماته سمعت دق أنباض لبنان وسمعت خفقان قلبه.

وأما في المرحلة الثانية من مراحل حياته الإبداعية فإنه يظهر في زي فيلسوف كنيتشه، تتجلى في مؤلفاته في هذه المرحلة فلسفته في الخير والشر والدين والحق والعدل وما إلى ذلك من شؤون الحياة المختلفة. وتتمثل هذه المرحلة في كتبه "العواصف"، و"المواكب". وأما في المرحلة الثالثة فيتحول جبران إلى حكيم يريد أن يبني مجتمعا أفضل، ويعلم الناس طريق الحياة المثالية كما فعل في كتبه الأخيرة "النبي"، و"آلهة الأرض"، و"حديقة النبي"، ويرى أن المحبة هو أساس كل شيء وأقوى كل قوة والرابط الوحيد بين أجزاء الكون.

دعى جبران إلى تأسيس لغة عربية جديدة متفتحة على العصر، تحمل إيقاعه وتحتضن أسئلته، وناهضها الكثير من النقاد، من أهمهم مصطفى صادق الرافعي الذي علق على نص جبران "لكم لغتكم ولي لغتي" بقوله: من يقول في هذه اللغة بعينها لك مذهبك ولي مذهبي، لك لغتك ولي لغتي، فمتى كنت يا فتى صاحب اللغة وواضعها، ومنزل أصولها ومخرج فروعها وضابط قواعدها، من سلم لك بهذا حتى يسلم لك حق التصرف كما يتصرف المالك في ملكه". ومن ناحية أخرى إنه مدح مساهمات العرب للعالم، ولكنه نصحهم للتهرب من الماضي وبناء مستقبل جديد، وللتكيف مع الجوانب الجيدة من الحضارة الغربية.

ومن الحق أن أسلوب جبران قد بهر كثيرا من الشباب ولكن سرعان ما انطفأ وفقد أثره. وذلك بسبب مصادمته للنفس العربية الإسلامية ومعارضته لمنهجها. فإن جبران كان إقليميا مغرقا في الإقليمية وإباحيا مسرفا في الإباحية. وفي البداية وجد جبران في المسيحية مصدرا للإلهام وفكرة للإبداعات الفنية، فيرى يسوع قائدا بارزا دائما للبشرية. وحاول محاكاة "مزامير داود"، و"نشيد سليمان"، و"سفر أيوب" من الكتاب المقدس حيث كانت التوراة المثال الأدبي الأول الذي تأثر به. فقد حفلت كتاباته بمجموعة من الصور والتعبيرات التي استقاها من الأسفار.

وكان أثر نيتشه واضحا على أدبه وكتاباته، ويقال إن كتب نيتشه هي التي قدمت له مفاهيمه المنحرفة التي أذاعها، حتى أبعدته الكنيسة بسبب مهاجمته على الأديان. يقول من خطاب له من بوسطن عام 1920 إلى صديقه نخلة: "إن القوم في سوريا يدعونني كافرا، والأدباء في مصر ينتقدونني قائلين: هذا عدو الشرائع القديمة والروابط القديمة والتقاليد القديمة، وهؤلاء الكتاب يا نخلة يقولون الحقيقة لأني بعد استفسار نفسي وجدتها تكره الشرائع".

8.3.3 أراء النقاد في جبران والانتقادات التي واجهها

نال جبران إعجاب الكثير من أدباء ونقاد عصره، وذلك يعود إلى أعماله الأدبية التي نهضت بالعصر الحديث وبالأدب العربي، كما واجه انتقادات أيضا، وخاصة من أهل الدين والكنيسة، ونستعرض ههنا أقوال بعض أبرز هؤلاء النقاد والأدباء:

قال ميخائيل نعيمة: "كان جبران لطيف الملامح، دون الربع من القامة، عليه بذلة رمادية وبرنيطة من الجوخ الأسود، وفي يده عصا كروية الرأس، معشّقة في أعلاها بأسلاك فضيّة نحيفة".

كان رأي العقاد يرتكز على الأسلوب الشعري عند جبران وخاصة في قصيدة المواكب فيقول: "هو أسلوب سهل مألوف لغته قريبة من الحياة، وعلى جبران أن يلتزم بأسلوب لا يكون بمثل هذه السهولة".

وقال صديقه الريحاني: "جبران خليل جبران وهو المصور السوري الذي كنت أذكر اسمه معجبًا، فقد أحببته وقضيت وإياه في هذا البلد أيامًا جميلة زرنا فيها المتاحف والمعاهد العلمية والأدبية".

ويقول الأستاذ وديع ديب: "إن أدب جبران خليل جبران في غالبه هو إنعكاس وتفاعل روحي وفكري استمده من ويليم بليك ونيتشة وورودان، الأول شاعر إنجليزي والثاني فيلسوف ألماني والثالث فنان فرنسي، هذا وليست الفلسفة الأمريكية في حقيقتها سوى نتاج تفاعل فكري عالمي، انبثق على ذلك الخليط العجيب من العناصر البشرية التي أتيح لها أن تصهر من جديد في بوتقة ذلك العالم الحديث".

ومن الناحية الأخلاقية والدينية واجه جبران كثيرا من الانتقادات حيث يقول الأستاذ أنور الجندي: "لقد حاول جبران كما حاولت مدرسة المهجريين إحياء الفينيقية الوثنية، ومهاجمة قيم العروبة والإسلام، فأعادت وأحيت كل ما رددته فلسفات زرادشت والمجوسية ووثنية اليونان والرومان، هربا وراء فرويد ونيتشه وغيرهما ، وكان هذا كله مصاغا في إطار التوراة وأسلوبها".

ويقول الدكتور نذير العظمة: "جبران يحتفل بالعقائد الوثنية."، ويقول محيي الدين رضا فيه: ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجرا عن نظم قصائد المديح و الرثاء والتهنئة، فخير لكم و للغة العربية أن تموتوا مهملين من أن تحرقوا قلوبكم بخورا أمام الأنصاب والأصنام".

وقال عنه الأب الزغبي إنه يهدم صرح الديانة المسيحية وينبذ جميع الأديان، وإنه كثير الآلهة ولكن ليس "الله" بينها، وإنه يدين بمذهب عبودية العقل والآراء للشهوة الحيوانية، وإنه هادم للسلطة الدينية والأسرة، وأنه دعا في كل كتاباته إلى الحب المحرم والعشق السري والفحش.

يقال إنه سر بانتقاد المنفلوطي لقصته "وردة الهاني"، حيث ظهر بذلك كتاباته ومواقفه إلى الأضواء، والتفتت إليها النظرات وتعرضت لاهتمام الأدباء والنقاد، وذلك حيث نشر الأديب المصري مقالة بعنوان "الحب والزّواج" في مجلة المؤيد المصرية وضمّنها في كتابه "النظرات" في جزءه الأول لاحقًا، وفيها عقّب على قصة "وردة الهاني" واكتفى بعبارة الكاتب دون أن يشير إلى اسم جبران حرفيًا.

أبدى المنفلوطي استياءه الشّديد من موقف جبران إزاء هذه المرأة التي حوّلت وجهها صوب الشمس لكي لا ترى ظلّها بين الأشواك والجماجم، واعتبره مساساً بمقومات الأسرة العربية الشريفة، واستهتارًا بقدسية الرّباط الزّوجي الذي تسقط أمامه كل الميول والعواطف والرّغبات والنّزعات، حيث يقول الأديب المصري في مقالته: " فإذا جاز لكل زوجة أن تفرّ من زوجها إلى عشيقها كلّما وقع في نفسها الضّجر... فعلى النّظام البيتي والرّابطة الزّوجيّة بعد اليوم ألف سلام".

ولما اطّلع جبران على ما جاء في مقالة المنفلوطي ونقده اللاذع لقصة "وردة الهاني" سارع هو الآخر بالرد دفاعًا عن موقفه، مع اكتفاءه بعبارة "الأديب المصري الفاضل" دون تسميات، فكتب مقالةً يتأسف فيها على حال المجتمع الإنساني المنافق الذي يكبّل النّاس بقيود الشّرائع الباطلة، ثم يصفهم بالأشرار إذا ما استمعوا يومًا إلى صوت أنفسهم، ولبّوا نداء السّعادة، وثاروا على القوانين التي سنّها الإنسان ليستعبد الإنسان. ويقول جبران في ردّه: "والزيجة هي حياة معنوية تنبثق من عناق زوجين قربهما الحب وضمهما التفاهم، ولن تتولد من موحيات الشرائع ولا من لمعان الفضة والذهب ولا من جوانب المجد والسؤدد".

و لم يزد الصراع الفكري بين جبران والمنفلوطي أكثر من هذا الحد، فلم يُعرف عن أي منهما أنّه انتقد الآخر بعد قصة "وردة الهاني".

وقد أشار إلى أوجه القصور الموجودة في كتاباته الناقد الأمريكي جون وولبريدج، وهو القائم بترجمة عملين من أعماله الأدبية عام 1998 وهما "العاصفة" و"المحبوب"، وقام بأبرز التحليلات النقدية حول مثالب جبران الأدبية، فقد لاحظ جون أن جبران لم يكن بارعا في فن الرواية القصصية وأن قيثارته القصصية كانت قليلة الأوتار، كما لاحظ أن جبران تنقصه مهارات خلق الشخصيات الروائية ببراعة أدبية عالية أو إنتاج حبكة روائية متشابكة، وأنه كان في غاية الجدية دون أدنى شائبة من فكاهة أو تهكم، مما جعل مجاله التعبيري محاطا بجدران قلصت مساحته بشكل كبير، ولفت وولبريدج النظر إلى أن آراء جبران لا تمثل تعاليم يمكن تطبيقها في الحياة العملية، ولا يجدر أن يتوقع من كتاباته أن يأتي بنصائح ناجعة لعلاج المشاكل الحياتية أو تعاليم إصلاحية تعيد ترتيب الأوضاع المجتمعية.

8.4 التمرينات

8.4.1 أسئلة للمراجعة

1- كيف كانت علاقة المنفلوطي بالشيخ محمد عبده؟
2- اكتب مذكرة عن شعر المنفلوطي.
3- ماذا كانت نظرية المنفلوطي نحو الحضارة الغربية وقضايا المرأة؟
4- ما هو التحول الأدبي الذي أحدثه المنفلوطي؟
5- ما هي الخصائص المهمة لأسلوب المنفلوطي؟
6- كيف غلب طابع التشاؤم والحزن على أدب المنفلوطي؟
7- ما هي الانتقادات التي وجهها المازني ضد المنفلوطي؟
8- ما هي الانتقادات التي واجهها المنفلوطي بسبب أسلوبه في الترجمة والتعريب؟
9- اكتب مذكرة عن شخصية جبران وثقافته وآرائه ومواقفه؟
10- ما هي خصائص أسلوب كتابة جبران؟
11- من الفلاسفة الغربيون الذين أثروا على جبران وفلسفته؟
12- ما هي الانتقادات التي واجهها جبران؟
13- ماذا تعرف عن تجربة جبران الشعرية؟
14- من انتقد قصة "وردة الهاني" لجبران؟ وكيف انتهت القصة؟
15- ما هي الانتقادات التي طرحها جون وولبريدج حول كتابات جبران؟

8.4.2 نشاطات الوحدة

1- اقرأ مقدمة المنفلوطي لكتاب "النظرات" حيث تكلم بإسهاب عن أسلوبه وطريقته في الكتابة وسجل نظرياته المختلفة حول القضايا المهمة.
2- اقرأ الفصول التي كتبها المازني في كتاب "الديوان في الأدب والنقد" وسجل ملاحظاته بشأن أسلوب المنفلوطي، إذا كنت توافقه في آرائه فاكتشف من عند نفسك مواضع ضعف المنفلوطي وسجلها في دفترك، وإذا كنت لا توافق فاكتب ردا بليغا للانتقادات التي طرحها المازني.
3- أعدَّ مذكرة وجيزة حول دور جبران في الرابطة القلمية ومكانتها في عالم الأدب العربي.

8.5 نتائج التعلم

طلبتي الأعزة! لقد درسنا عن الكاتبين الكبيرين مصطفى لطفي المنفلوطي وجبران خليل جبران وتعرفنا على مساهماتهما في تطوير اللغة العربية. وأما ملخص هذه الوحدة فهي تتمثل في النقاط التالية:

- الاطلاع على نبذة يسيرة حول مؤلفات الكاتبين القديرين مصطفى لطفي المنفلوطي وجبران خليل جبران واتجاهاتهما في الكتابة وإسهاماتهما الأدبية القيمة.
- إطلالة عابرة إلى بعض نظريات الكاتبين وآرائهما حول القضايا الأدبية والاجتماعية المختلفة، وخاصة التزام المنفلوطي بالقيم والأخلاق وثورة جبران على التقاليد والكنيسة.
- استيعاب الخصائص المهمة لأسلوب الكاتبين والتحول الأدبي الذي أحدثاه من خلال كتاباتهما وخاصة في مجال القصة التي ما زالت في طور الطفولة في عهدهما.
- تسليط الضوء على الانتقادات الموجهة إلى الكاتبين من النقاد البارزين وحقيقة اتهام أدب المنفلوطي بالأدب الدامع وسبب غلبة التشاؤم والحزن على كتاباته.

8.6 الكلمات الصعبة ومعانيها

موهوب	ذو موهبة وهي الملكة	Talented; gifted; endowed
كد ذهن	إتعاب العقل	Over work the mind
دمث الخلق	لطيف الخلق أو حسن الخلق	Good- tempered, well-mannered
استمال القلوب	اجتذبها	Appeal to; attract; captivate; enchant
محاباة	تحيز	Prejudice; bias; alignment; partiality
الرومانطيقية	الرومانسية :حَرَكَةٌ أَدَبِيَّةٌ وفَنِّيَّةٌ	Romanticism
التقاليد	جمع تقليد: المحاكاة	Copying, imitation
بَخور	عُودٌ يُتَطَيَّب بِعَرْفه	Incense; frankincense; aloes wood
مساس بالشيء	إخْلال به	Infringement; transgression; violation
استهتار	اِستخفاف	Demean, degrade
الجماجم	جمع جُمْجُمَة: عَظْمُ الرَّأْس	Cranium; skull

8.7 أسئلة الاختبار النموذجية

8.7.1 أسئلة موضوعية

1- هجا المنفلوطي ..... وسجن بسبب ذلك.

(a) طه حسين (b) محمد عبده (c) المازني (d) الخديوي عباس

2- كتاب النظرات مجموعة مقالات وقصص فنية كتبها المنفلوطي في جريدة .....

(a) المؤيد (b) الأدب (c) المقطم (d) الهلال

3- رواية ماجدولين في الأصل للكاتب الفرنسي .....

(a) فيكتور هيوجو (b) إدموند روستان (c) فرانسوا كوبيه (d) ألفونس كار

4- هاجم المازني على المنفلوطي في كتابه .....

(a) العبرات (b) الديوان (c) الأيام (d) الأخبار

5- "نظرات في النظرات" – مقالات نسبت كتابتها إلى الأديب .....

(a) طه حسين (b) عباس العقاد (c) إبراهيم المازني (d) وديع فلسطين

6- كان بين جبران والكاتبة المصرية ..... علاقة عاطفية وأدبية وفكرية.

(a) عائشة تيمورية (b) وردة اليازجي (c) مي زيادة (d) أحلام مستغانمي

7- مجموعة قطعات كان جبران ينشرها في جريدة "المهاجر"، جمعها ونشرها نسيب عريضة.

(a) الأجنحة المتكسرة (b) دمعة وابتسامة (c) البدائع والطرائف (d) النبي

8- كانت للفلسفة الغربية وخاصة كتاب "هكذا تكلم زرادشت" أثر كبير في فكر .....

(a) المنفلوطي (b) طه حسين (c) محمد عبده (d)جبران خليل جبران

9- الصراع الفكري بين المنفلوطي وجبران حدث بسبب كتاب جبران الموسوم بـ"....."

(a) وردة الهاني (b) الأرواح المتمردة (c) المجنون (d) المواكب

10- ما هو المثال الأدبي الأول الذي تأثر به جبران في كتاباته؟

(a) مزامير داود (b) كتابات الجاحظ (c) التوراة (d) القرآن

8.7.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- ماذا تعرف عن كتاب "الفضيلة"؟

2- ماذا كان موقف المنفلوطي من الحضارة الغربية؟

3- من هم أبرز النقاد الذين انتقدوا المنفلوطي؟

4- لماذا تحول جبران إلى الكتابة باللغة الإنجليزية بعد كتابة عدة كتب بالعربية؟

5- ما هي التأثيرات الخارجية التي شكلت شخصية جبران الأدبية؟

7.7.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- اكتب عن أسلوب جبران وخصائصه وعيوبه.

2- هل كانت الانتقادات التي واجهها المنفلوطي في محلها؟

3- قارن بين أسلوبي المنفلوطي وجبران.

8.8 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1- مصطفى لطفي المنفلوطي حياته وأدبه – الشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان

2- مصطفى لطفي المنفلوطى إمام البيان العربي، محمد أبو الأنوار، الدار المصرية اللبنانية، 2000

3- المقالة القصصية في كتاب (النظرات) لمصطفى لطفي المنفلوطي دراسة تحليلية، زمزم عبد الحميد محمد، تموز

للطباعة والنشر والتوزيع، 2017
4- الديوان في الأدب والنقد، عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي أي أس، 2017م
5- عبد الهادي ، أحمد محمد، المنفلوطي حياته ومؤلفاته، دار نهضة الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2002م.
6- ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران: حياته، موته، أدبه، فنه، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، طبعة سابعة، 1974م.
7- جبر جميل، جبران: سيرته أدبه فلسفته ورسمه، بيروت ريحاني هاوس، 1958
8- غطاس أنطون كرم، محاضرات في جبران خليل جبران وسيرته وتكوينه الثقافي، مؤلفاته العربية، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالمية، 1964م.
9- يوسف حيوك، ذكرياتي مع جبران، دار الأحد، بيروت، 1957م.
10- الأستاذ وديع ديب، الشعر العربي في المهجر الأمريكي، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، 1955م.

الوحدة: 9

التعريف بالرواية أهميتها وأنواعها

عناصر الوحدة

9.0 التمهيد

9.1 أهداف الوحدة

9.2 الرواية العربية لغة واصطلاحا

9.3 من القصة القديمة إلى الرواية المعاصرة

9.3.1 القصة العربية وتطورها عبر العصور

9.3.2 الرواية العربية نشأتها وتطورها

9.3.2.1 مرحلة الترجمة والمحاكاة والتقليد

9.3.2.2 مرحلة التأسيس الفني

9.4 عناصر الرواية

9.5 أقسام الرواية

9.6 نتائج التعلّم

9.7 الكلمات الصعبة ومعانيها

9.8 أسئلة الاختبار النموذجية

9.9 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

9.0 التمهيد

يعتبر القرن العشرون الميلادي من أهم الفترة التاريخية في الأدب العربي، حيث شهدت هذه الفترة تطورا ملموسا في أصناف الأدب العربي كافة؛ وذلك بسبب النهضة الفكرية والعلمية والأدبية في النصف الأول من هذا القرن، وتعددت ملامح هذه النهضة بحيث شملت جميع أشكال الأدب مثل الشعر وأنواعه والنثر وأنواعه، وقد أضيف في الأدب العربي بعض الفنون التي لم يسبقها مثيل في التاريخ مثل الرواية -بمعناها اليوم- والمسرحية.

وقد أصبحت الرواية من أهم الفنون الأدبية الحديثة، حيث احتلت مكانة الصدارة لدى القراء وأصبحت من أحب أنواع الأدب العربي لديهم، وأثّرت فيهم تأثيرا إلى حد حتى قال بعض النقاد أنها حلت محل الشعر في العصر الحديث، ولها من المكانة ما كانت للشعر في العصور الأولى وهي الآن أصبحت ديوانا جديدا للعرب.

فهذه الوحدة الأولى من هذه الكتلة مخصّصة للمناقشة حول الرواية العربية وتطورها ضمن أنواع النثر العربي الحديث.

9.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إضافة أشياء جديدة إلى رصيد الطلاب المعرفي، فهي تتمثل فيما يلي:

- التعريف بالرواية
- التعريف الموجز عن القصة العربية وتطورها عبر العصور
- الاطلاع على مظاهر تطوّر الرواية في العالم العربي
- التعريف بعناصر الرواية وروادها

9.2 الرواية العربية لغة واصطلاحا

ترجع أصل كلمة "الرواية" إلى "روي"، وتكشف القواميس العربية معاني هذه الكلمة بأنها تدل على التفكير في الأمر، كما تدل على نقل الماء وأخذه، وهي أيضا تعطي معنى نقل الأخبار واستظهاره، فأطلق على ناقل الأشعار "الراوي" فقد ذكر صاحب "لسان العرب" نقلا عن ابن سيده: في معتل الياء:

> "روي من الماء، بالكسر، ومن اللبن يروى ريّا، ويقال للناقة الغزيرة هي تروي الصبي لأنه ينام أول الليل، فأراد أن درتها تعجل قبل نومه... ويقال روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له متى حفظه للرواية عنه، قال الجوهري رويت الحديث والشعر رواية فأنا راو في الماء والشعر". (لسان العرب: مادة: روي)

يتضح مما سبق من التعريف الوارد وما جاء في القواميس العربية المعتبرة أن معنى الرواية لغة يحمل معنى القول ونقل الأخبار والإرواء بسقي الماء.

ولقد اختلف الأدباء في تحديد معنى الرواية اصطلاحا، فتفرقت أقوالهم فيه، وتعددت آرائهم؛ فذكرت الأستاذة آمنة يوسف في كتابها "تقنيات السرد في النظرية والتطبيق" معنى الرواية فهي تقول:

> " إن الرواية هي فن نثري تخيلي طويل –نسبيا- بالقياس إلى فن القصة القصيرة –مثلا- وهو فن -بسبب

طوله- يعكس عالما من الأحداث والعلاقات الواسعة، والمغامرات المثيرة والغامضة أيضا. وفي الرواية تكمن ثقافات إنسانية وأدبية مختلفة، ذلك أن الرواية تسمح بأن ندخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية (قصص، أشعار، قصائد، مقاطع كوميدية) أو خارج -أدبية (دراسات عن السلوكيات، نصوص بلاغية وعلمية ودينية الخ) نظريا."

ولقد عرفها فتحي إبراهيم في كتابه: معجم المصطلحات الأدبية بقوله:

"سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية وما صحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعيات الشخصية."

وقد ذكر أحمد أبو سعيد في كتابه:

"أنها مجموعة حوادث مختلفة التأثير، تمثلها عدة شخصيات على مسرح الحياة الواسع، شاغلة وقتا طويلا من الزمن."

عُرفت الرواية في المعجم المفصل في اللغة والأدب بالكلمات التالية:

"هي القصة الطويلة، ذات السياق المتمادي في الزمن، والأحداث المتشعبة في المكان، والمتنوعة في إطار الوحدة، والأشخاص النموذجيين الذين يحيَوْن ويَسْعَون في نطاق المجتمع الرحب بفئاته، وتناقضاته، وأفراحه وأحزانه، بحيث تختزل الحياةَ الإنسانية وأحداثها، إذ هي تتقصى حياة شخصٍ، أو حيوات أشخاصٍ، وترسم معالم بيئة، أو بيئات، وتشهد على مجرى عصر أو عصورٍ."

ومما سبق من التعريفات نستنتج أن الرواية هي فن من فنون الأدب النثرية، لم تكن تعرفها العصور القديمة ولا العصور المتوسطة بمعناها المعاصر، فهي بهذا فن حديث العهد، وهذا الفن يتناول مجموعة من الأحداث التي تنمو وتتطور أو تقوم بها الشخصيات المتعددة، ويكون حجمها أطول من القصة.

9.3 مِن القصة القديمة إلى الرواية المعاصرة

9.3.1 القصة العربية وتطورها عبر العصور

كان فن القصة معروفة عند العرب منذ زمن قديم، ولها تاريخ قديم، فالعرب منذ العصر الجاهلي يوجد لديهم فن القصة، وكان لهم أخبار وقصص تدور حول الوقائع الحربية والأساطير القديمة.

وقد اعتنى القرآن بهذه الناحية أيضا، فجاء بأحسن القصص في صورة قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وبالإضافة إلى ذلك ذُكر في القرآن قصص الأنبياء والأمم السالفة، واختصت سورة فيه باسم سورة "القصص"، وقد رويت قصص كثيرة في الأحاديث النبوية الشريفة كذلك.

وقد شهد فن القصة نموا بارزا بعد ظهور الإسلام، وعندما نصل إلى العصر الأموي نجد أن القصة قد نجحت بعناية كبيرة من الكتاب والأدباء حيث صارت مهنة رسمية يتوجه إليها رجال الفن، فبدأوا يدونون على سبيل المثال قصص الأحِباء والشعراء العاشقين وآثارهم مثل: قصة عنترة وعبلة، وليلى ومجنون، وجميل وبثينة وما إلى ذلك.

وما إن دخلت القصة في العصر العباسي حتى شهدت تطورا ملموسا، حيث توجه إليها مجموعة كبيرة من الأدباء الكبار في ذلك العصر يترجمون القصص الأعجمية إلى العربية، ومن أشهر تلك الترجمات كتاب "كليلة ودمنة" لعبد الله بن المقفع (المتوفى: 142هـ)، وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من القصص على لسان الحيوانات، وتتضمن هذه القصص عدة مواضيع من أبرزها العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بالإضافة إلى عدد من الحِكم والمواعظ، ومن القصص الأخرى المهمة في ذلك العصر "ألف ليلة وليلة".

هذا ومن القصص المكتوبة الأصيلة التي صاغها العرب أنفسهم هي "البخلاء" وقد تناول فيه صاحب الكتاب الأديب الكبير الجاحظ (المتوفى: 255هـ) أخلاق فئات من الناس وهم البخلاء، فذكر فيه أطوارهم وعاداتهم، كما ألف ابن شُهيد الأندلسي (المتوفى: 426هـ) رسالة باسم "التوابع والزوابع" وهي قصة خيالية تحكي رحلة في عالم الجن يلتقي البطلُ خلالها بشياطين الكتاب والشعراء، فيحاورهم ويحاورونه، ومعنى "التابع": الجن و"الزوبعة": الشيطان، ثم نجد أبا العلاء المعرِي (المتوفى:449هـ) في رسالته "رسالة الغفران" يذهب بنا إلى عالم خيالي تحت إطار قصة، وموضوع هذه الرسالة السفر الخيالي إلى الجنة والنار، يلتقي فيه أبو العلاء شعراء الجنة والنار، وانتقد من خلاله الشعر في العصر الجاهلي والإسلامي.

أما المقامات فهي أقرب الأنواع القصصية الجديدة في الأدب العربي إلى القصة الفنية الجديدة بما فيها عناصر القصة، وهي مثلا: الشخصيات والزمان والمكان والحدث والحبكة السردية، وهي قصة قصيرة تدور حول مغامرات بطل موهوم يرويها راوٍ، وقد حاز الهمذاني(المتوفى: 398هـ) قصب السبق في هذا المجال حيث ألف مجموعة من المقامات باسم مقامات بديع الزمان الهمذاني. وبالإضافة إلى هذا السير العلمي الأدبي في ساحة القصة نجد كتب الرحلات بدأت تدخل فيها، فرحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة مثلا توجد فيهما طابع القصة في كثير من المواضع.

ومن القصص التي توجد فيها بعض العناصر من الرواية الحديثة من السرد والزمان والشخصيات فهي قصة "حي بن يقظان" لابن طفيل الأندلسي (المتوفى:581هـ)، ويعتبر عمل ابن طفيل هذا من أعماله الرائدة وأكثرها شهرة في الأوساط الأدبية، وهي قصة بناها ابن طفيل على نظريته وهي أن في وسع الإنسان أن يستقي بنفسه من المحسوس إلى المعقول وإلى الله، بحيث يستطيع بعقله أن يصل إلى معرفة العالم ومعرفة الله، وتنقسم المعرفة عنده إلى قسمين: 1- معرفة مبنية على الكشف والإلهام كالتي عند الصوفية 2- ومعرفة مبنية على المنطق كالتي عند العلماء، أما الأولى فيمكن الوصول إليها برياضة النفس، فتنكشف لها الحقائق كأنها نور واضح يولد إلينا حينا ثم يخبو حينا، فكلما جد الإنسان جده وقام بالرياضة العملية تجلت له المعارف، أما القسم الثاني من المعرفة فهو مبني على الحواس والوسائل الظاهرة، وإن حي بن يقظان عند ابن طفيل هو اسم إنسان يشغل عقله وقلبه.

وإن قصة "حي بن يقظان" قصة رومانسية فلسفية تتناول قصة طفل غابة؛ نشأ وترعرع في الغابة وليس

لديه من وسائل التعليم شيئا، فهو متعلّم ذاتياً، تربى على يد غزال في الغابة، ويعيش وحيداً فريدا في مكان خال من السكان، فأرضعته ظبية؛ وشب الفتى وبلغ أشده وكان يمتلك قوة الذكاء والمهارة، فيكتشف بما أوتي من العقل والحس "الحقيقة المطلقة" من خلال عملية منهجية للتحقيق المنطقي، وفي نهاية المطاف، يتعرف "حيّ "على الحضارة والدين عندما يلتقي بشخص اسمه "أبسال" قدم إلى هذه الجزيرة ليعتزل الناس ويتفكر في باطن الخلق والدين. علّمَه "آسال" لغة الكلام، وأخبره بما في عقائد الناس الدينية من المكان الذي جاء منه من فساد وخلط وابتعاد عن الأقدار الخلقية، فقرر "حي" أن يذهب إلى ذلك المكان وأن يدعو الناس إلى ما اكتشف هو من الحقيقة المطلقة فيذهب مع آسال إليه، وحين يذهبان سوياً إلى الجزيرة المجاورة المهجورة، يصطدمان بالحياة وبتفكير الناس البعيد عن الدين وعن الفهم الباطني للخلق، وفي ضوء ما شاهدا فيه من سلوك الناس يقرران أن بعض الزخارف الدينية كالتماثيل والاعتماد على البضائع المادية ضرورية للعامة من أجل الحياة الكريمة، ومع ذلك، فإن التماثيل والسلع المادية هي مجرد إلهاءات يجب أن يتم التخلي عنها من قبل أولئك الذين يلاحظون هذا الأمر، ثم يعود "حي بن يقظان" و"أبسال" إلى تلك الجزيرة المهجورة لينصرفا إلى تأملاتهما، فعاشا معا يرافقان الحيوانات الوديعة والعقل، وظلا على هذه الحال يعبدان الله حتى الممات.

ويمكن لنا القول بعد هذا العرض الموجز أن القصة كانت جزءا أساسيا في حياة العرب، وأنهم كانوا ميالين إليها، وأن القصة بمفهومها السائد والعادي موجودة عندهم منذ زمن قديم.

9.3.2 الرواية الحديثة نشأتها وتطورها

9.3.2.1 مرحلة الترجمة والمحاكاة والتقليد

إن بداية الرواية العربية بمعناها المعاصر كانت مواكبة للنهضة الحديثة، وذلك بعد دخول نابليون مصر سنة 1798م واتصال العرب بالغرب وعلومه، وقد سجل الكتاب والنقاد آرائهم، حول نقطة البداية لهذا الفن الجديد في الأدب العربي، فنجد آرائهم تنقسم إلى قسمين في هذا الصدد، فبعضهم يرون أن الرواية هي ليست إلا صورة مستمدة من القصة العربية القديمة، إذ كان العرب منذ قديم يعرفون هذا الفن ويستخدمونه في أدبهم، واستدل الأدباء على هذا بقولهم أن هذا النوع كان جُلُّ عناصره موجودا في التراث الأدبي القديم، وقد أشرنا إلى ذلك في مبحث القصة وتطورها لدى العرب.

وبعضهم آخرون لا يرون مثل ذلك، ولا يدعم الجانب الذي يجعل الصلة بين الأنماط القصصية القديمة والرواية الجديدة، بل يقولون إن الرواية فن دخيل حديث العهد أُخذ من الأدب الغربي، وتطورت على أيدي خريجي الجامعات الغربية بصورة الترجمة أولا ثم استقرت وأصبحت غرضا من الأغراض الأدبية.

وقد رجح جماعة من الأدباء والنقاد الرأي الثاني، وقالوا إن نشأة الرواية تعود إلى الاتصال والتأثر المباشر بالغرب وآدابه وذلك بعد منتصف القرن التاسع عشر، وإن كانت في بدايتها تأثرت بالتراث العربي القديم مادة ومضمونا، لكنها سرعان ما انفصلت بذلك التراث، وتأثرت تأثرا كبيرا بالرواية الغربية، فالكثير من الأدباء في هذه الفترة ركزوا اهتماماتهم على نقل الروايات الرومانسية الغربية إلى العربية.

ولعل رفاعة الطهطاوي هو أول من حاول ترجمة الروساية الفرنسية إلى العربية، وكان صاحب تلك الرواية "فينلون" (Fenelon)، وقد ترجم الطهطاوي روايته "Les Aventures de Télémaque " (مغامرات تليماك) إلى العربية وسماها "مواقع الأفلاك في وقائع تليماك"، وقد جمع فيه كثيرا من الآراء والخبرات في التعليم والتربية والسياسة.

ونجد في هذه الفترة أدباء وكتابا حاولوا التجديد في القصة فقد كتب أحمد فارس الشدياق(المتوفى 1887م) "الساق على الساق فيما هو الفارياق" وهو عبارة عن ترجمة شخصية لمؤلفه، في بعض ملامحها، فضلاً عما يحتويه من فلتات لغوية مهمة تمس سائر مناحي الحياة، وبخاصة فيما يتعلق بشؤون المرأة والجمال، ونقد للمجتمعات التي عايشها في لبنان ومصر ومالطة وتونس وإنكلترا وفرنسا، مبيناً ما فيها من إيجابيات وسلبيات بأسلوب ساخر في طابع حواري جذاب وأسلوب عربي راق.

وشارك في هذه المحاولة الأديب الكبير سليم البستاني بعمله "الهيام في جنان الشام" سنة 1870م، كما ألف الأديب الكبير المويلحي(المتوفى:1930م) "حديث عيسى بن هشام" ونشره سنة 1907م، على نمط مقامات الهمذاني إلا أنه استمد موضوعات كتابه من عصره وما يجري في المجتمع من القضايا والمشكلات، ومما يدل على أهمية هذا العمل في ذلك العصر أنه أُدخل في المقررات الدراسية لطلاب المدارس المصرية، وفي جانب آخر ألف حافظ إبراهيم (المتوفى:1932م) عمله النثري "ليالي سطيح" سنة 1906م، وهو قطعة نثر يتناول بين دفتيه كل ما يجري في عصر الحافظ من القضايا الاجتماعية كقضية الحجاب والسفور وتحرير المرأة والقضايا الأدبية من الصحف والأقلام المرتزقة وما إلى ذلك، والقضايا السياسية ومحورها السياسة الإنجليزية.

وكانت هذه الأعمال النثرية تشبه بالمقامات أكثر منها بالرواية في الأسلوب، ومما لا شك فيه أن هذه المحاولات كانت نقطة انطلاق إلى الرواية العربية الفنية.

9.3.2.2مرحلة التأسيس الفني

تستمر المحاولات في تجديد القصة العربية في العصر الحديث من الترجمة والتعريب والتمصير حتى ألف محمد حسين هيكل(المتوفى: 1956م) روايته "*زينب*" سنة 1914م، حيث اقترب فيها من البنية الفنية للرواية الغربية، والتي يكاد نقاد الأدب العربي وأدباءه يتفقون على أن هذا العمل يعتبر أول رواية فنية في الأدب العربي الحديث، يقول الدكتور أحمد هيكل:

> "وتعتبر ((زينب)) أول رواية فنية في تاريخ الأدب المصري الحديث، وذلك لواقعيتها وسيرها على القواعد الفنية للرواية إلى حد كبير"

تناول هيكل في هذه الرواية أحوال الريف المصرية، وقضايا المرأة عن الزواج والستر والأرض والعادات والتقاليد والإكراه على الزواج من شخص لا تحبه الفتاة، والظلم على الفلاحين وما إلى ذلك، وقضية الحب الفاشل "وعدم الاعتراف بمشروعية الحب، وعدم التسليم بحق الإنسان في اختيار قرينه الذي يهتف بقلبه" تناول هيكل هذا

كله بأسلوب رائع أخاذ .

وهكذا اتخذت الرواية العربية جهة فنية أصيلة، وأصبحت تنمو وتتطور على أيدي الأدباء مثل توفيق الحكيم، وطه حسين، وإبراهيم المازني وغيرهم حتى صارت جنسا أدبيا قائما بذاته، فظهرت الروايات مثل "عودة الروح" و"عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، و "دعاء الكروان" و"الأيام" لطه حسين، و"الحي اللاتيني" لسهيل إدريس وغيرها من الروايات التي تعد روايات شرقية أصيلة من حيث المعنى والمبنى في تطوير فن الرواية العربية.

وقد حازت مصر قصب السبق في هذا المضمار، ولها مكانة الريادة والفضل في مجال الأدب العربي في القرن العشرين عامة وفي مجال الرواية خاصة يقول عبد الغني في "الاتجاه القومي في الرواية" في هذا الصدد:

> "فكانت الرواية المصرية هي النموذج الأمثل الذي كان الكتاب يقلدونه ويسيرون في طريقه، ويعترف بعض الروائيين العراقيين منذ فترة مبكرة، بهذا التأثير حين يقول أهم الروائيين العراقيين، وهو محمد أحمد السيد في ذلك الوقت: إن مصر أم العلوم والمعارف، أم الكتب والتأليف، أم الطبع والنشر."

وقد أدت الأوضاع الذي خلقته الحرب العالمية الأولى آفاقا جديدة للأفكار والمفاهيم مما أدى إلى ظهور فئة من الأدباء، وكان من أهدافهم أن يقدموا الصورة الحقيقية للمصريين من خلال أعمالهم الأدبية، وأن يستعرضوا مشاكلهم الحقيقية، وأن ينتقلوا من مرحلة التقليد إلى مرحلة الإبداع والتجديد، وكان من رواد هذه المدرسة أناس درسوا خارج مصر، ونهلوا من مناهل الشرق والغرب، وتأثروا بالآداب الغربية والروسية تأثرا شديدا، وكانوا متطلعين إلى أن تكون الرواية العربية مشهودة على الصعيد العالمي، وتصل إلى ذروة التطور بين الآداب العالمية الأخرى، فكانت النتيجة من جهودهم أن ظهرت على صعيد الأدب العربي روايات تتخذ سمتا جديدا أكثر فنية وأعمق أصالة، حيث ظهرت الروايات مراعيا جميع القواعد الأصولية والعناصر الفنية حتى أصبحت تعترف بها الآداب العالمية الأخرى، وكان من رواد هذا الاتجاه "محمد فريد أبو حديد"، و"إبراهيم عبد القادر المازني"، و"طه حسين"، و"نجيب محفوظ"، و"توفيق الحكيم"، و"عبد الرحمان الشرقاوي"، و"فتحي غانم"، و"يحيى حقي"، و"محمود تيمور"، و"محمد طاهر لاشين " وغيرهم.

يعتبر محمد فريد أبو حديد (1893م-1967م) من كبار الروائيين في عصره، وقد ألف روايات تاريخية كثيرة، ومن رواياته الشهيرة "ابنة الملوك" و"أبو الفارس" و"المهلهل" و"زنوبيا ملكة تدمر". وقد تميزت رواياته بتناول مادتها من التاريخ، وقد راعى فيها الكاتب عنصر الواقعية رعاية تامة.

ومن الروائيين في تلك الفترة إبراهيم عبد القادر المازني (1889م-1949م)، وكان أديبا ممتازا ومترجما بارعا، تميز بأسلوبه الساخر من حيث أنه تناول الأوضاع والمشاكل الاجتماعية في أعماله، وقد أصدر أعمالا كثيرة في فن الرواية منها "إبراهيم الكاتب" و"عود على البدء"، و" إبراهيم الثاني". وإن المتصفح في رواياته يجد أنه كان متأثرا بالآداب الروسية وقد اتخذ في رواياته طريقة التحليل النفسي، ففي روايته "إبراهيم الكاتب" يقوم المازني بتحليل المواقف العاطفية للأشخاص ونفسياتهم وانفعالاتهم وعلاقاتهم الجنسية بسيكولوجيا صريحا. والناظر في كتابات

المازني يجد:

"أنه كان متأثرا بالقصص الأوروبي الواقعي التحليلي مما قرأه في الآداب الغربية المختلفة، ومما ينهج فيه الكُتَّاب منهجًا نفسيًّا يحللون فيه الشعور وما وراء الشعور وما يصيب الإنسان أحيانًا من عقد نفسية تكمن في أطواء قلبه. ويصور ذلك بأسلوبه الساخر، الذي يستمد السخرية فيه من مفارقات الأمزجة واختلاف الطبائع، وما يقيمه في القصة من مآزق مختلفة."

(شوقي ضيف،كتاب الأدب العربي المعاصر في مصر،مصر: دار المعارف، ص267)

وأما محمود تيمور (1894م-1974م) فكان أيضا من الروائيين البارزين، ولد في بيت علم وفضل فكان والده أحمد تيمور من مفاخر مصر، وكان مرجعا في جمع الكتب العربية القديمة وجمع المخطوطات، فقد ورث محمود تيمور من ثروة أبيه العلمية كثيرا، حتى أصبح من كبار أهل النثر في زمانه فله إسهامات كثيرة في مجال القصة والرواية، ومن أشهر أعمالها الروائية: "رجب آفندي"، و"الأطلال"، و"نداء المجهول"،و"كيلوباترا في خان الخليلي" و "سلوى في مهب الريح".

ورواية "سلوى في مهب الريح" هي من أشهر روايات محمود تيمور. تدور هذه الرواية حول فتاة وهي بطلة القصة اسمها "سلوى"، ترعرعت في الإسكندرية تحت رعاية جده، وكان أبوه قد طلق أمه لسوء سلوكها، وقد وافاه الموت بعد مدة قصيرة، فإنها محرومة الأب والأم، وقد نشأت هذه الفتاة على البراءة والطهارة، إلا أن بيئتها والأوضاع التي تعيش في ظلها أوصلتها إلى عالم الرذالة. وكان أسلوب محمود تيمور في رواياته مزيجا بين الاتجاه الرومانسي والواقعي.

ومن الروائيين الذين أثروا مكتبات العربية بأعمالهم الأصيلة والفنية توفيق الحكيم (1898م-1987م)، ومن رواياته الشهيرة "عودة الروح"، و"عصفور من الشرق"، و"يوميات نائب في الأرياف"، و"راقصة المعبد" و"حمار الحكيم" وما إلى ذلك.

ومن الروائيين في هذه الفترة عميد الأدب العربي طه حسين (1889م-1973م)، وكان من أشهر كتاب القرن العشرين، كتب بالإضافة إلى البحوث العلمية والكتب روايات فنية عديدة، تلقاه المثقفون بالقبول فمن تلك الروايات: "دعاء الكروان" و"شجرة البؤس"، و"المعذبون في الأرض"، و "الحب الضائع".

ومن الروائيين الأكثر صيتا وشهرة نجيب محفوظ، ظهر اسمه ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية في سماء الرواية العربية، وهو حقا يعتبر بأمير الروايات العربية بلا منازع، فقد أوصل هذا الفن إلى الذروة بروايتها الخالدة ذات اتجاهات مختلفة، وهو أول من حاز على جائزة نوبل للآداب سنة 1988 لروايته "أولاد حارتنا".

ولقد قسم النقاد الذين تناولوا حياةَ نجيب محفوظ في أربعة مراحل وهي: المرحلة التاريخية (1939-1944) فقد استقى الكاتب في هذه المرحلة من حياته الأدبية مادتَه للروايات من التاريخ المصري وأتى بأعمال خالدة مثل: "كِفَاح طِيْبَة" و "عبث الأقدار" و"رادوبيس". ثم تحول إلى المرحلة الثانية وهي المرحلة الاجتماعية (1944-1952)، فأصدر الروايات مثل "خان الخليلي" و"زُقَاقُ المِدَقّ" و"القاهرة الجديدة" وأصدر أيضا خلال هذه الفترة

ثلاثيته(Trilogy) الشهيرة "بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية".

وأما في المرحلة الثالثة (1957م-1975م) فقد نجده يتجه إلى الفلسفة ويكتب الروايات ذات اتجاهات فلسفية، فأصدر في هذه المرحلة من الروايات: "أولاد حارتنا"، و"اللص والكلاب"، و"ثرثرة فوق النيل" وما إلى ذلك. وأما المرحلة الرابعة فهي المرحلة التراثية (1975م-1983م) نشر في هذه المرحلة من الروايات: "ملحمة الخرافيش"، و"ليالي ألف ليلة وليلة"، و"رحلة ابن فطومة"، و"قشتمر".

هذا وقد تناول الروائيون خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها المواضيع مما لها اتصال مباشر بالحياة والمجتمع، فتعرضوا لمشاكل المجتمع مثل الظلم والاضطهاد والفساد، والضوضاء والقلق والتوتر والاستعمار الأجنبي والنضال القومي ضده، وحاولوا إبراز هذه المشاكل وقدموا الحلول لمشاكل المجتمع السياسية والاجتماعية من خلال الروايات، فقد ظهر على يد عبد الرحمان الشرقاوي (1921م-1987م) روايات عديدة مثل "الأرض" عام 1954، و"قلوب خالية" عام 1956م، و"الشوارع الخلفية" عام 1958م، و"الفلاح" عام 1967م، ونالت رواية "الأرض" القبول في الأوساط الأدبية وذاع صيتها واشتهر أمرها، تشتمل هذه الرواية على أحوال الثلاثينيات من القرن العشرين، ونضال المصريين ضد الاستعمار وكفاحهم، كما تناولت العنصر الموجود في المجتمع الذي يقوم ضد التيار الرأسمالي ويخالفه.

9.4 عناصر الرواية

بيّن النقاد أن الرواية تتشكل بعناصر مختلفة مثل: 1- الحادثة ،2-والحبكة 3- والشخصيات، 3- واللغة/الأسلوب 5-والزمان والمكان.

ولكي نستفيد من أي رواية استفادة صحيحة لا بد لنا أن ندرس هذه العناصر بشكل جيد، فدراستها يعيننا في أن:

- نتعرف ما نتوقعه عندما ندرس الرواية.
- نكون في حالة بأن نتناول الرواية بتعمن، وأن نستطيع كذلك القيام بتقييمها وتحليلها، وأن نعبر بآرائنا حولها إيجابا وسلبا حسب الأصول والضوابط.

9.4.1 الحادثة أو الحكاية:

تعتبر الحكاية من أهم عناصر الرواية، ولا يمكن وجود الرواية بدونها، تتناول الرواية الوقائع والتجارب من الحياة، وتبينها من خلال قصة أو حادثة أو حكاية، يقول المفكر الغربي إي أيم فورستر(1879م - 1970م):

"The novel tells a story that is the fundamental aspect without it could not exist that is the highest factor common to all novels".

"تحكي الرواية قصة وهي الجانب الأساسي فيها ولا تتصور الرواية بدونها وهذا هو العامل الأعلى

المشترك بين جميع الروايات."

(E.M. Forster: Aspects of the Novel, p:22)

ينشأ الاهتمام بالرواية من عنصر الحادثة أو الحكاية ومن هنا يستمد القارئ حالة من النشوة والبهجة، ومن هذا المنطلق لا بد للقصة أو الحكاية من عنصر التشويق الذي يدفع القارئ إلى حب الاستطلاع للحوادث التي تأتي بعد، ولا تعتبر الحكاية ذات قيمة عالية إلا إذا كان فيها عنصر التشويق، فبقدر وجود التشويق وإثارة الحب للاستطلاع إلى ما يأتي تزداد أهمية الحكاية أو القصة.

9.4.2 الشخصيات (Characters)

تعتبر الشخصيات من أهم عناصر الرواية، وهم أناس يقدمهم القاص والروائي في عمله ويرسم ملامحهم الخارجية والداخلية، ومما يزداد أهمية الشخصيات في الرواية أنهم صورة حقيقية للقيم والمعتقدات والعادات السائدة للعصر الذي وجدوا فيه، والحقيقة أن حيوية القصة مرتبطة بوجودهم، ولا يمكن فصلها إذ لو أخرجت الشخصيات من الرواية لكانت جسما بلا روح.

ونظرا إلى أهمية هذا العنصر ينتقي الروائيون شخصياتهم بدقة؛ حيث تكون الشخصية المناسبة في مكانها المناسب، فالروائي ينتقي الشخصيات حسب الموضوع الذي اختاره للرواية، وتكون الشخصيات ملائمة للبيئة والطبقة والمعايير والمزاج الذي تدور الرواية حولها.

وبما أن الشخصية في الرواية تكون من تخليق الروائي، فمن الضروري أن تكون ممثلة للحياة اليومية، وأن تكون أفعاله وأعماله من الممكنات، فكلما قربت الشخصيات من حياة الناس نالت الرواية قبولا عاما لديهم، يقول طه وادي:

"يجب أن تكون(الشخصية) ممكنة الحدوث مع الحياة الواقعية اليومية التي يحياها البشر بالفعل"

وقسم النقاد الشخصية إلى قسمين: 1- الشخصية المسطحة الثابتة و 2- الشخصية النامية المتطورة. فالشخصية المسطحة الثابتة هي التي تكون ثابتة في سلوكها وانفعالاتها ولا تتأثر بالحوادث، ولا تكاد طبيعتها تتغير من بداية القصة حتى النهاية. (طه وادي، 27) يتعرفها القارئ بسهولة وقد لا يجد رغبة في متابعة مواقفها في القصة. تظهر هذه الشخصيات في القصة من وقت لآخر ، وتظهر لفترات محدودة من الوقت ، وتختفي بعد أداء دورها،وقد يطلق عليها "الشخصيات الثانوية" أيضا.

أما الشخصية النامية المتطورة فهي تتفاعل مع الظروف والأحداث وتنمو وتتكامل ملامحها على امتداد الرواية، وتدور موضوعات الرواية الرئيسية حولها، وتقع مسؤوليات إكمال الرواية على عاتقها، فهي شخصية رئيسية من الرواية، وتوجد في الروايات العربية شخصيات خلدها حسن اختيار كاتبها مثل شخصية "أحمد عبد الجواد" في ثلاثية نجيب محفوظ، و "إسماعيل" في رواية "قنديل أم هاشم" ليحيى حقي، و"عبد الهادي" في "الأرض" لعبد الرحمان الشرقاوي، وقد ترتبط اسم الشخصية بالرواية ارتباطا وثيقا حتى تكون هي عنوانا للرواية مثل "زينب" و "سارة".

9.4.3 الحَبكة (Plot)

إن المراد من "الحبكة" هو كيفية إيراد القصة بترتيب منطقي، فالحادثة الواحدة تتكون من أجزاء مختلفة، فالكاتب الناجح هو الذي يرتب الأحداث مثل اللؤلؤ في سلسلة، ويجب أن يكون سرد الأحداث في تسلسل منطقي بحيث يبدو طبيعيًا بأن يقع حادث تلو الآخر.

والحبكة هي عنصر مشترك بين القصة والرواية ، والفرق بين حبكة القصة وحبكة الرواية هو أن الحبكة في القصة تركز على التشويق والإثارة، أما الحبكة في الرواية فهي تركز على السببية، ولقد بين الأديب الإنكليزي من القرن العشرين إ.م. فورستر الفرق بين حبكة القصة والرواية بالمثال إذ يقول:

> "إن القصة سرد للحوادث المتصلة زمنيا، بينما الحبكة سرد للحوادث مع توكيدها على السببية، "مات الملك ثم ماتت الملكة" هذه قصة، لكن "مات الملك ثم ماتت الملكة حزنا"، حبكة. التسلسل الزمني باق لكن حس السببية يكتنفه"

تنقسم الحبكة إلى قسمين: 1- الحبكة المتماسكة 2- الحبكة المتفككة

إذا كانت الأحداث مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بعضها ببعض بحيث يكون كل فصل نتيجة للفصل السابق يقال لها الحبكة المتماسكة. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فيقال لها الحبكة المتفككة.

تتألف الحبكة من خمسة أجزاء:

9.4.3.1 المقدمة

هذه هي المرحلة الأولى تواجه القارئ في البداية، فلا بد أن تتضمن ما يشجعه على قراءة القصة ، لأن البداية الضعيفة للقصة ستكون سببا في انصراف القارئ عنها، كما تقدم في هذه المرحلة المعلومات الابتدائية عن الشخصيات وعن ملامحها. وهذه البداية ستكون براعة الاستهلال لعمل الروائي فكلما أجاد فيه جذب القارئ أكثر.

9.4.3.2 الصراع

و هو الذي يولد حركة الحوادث في القصة، و المقصود به وجود ما يسبب بناء الحوادث القصصية، فقد يكون الصراع داخليا في نفس إحدى الشخصيات، كما يكون بسبب الخلاف حول شيء مادي تتسابق الشخصيات فيما بينها للظفر به، مما يثير مشاعر متعددة، كالطموح، أو الخوف، أو الطمع، أو البطولة و التضحية، و ربما إلى الجريمة.

9.4.3.3 العقدة

وهذه هي المرحلة الثالثة، تنشأ العقدة بسبب الحوادث الصاعدة في الرواية حيث تتأزم الأمور، ويتحول موقف البطل إلى حالة من الضعف أو الخوف.

9.4.3.4 الحل

أما المرحلة الرابعة فهي الحل حيث بدأ يتم حل العقدة فيها جزئيا أو كليا، ولا بد أن يكون الحل متناسقا مقنعا مع سياق القصة.

9.4.3.5 النهاية

وهذه هي المرحلة الأخيرة في الحبكة حيث تصل الأحداث إلى نتائجها، فكما أن على الروائي أن يحسن بداية قصته فكذلك عليه أن يصيغ نهاية القصة بصياغة حسنة و من المعروف أن البارعين في الرواية يعتنون كثيرا بصياغة الكلمات في القصة، لانها آخر لقاء بينهم و بين قرائهم، و قد تكون الكلمات الأخيرة ذات صدى في سمع القارئ لا يكاد ينساه.

9.4.4 اللغة/ الأسلوب

ومن العناصر المكونة للرواية الفنية اللغة والأسلوب، وإن اللغة في الرواية هي الركيزة الأولى والأهم لبنائها الفني، وهي الوسيلة التي تلجأ إليها الكاتب للتعبير عن الحدث، وتأخذ اللغة في الرواية شكلين: 1-السرد 2-والحوار، فالسرد هو الكلام الذي يوصل الكاتب على لسانه ويكون متكلما أو غائبا، وأما الحوار فهو كلام يجري على لسان شخصيات الرواية ويأخد أشكالا عديدة: فيكون بين شخصين ويكون بين الشخص ونفسه مثل المناجاة والغمغمة والهمهمة.

يختلف أسلوب الرواية عن أسلوب الشعر والمسرحية، فالشعر والمسرحية يعتمدان على نوع واحد من الأسلوب بينما تعتمد الرواية على أسلوبين السرد والحوار، يقول طه وادي مبينا الفرق بين الأسلوب في الشعر والمسرحية وبين الأسلوب في الرواية:

> "الحديث عن السرد والحوار حديث عن الوعاء اللغوي الذي يحتوي كل عناصر القصة باعتبارها نوعا من فنون القول، غير أن كتابة القصة باللغة أصعب من كتابة القصيدة والمسرحية اللتين تستخدمان نسقا أسلوبيا واحدا: فالشاعر يشكل القصيدة بطريقة فنية واحدة، ومؤلف المسرح يعتمد على الحوار وحده، أما القصة فإنها تزاوج بين أسلوبين مختلفين من حيث التركيب أو طريقة التعبير، هما السرد والحوار"

وبناء على ما ذكر طه وادي فالواجب على الكاتب أو الروائي أن يكون على دراية تامة بجوانب الجمال الأدبي، كما يجب أن يكون لديه ذوق رفيع للأساليب المختلفة حتى يستطيع أن يتقلب بين الأساليب وأشكال السرد حسب الظروف والمتطلبات.

وكذلك من الضروري أن تكون اللغة ملائمة وسهلة ومقبولة لدى الجمهور في عرض الوقائع والحوار، ومن العيب استخدام اللغة المعقدة التي لا تفي بهذا الغرض أي إيصال المعنى المقصود، حيث يفسد التعقيد في اللغة أو الأسلوب جمال الوقائع والشخصيات. لقد ذهب بعض الأدباء والروائيين مثل توفيق الحكيم، وعثمان جلال، ومحمد عفيفي إلى القول باستخدام اللغة العامية في الرواية وخالفهم في ذلك الأدباء الآخرون بمن فيهم الروائي والكاتب الشهير المازني وعميد الأدب العربي طه حسين ويقولون إنه لا تعني مراعاة أحوال الشخصيات في الأسلوب بأن يورد الحوار باللغة العامية نظرا إلى سذاجة الشخصية الواردة في القصة، والرأي الأوسط في هذه القضية أن الروائي لا ينبغي له أن يهبط باللغة في مستوى العامية حين يجري الحديث على لسان شخصية عامية، يقول د. إقبال الندوي

في "النقد الأدبي الحديث في مصر":

" إن العامية في الفكر لا تقتضي العامية في التعبير من أجل إيجاد الملائمة بينهما، إنما يعني ذلك أن لا يرتفع القصاص بأسلوب مثل هذه الشخصيات إلى مستوى مستحيل أن يكون نابعا منها، واللغة الفصحى صالحة لأن يطوعها الكاتب بين يديه، وأن يصوغ منها أساليب متنوعة تناسب كل العقول دون أن يخرج عن دائرة الفصاحة والصحة الأسلوبية، وهنا تظهر موهبة الكاتب الفصحى حين يفرق بين الشخصيات في طريق التعبير اللغوي مع الاحتفاظ بمستوى الجمال الفني."

9.4.5 البيئة (الزمان والمكان)

إن الرواية في الأساس فن زماني ومكاني، وتعتبر البيئة إحدى المكونات الأساسية في بناء الرواية، والمراد بها الظروف الزمانية والمكانية الثابتة والطارئة التي ترافق وقوع الأحداث داخل القصة، وهذه الظروف تساعد في تحديد مواقف الشخصيات وتصرفاتها، حيث يقدم الروائي البيئة من جوانبها المتعددة.

9.4.5.1 الزمان:

إن لكل رواية زمنها الخاص، والزمن كما يكتب عنه مبروك عبد الرحمان"بناء الزمن في الرواية المعاصرة":

"يعتبر عنصرا بنائيا هاما في جميع فنون القصص منها الرواية، فعليه تترتب عناصر التشويش واستمرار الأحداث الروائية المتتابعة، ومن منظومة لغوية معينة تعتمد على الترتيب والتواتر والدلالة الزمنية"

يتعامل الروائيون عنصر الزمن في رواياتهم بطريقتين:

الأول: يحركون الأحداث في زمن بشكل مرتب ومسلسل، فهي تبدأ منذ لحظة معينة، ثم تستمر إلى مدة طويلة حيث أنهم يحافظون على المسار الطبيعي للحوادث والوقائع كما توجد هذه الميزة في رواية "زينب" وأمثالها.

الثاني: لا تُورد الحوادثُ على مسارها الطبيعي، بل يكسر سياق الزمن التاريخي في الرواية، ويلجأ الروائي إلى ما يسمى بـ"الزمن النفسي"، وهذه الظاهرة تؤتى بطريقتين فنيتين:

1- الاسترجاع (Flash Back)

وهو أن يعمد الراوي بقطع زمن السرد الحاضر؛ ليستدعي الماضي ويوظفه في الحاضر السردي، فيصبح جزءًا من نسيجه، "إذن كل عودة للماضي تشكل بالنسبة للسرد استرجاعًا للوراء (استذكار) أي يحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلت إليها القصة."

(حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1990، ص121)

2- التنبؤ (Prophecy)

وهو أن تتخيل شخصية ما أن ثمة شيئا تتمناه أو تخشاه سوف يحدث، وقد تتخيل الشخصية –وهي مدركة- هذه الخاطرة عن طريق ما يسمى في علم النفس بـ "أحلام يقظة"، وقد يتم التنبؤ عندما تتوجه الشخصية لأداء

العمل.

9.4.5.2 المكان:

والمراد بالمكان هو البيئة التي يعيش فيها الناس، وكل حادثة لا بد وقوعها في مكان معين ولا بد ارتباطها بظروف وعادات ومبادئ، ولا سيما بالمكان الذي حدثت فيه.

9.5 أقسام الرواية

تنقسم الروايات باعتبار مادتها إلى ثلاثة أنواع:

1- الرواية التاريخية 2-الرواية الاجتماعية 3-الرواية الفلسفية

9.5.1 الرواية التاريخية

تتناول هذه الروايات الحوادثَ والوقائعَ التي وقعت في الماضي وتدور حول شخصية من شخصيات التاريخ، ويستقي الروائي في هذا النوع مادته من التاريخ ويعتمد عليه، ومن أهم مقاصد هذا النوع من الرواية تجسيد عظمة الماضي، أو تقديم درس من قصص التاريخ، أو إيجاد وعي تجاه الوطن والشعور بالمسؤولية للوطن وما إلى ذلك. جاء في المعجم المفصل في اللغة والأدب تعريف الرواية التاريخية ما نصه:

> " وهي تدور حول أحداث مستقاةٍ من التاريخ القومي، أو العالمي، ومن شأنها إحياء حقبة مهمة من ماض عريق سالف، بناسها وأبطالها وبيئاتها، والغرض منها غالبا هو الحث على الاستمساك بالتراث، وبعث أمجاده، لمحاكاتها والتمثل بها في مجرى التاريخ الحاضر والمستقبل."

تُقدم هذا النوع من الرواية في صورتين: 1- الرواية التاريخية التعليمية 2-الرواية التاريخية القومية. يتناول الروائي في النوع الأول عظمة الماضي وتمجيد الأسلاف وإحاطة أعمالهم العظيمة، والغرض من هذا كله تعليم التاريخ، ظهر هذا الاتجاه الروائي التاريخي على يد "جرجي زيدان"(1861م-1914م)، فقد قدم سلسلة من الروايات التاريخيّة التي تضم في ثنايا البناء القصصي أطراف التاريخ الإسلامي في المشرق والمغرب فقدم، "فتاة غسان" لعرض الأحداث التاريخيّة التي صاحبت الغزوات الإسلاميّة الأولى، وقدم "أرمانوسة المصريّة"، لعرض الأحداث التاريخيّة التي صاحبت فتح العرب لمصر وكتب "عذراء قريش" و"غادة كربلاء" و"الحجاج بن يوسف" للتاريخ للوقائع التي حدثت خلال الصراع السياسي ...

وله في هذا المجال إحدى وعشرون رواية خصص منها ست عشرة لتاريخ العرب والإسلام، وأربعا لتاريخ مصر الحديث، وواحدة للإنقلاب العثماني 1908م، ونجد في هذه السلسلة أن الهدف الأساسي لجرجي زيدان يرجع إلى تعليم التاريخ دون إحساس قومي أو هدف وطني.

وأما النوع الثاني فيهدف الروائي فيه إلى إيجاد شعور قومي أو إيصال إحساس وطني. وخير مثال لهذا النوع

من الروايات "ابنة الملوك" لمحمد فريد أبو حديد، و"عبث الأقدار" و"رادوبيس" و"كفاح طيبة" لنجيب محفوظ. وكذلك روايات عبد الحميد جودة سحار(1913م-1974م) تهدف إلى إيجاد شعور قومي مثل : "أحمس بطل الاستقلال"(1943م)، و"أمير قرطبة" و"قلعة الأبطال". تتعلق رواية "أحمس بطل الاستقلال" بتاريخ مصر القديم، بينما تدور رواية "أمير قرطبة" حول فترة أمجاد بني أمية في الأندلس، واستعرضت الدسائس والمكائد التي كانت تحدث في بلاط الحكم والتي أدت في النهاية إلى سقوط الأندلس، وأما رواية "قلعة الأبطال" فهي مستقاة من تاريخ مصر الجديد.

9.5.2 الرواية الاجتماعية

تعتبر هذا النوع من الرواية أكثر تناولا وأوسع انتشارا بين الكتاب والأدباء، إذ يعالج هذا النوع من الرواية مشاكل اجتماعية، وتستمد حكايتها من المجتمع مباشرة، جاء في معجم المفصل في اللغة والأدب ما نصه:

> " وهي تُعنى غالبا بتصوير العادات والتقاليد، ورصد الاتجاهات المتناقضة في حركة المجتمع وتطوره. وهي تشتمل في الوقت ذاته على قدر كبير من التحليل النفسي، والفردي والاجتماعي، إلا أن هدف الكشف عن الأوضاع الاجتماعية هو الغالب بإطلاق."

والناظر في تاريخ الرواية يجد أن الفترة الأولى أي قبل الحرب العالمية الأولى كانت موضوعات العاطفية والرومانسية سائدة لدى كتاب الروايات، وأما الفترة خلال الحرب العالمية الأولى والثانية فالكتاب فيها لفتوا انتباههم إلى مشاكل المجتمع التي سببتها الحربان العالميتان الأولى والثانية. فاستقوا مادتهم من المجتمع وما يعاني الشعب من المشكلات والمصائب.

وللرواية الاجتماعية ثلاث وجهات:

1- إقليمية (Regional Aspect)

2- العمومية (General Aspect)

3- الشخصية (Personal/Biographical Aspect)

1- الرواية الاجتماعية الإقليمية: (Regional Aspect)

والمراد من هذه الرواية في الرواية الاجتماعية ما يستمده الكاتب من واقع إقليم أو بلد خاص وهي تتجلى في كثير من الروايات المصرية والعراقية والسورية واللبنانية مثل: زينب لمحمد حسين هيكل، وزقاق المدق لنجيب محفوظ، والرغيف لتوفيق الحكيم. فقد استقى الروائيون مادتهم من إقليم خاص أو مكان خاص، وكل الروايات الثلاثة تعرض المشكلات الإقليمية وتلقي الأضواء على مكان خاص.

2- الرواية الاجتماعية العمومية (General Aspect)

والمراد من هذه الرواية الاجتماعية ما يذكره الروائي فيها من مسائل مشتركة بين الدول والأمصار، وقد يقدم الروائي في مثل هذه الروايات المشاكل لأكثر من مجتمع، وربما تحتوي الرواية المسائل لها أثر لجميع المجتمع الإنساني من دون قيد لمجتمع أو لعصر. وخير مثال لهذا النوع من الرواية الاجتماعية ما قدمه يعقوب صروف في رواياته الكثيرة، مثل : "فتاة مصر" و"فتاة الفيوم". يعرف الروائي في رواية "فتاة مصر" لبعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية الدولية، وتقع حوادثها في بريطانيا ومصر، والقصة تدور حول شاب إنكليزي قدم من لندن إلى مصر وتعرف على فتاة مصرية فأحبها ثم تزوجها.

3- الروايات الاجتماعية الشخصية (Personal/Biographical Aspect)

إن الرواية من هذا النوع من الروايات هي التي يتحدث فيها الروائي عن تجاربه الشخصية، وقد يطلق عليها السيرة الذاتية أيضا، وقد تصطبغ أحيانا بصبغة عاطفية، وخير مثال لهذا النوع من الروايات "الأيام" لطه حسين والذي قدم فيه الروائي من خلال تجاربه الشخصية الفساد السائدفي مصر، والصراع الاجتماعي، والتفاوت الطبقي بطريق رائع جذاب.

والمثال الآخر للروايات الاجتماعية الشخصية رواية "الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران، وهذه الرواية تدور على معانات الروائي من خيبة آمال في حبه الأول وعلى ما اختبره من أحوال المجتمع الذي يعيش فيه.

9.5.3 الرواية الفلسفية:

إن المراد بالرواية الفلسفية ما يقدم فيها الروائي من مسائل تتعلق بالفلسفة، وقد تشمل هذه الروايات الصراعات التي تدور في نفوس الناس بين الخير والشر ومبرراتها، والأفكار الوجودية، ومقارنات إثبات الوجود من العدم التي شغلت لعقود طويلة عقول الفلاسفة، وأدوار المجتمع والهدف من الحياة حين تكون الحياة على صفيح ساخن من الأحداث أو حتى حين تكون على هضبة من الثلج!

ومن النماذج الروائية الفلسفية ما كتبه الروائي العربي الشهير نجيب محفوظ مثل: "أولاد حارتنا"، "السمان والخريف"، و "اللص والكلاب"، و"الطريق" و"ثرثرة فوق النيل" وغير ذلك. تناول فيها نجيب الأبحاث الفلسفية الدقيقة إلى جانب القضايا الاجتماعية.

9.6 نتائج التعلم

تعلمنا في هذه الوحدة عن مظاهر تطوّر الرواية العربية وعواملها وعن الخصائص العامة لها، كما فهمنا أيضا عن المراحل المختلفة التي تطورت فيها الرواية وتناولنا أيضا أهم الروائيين وأعمالهم مجملا. فمن خلال دراستنا وصلنا

إلى النتائج المتعددة التي تتمثل في النقاط الآتية:

- إن الرواية فن غربي جاءت في الأدب العربي متصلة بالنهضة في العالم العربي.
- إن الرواية عبارة عن قصة طويلة تتناول الأحداث المختلفة والشخصيات لها زمان ومكان، وتكون مرآة للحياة، ومن خلالها يقدم الروائي القضايا الاجتماعية أو الفلسفية أو تجاربه الشخصية لعصره أو لعصر مضى.
- يبدأ فن الرواية في الأدب العربي بالترجمة، وكان الرفاعة الطهطاوي هو أول من قام بترجمة رواية فرنسية " Les Aventures de Télémaque " (مغامرات تليماك) وسماها "مواقع الأفلاك في وقائع تليماك"، وقد جمع فيه كثيرا من الآراء والخبرات في التعليم والتربية والسياسة..
- ثم بدأت المحاولات أن تجعل الرواية أكثر فنية وأصيلة، وتعد رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل أول رواية فنية تفي بأغراض فنية مطلوبة في الرواية.
- وخلال الحربين العالميتين الأولى والثانية ظهر مجموعة من الأدباء والروائيين الذين تطورت على أيديهم فن الرواية حتى أصحبت فنا على وجه الاستقلال وبدأت تعترف على ساحات الآداب العالمية الأخرى.
- تتكون الرواية بعناصر شتى منها: الفكرة، والحبكة، والشخصية، والزمان والمكان، والأسلوب.
- تنقسم الرواية حسب مادتها إلى ثلاثة أقسام: الرواية التاريخية، والرواية الاجتماعية، والرواية الفلسفية.

9.7 الكلمات الصعبة ومعانيها

ملامح	مَا يَظْهَرُ مِنْ عَلاَمَاتِ الوَجْهِ وأَوْصَافِهِ	المتمادي	المستمر في الأمر
على نمط	على صورة واحدة	الأقلام المرتزقة	كناية عن الذين يكتبون مقابل المنافع المادية
قصب السبق	المكانة الأولى، المرتبة الأولى		

9.8 أسئلة الاختبار النموذجية

9.8.1 أسئلة موضوعية:

1- مؤلف قصة "حي بن يقظان":

(a)القاضي الفاضل (b) جاحظ (c) ابن طفيل الأندلسي (d)بديع الزمان الهمذاني

2- أول رواية مترجمة في اللغة العربية.

(a) مواقع الأفلاك في وقائع تليماك (b) الساق على الساق فيما هو الفارياق

(c)حديث عيسى بن هشام (d)ليالي سطيح

3- ثلاثيةُ "نجيب محفوظ" تعني بها الروايات:

(a) بين القصرين، قصر الشوق، السكرية (b) خان الخليل، القاهرة الجديدة، ثرثرة فوق النيل

(c) عبث الأقدار، رادوبيس، كفاح طيبة (d) اللص والكلاب، السمان والخريف، زقاق المدق

4- معنى الاسترجاع باللغة الإنكليزية في الحبكة:

Flash Back (a) Prophecy (b) Plot (c) Characterization(d)

5- ما هو الفنّ النثريّ الذي يرجع أصله إلى العصر العبّاسي؟

(a) القصّة القصيرة (b) المقامات (c) التوقيعات (d) الحِكَم

6- ما هي الرواية الأولى في الأدب العربي بالمعنى الفنّي؟

(a) قاتل حمزة (b) رجال في الشمس (c) الأجنحة المتكسّرة (d) زينب

5- "سلوى في مهب الريح" رواية ألفها:

(a) نجيب محفوظ (b) محمود تيمور (c) إبراهيم الكاتب (d) طه حسين

8- ليست من روايات طه حسين:

(a) شجرة البؤس (b) المعذبون في الأرض

(c)الحب الضائع (d) يوميات نائب في الأريف

9- من مؤلف كتاب تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (1870-1938) ؟

(a) طه وادي (b) عبد المحسن طه بدر

(c) شوقي ضيف (d) حنا الفاخوري

10- اسم بطل رواية "قنديل أم هاشم"

(a) اسماعيل (b) عبد الهادي (c) أحمد عبد الجواد (d) سارة

9.7.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- بين معنى الرواية لغة واصطلاحا.

2- كيف تطور فن الرواية في الأدب العربي؟

3- ما هي أهمية الشخصيات في الرواية؟

4- ما هي الحبكة؟ وما هي أهميتها في تشكيل الرواية؟

5- ما هي أقسام الرواية؟

9.8.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- ما هي عناصر الرواية؟ عرف كل واحد منها بالتفصيل.

2- ألق الضوء على مساهمات "نجيب محفوظ" في تطور الرواية موجزا.

3- ما هي الروايات الاجتماعية وما ميزاتها؟

9.9 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

15- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (1870-1938) مصر: دار معارف.

16- طه وادي: دراسات فى النقد والرواية، مصر: دار المعارف: 1994
17- الدكتور شوقي ضيف، الفنّ ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، 1943م.
18- حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب الحديث، داري الجيل، بيروت، 1986م.
19- عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، دار الفكر، دمشق، 1948م.
6- شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر،مصر: دار المعارف.
7- حنا فاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.
8- د. أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف القاهرة، ط: 6، 1994
9- د. إيميل بديع يعقوب، ود. ميشال عاصي: المعجم المفصل في اللغة والأدب، بيروت: دار العلم للملايين، ط: 1،
10- أحمد أبو سعيد، فن القصة، دار الشرق الجديد، بيروت.
E.M. Forster, Aspects of Novel, Rosetta Books, LLC, -11

الوحدة: 10

اقتباس من رواية "زينب"

عناصر الوحدة

10.0 التمهيد

10.1 أهداف الوحدة

10.2 "نصّ رواية زينب"

10.3 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة في النص

10.4 تحليل النص

10.4.1 التعريف برواية "زينب"

10.4.2 التعريف بشخصيات الرواية

10.4.3 ميزات النص

10.4.4 ملخّص النص

10.5 التعريف بالكاتب: محمد حسين هيكل

10.6 التعبيرات ومعانيها

10.7 التمرينات

10.8 نتائج التعلم

10.9 الكلمات الصعبة ومعانيها

10.10 أسئلة الاختبار النموذجية

10.11 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

10.0 التمهيد

إنّ هذه الوحدة ذات أهمية كبيرة، وهي تتصل بالرواية في الأدب العربي. ومن المعروف أن الرواية تعالج قضايا سياسية واجتماعية وأدبية، وهذا النوع من الأدب يتعلق بالنثر، والنثر هو فن من الفنون الأدبية القديمة، وكان النثر متواجدًا في شكل الحكم والأمثال والخطب والوصايا والرسائل والمقامات والحكايات حتى إلى نهاية العصر العباسي، وساد الركود والجمود في العصر العثماني على الفنون الأدبية، ثم تلاشى الجمود والركود بصفة خاصة من مصر بعد حملة نابليون سنة 1798م، فبدأت حركة الانبعاث في الأدب العربي، واحتكاك العرب بالغرب، وتأثرهم بالآداب الغربية، فاستفاق الأدباء والكتاب العرب من سباتهم العميق، وتحول الأدب العربي من الانحطاط إلى الازدهار، فتأثرت هذه النهضة الأدبية على النثر، وأدّت إلى لون جديد من الازدهار، وتحرر الأدب العربي، وخاصة النثر مع أصنافها المختلفة من قيود السجع وصنعة الجناس والبديع. وجمع أكثر الكتاب بين الثقافتين الشرقية والغربية، وبلغوا بالنثر الفني منزلة لم يبلغها في عصر من عصوره، حتى تعددت الأساليب، وتنوعت الأغراض، وظهرت الأنواع النثرية المتعددة إلى حيز الوجود، فنسجوا على منوال ما ترجموه من القصص والروايات الغربية.

أيها الطلاب الأعزة! نقرأ هذه الوحدة، ونستفيد منها تأثر الأدب العربي بالأدب الغربي، ونعرف بداية الرواية من الترجمة حتى الوصول إلى جهد متكامل بصورة رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل.

10.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى تقديم أشياء جديدة للطلاب تتمثل في:

- تزويد مفاهيم أساسية عن الرواية في الأدب العربي.
- التعريف بأبرز الروايات العربية.
- مطالعة قطعة من رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل.
- الاطلاع على شخصيات الرواية، وأسلوب كاتب الرواية في "زينب".
- التدريبات والتمارين حول النص وكاتب النص.
- بيان المفردات الواردة في الوحدة، وعرض أساليب الاختيار.

10.2 نص رواية "زينب"

أيها الطلبة الأعزاء! إن رواية "زينب" مطبوعة بكاملها في صورة كتاب، والكتاب يستغرق 311 صفحة، ويشتمل على ثلاثة فصول، وكل فصل يقدم مشاهد مختلفة من الرواية ضمن تقاسيم داخلية عديدة في الفصول حسب أجزاء الرواية المنوعة، وإليكم نموذجا من الجزء الأول من الفصل الأول الذي تم قبوله في مقرراتكم الدراسية، وذلك لكي تتمتعوا بالتركيز على جانب من الرواية الطويلة بغية فهم معناها ومغزاها بطريقة جيدة، وتتعلموا أسلوبها حتى تستطيعوا أن تحاكوها وتنسجوا على منوالها في كتاباتكم الأدبية.

"في هاته الساعة من النهار حين تبدأ الموجودات ترجع لصوابها، ويقطع الصمتَ المطلقَ الذي يحكم

على قرى الفلاحين طول الليل أذانُ المؤذن وصوتُ الديك ويقظة الحيوانات جميعًا من راحتها، وحين تتلاشى الظلمة ويظهر الصباح رويدًا رويدًا من وراء الحجب- في هاته الساعة كانت زينب تتمطّى في مرقدها، وترسل في الجوّ الساكن الهادئ تنهدات القائم من نومه. وعن جانبيها أختها وأخوها ما يزالان نائمين. فانسحبت هي من بينها. وبعيون ما يزال فيها أثر النوم نظرت لكلّ ما حولها. ولم يدعها نسيم الصباح تترك مكانها، بل استندت إلى الوسادة وجاهدت أن تنظر لعلها تري ما في صحن الدار فلم تجد شيئًا. وأدارت رأسها فإذا باب الغرفة موصد، ولا صوت حولها إلا ما يتنادى به رسل الإصلاح من أطراف القرية.

بقيت في مكانها هنيهة ساكنة لا تبدى حِراكًا. ثم فردت ذراعيها من جديد، وأرسلت في الهواء تنهداتها، وتركت نفسها تذهب في أحلام يحييها النسيم، حتى أحست بالباب تفتحه أمها راجعة من أولى أدوار "المليّة". هنالك التفتت إلى أختها تهزّها لتستيقظ. لكن الصغيرة كانت في نوم عميق فلم تتنبه، وتقلبت كأن بها ضيقًا ممن يقلقها في مضجعها...وأخيرًا نادتها أمّها: يا زينب...!

– نعم...

ولم تزد على هذا الجواب كلمة. وبعد أن استيقظت أختها التفتت إلى أخيها وأيقظته. وحدقت نحو الشرق فإذا الأفق متورد، والشمس في لونها القاني والسماء قد خلعت قميص الليل. هنالك قامت فأوقدت نارًا ولدَّنَتْ فوقها رغيفًا لكلّ منهم، ولم تنس أمّها وأباها.

دخل أبوها راجعًا من الجائع، وقد قرأ الورد وصلّى الفجر، وما كاد يتخطّى عتبة الدار حتى نادي: "يا محمد"، وسأله إن كان قد استيقظ بعدُ، وإن كان قد أعدّ عمله.

جلست العائلة جميعًا حول "المشنة" وأكل كلّ منهم رغيفه "بحصوة" ملح. ثم قام الرجل وابنه إلى عملهما. أما زينب فانتظرت مع أختها أن يمرّ بهما إبراهيم، ليذهبوا جميعًا إلى مزرعة السيد محمود لتنقية القطن. وقد كان في أملهم جميعًا أن ينتهوا اليوم من بر الترعة الغربي، أو كما يسميه كاتب المالك "نمرة"20 لينتقلوا في الغد إلى "نمرة"14.

نزلتا حين رأتا إبراهيم ومن معه مقبلين. وتهادى الكلّ "صباح الخير"، ثم خرجوا من الحارة إلى سكة البلد، ثم منها إلى سكّة الوسط، وهكذا كانوا عند"نمرة"20 ساعة مرور وابور الصبح. ولم يتمهّلوا أن أخذ كلّ منهم خطّه على وجه الترتيب الذي كانوا عليه أمس. فلما لم تجد خضرة القطعة سعدة بجوارها التفتت لزينب عن يمينها تسألها عنها، وهزّت هذه الأخيرة أكتافها.

ارتفعت الشمس حين نقوا خطين، وأرسلت بشعاعها تغمر هاته الشجيرات التي ما تزال في مبتدأ حياتها، ومع ذلك يعني بها الفلاح والمالك أكثر من عنايتهما بأبنائهما. واصطفوا للوجه الثالث بعد أن فصلهم عن الأولين مصرف، فلم ينس إبراهيم أن ينبههم إلى أن هذه الجهة أغلت من سابقتها، وتستحقّ لذلك عناية أكبر، وأنذرهم أنه سيدقق في مراقبتهم، ومن وجد وراءه شيئًا أوراه شغله.

ملحوظة: قدمنا العبارة الاستفتاحية لرواية "زينب"، وللنص الكامل في المقرر الدراسي يُرجى المراجعة إلى الملاحق.

10.3 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة في النص

المفرد/التعبير	المعنى بالعربية	المعنى بالإنجليزية
الصمت	السكوت	Silence
تتلاشى الظلمة	ضعف النور	The darkness fades away
تتمطّى	تمدّ	Stretches
تنهد	تنفس الصعداء	Sigh
موصد	مغلق	Closed
المالية	تحويل الماء من الترعة	Diversion of water from the canal
التفت	توجه	He turned
تقلبت	تحولت	Fluctuated
نادت	دعت	She called
حدقت	نظرت	She looked
لدّنت	ندّت وبلّلت/نعومة	Softened
العائلة	الأسرة	The family
المشنة	وعاء يوضع فيه الخبز ونحوه	A bowl in which the bread is placed
حصوة	قطعات	Pieces
تنقية	تنظيف عند القطف	Scrubbing and cleaning
الترعة	العين	Canal
من الحارة إلى سكة البلد	من الحي إلى سكة البلد الحديدية	From the lane to the country railway
وابور	محرّك بخاريّ	Steam Engine
لم يتمهلوا	تأنّوا /ولم يعجلوا /ولم يتأخروا /ولم يبطئوا	They did not slow down
هزت	حركت	Shook
تغمر	تخفي	Hide
دفع	أداء المال	Pay
لمضة	قائمة الشموع	A flash
التملية	الحارس والحامي	Watchman
حنق	غضب	Anger
واللي مش رايح	من يمشي يروح السوق	Whoever walks goes to the market

السوق؟		
صمم	أراد	Tried
صدر قرار	أعلن حكمًا جديدًا	A decision was made
عال أسرةً يعُوْل (ن)	كفلها وقام بما تحتاجه من طعامٍ وكِساء وغيرهما	To sustain or feed the family
رويدا	قليلا	Slowly
مرقد	مضجع	Bed
القاني	الأحمر مثل الدم	Red is like blood
رغيف	قطعة الخبز	Piece of bread
نمرة	عدد	Number
سكة	الزقاق	Rail
الغيط	الميدان	Field
ضئيل	خفيف	Little
انحنى	مال/كبّ	Bend over
مقتنعين	مؤمنين بها ورضى بها	Convinced
الخلق	الثوب/ اللباس القديم	Old dress
المرقوع	سدّ خرقه	Patched
فَكّةُ نُقُوْدٍ	صرفها	Change of money
ينَاكفون الشيخ علي	يزعجون الشيخ علي ويسد سبيله	They stopped Sheikh Ali and gheraoed him
يعيرهم في الغالب أذنًا صمّاء	لم يسمع غالبًا	He often lends them a deaf ear
بشّت وجوههم	ابتسمت وجوههم ضاحكة	They looked at their faces
الثغور	الأسنان	The teeth
يتغامزون	أشار بعضهم إلى بعضهم الآخر بأعينهم	Some of them pointed at each other with their eyes
الحصاد	قطع الزرعة	Harvesting and cutting the planting
تكلأ	تنظر	Lie down
عيدان	الخشب	Chopsticks
تتقصّف	تكسر	Fracture
لا تتقصّف	لاتكسر ولاتنز	Do not break off

الشراشر	أطراف الأجنحة	Fringes ends
تعتاضون	يأخذون العوض	They take compensation
المترفون	الأغنياء	The rich
أدلجت	سارت في آخر الليل	She walked at the end of the night
همهم	تكلم كلامًا خفيًّا	Speak hidden words
آهة	صوت يخرج من الإنسان توجّعًا أو شكاية	A voice that comes out of a person in pain or complaints
اللجي	العميق	The deep
سيقان	سان الشجر والنباتات	San trees and plants
انسدل	علق / مال إلى الأسفل	Drop down
حداء	غناء	Singing
انحدر	سقط	Incline
الشحوب	الذهول	Paleness
غيطان	ميدان	Field
اللانهاية	لانهاية	Infinity
تقضّت	مضت	It went on
الجرن	الأرض	Earth
الشقاء	الشدة والمحنة	Misery

10.4 تحليل النصّ

10.4.1 التعريف برواية "زينب"

قد وافق الدارسون في الأدب العربي على أنّ رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل هي الرواية الفنّية التأسيسيّة في الأدب العربي الحديث، واعتبرت هذه الرواية تأسيسيّة بأنّها تنفصل عن الأسلوب المقامي، وتثبت بعض الخصائص الفنية، وتصف الواقع المصري الصميم عن طريق وصف حياة الفلاحين، وتعالج موضوع الحب في المجتمع الريفيّ.

وملخص الرواية أنّ حامدًا من أبناء أعيان الريف؛ رغب في ابنة عمه عزيزة، وكفّته عادات البادية من أن يظهر ولهه منها، وتقرر زواجها بغتة من غير توقع، وجال للبحث عن الطمأنينة، فنالها عند زينب الفلاحة البسيطة الجميلة، وهي من إحدى العاملات اللاتي كنّ مشتغلات في مزرعة والده، وهو يحبّها، وأدركت زينب أيضًا حبّه لنفسها، وعلمت أن لا يمكن زواجها منه بفروق طبقات بين أسرتها وأسرته، وأحبت زينب إبراهيم الفلاح وهو يتعلق بوسطها، ويعمل معها في المزرعة، ووقعت علاقة المودة بينهما، ولم تستطع أن تظهر حبّها بالعادات المزرعية القديمة ولكن __ من سوء حظهما__ لم يقدرا على التمتع بهذه الرغبة، فقرّر أبو زينب زواجها من شخص غني لاتحبه، واسمه حسن وتتزوج زينب من حسن، وهو أحسن حال من إبراهيم، وذهب إبراهيم إلى السودان للخدمة العسكرية، وحاول

التهرب منها لأنّ فقره أحال بينه وبينها. ويطرح حامد البادية، ويذهب إلى القاهرة ويبتدأ حياة جديدة.

وفي الختام تصاب زينب بالنحول بعد فراق حبيبها، وضعّف مرض السل جسمها، وتموت وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، ويدفن منديل محبوبها معها وفي جوّ يعمّه الحزن والألم.

وهذه نهاية مأسوية تلحق كلّ أبطال هذه الرواية، فزينب كان ختامها المصرع بمرض السلّ، وأمّا إبراهيم فهو جند في الأراضي البعيدة، وأمّا حامد فيتيه في الأراضي الفسيحة.

وكتب محمد حسين هيكل هذه الرواية بالتعلق الشديد بمصر وما يشار إليه أنّه ترعرع هذا الحنين بعلاقته بصاحب القومية المصرية ورائد الليبرالية الشهير لطفي السيد، وبتأثره بثقافة الغرب وبالخصوص يتأثر بفكر الفيلسوف جان جاك روسو، كما تعلق بشكل كبير بالرومانسيين الغربيين بين المعارضة يؤمن بأخلاقيات وجماليات قائمة على الشعور بالموانع والعوائق.

وتتكوّن رواية زينب من ثلاثة فصول ويحتوي الفصل الأول على ثمانية أجزاء والفصل الثاني على سبعة أجزاء والفصل الثالث على أربعة أجزاء. وتبدأ الرواية بوصف الطبيعة وتهم زينب بالاستيقاظ وينتهي الفصل وقد تزوجت زينب وانتقلت من دار أبيها إلى دار زوجها حسن، ويصف الفصل الثاني في أكثر حياة حامد وينتهي بسفر إبراهيم وينتهي الفصل الثالث بموت البطلة "زينب".

وتدور هذه الرواية حول ثلاثة محاور، ويتعلق المحور الأول بالقلق والعجز عن الوصول إلى الرجاء في صداقة عاطفية، ويوضّحه في شخصية حامد، ويقضي حياته في المدينة مدّة طويلة للحصول على التعليم ويتردد بين فترته على المنطقة، ويحبّ عزيزة وكان حبّه بالحلم ولم يظهر حبّه بالتقاليد الريفية، ثم يحبّ زينب ولم ينجح في الحصول على مودتها لزواج زينب مع حسن ويغادر إلى القاهرة ويخبر والده بسبب فراره، ويتعلق المحور الثاني ببؤس الحياة المزرعية وألمها، ولكن كان أهل الريف يفهمون العلاقة بين البنت والولد فعلا غير مستحسن، ويمثل في شخصية زينب، وهي تحب حامدًا ولكن الفروق الطبقاتية والاجتماعية توجد بينهما ولم تنجح في الحصول على غرامها،ويبين هيكل عنها أنّها فتاة غاية في الجمال والروعة مثل وردة مفتحة أو مثل لوحة من اللوحات الطبيعة، ويتعلق المحور الثالث بحبه الشديد لوطنه وإعجابه بجمال الريف في بلدانه ويبين عن وصف الطبيعية والهيام بها والتأثر بالرومانسيين بأسلوب جذّاب مثل فنّ الشعر.

وتكون هذه الرواية نموذجًا للريف المصريّ بحسب عاداته وسذاجة سكّانه والمواضع الحسنة والسيئة في حياتهم، وما غلب عليها من آراء ووجهات النظر في الجنّ والشياطين ومشائخ الطرق المختلفة. وعاين محمد حسين هيكل كلّ شئ بدراسة نقدية نحو نظم اجتماعية غير متوازنة والزواج ولم يكن للمرأة اختيار شريك حياتها، وذكر في تحرير المرأة آراء قاسم أمين ودعوته.

وتأثر محمد حسين هيكل في هذه الرواية بالقصص الفرنسية التي قرأها، ويوضّح ذلك في أخذ مناظر زينب، وعرضها رقيقة ونعومة أكثر مما يناسب لفتاة ريفية ساذجة بسيطة، ويتحرّرها من مصائب مودّتها بمرض السل، وتجد هذه النماذج في بعض القصص الفرنسية، وجعله وسيلة لنجاة العاشقات المعذبات من شدائدهن.

اختبر معلوماتك:

1- ما كانت الظروف التي جعلت زينب تتعرض بالنحول؟

2- كم فصلا لرواية زينب وما هي تحويه؟

10.4.2 التعريف بشخصيات الرواية

زينب:

بطلة في هذه الرواية، فلاحة بسيطة وجميلة، وهي ابنة الريف، وتعمل في مزرعة السيد محمود، وأحبت إبراهيم الفلاح البسيط الذي يعمل معها في الحقل، وجمع بينهما الحب، وازداد لزينب عن مدى حب لها، وعشقه لها، ولكن من سوء حظهما لم يتمكنا من التمتع بهذا الحب، لأن والد زينب قرر تزويجها من شخص غني، لا تحبه يستطيع تقديم المهر، على خلاف حبيبها الفلاح الفقير، والرغم من أعلامها وأحزانها من البعد والفراق عن حبيبها، غير أنها استسلمت في الأخير لرغبة والدها وتتزوج من "حسن" الذي كان أحسن حال من إبراهيم، وعلى الرغم من حبها الكبير لإبراهيم تبذل زينب كل ما في وسعها لتكون زوجة وفيةً لحسن، الذي كان يعاملها بكل رفق وحنان وحب.

وفي الخاتمة؛ تصاب زينب بالنحول والذبول بعد ذهاب حبيبها لينهش السلّ جسمها، ويهزل جسمها وتموت وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، أن تدفن منديل محبوبها إبراهيم معها، وفي جو يعمُّها الحزن والألم. وهذه نهاية مأسوية.

حامد:

ابن مالك الحرث، يعيش في القاهرة، ويترد إلى القرية في العطلة، ويعشق بـ"عزيزة" ابنة عمه ، ويعلم أن بنت عمه عزيزة التي كانت تحبه، وذلك أن أقام معها علاقة غرامية، في يوم ما عن طريق تبادل الرسائل الغرامية، وتتزوج شخصاً غيره، لينتابه اليأس، واستولى عليه الإحباط من العثور على الحب الحقيقي ليتقرر بعد ذلك الإبتعاد والنسيان، والعودة إلى القاهرة، ويرسل من هناك رسائل تعكس عن أفكاره حول المجتمع، وعن حبه الذي ضاع منه بسبب التقاليد الريفية التي قيدت وحبست في سجن حياتهم في رسائله وأحواله، وآلامه الخائبة، ويعبر عن طموحه، مرتفعة على مغامرة تعويضية عن مكان مجهول لتكون خاتمته في الرواية، وحامد يهيم في الأراض الواسعة والآخر مع أحلامه.

وكان حامد يعازل الفتيات ومنهن زينب، وإن كانت هذه المداعبة لا ترمي إلى أي هدف وغاية.

إبراهيم:

فلاح بسيط يعمل مع زينب في المزرعة وجمع بينهما الحب، ولكن من سوء حظ لم يتمكن من التمتع بهذا الحب، لأن والد زينب زوجها من شخص غني واسمه "حسن". وإبراهيم يتم ابعاده للخدمة العسكرية وإرساله إلى السودان "أم رومان"، مع أنه حاول التهرب عنها، لأن فقره أحال بينه وبين ذلك.

عزيزة:

وهي ابنة عم حامد، وتعشق بحامد، ولكنها خسرت وفشلت في حبها بسبب التقاليد القرية، وهي تتزوج بشخص مجهول، وتغيب أخبارها.

حسن:

وهو رجل غني ويتزوج مع زينب.

10.4.3 ميزات النص

استعمل محمد حسين هيكل في رواية زينب الأسلوب الساخر من أعمال وحضارة يرثها الخلف من السلف، وكتبها في لغة عذبة ليس فيها سجع ولا بديع؛ بل قصد أن يجعلها في اللغة المصرية والألفاظ المصرية والتعابير العامية وبالخصوص في كتابة الحوار، وقبل دعوة أستاذه لطفي السيد،" أن تكون لنا في الأدب لغة تقترب اللغة الفصيحة من اللغة العامية"، وحاول العامية في الحوار أمرًا مناسبًا مع شخصيات فلّاحية، وتطعيم السرد أو الوصف ببعض التعابير والألفاظ العامية أمرًا قد يقتضيه التعبير حين يتكلم الفلاحون، فاستخدم لفظة "أغلت" وهي من "الغلت" وهي لفظة شائعة بين زُرَّاع الريف، ومفهومها الحصى الذي يختلط بالقمح فيسيئ إليه. وتخلّصت رواية زينب من سيطرة السجع، وابتعد بها عن أسلوب المقامات الذي كان رائجًا في وقته، وتوافق بين تصوير الريف والفلاحين وبين اللغة المستخدمة، وتقف رواية زينب في أسلوبها بين أسلوب الرواية وأسلوب المقالة، ويتنازعها الأسلوب الفني وأسلوب الوصف الأنثروبولوجي(Anthropology)"علم الإنسان"، وتتخلّلها العامية، وتشتمل على تعابير خاصة قد تلفت النظر، مثل "تهادي الكلّ صباح الخير"، وسجّل هذا التعبير في كلّ مرّة يلتقي فيها شخصان أو أكثر، وهكذا مثل لفظة الجمعية، وتطوّرت اليوم وتصبح "المجتمع".

وصوّر محمد حسين هيكل تصويرًا رائعًا في القرية المصرية، ومثّل كثيرًة من صفحات روايته ما يشبه من مناظر طبيعية ولوحات بديعة، مثل هذا المنظر الذي وضع فيه بالطبيعة، وأبين مثالا للنموذج من رواية زينب:

وقد أبدعت الطبيعة في زينب وأعطتها بذلك تاجًا معترفًا به من كلّ صويحباتها. فإذا ساقك الحظ أيام الصيف، وخرجت في ليل غاب بدره، وتألقت نجومه فخففت من سواد الليل، وإن لم تقدر على تبديد ظلمته، أو كنت أسعد حظًّا واتخذك القمر رفيقًا، فأدلجت بين تلك المسطوحات الزراعية الكبيرة. لم يكن لك بعد نقطة معينة إلا أن تسير في طريق لا تعرف سببًا لسيرك فيه، وتندفع مجذوبًا بقوة لا قبل لك على مقاومتها، ويسبق رأسك قدمك، ويسوقك موقفك وذلك الجاذب وهواء الليل الجميل إلى أن تهمهم بين أسنانك، أو تنادي آهة المستحسن الطرب، أو تدعو الليل يجيبك صداه، ولا تزداد في كلّ ذلك اتباعًا لقائدك المحبوب. ثم تصل إلى نقطة تقف عندها، ولا تطاوعك قدمك إلى أية ناحية أردت تحريكها، وتمدّ عنقك وتسترجعه، يستخفك الجمال ويلعب بقلبك الهوى، وتروح تائهًا عن كلّ ما حولك. ثم يرتفع ذلك الصوت الذي جذبك إلى موقفك ثانية، فتصيح له بأذنك، وتصغي بكليتك، فإذا زينب تحدو و العاملات من بعد ذلك يجنبها... تلك موسيقي الصيف في ليله البديع، ترسل في أذن الخليقة النائمة تغمة الهوى، وتبعث في قلوب العاملين العزاء عن ليلهم الساهر. وهل هذا الصوت تردّده الظلمة الصامتة إلا مهيج في النفس أجمل ما يعزيها عن كلِّ مشقّة؟!

فإن أنت تابعت سيرك، واتبعت الصوت حتى صرت على مقربة منه، ورأيت في البحر اللجيّ من شعاع حائر في السماء الأطفال والفتيات وقد انثنوا فقبضوا بشمالهم على سيقان القمح النائم بعضه فوق بعض كأنه نشوان طرب بتلك العوامل الكثيرة التي تبعث إلى قلب المحزون ما يستخفه ويستهويه. وباليمنى على شراشرهم _ تلك نصف الدائرة الحديدية التي وعت عهد فرعون وتسللت مع الزمان إلى عصرنا الحاضر.

وتصل عند العمال فإذا زينب بين الجمع في الطليعة، وقد انسدل إلى جانبها جناحان من العاملات، وكلّهن في جدهن وعملهن يرددن جداءها بعد أن حملة الهواء على موجاته ونادى به الليل الصامت في كلّ الأنحاء، والقمر قد انحدر إلى المغيب ينظر إليها نظرة الصبّ قد ناله الشحوب فهو ذاهل في نشوته. وأحاطت بذلك غيطان القطن

الأخضر ما يزال طفلا.

واعتبر محمد حسين هيكل بأسلوبه الساخر الجذّاب الشفَّاف البديع من الأدباء الذين يؤدّون المعاني والأفكار الحديثة، وساعدوا في تكوين الأدب المصري القومي المنبعث من البيئة والشخصية، وتستحقّ رواية "زينب" اللَّبِنَة الأولى في الأدب المصري الحديث.

اختبر معلوماتك:

1- ماذا تفهم بنصح الأستاذ لطفي السيد في شأن لغة الأدب؟

2- ما ظنك في محمد حسين هيكل أنه اختار أسلوبا ساخرا جذابا شفافا بديعا؟

10.4.4 ملخّص النص

بدأ محمد حسين هيكل كتابة "زينب" في باريس سنة 1910م،ونشرت هذه الرواية للمرة الأولى في سنة1912م اعتمادًا على المقال المنشور في مجلّة البيان عام 1912م،ولكن يحيى حقي يعتبر صدور أول مرة عام1914م وهو ما يؤكده مؤلفها في المقدمة المنشورة في طبعة 1963م، على أنّها بقلم "مصري فلاح "ثم "فلاح مصري" بديلا من اسمه، وقد عنون هيكل روايته "زينب": مناظر وأخلاق ريفية بقلم مصري فلاح، وأهدى المؤلف هذا العمل إلى مصر، وإلى أخته، وأمّا زمن كتابة هذا العمل فكان خلال سنتي 1910م و1911م،يقول يحيي حقي في كتابه "فجر القصة المصرية مع ست دراسات أخرى عن نفس المرحلة" وأخيرًا يكتب هيكل هذه القصة بعد تدبر غير قليل وبتمهل ما بين أبريل 1910م ومارس1911م،وتصحبه في أسفاره بين باريس ولندن وجنيف"، وتعدّ رواية زينب أول رواية عربية متكاملة باعتبار الفن في تاريخ الأدب العربي الجديد، وتعرض رواية "زينب" قصّة مصرية تصف لأهل مصر ناحية من حياة بلادهم، وتدلّهم على صور من الجمال فيها لم يسبق الكتّاب إلى وصفها، وتبيّن لهم واقع الريف المصري من حيث التقاليد القاسية وطبيعة الأفراد البسيطة.

ويؤخذ هذا النص من رواية زينب وهذا الجزء الأول من الفصل الأول، ويصوّر فيه أحوال القرية من الصباح إلى المساء. فيذكر فيه محمد حسين هيكل عن طلوع الشمس وكيفية الطلوع وأثراتها على الشجيرات وضوئها ونورها وحرارتها في الصباح الباكر، وقبل طلوع الشمس يؤذن المؤذن لصلاة الفجر من المسجد وبنفس الوقت يسمع أهل القرية صوت الديك أيضًا، وهذه علامة يقظة الحيوانات.

ثم يذكر حالة بيت زينب وأعضاء أسرتها كانوا نائمين بعد ما سمعوا أذان الصبح وصوت الديكة، وقاموا من السرير، وزينب كانت نائمة وكان جانبها أختها وأخوها، بل زينب هي التي تركت نومها وانسحبت من بينهما وفي ذلك الوقت فتحت أمّها باب الحجرة ودخلت فيها ونادت بنتها العزيزة المحبوبة "يازينب".

بعد قليل دخل أبوها بعد ما أدّى صلاة الفجر في المسجد الجامع وقرأ الوِرد ثم جلست العائلة حول المائدة وأكل كلّ منهم رغيفًا بحصوة الملح.

ذهب الأب وابنه إلى عملهما وكانت زينب تعمل في مزرعة القطن مع أختها، فانتظرت إبراهيم ليذهب جميعًا إلى المزرعة يملكها السيد محمود لتنقية القطن، وابتدأ عمل التنقية حتى انتهى خطين وارتفعت الشمس واستمر العمل حتى العصر، وجاء الكاتب يقيد أسماء العمال الذين حضروا ونزل في وسط المزرع كي يرى العمال فردًا فردًا بعينيه، ثم أخبر الكاتب العمال بأنّ الدفع سيكون قبل يوم السوق.

جاءت ليلة السوق والكاتب وابنه كانا مشتغلين في حجرتهما، والمكتب الخشبي أمامهما، والعمال قد أحاطوا المكتب وكانوا تملئون الدفتر وبعضهم يستفسرون عن عدد أيام عملهم وعن أجرتهم وعن أيام غيابهم وكان أولاد العمال ينتظرون عند الشباك، حتى أعلن الكاتب بأن الدفع سيكون في السوق.

كان الوعد ليلة السوق ثم بدّل في السوق، فقنط بعض العمال وأرادوا أن يذهبوا إلى المالك بالشكوى وسأل بعضهم الكاتب عن المبلغ ومقداره كى يقبض صباح الغد، وحضر الكثيرون الصباح وسألوا الكاتب عن الأجرة فأخبرهم عن عدم الفكّة، وفي هذه الأثناء خرج السيد محمود مالك هذه المزرعة وطلب الكاتب وهو دفع إلى العمال أجورهم فعاد العمال بالفرح والسرور، وذهب الكثيرون إلى السوق.

كان أبو زينب ينتظر الكاتب كي يأخذ أجر أبنائه دفع الكاتب أجر الآخرين بعد أن حصل الفكّة هكذا كانت زينب تحضر عمل نقاوة القطن تحت رياسة إبراهيم، حتى جاء وقت الحصاد وبدلت الرياسة من إبراهيم إلى حسين أبي سعيد، فكانتا تذهبان إلى المزرعة في الليالي وتنامان في الغيط، وتجد الكواعب والبنات الفقيرة أحوج الناس إلى التعاون، وتعمل المنافسة في نفوسهم وتسوقهم بذلك للجدّ والعمل، لكن الطبيعة تشتهي إلى جعل العبد الإنسان والاشتغال بازدياد الدنيا حركة وسيرًا، وتكون الدنيا عمياء على الفرد، ولم تنظر إلى المجهودات التي بذلها الفرد بالمشقة، وهي توازنه مع جهود الجماعة.

وكانت زينب مختلفة بين صويحباتها وطليعاتها وكانت إلى جانبها جناحان من العاملات، ويغنّين في الليلة المقمرة، وكانت تأخذ مما حولها ما ملأ قلبها سرورًا، وأضاف إلى جمالها جمالا ورقة.

مضت أيام الحصاد هي الأخرى، وانتقلوا لعمل جديد، وكانوا يعملون دائمًا بدون أيّ ملل، ثم يقطف السيد مالك ثمرتها ثم قام بتفكيره عن أغلى ثمن القطن وأجرة الأرض العالية، ويعيش كما عاش آباؤه ويحافظ على التقاليد القديمة.

10.5 التعريف بالكاتب: محمد حسين هيكل

ولد محمد حسين هيكل في 20 أغسطس 1888 للميلاد، المصادف 12 ذو الحجة 1305للهجرة، في قريدة كفر غنام من أعمال مركز السنبلاوين في مدينة منصورة، محافظة الدقهلية، مصر، في أسرة ريفية مصرية.

وكان أبناء مصر يرسلون أولادهم الصغار إلى كتاب الحي، ملحقة بالمساجد، وكانت المدارس تعتني بالدراسات الدينية من قراءة القرآن الكريم، وتعلم الأدعبية المسنونة.

ولما بلغ محمد حسين هيكل الخامسة من عمره، ألحقه أبوه بكتاب القرية، لتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم. ولما بلغ السابعة من عمره انتقل إلى مدرسة القاهرة، وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية في مدرسة الجمالية الابتدائية، والمدرسة الخديوية الثانوية. وكان مجداً وفعالاً وذكياً، فتعلم هناك وفاز في الامتحانات المعينة، وحصل على الدرجة العالية، ثم التحق بمدرسة الحقوق بعد ما أكمل دراسته الابتدائية والثانوية، وتعلم فيها أربع سنوات. وتخرج من مدرسة الحقوق والقوانين في سنة 1909م، ثم سافر إلى فرنسا للتخصص في علم الحقوق والقوانين، وانتسب إلى كلية إلى كلية "السوربون" في باريس. وحصل على العلم هناك بثلاث سنوات، وفاز بالدكتوراه في الحقوق، ثم عاد إلى مصر، وبدأ اشتغاله بالمحاماة في مدينة المنصورة، وأقام هناك مكتباً للمحاماة واستمر في هذه المهنة حوالي عشر سنوات (1912-1922م)، ومع أنه بدأ يلقي المحاضرات في الجامعات المصرية الأهلية، ورغب في

الأدب بالانهماك في المحاماة. وبذل مساعيه إلى دراسات الآثار العربية القديمة، واجتمع بلطفي السيد، وبدأ يصلح قومه، فتوجه إلى الكتابة بالقلم، وانهمك به في أهم الجرائد في موضوعات الحياة كلها، ويدعو الناس إلى أسباب التجديد والازدهار والرقي.

واستدعت الجامعة المصرية الدكتور محمد حسين هيكل إلى إلقاء المحاضرات في كلية الحقوق، فقبل دعوتها بالإضافة إلى مشاغل المحاماة.

ولما قامت الأحزاب السياسية للحصول على الحرية توجه محمد حسين هيكل إلى السياسة، واحتوى على حزب الأحرار الدستوريين، وقام الحرب بإصدار جريدة "السياسة" سنة 1922م، وتولى محمد حسين هيكل رئاسة تحريرها، وترك المحاماة، وانهمك في الحياة الصحافية، وتجري مرحلة الصحافة والسياسة منذ عام 1922م، إلى 1932م.

وحول محمد حسين هيكل رغبته من السياسة إلى خدمة الحكومة، وعين وزيراً للدولة، ثم وزيراً للمعارف، ثم رئيساً لمجلس الشيوخ، وقضى أكثر من اثني عشر عاماً بين الوزارة والرئاسة. وكان محافظاً على النشاطات الأدبية وبعيداً عن التملق، وفي الأخير ترك المناصب الحكومة، ورغب في الأدب بكل عناية واهتمام، واشتغل بدارسة التاريخ الإسلامي، فقام بإصدار سلسلة الكتب في الموضوعات الإسلامية، من أمثال: حياة محمد، وحاول فيه عرض السيرة النبوية بأسلوب علمي معاصر، وفع الشبهات والمغالطات التي نشرها المستشرقون في كتبهم، وهكذا كتب "حياة الصديق أبي بكر" و"حياة الفاروق عمر"، ثم قام بإصدار مذكراته ورواية "كذا خلقت".

ووضع محمد حسين هيكل في الأدب العربي المعاصر وهو من رواد الكتاب في القصة العربية، وألف رواية "زينب" واعتبرت أول رواية عربية من الروايات العربية.

10.5.1 مؤلفات محمد حسين هيكل

كتب محمد حسين هيكل في فنون النثرية الجذابة، مثل: التاريخ والسير، والنقد، والرحلات والقصص. ومن أهم مؤلفاته:

1. زينب: رواية ريفية مصرية، صدرت 1924م.
2. جان جوك روسو: دراسة في حياته وكتبه، صدر الجزء الأول عام 1921م، والجزء الثاني 1922م.
3. في أوقات الفراغ: مجموعة رسائل 1925م.
4. عشرة أيام في السودان: وصف ما رآه في السودان 1927م.
5. حياة محمد: 1935م.
6. في منزل الوحي: وصف رحلته إلى الحجاز 1937م.
7. الصديق أبو بكر: 1943م.
8. الفاروق عمر: 1946م.
9. مذكرات في السياسة المصرية: 1951م.
10. هكذا خلقت: قصة من صميم حياة مصر المدنية 1954م.

10.6 التعبيرات ومعانيها

التعبيرات	ومعانيها
ساد الركود والمجود في العصر العباسي	غاب النشاط الأدبي في العصر العباسي
تلاشى المجود والركود من مصر	اضمحل النشاط الأدبي من مصر
بدأت حركة الانبعاث	أخذت حركة الإحياء تنمو
أدت إلى لون جديد من الازدهار	فتحت بابا جديداً من الرقي
الوصول إلى جهد متكامل بصورة الرواية	بلوغ السعي الكامل عن طريق الرواية
حسب أجزاء الرواية المنوعة	وفقاً لجوانب مختلفة للرواية
في هاته الساعة من النهار حيث تبدأ الموجودات	في هذه الساعة من النهار حيث تشرع الكائنات الكائنات أعمالها
بقيت في مكانها هنيهة ساكنة لا تبدي حِراكاً	وكانت موجودةً في مكانها وقتاً قليلاً ولا تظهر أي حركة
المملية	تحويل الماء من التُرعة
تهادى الكل "صباح الخير"	صاح الكل: صباح الخير
هزت هذه الأخيرة أكتافها	حركت زينب كواهلها
تستحق لذلك عناية أكبر	تحتاج لذلك إلى التفات كبير
واللى مش رايح السوق؟	من/ الذي يمشي/ يروح السوق
تنفس الصبح	ظهر الصبح

10.7 التمرينات

1.كيف تحتل الرواية مكانة بارزة من بين الفنون الأدبية الحديثة؟

2.ماذا فهمت عن حالة الرواية في العصر العباسي؟

3.ما هي العوامل التي أدت إلى ظهور الرواية في الأدب العربي؟

4.بين تأثير الأدب الغربي على الأدب العربي.

5. من هم الشخصيات الواردة في رواية زينب؟

6.ما هي المواضع من رواية زينب التي ترى فيها أسلوب هيكل المتميز؟

7. ما هو محور رواية "زينب"؟

10.8 نتائج التعلم

أيّها الطلاب الكرام! لقد اطلعنا - بتوفيق الله- من خلال هذه الوحدة على رواية زينب كتبها محمد حسين هيكل في باريس سنة 1910م،ونشرت هذه الرواية للمرة الأولى في سنة1912م اعتمادًا على المقال المنشور في مجلّة البيان عام 1912م،ولكن يحيى حقي يعتبر صدور أول مرة عام1914م وهو ما يؤكده مؤلفها في المقدمة المنشورة في طبعة 1963م، على أنّها بقلم "مصري فلاح "ثم "فلاح مصري" بديلا من اسمه. وتعدّ رواية زينب أول رواية عربية متكاملة باعتبار الفن في تاريخ الأدب العربي الجديد، وتعرض فيها قصّة مصرية تصف لأهل مصر ناحية من حياة بلادهم، وتدلّهم على صور من الجمال فيها لم يسبق الكتّاب إلى وصفها، وتبيّن لهم واقع الريف المصري من حيث التقاليد

القاسية وطبيعة الأفراد البسيطة، وأهم ما توصلنا إليه من نتائج التعلم يتمثل فيما يلي:

- الأول: تصوير أحوال القرية والمناظر الفطرية نحو طلوع الشمس وكيفية الطلوع وأثراتها على الشجيرات وضوئها ونورها وحرارتها في الصباح الباكرغيرها من اللوحات.
- الثاني: تعرض رواية زينب الريف المصري بتقاليده وسذاجة أهله محاسن حياتهم ومعايبهم واعتقاداتهم في الجن والشياطين ومشايخ الطرق المختلفة بأسلوبه الساخر وتعرض لغة عذبة جذّابة ليس فيها سجع ولا بديع.
- الثالث: الأمراء يعاملون مع من دونهم مثل البهائم ولم يقصدوا أن يوفروا لهم أسباب العيش، ويدفعونهم في ظلمتهم وعبوديتهم وشقائهم.
- الرابع: حاول العامية في الحوار أمرًا مناسبًا مع شخصيات فلّاحية، وتطعيم السرد أو الوصف ببعض التعابير والألفاظ العامية أمرًا قد يقتضيه التعبير حين يتكلم الفلاحون، فاستخدم لفظة "أغلت" وهي من "الغلت" وهي لفظة شائعة بين زَرَّاع الريف، ومفهومها الحصى الذي يختلط بالقمح فيسيئ إليه. وتخلّصت رواية زينب من سيطرة السجع، وابتعد بها عن أسلوب المقامات الذي كان رائجًا في وقته، وتوافق بين تصوير الريف والفلاحين وبين اللغة المستخدمة، وتقف رواية زينب في أسلوبها بين أسلوب الرواية وأسلوب المقالة، ويتنازعها الأسلوب الفني وأسلوب الوصف الأنثروبولوجي(Anthropology)"علم الإنسان"، وتتخلّلها العامية، وتشتمل على تعابير خاصة قد تلفت النظر، مثل "تهادي الكلّ صباح الخير"، وسجّل هذا التعبير في كلّ مرّة يلتقي فيها شخصان أو أكثر، وهكذا مثل لفظة الجمعية، وتطوّرت اليوم وتصبح "المجتمع".
- الخامس: وتتكوّن رواية زينب من ثلاثة فصول ويحتوي الفصل الأول على ثمانية أجزاء والفصل الثاني على سبعة أجزاء والفصل الثالث على أربعة أجزاء وتبدأ الرواية بوصف الطبيعة وتهم زينب بالاستيقاظ وينتهي الفصل وقد تزوجت زينب وانتقلت من دار أبيها إلى دار زوجها حسن، ويصف الفصل الثاني في أكثر حياة حامد وينتهي بسفر إبراهيم وينتهي الفصل الثالث بموت البطلة "زينب".

10.9 الكلمات الصعبة ومعانيها

الكلمات	المعاني بالعربية	المعاني بالإنكليزية
تلاشى يتلاشى	انعدم، صار معدوما، غاب	To end, to finish, to vanish, to disappear
حركة الانبعاث	حركة النهوض، نهضة، يقظة	Upbringing, awareness
احتكاك	لقاء، اختلاط	Contact, interaction, mix-up
وله	حب شديد، هيام	Love, infatuation
مرض السَل	مرض معروف بـ"TB"	Tuberculosis
نظم اجتماعية	فئات اجتماعية، جماعات اجتماعية	Social groups

تحرر يتحرر	تخلص، نجا، انفلت	To be free, to get rid of, to disengage
استخف	أهمل، تجاهل	To ignore, to neglect, to disregard

10.10 أسئلة الاختبار النموذجية

10.10.1 أسئلة موضوعية

1- أول رواية عربية متكاملة هي:

(a) زينب (b) في القطار (c) الأرواح المتمردة (d) العبرات

2- معنى مأساة:

(a) فاجعة (b) مسرورة (c) واقعية (d) فسيحة

3- زينب كانت:

(a) بطلة (b) زاهدة (c) سعيدة (d) شقية

4- تأثر هيكل في رواية زينب بـ:

(a) جان جوك روسو (b) مصطفي لطفي المنفلوطي

(c) الشيخ محمد عبده (d) عباس محمود العقاد

5- معنى الملية:

(a) تحويل الماء من الترعة (b) الورود إلى الماء

(c) الخروج من الماء (d) الاغتسال بالماء

6- جلست العائلة وأكل كل منهم رغيفه ...

(a)بالزبدة (b)باللبن (c)بالتمر (d)بحصوة ملح

7- زينب كانت تعمل في مزرعة ...

(a) السيد حسن (b)إبراهيم (c)السيد محمود (d)الشيخ علي

8- حامد كان راغبا في ...

(a)عزيزة (b)جميلة (c)حسنى (d)طوبى

9- قرر أبو زينب زواجها من شخص اسمه ...

(a)المالك (b)محمد (c)حسن (d)حسين

10- ما كان الحائل بين حب حامد وزينب؟

(a) التعليم (b) فروق طبقاتية (c) مواهب (d)تقاليد

10.10.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1.ما هو المحور الذي يدور حوله رواية "زينب"؟

2.كيف تحررت زينب من آلامها؟

3. من هم الشخصيات التي صورها هيكل في رواية زينب؟

4.من هي كوردة مفتحة أو لوحة من اللوحات الطبيعية وكيف؟

5.بأيّ فيلسوف تأثر محمد حسين هيكل ولماذا؟

10.10.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1. اكتب مقالة عن أسلوب هيكل والجانب الروائي في ضوء رواية "زينب".

2.صور صباح القرية المصرية كما صور الدكتور محمد حسين هيكل.

3. ما هي العوامل التي كتب هيكل بها رواية زينب؟

4.بين رأي هيكل عن الطبيعة مفصلا.

5.بين تلخيص النص في عبارتك وكلماتك.

10.11 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1. الدكتور محمد هيكل: زينب، مناظر وأخلاق ريفية: دار المعارف، القاهرة 1992م الطبعة الخامسة.

2. يحيي حقي: فخر القصة المصرية مع ست دراسات أخرى عن نفس المرحلة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،مصر1987م.

3. محمد حسن عبد الله: الواقعية في الرواية العربية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر،1991م.

4. سيد البحراوي: محاول الشكل في الرواية العربية: الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،مصر1996م

الوحدة: 11

رواية "كِفَاحُ طِيبة"

عناصر الوحدة

11.0 التمهيد

11.1 أهداف الوحدة

11.2 نص رواية " كفاح طِيبة"

11.3 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة في النص

11.4 أعمال نجيب محفوظ الروائية

11.4.1 أعمال نجيب محفوظ

11.4.2 أعمال نجيب محفوظ الروائية

11.4.3 ميزات النص

11.4.4 خدمات نجيب محفوظ في مجال الرواية العربية

11.5 تحليل النص

11.5.1 أهم شخصيات كفاح طيبة

11.5.2 التعريف برواية "كفاح طيبة"

11.5.3 موضوع النص وميزاته

11.5.4 ملخص الرواية

11.5.5 ميزات النص

11.5.6 ملخص النص

11.6 التمرينات

11.7 نتائج التعلم

11.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

11.9 أسئلة الاختبار النموذجية

11.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

11.0 التمهيد

أيّها الطلاب الأعزة! إنّ التاريخ منبع من منابع الأدب شعرًا كان أو نثرًا، ويعتبر الفن القصصي من الفنون الأدبية الحديثة،وهذا الفن مليء بالدروس، وحافل بالطرائف، ويضع في النفس من الفخار الوطني.

نال نجيب محفوظ قبولاً بين الأوساط العلميّة كروائي بارع، وازدادت سمعته بعد نيله جائزة نوبل العالمية، فنحن سنقرأ في هذه الوحدة عن روايته التاريخية، كتب رواياته التاريخية الثلاث في الفترة ما بين 1939م-1944م، فكانت روايته الأولى "عبث الأقدار"، ترون فيها صدى أحداث الحرب العالمية الثانية، وإحياء حياة مصر، تمثل الرواية الفخر والمباهاة كذكريات لأيام مشرقة، إذ كانت مصر حرّة، وروايته الثانية "رادوبيس"، صوَّر فيها تصويرًا من طرف خفي لفساد الملك فاروق الذي كانت له شهرة في السلوك السيئ، وروايته الثالثة "كفاح طِيبة"، يشير فيها إلى الأمجاد المصرية القديمة خلال الحرب العالمية الثانية، ويقصد فيها نجيب محفوظ إلى تصوير أصالة الشعب المصري.

أيها الطلاب الكرام! اكتسب نجيب محفوظ في رواية "كفاح طيبة" بالذات من الواقع السياسي الناتج من الاحتلال الإنجليزي البريطاني للأراضي المصرية، ولم يخلق تجربة إنسانية متخيلة، بل وصف حوادث رواياته من واقعه المعاصر الذي يتشابه مع الواقع التاريخي لمصر أيام احتلال الهكسوس (Hyksos) للجزء الشمالي.

11.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى تقديم أشياء جديدة للطلاب، تتمثل في:

- تقديم مفاهيم أساسية عن الرواية في الأدب العربي.
- التعريف بأبرز الروايات العربية.
- مطالعة قطعة من رواية "كفاح طيبة" لنجيب محفوظ.
- الاطلاع على شخصيات الرواية وأسلوب كاتب الرواية في "كفاح طيبة ".
- التدريبات والتمارين حول النص وكاتب النص.
- بيان المفردات الواردة في الوحدة وعرض أساليب الاختيار.

11.2 نص رواية " كفاح طِيبة"

أيها الطلبة الأعزاء! إن رواية "كفاح طِيبة" مطبوعة بكاملها في صورة كتاب، والكتاب يستغرق 252 صفحة، ويشتمل على ثلاثة فصول، وهي: "سيكنرع"، و"بعد عشرة أعوام"، و"كفاح أحمس"، وكل فصل يقدم مشاهد مختلفة من الرواية ضمن تقاسيم داخلية عديدة في الفصول حسب أجزاء الرواية المنوعة، وإليكم الجزءان الأول والثاني من الفصل الأول، وهو بعنوان: "سيكنرع" الذي تم قبوله في مقرراتكم الدراسية، وذلك لكي تتمتعوا بالتركيز

على جانب من الرواية الطويلة بغية فهم معناها ومغزاها بطريقة جيدة، وتتعلموا أسلوبها حتى تستطيعوا أن تحاكوها وتنسجوا على منوالها في كتاباتكم الأدبية.

مقتبس من رواية كفاح طيبة

"كَانَتِ السَّفِيْنَةُ تَصْعَدُ فِي النَّهْرِ الْمُقَدَّسِ، وَيَشُقُّ مُقَدَّمُهَا الْمُتَوَّجُ بِصُوْرَةِ اللُّوْتَسِ الْأَمْوَاجَ الْهَادِئَةَ الْجَلِيْلَةَ، يَحُثُّ بَعْضُهَا بَعْضًا مُنْذُ القِدَمِ كَأَنَّهَا حَادِثَاتُ الدَّهْرِ فِيْ قَافِلَةِ الزَّمَانِ، بَيْنَ شَاطِئَيْنِ اِنْتَثَرَتْ عَلَى أَدِيْمِهِمَا الْقُرَى، وَانْطَلَقَ النَّخْلُ جَمَاعَاتٍ وَوَحْدَانًا، وَتَرَامَتِ الْخَضِرَةُ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَكَانَتِ الشَّمْسُ تَعْتَلِيْ كَبِدَ السَّمَاءِ تُرْسِلُ أَسْلَاكًا مِنَ النُّوْرِ إِذَا غَمَرَ النَّبْتُ رَفَّ رَفِيْفًا، وَإِذَا مَسَّ الماءُ تَلَأْلَأَ لِأَلَاء، وَقَدْ خَلَا سَطْحُ الْمَاءِ إِلَّا مِنْ بَعْضِ زَوَارِقِ صَيْدٍ جَعَلَ أَصْحَابُهَا يُوَسِّعُوْنَ لِلسَّفِيْنَةِ الْكَبِيْرَةِ وَهُمْ يَرْمُقُوْنَ صُوْرَةَ اللُّوتَسِ رَمْزَ الشِّمَالِ بِعَيْنِ التَّسَاؤُلِ وَالْإِنْكَارِ.

وَكَانَ يَتَصَدَّرُ الْمَقْصُوْرَةَ رَجُلٌ بَدِيْنٌ قَصِيْرُ الْقَامَةِ، مُسْتَدِيْرُ الْوَجْهِ، طَوِيْلُ اللِّحْيَةِ، أَبْيَضُ الْبَشَرَةِ، يَرْتَدِيْ مِعْطَفًا فَضْفَاضًا وَيَقْبِضُ بِيُمْنَاهُ عَلَى عَصًا غَلِيْظَةِ ذَاتِ مِقْبَضٍ ذَهَبِيٍّ، جَلَسَ بَيْنَ يَدِيْهِ رَجُلَانِ فِيْ مِثْلِ بَدَانَتِه وَزِيِّهِ، تُدَانِيْ بَيْنَهُمْ جَمِيْعًا رُوْحٌ وَاحِدَةٌ، وَكَانَ السَّيِّدُ يُطِيْلُ النَّظْرَ إِلَى الْجَنُوْبِ بِعَيْنَيْنِ مُظْلِمَتَيْنِ أَضْنَاهُمَا الْمَلَلُ وَالتَّعْبُ وَيُلْقِيْ عَلَى مَنْ يُصَادِفُهُ مِنَ الصَّيَّادِيْنَ نَظْرَةً شَرْزَاءَ. وَكَأَنَّهُ بَرِمَ بِالصَّمْتِ فَتَحَوَّلَ إِلَى رَجُلَيْهِ وَتَسَاءَلَ قَائِلًا:

_ تَرَى هَلْ يُنْفَخُ غَدًا فِي الصُّوْرِ فَيَتَبَدَّدُ هَذَا السَّلَامُ الثَّقِيْلُ الْمُخَيِّمُ عَلَى رُبُوْعِ الْجَنُوْبِ، وَتَفْزَعُ هَذِهِ الدُّوْرُ الْمُطْمَئِنَّةُ، وَيُحَلِّقُ نَسْرُ الْحَرْبِ فِيْ هَذَا الْجَوِّ الْآمِنِ؟... آه ... لَيْتَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ يَعْلَمُوْنَ أَيَّ نَذِيْرٍ تحمَّلَ هَذِهِ السَّفِيْنَةَ لَهُمْ وَلِسَيِّدِهِمْ.

فهزَّ الرجلانِ رأسيْهما موافقةً عَلَى كلامِ السيّد وَقَالَ أَحَدُهُمَا:

_ لِتَكُنْ حَرْبًا أَيُّها الحاجبُ الأكبرُ، مَا دَامَ هَذَا الرجلُ الَّذِيْ ارْتَضَاهُ مَوْلَانَا حَاكِمًا عَلَى الْجَنُوْبِ يَأْبَى إِلَّا أَنْ يَّضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا كَالْمُلُوكِ وَيَبْنِيَ القُصورَ كَالفَرَاعِيْنِ، وَيَسِيْرُ فِيْ طيبةَ مَرَحًا لَا يُبَالِي شَيْئًا.

فَجَعلَ الحاجبُ يَضربُ بِأنْيَابِهِ، وَعبث بِعَصَاهُ فِيْمَا بَيْنَ قدمَيْهِ بِحركةٍ تَدُلُّ عَلَى الْحَنَقِ وَالْغَيْظِ وَقالَ:

_ لا يُوجَدُ حَاكِمٌ مِصْرِيٌّ سِوَى حَاكِمِ إِقْلِيْمِ طيْبَةَ هَذَا، فَإذا تَخَلَّصْنَا مِنْهُ خَلَصَ لنا حكمُ مصرَ إِلَى الأَبَدِ، وَبَات مولانا المَلِكُ عَلَى طَمَأنِيْنَةٍ لا يَخْشَى تمرُّدَ أحدٍ عَلَيه.

قَالَ ثَانِي الرَّجُلَيْنِ بِحَماسٍ، وَكَانَ لَا يَيْئَسُ أبدًا مِنْ أن يَصِيْرَ يَوْمًا حاكمًا بمدينةٍ عظيمةٍ:

_ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمِصْرِيْينَ يُكْرِهُوْنَنَا.

فأَمِنَ الحاجبُ الأكبرُ عَلَى رَأيِهِ وَقَالَ بِلَهْجَةٍ عَنِيْفَةٍ:

_ نَعَم... نعم... وَأَهْلُ منف أَنْفُسُهُم عَاصِمَةُ مَمْلَكَةِ مولانا المِلكِ يُظْهِرُوْنَ الطاعةَ ويُضمِرونَ الكراهيَّةَ... لَقَدْ نفِدتِ الحيلُ و لاحيلةَ الآنَ سِوَى السَّوْطِ وَالسَّيْفِ.

فابْتسَمَ الرَّجُلانِ أَوَّلَ مرَّةٍ،وَقَالَ ثَانِيْهِمَا أَيْضًا:

_ بُوْرِكَ رأيُكَ أَيُّهَا الْحَاجِبُ الحكيمُ، فإنَّ السَّوْطَ وسيلةُ التَّفَاهُمِ الَّتِيْ لَا تُجدَى سِوَاهَا مَعَ الْمِصْرِيْنَ.

وَلَاذَ الرِّجالُ الثَّلاثَةُ بِالصَّمْتِ بُرْهَةً، فَمَا يُسْمَعُ إلّا وَقْعُ الْمَجَادِيْفِ عَلَى سَطْحِ الْماءِ، ثُمَّ لَاحَتْ مِنْ أَحَدِهِمْ الْتِفَاتَةٌ إِلَى زَورقِ صيدٍ يَقف في وسطِهِ فَتًى مفتولُ السَّاعِدَيْنِ، عاريُ الجَسَدِ إِلَّا مِنْ وزرةٍ تُغَطِّي وَسطَهُ، وَقَد لَفَحَتْ الشَّمْسُ

بُشرتَهُ، فَقَالَ بِتَعَجُّبٍ:

" كأنَّ هؤلاء الْجَنُوْبيين مُشْتَقُّونَ مِنْ صَمِيْمِ أَرضِهِم."

فقال الحاجبُ بِسُخريَّةٍ: " لَا تَعْجَبْ فإنَّ مِنْ شُعَرائِهِم مَنَ يَتغنّى بِسُمرةِ اللَّوْنِ."

ملحوظة: قدمنا العبارة الاستفتاحية لرواية "كفاح طيبة"، وللنص الكامل يرجى المراجعة إلى الملاحق.

11.3 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة في النص

المفرد/التعبير	المعنى بالعربية	المعنى بالإنكليزية
شقّ الشيء (ن)	صدعه وفرّقه	Shove
حثّه على الأمر(ن)	حضَّه عليه	Motivate
ترامى الشيء(تفاعل)	تتابع	Throwing thing up
اعتلى الشيء(افتعال)	ارتفع	Mounted
غمَر يغمُرُ	ستر	Submerge, cover up
رفَّ يرِفّ	اضطرب،تحرّك	Tumble and move
الزَوْرَقُ ج:زَوَارق	القارب يُدفع بالمجاديف أو بالآلة،سفينة صغيرة	The boat is driven by oars or by machine, a small ship
تلألأ	لمع	Shine
قد خلا سطح الماء	مضى سطح الماء	The surface of the water has cleared
بَدِيْنٌ	سمين،جسيم	Chubby, fat
مُسْتَدِير الوجه	مدوّر الوجه،دائريُّه،كرويُّه	Round face
ارتدَى مِعْطَفَه	لبس معطفه	He wore his coat
الفَضْفَاض	الواسع	Loose
برِم بالشيء	سئمه،ضجِر منه	He got tired of it
تبدّد الشيء	تفرّق	Dissipate, disperse
فزِع	خاف،ذعر	Feared
حلّق حلْقة	أدار دائرة	He turned a circle
لتكن حربًا	يناسب أن تقع الحرب	Let it be war
الحنق والغيظ	الغيظ والغضب	Fury and rage
أظهرَ الطاعةَ	أبرز الانقياد	Show obedience
يضمرون الكراهية	يكتمون البغض والمقت	They harbor hate
نفِدت الحِيَل	فنِيت الخديعة	Run out of tricks

The whip is the means of understanding	الشدّة تتوصل إلى الفهم	السوط وسيلة التفاهم
It doesn't work	لا تنفع	لا تجدى
The three men were silent for a while	سكتوا لمدة قليلة	لاذ الرجال الثلاثة بالصمت برهة
Paddles, ship sights	مقاذيف السفينة	المجاديف
A man with broad forearms, strong muscles	قويُّ العضلات	فتى مفتول الساعدين
Overalls, small clothe	كساء صغير، مئزر	وَزْرة
The sun burned his skin, his skin burned	أحرقت جلده	لفحت الشمس بِشْرته
Derived from the core of their land	مخرجون من وسط أرضهم	مشتقّون من صميم أرضهم
He sings poetry	يترنم	يتغنَّى بالشعر
Arrogance	التكبر والعجرفة	الصَلِفُ
Descendants of the gods	متساقطون من فقار ظهر الآلهة	منحدرون من أصلاب الآلهة
Pharaonic obelisk, a monumental Pharaonic column of stone	عمود أثريٌّ من الحجر، طويل ومربع الشكل	المِسلة الفرعونية، ج:مَسلات
Genie, high	المرتفع	المارد، ج:مردة ومُرَّاد
Take، incision	شقّ	أخدّ، خدّ(ن)
Mutter	غمغم	تَمْتَمَ
Passing through the gardens of lush	ممرات البساتين الكثيفة	مجتازة الحدائق الغن
Terraces, a little raised place to sit on	مكان مرتفع قليلا يجلس عليه	مصطبة، ج:مصاطب
Got off her huge dogs	نزلت كلابها الجسيمة	ألقت كلابها الضخم
Where did this ship come from?	من أين أتت هذه السفينة؟	من أين انحدرت هذه السفينة؟
Greet the man	سلّم عليه	حيّاه الرجلُ
He bowed in front of him in reverence and respect	طأطأ رأسه	انحنى أمامه إجلالا واحترامًا
Military salute	سلّم سلامًا جنديًّا	أدّى التحيّة العسكريّة
An hour has passed	انقضت ساعة	مضت ساعة من الزمان

يميل إلى القصر	يتوجّه إليه،ينعطف إليه	He leans towards the palace, heads to the palace
بادي النحافة	هزيل ظاهرًا	Bady skinny
بارز الجبهة	جبين مشرق	Front prominent
قال بصوت هادئ النبرات	قال بلهجة رقيقة	He said in a quiet voice, tones
يسير في خطى وئيدة	يمشي مشيًا بطيئًا متأنِيًا	He is walking in a slow line
غضاضة	ذلّة ومنقصة	Anger, humiliation, imperfect

11.4 أعمال نجيب محفوظ الروائية

أيها الطلبة الأعزة !

قبل أن نخوض في الحديث عن الموضوع يحلو لنا أن نقدم إليكم حياة نجيب محفوظ موجزا.

11.4.1 حياة نجيب محفوظ:

ولد نجيب محفوظ بالقاهرة في 11 كانون الأول عام 1911 وتوفي بتاريخ 30 آب سنة 2006 الميلادي. وهو كاتب روائي مصري، وهو أول من حاز على "جائزة نوبل" في الأدب العربي سنة 1988 الميلادي. اشتهر نجيب محفوظ بأبي الرواية المصرية الحديثة غير منازع.

نشأ وترعرع في حي الجمالية بالقاهرة، وكان والده موظفا حكوميا، وكان اسم أمه "فاطمة" ابنة شيخ من علماء الأزهر، وكان نجيب أصغر إخوته.

تلقى دراسته الابتدائية في إحدى الكتاّب المصرية، ركّز عنايته الفائقه على الأدب العربي الكلاسيكي خلال مراحله الابتدائية والثانوية. التحق نجيب محفوظ بجامعة القاهرة، وحصل على ليسانس الفلسفة عام 1934 الميلادي، ثم وجّه عنايته إلى تقديم رسالة الماجستير في الفلسفة الإسلامية ثم تنازل عن رأيه، وقرر تركيز جهوده على كتابات موسى سلامة الأدبية.

وعندما تقاعد عن منصب حكومي في مؤسسة الأهرام، انضم إلى مجموعة من الكتاب الممتازين، ومنذ ذلك الحين تم تسلسل رواياته لأول مرة في صفحات الجرائد والصحف قبل إخراجها بشكل كتابي.

11.4.2 أعمال نجيب محفوظ

كتب الأديب العالمي نجيب محفوظ كثيراً من الروايات، والعديد من المجموعات القصصية أي حوالي30 سيناريو، وكانت محاولاته الأولى إلى ثلاث روايات ذات خلفية تاريخية فرعونية الأولى: "عبث الأقدار" والثانية "رادوبيس" والثالثة "كفاح طيبة ". كان نجيب ينوي في الأصل توسيع هذه السلسلة إلى تاريخ ثلاثين أو أربعين رواية لمصر، بعد ذلك تخلى عن المشروع للعمل على رواياته المعاصرة في القاهرة بعد ذلك جاءت فترة من الواقعية الاجتماعية.

كما سبق القول إن نجيب هو أبو الرواية المصرية الحديثية غير منازع، وفي هذا الصدد قال عنه الكاتب

المصري علاء الأسواني: "إن محفوظ هو مؤسس الرواية العربية الجديدة. وفتح أبوابه لخمسه أجيال من الروائيين العرب إنه والدنا" فاهتم بنجيب محفوظ ورواياته، وألحقت رواياته في المقررات الدراسية لتدريس اللغة العربية باهتمامه وبعنايته.

11.4.3 أعمال نجيب محفوظ الروائية

"عبث الأقدار" كانت أول رواية تاريخية لنجيب محفوظ، وقد تم نشرها في عام 1939 وهي تتحدث عن الفراعنة.

ورواية "كفاح طيبة "هي من ضمن الروايات التاريخية التي جاءت إلى حيز الوجود، ونشرت عام 1944 الميلادي، وتحدثت هذه الرواية عن كفاح الشعب المصري المرير، لأن في ذاك الوقت كانت مصر محتلة، ونظراً لأهمية هذا الكتاب تم إدخال بعض محتوياته في المقرر الدراسي.

11.4.4 ميزات النص

نجيب محفوظ هو أبو الرواية المصرية الحديثة غير منازع بحيث إنه أغنى المكتبة العربية والأدبية والفكرية والتاريخية والاجتماعية بعنايات معرفية غزيرة في أسلوب علمي مترق، نال القبول والإعجاب لا في أوساط اللغة العربية فقط بل في أوساط الآداب العالمية كذلك، كما تشهد التراجم المختلفة للعديد من رواياته وقصصه على ذلك، أما هذه الرواية التي تقرؤونها في هذه الدراسة فهي من أفضل الأعمال التاريخية الأدبية لنجيب محفوظ؛ فلها قيمة وأهمية في الأوساط الأدبية فسوف تتعلمون هنا أنها كيف تمتاز هذه الرواية بخصائص مختلفة ومتنوعة. وإليكم هذه الخصائص الأدبية البارزة:

من أهم ميزات النص أن المؤلف استخدم فيه العربية الفصحى واجتنب عن اللغة العامية، وإنه من وضع تيارا جديدا في الرواية العربية، وهو تيار يحكي عن نضال المصري القديم بقيادة "أحمس الأول" مؤسس الأسرة الثامن عشرة ضد الغزاة الأجانب الهكسوس، وقداتخذت الرواية الإطار التاريخي لإثارة قضية حرية الوطن واستقلال أراضيه. ويرى بعض النقاد أثر الرواية الطلسم لو الترسكوت على هذه الرواية.

يتجلى من خلال النص أن كاتبها حاول أن يصوّر الأحداث التاريخية. ويوضح أن التاريخ منبعا ثريا من منابع الإلهام الأدبي، ويعد الفن القصصي من أكثر أنواع الفنون التصاقا بالتاريخ لأنه سجل مليئ بالعظات والدروس، وحافل بالمتعات والطرائف،يمتع اللب سياقه القصصي، وينبه الخيال بعده الزمني، ويملأ النفس أحيانا بالفخار الوطني، ويثقف الإنسان في حاضره ويبصره بما بين يديه، حين يعرض عليه أنباء الماضي ووقائعه.

هذه الرواية التاريخية التعليمية إما أن تقصد إلى إحياء الماضي وتمجيده، ويكون عرض التاريخ في قالب روائي خدمة لهدف قومي أو تعبيرا عن إحساس وطني.

ويتسم نص الرواية بالعديدمن الجوانب نحو الجانب الفكري، والجانب الواقعي، وإضافة إلى الجانب الأدبي الخالص.

11.4.5 خدمات نجيب محفوظ في مجال الرواية العربية

إن الروائيين المصريين الذين ذاع صيتهم برواياتهم في مصر بعد الحرب العالمية الثانية كان أكثرهم متخرجي الجامعة، وفي طليعة هؤلاء الروائيين علي أحمد باكثير وعبد الحميد جودة السحار وعبد الحميد عبد الله ويحيى حقي ويوسف إدريس ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ، وإن هذه الطبقة من الروائيين بعد الحرب العالمية الثانية تحتل ميزة خاصة حيث أنهم صوّروا جميع جوانب المجتمع المصري في النصف الثاني من القرن العشرين من السياسة والاجتماع والعسكرية والأدب، وعكسوا النزعات والميول الثقافية والأدبية بأسلوب جذّاب غير أن نجيب محفوظ يحتل بين هؤلاء الروائيين مكانة الصدارة والرئاسة.

ولنجيب محفوظ دور بارز في تطوير الروايات العربية الحديثة، وقد شكل نجيب محفوظ ظاهرة فريدة في تاريخ الرواية، ليس في مصر وحدها بل في العالم أجمع، وقد تناول الكتابة مبدعا مجددا أكثر من نصف قرن، ومضى بالرواية العربية في بدايتها من الرومانسية التاريخية إلى الواقعية الاجتماعية ثم الحداثة وما بعد الحداثة،كما خاض في كتاباته إلى جميع أنواع الكتابة فوظف فيها شخصيات تراثية وتاريخية وشعبية ودينية وأدبية وصوفية كما وظف لغة القرآن ولغة الحديث النبوي ولغة التراث الصوفي ولغة الكتاب المقدس ولغة التراث الأدبي والديني ولغة الأقوال المأثورة ولغة الشعر ولغة القوالب التقليدية الفصيحة والأغنية الشعبية ولغة المثل الشعبي.

والحقيقة أن نجيب محفوظ نفسه لم يفعل شيئا من أجل إثارة اهتمام الناس الواسع به، فالرجل قد بذل جهده في تركيز على إنتاجه، وظل معنيا أشد العناية بكتاباته الأدبية بحيث يكون هذه الكتابة مرتبطة بالأحداث والتجارب والمشكلات الكبرى التي يمر بها الذوق العربي والثقافة العالمية معا. وبسب الإخلاص الشديد للعمل الأدبي والوعي الدقيق بما يجري عن تطورات على الساحة الثقافية العربية والعالمية، وصل نجيب محفوظ إلى القمة التي وصل إليها ولفت أنظار الدنيا كلها إليها.

وبالطبع فإن نجيب محفوظ لم يكن يستطيع أن يصل إلى ما وصل إليه بالجهد والإخلاص وحدهما، فقد كانت لديه الموهبة الأصلية الكبيرة، والتي تتولد مع الإنسان ولا دخل لغير الله في صنعها،فلولا هذه الموهبة الطبيعة ما استطاع الجهد أو الإخلاص أن يصنعا شيئا أو يحققا هدفا أو نتيجة، ولكن علينا أن ننتبه من ناحية أخرى إلى أن الموهبة مهما كان حجمها يمكن أن تموت، لو أن هذه الموهبة لم تجد رعاية حقيقية من الجهد والإخلاص، فالموهبة مثل الجمال والمال.

وبالنسبة لنجيب محفوظ فقد اجتمعت له الموهبة مع الإرادة القوية الأصلية لحماية هذه الموهبة واستثمارها وصيانتها من الضياع والفساد، ومن هذا كان نجاحه العظيم مثالا فريدا للتوفيق الكامل تتميز بالعزيمة والإخلاص معا.

وقد تناول نجيب محفوظ أربع مراحل روائية مهمة من كتاباته المرحلة التاريخية هي أعوام ما بينها (1939-1944)، ونشر فيها روايات "عبث الأقدار" و"رادوبيس" و"كفاح طيبة" والمرحلة الاجتماعية (1944-1952) ونشر فيها "القاهرة الجديدة" و"خان الخليلي" و"السراب" و"زقاق المدق" و"بداية ونهاية" و"الثلاثية" و"بين القصرين" و"قصر الشوق" و"السكرية"، والمرحلة الفلسفية (1957-1975) ونشر فيها "أولاد حارتنا" و"اللص والكلاب" و"السمان

والخريف" و"الطريق والشماذ" و"ثرثرة فوق النيل"، والمرحلة التراثية (1975-1983) ونشر فيها "ملحمة الخرافيش" و"ليالي ألف ليلة" و"رحلة ابن فطومة" و"قستمر".

أما روايات نجيب محفوظ في المرحلة الأولى التي تمثل في "عبث الأقدار" و"رادوبيس" و"كفاح طيبة"، فتعتبر البداية الحقيقة للرواية التاريخية القومية،فنجيب محفوظ في هذه الروايات و إن اتخذ التاريخ مجالا لا يقصد إلى تعليم التاريخ، بل يقصد إلى إجلاله وهو لا يعرض حقائق تاريخية يراد تعليمها أو لا يراد، بل يعرض صورا تاريخية للخيال فيها وللخلق نصيب، وراء هذه الصور، بل غاية العمل كله،تعميق الإحساس بهذا الماضي، واتخاذه قوة دافعة إلى ألم المستقبل،

وكتب نجيب محفوظ روايات كثيرة متعدد الجهات، وبينت أمامكم جميع المراحل المختلفة، وهنا ينشأ السؤال عن سبب اختيار رواية "كفاح طيبة" في المقرر الدراسي بين الروايات الكثيرة.

ورواية "كفاح طيبة" ترجح بجهات متعددة نحو هذه الرواية رواية تاريخية، ومن روايات نجيب محفوظ التاريخية، أجزاء من هذه الرواية تم قبولها في المقرر الدراسي.

والسبب الثاني: كتب نجيب محفوظ هذه الرواية في عام1944، وفي هذه الفترة الساخنة قد سيطر الإنجليز على الأراضي المصرية، وجعلوا ينهبون حقوق المصريين، فكتب نجيب محفوظ رواية باسم "كفاح طيبة" وحث فيها المصريين على أن يخرجوا الإنكليز من أراضيهم كما أخرجوا في الماضي الهكسوس واحتلاله من أراضيهم.

والسبب الثالث: يخاطب نجيب محفوظ في هذه الرواية المصريين قائلا :إنكم من أقوام البواسل، فكيف كان القوم من الأجانب يتسلط عليكم ويقضي على حريتكم، فانهضوا بحماس وسابقوهم في المعارك، وأهزموهم هزيمة فاحشة كما هزم أحمس هكسوف في الماضي،وفي هذا الوقت سيطر الإنكليز على أراضيكم فأخرجوهم من دياركم، وطهروا أراضيكم من أقدامهم الفاسدة، فيتأثر الشعب المصري برسالة كفاح طيبة، وقالوا بالثورة وأخرجوا الإنكليز من أراضيهم وحصل على الحرية من الاستعمار.

فهذه الخصائص قد تسببت لإدخال رواية "كفاح طيبة" في المقرر الدراسي.

11.5 تحليل النص

"كفاح طيبة" رواية فرعونية ثالثة للكاتب الشهير نجيب محفوظ، وتعود أحداث الرواية إلى أواخر عهد الأسرة السابعة عشرة في عهد فرعون "سَيَكْنَنْرَع"1550 ق.م، والمعروف في التاريخ الفرعوني قصة " نزاع أبو فيس وسيكنرع" التي تحكى كيف أن ملك الهكسوس "أبو فيس" طالبه بقتل أفراس النهر، لأن أصواتها تضايقه، وبتشييد معبد ست (Seth) إلى جانب معبد آمون في طيبة، وخلع تاج أبيض من سيكنرع، ورفض فرعون والإجبار على الخفض في الحرب ضدّ الهكسوس التي انتهت بهزيمته ومقتله.

11.5.1 أهم شخصيات رواية "كفاح طيبة"

- أبو فيس (Apophis): وهو من ملوك الهكسوس، وكانت شهرته كثيرة، وقد تداعت سلطته في آخر عهده تحت تأثير ضربات أهل طيبة الوطنيين.
- "أحمس" (Ahmoe): أول فراعنة الأسرة الثامنة عشرة، وقد كان حفيدًا لـ تيتي شيري و ابنًا لـ إعج "حتب وأخًا لـ كامس"، وتميزت فترة حكمه: (1539 - 1514 ق م) بحدث كبير هو تحرير مصر من الهكسوس وطردهم من البلاد بعد احتلال دام أكثر من قرن من الزمان.
- "أحمس بن أبانا" أحد جنود سيكنرع، وانخرط في البحرية في حرب التحرير ضد الهكسوس التي قادها الملك أحمس، وقد أظهر تفوقًا ومقدرة حربية فائقة.
- "أوسر آمون"، رئيس الوزراء.
- "بب" أحد جنود سيكنرع، وهو انخرط في البحرية في حرب التحرير ضد الهكسوس التي قادها الملك أحمس.
- "كاف" قائد الأسطول.
- "بيبي" قائد الجيش.
- "خيان" رسول الملك أبو فيس، وهو كبير حجاب القصر الفرعوني.
- "حور" رئيس حجاب قصر الجنوب.
- "توتيشيري" زوج الملك السابق سينكنرع.

11.5.2 التعريف برواية "كِفاح طيبة"

الرواية جنس أدبي، ومن ثم يجب على الروائي أن يعتمد على اللغة الأدبية في صياغة الرواية على مستوياتها الثلاث: الوصف والسرد والحوار، وذلك لأن تلك اللغة لا تعين فقط أو تشير، وإنما هي أيضًا توحي، أو تمد الكاتب بقيم مكملة للدلالة المباشرة. وكتب نجيب محفوظ ثلاث روايات تاريخيّة، عبث الأقدار (1939م)، ورادوبيس (1943م)، وكفاح طيبة (1944م)، واستخدم فيها اللغة الفصحى سردًا ووصفًا وحوارًا، وفوّقها بالبيان والتصوير الفني، إلى جانب الجزالة وقوّة الأسلوب وعمقه مع تجنب الألفاظ العامية، واستلهمت رواية "كفاح طيبة" التراث الفرعوني في نوع من الإسقاط التاريخي على المرحلة السياسية التي سادت مصر في تلك الفترة، وتصور كفاح شعب مصر فى سبيل استرداد حريته وطرد غزاة الهكسوس من بلادهم في إسقاط تاريخي للأحداث على كفاح الشعب المصري في أوائل القرن العشرين للتحرر من الاحتلال البريطاني وتحقيق استقلاله.

ورواية "كفاح طيبة" رواية تاريخية، وكانت الرواية التاريخية رواية تثير الحاضر، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق بالذات، ويعكس هذا الوصف هدفًا من أهداف اللجوء إلى الماضي ألا وهو إثارة الحاضر من خلال الماضي. فيمزج نجيب محفوظ قصة كفاح أهل طيبة بقصة حب الملك أحمس، فالبطل أحمس رغم حصوله على مصر، لم تذهب عن ذهنه صورة تلك الأميرة القادمة من الصحراء ابنة عدوه "الهكسوس" والتي ظلت ملامحها محفورة في قلبه كأول يوم رآها فيه على ظهر السفينة الفرعونية، ومع ذلك يضحي بعاطفته في سبيل طيبة.

ورواية كفاح طيبة تتكون من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول بعنوان"سيكنرع" وهو يتكون من خمسة عشر فصلًا، والجزء الثاني يأتي تحت عنوان"بعد عشرة أعوام" وهو يتضمّن خمسة عشر فصلًا، والجزء الثالث والأخير بعنوان "كفاح أحمس" وهو يأتي في أربعة وثلاثين فصلا، ومن ثم تقع الرواية في أربعة وستين فصلا.

يغلب الوصف التاريخي على رواية "كفاح طيبة" في صورة الوحدات، ويناقش نجيب محفوظ النزعة الإنسانية بالأحداث إلى نهاية المطلوب، فحب الملك أحمس للأميرة أمنريدس بنت ملك الهكسوس، وحدثت في ظروف غير عادية، وهي تمثل الحب المستحيل نتيجة للعلاقة الدموية بين الشعبين، ولكنها أتت لمساعدة أحداث الرواية بالدوام، ولقي أحمس الأميرة صُدفة على غير موعد ووفّرت الأميرة له النجاح. وانضم الكاتب إلى جانب الشعب المصري ضدّ الهكسوس، وقد أطال الكلام في وصف شخصيات الهكسوس كنماذج للعظمة والتبختر والتعالي على المصريين واحتقارهم، وتناول نجيب محفوظ أنّ الشعب المصري لعب دورًا كفاحيّا في معاونة الملك أحمس في هزيمة المستعمر.

11.5.3 موضوع النص وميزاته

أكّد نجيب محفوظ خلال مشواره وحرص على التمسك بلغة الضاد بوصفها ميراثًا اجتماعيا وثقافيا، وكان متقنا لها بشكل ينبئ عن دراسة وحب وقدرة على التطور اللغوي لخدمة الهدف العام للعمل الأدبي، فجاءت اللغة في أدبه وكأنها نهر يتدفق ويصعد إلى الجبل حينا ويهبط إلى الوديان أحيانا، ويمضي بين الصخور والجبال تارة ومن خلال الشجر والزهر تارة أخرى، وقد ظل حريصا على بيان عروبته وعلى مصريته وعلى تراثه وصور مناظر وصول السفينة إلى مدينة طيبة، وينبت الرواية التاريخية بحيث يغلب عليها الأسلوب البياني وكانت تحرص على الصياغة اللغوية وتعتبرها المكون الأول للعمل الروائي.

واعتمد نجيب محفوظ في رواياته على بيان الوصف والسرد والحوار، ووقف على طبيعة الأسلوب أو اللغة لعرض ما يلي:

لغة السرد: حرص نجيب محفوظ على فصاحة لغة السرد في رواياته، واستخدم أسلوبه القويّ الجزل، ولنقرأ نصاً من رواية "كفاح طيبة": "ومضى الشاب يجدف في قوة، وظهره إلى هدفه، يستدير لينظر وراءه كل هنيهة، وقد اضطرب صدره بالحنين، وأحس لهواء وطنه وهو يدنو من أجواء لذة جديدة، خفق لها قلبه، ثم رأى في إحدى التفاتاته سفينة حربية صغيرة تصعد نحوه معترضة سبيله، فأيقن أن حراس الحدود تنبهوا له."

وتشير الفقرة السردية إلى فصاحة الألفاظ ووضوحها وتعبيرها عن المشهد السردي في سلاسة ووضوح ودقة، كما جاءت معبرة عن الحالة النفسية التي يمر بها " أحمس" من الخوف والقلق والتربص وكذلك الحنين إلى وطنه.

لغة الوصف: تضمنت الرواية العديد من المقاطع الوصفية، وتنوع أشكالها بين وصف الفضاءات والشخصيات ومواقفها،فيصوغ الكاتب المقاطع الوصفية في رواية "كفاح طيبة" طبقًا لرؤية الموقف المصور، فهذه، "طيبة" يراها "أحمس" مدينة العظمة والجلال، وبدا سور طيبة الجنوبي وبوابها الرائعات، تتصاعد من ورائه الهياكل

والمسلات، فبدا الجلال مجسّمًا يروع الناظرين". بينما نجد " أحمس" يرى الحاكم الهكسوس " فلفتت نظره لحيته الكويلة الكثة،وعيناه اللوزيتان الحادتان، وأنفه البارز الأفنى كأنه شراع قارب".

لغة الحوار: الحوار نمط من أنماط التعبير الفني، يشترك مع السرد والوصف في بناء النص الروائي، وتكمن أهميته في قدرته على تكسير رتابة الحكى بضمير الغائب الذي ظل يهيمن ولا يزال على أساليب الكتابة الروائية. ولغة الحوار الروائي ليس لها أن تبتعد كثيرًا عن لغة السرد، فاستعمل نجيب محفوظ في رواية "كفاح طيبة" الجمل القصيرة المقتضية المكثفة، ولغتها فصحى وقوية:

- لابدّ من مواجهة زيادة قوات العدو بما يعيد إلى الميدان اتزانه.
- ولكن يا مولاي ينبغي الاحتفاظ بعجلاتنا الاحتياطية حتى آخر الموقعة.
- ألا ترى أن العدو يكر علينا كل فترة يسيرة بقوات جديدة متحفزة للقتال.
- إني أدرك الخطة يا مولاي، ولكننا لا يمكن أن نجازيه فيها لوفرة عجلاته الاحتياطية وقلة عجلاتنا.
- لم تكن نتوقع قط أن تكون له هذه الغلبة في العجلات، ومهما يكن فلا يمكنني أن أترك الرماح بلا نجدة، فليس في جيشي رماة سواهم.

11.5.4 ملخص الرواية

تبدأ الأحداث في الجزء الأوّل"سيكنرع"بوصول رسالة ملك الهكسوس"أبوفيس"وطلباته الثلاث: 1- قتل 2- أفراس النهر، وخلع التاج، 3- وبناء معبد للإله ست. ويتحاور سيكنرع في الأمر مع قادته ووزراءه وأمراءه، وينتهي الأمر بضرورة مناضلة ملك الهكسوس عسكريًّا، وتدوم المعركة عنيفة بين الطرفين وتنتهي بانهزام سيكنرع وقتله وتسليم مدينة طيبة للهكسوس، وتشير الأحداث إلى بطولة ووطنية القائد بيبي وهو يموت بموتة بطولية.

يبدأ الجزء الثاني"بعد عشرة أعوام"بمشهد ولي العهد"أحمس"، وتنكّر في زيّ تاجر مصريٍّ يعيش في النوبة، وأتى إلى مصر باسم"إسفنيس" ويعطي رشوة حاكمَ الجنوب، ويغدقه وأهله وقواده بهداياه الثمينة ثم يلتقي الأميرة "أمنريدس"ابنة أبوفيس ويعجب بها، ويبقى أحمس متخفيًا وهو يطلع على حال أهله المصريين وذلهم تحت حكم الهكسوس، ثم يحقق غرضه في تصيير الشباب والمصريين ويحث بعضهم معه إلى النوبة، وينتهي الجزء بعودة أحمس ورجاله إلى طيبة ومقابلة الملكة الأم المقدسة"توتيشري".

ويعرض الجزء الثالث "كفاح أحمس" لتدريب العساكر وبناء السفن وتدق طبول الحرب، ويبدأ العسكر المصري بقيادة أحمس في حرب الهكسوس ويحرزون النجاح في الاشتباكات المتواصلة، ثم يتحرّرون المدائن المصرية الجنوبية ويتعقبون الهكسوس في شمال مصر حتى حصل التراب المصري على الاستقلال الكامل، وتعود الأسرة المالكة من أرض النوبة إلى مدينة طيبة، ويُتوّج أحمس بصورة الملك على مصر في عاصمته القديمة طيبة.

11.5.5 ميزات النص

ناقش نجيب محفوظ في روايته "كفاح طيبة" بالذات عن الواقع السياسي لتلك الفترة الساخنة من الاحتلال

الإنكليزي للأراضي المصريّة، وتناول أحداثها من واقعه المعاصر الذي يتشابه مع الواقع التاريخي لمصر أيّام احتلال الهكسوس للجزء الشمالي منها.

وبدأ الكفاح وتشابه مع كفاح طيبة بحروب الاستخراج، وحاول نجيب محفوظ لدعوة المصريين المعاصرين إلى التحرّر من الذين يستولون على مصر استبدادًا، كما تخلص مصر القديمة من الهكسوس.

ورأى المصريون أحمس أنّه استطاع أن يعيد بناء قواته المسلحة، ويقوم بصنع العربات العسكرية، وهي تتفوّق بمهارة من يقودونها على قوة عربات الهكسوس ومهارتها، حيث استطاع أن ينتصر عليهم ويطردهم من الأراضي المصريّة تمامًا، وناقش نجيب محفوظ في غرضه المنشود بعبارة واضحة وأسلوب رشيق جذّاب.

11.5.6 ملخص النص

يصوّر نجيب محفوظ في الجزء الأول من الفصل الأول كيفيّة تقدّم السفينة إلى الأمام في النهر المقدّس، ويخرق مقدمها الأمواجَ الساكنة في شكل اللوتس منذ زمن قديم، وكانت القرى مستوطنة على أديم شاطئين، وسارت أشجار النخيل مع سيرورة سفينة جماعات ووحدانًا، وسادت الخضرة في الشرق والغرب، وكانت الشمس متعالية في وسط السماء، وترسل أشعة من النور، ويسير بعض السفن على سطح الماء، وينظر أصحاب السفينة في شكل اللوتس بعين السؤال والإنكار.

وكان رجل وقور عليه آثار الإمارة ومعه رجلان مثله، وكانت فكرتهم واحدة، ونظر السيد إلى الجنوب، وقال: ما رأيكما عن النفخ في الصور غدًا؟ فتنعدم السلامة بالحرب، فاستدرك أحدهما وقال: لتكن حربًا، ويقضي حاكم الجنوب حياته مثل الملوك، وهذا لا يناسب له، فأظهر الحاجب سخطه وقال: نريد أن نتخلّص من حاكم طيبة، وبات ملكنا على طمأنينة لا يخاف تمرّد أحدٍ عليه. وقال ثانيهما: إنّ هؤلاء المصريين يكرهوننا. وأيّد الحاجب على رأيه وقال: نعم.. يظهر أهل منف أنفسهم الطاعة للملك ويخفون الكراهية، لقد نفدت الحيل ولا حيلة سوى السوط السيف. ولاذ الرجل الثلاثة بالصمت قليلة، ويُسمع صوت مقذاف السفينة على سطح الماء فقط. ثم وقع النظر على رجل سامر اللون، فقال الحاجب: إنّ هؤلاء الجنوبيين ذوو صلف وكبرياء، ويزعمون أنّهم منحدرون من أصلاب الآلهة، وبلادهم منبت الفراعنة. ثم ظهرت أمامهم مدينة طيبة. وقال الحاجب: وقد أتيحت لي رؤيتها من قبل، وصوّر جمال طيبة، حتى قصد إليها بعض الحراس وسأل عن غرض مجيئهم، فأجاب: أنا رسول فرعون ملك الشمال والجنوب ابن الرب ست أبوفيس إلى حاكم طيبة الأمير سيكنرع لأؤدي إليه ما حملته من البلاغ، فأدى الضابط التحية ومضى.

ومضت ساعة، ثم أتى إلى السفينة رجل رزين، يتحول إلى القصر، فطأطأ رأسه مع وقار للرسول، وقال بصوت لطيف: إنَّ الذي يتشرّف باستقبالك حور رئيس حجاب قصر الجنوب، فنكّس الرجل رأسه وقال بصوت غليظ: أنا خيان كبير حجاب القصر الفرعوني. فقال حور: يسر مولاي أن يستقبلك في الحال. ثم قال: "هلم بنا".وسار إلى الأمام ومشى الرجل في أثره. وأحسّ خيان ذلّة، وسأل نفسه بغضب: أ ما كان ينبغي لسيكنرع أن يحضر بنفسه لاستقبال رسول أبو فيس؟ وشعر بضيق وسار حتى ركب عجلته وتحرّك الموكب الصغير في طريقه إلى قصر

حاكم الجنوب، وشاهد خيان في طريقه عظمة المدينة وتجمّع الناس على جوانب الطريق، وأحسّ في نفسه ثورة باطنية بالاستقبال البارد. ووصل إلى داخل البهو ويجتاز ميدانًا فسيحًا مترامي الأركان. واجتمع بحاكم الجنوب في بلاط الملك، وقدّم الملك إلى الرسول رجال مملكته، رحب به وبمن أولاه بثقته فأظهر السرور استماع رسول أبو فيس فقال خيان:أيُّها الحاكم إني أحمل إليك ثلاث رغبات فرعونية تتعلق الأولى بشخص مولاي فرعون، والثانية بربه المعبود ست، والثالثة بروابط المودة بين الشمال والجنوب.

ثم بين تفصيل ثلاثة رغبات: الأولى إنّ أصواتا منكرة تصك أذنيه، وطار نوم الملك بخوار أفراس البحر الحبيسة بالجنوب، وكان شفاء الملك بقتل الأفراس الحبيسة في بركة طيبة مقدسة كما بين نبي معبد ست. والثانية: يخلو الجنوب كلّه من معبد ست فيطلب الملك إلى صديقه حاكم الجنوب أن يشيّد في طيبة معبدًا لست إلى جانب معبد آمون. والثالثة: إنّك تتوج رأسك بتاج مصر الأبيض فلا يتّفق مولاي وما يربط الأسرة الفرعونية بأسرتك القديمة من أسباب المودة والصداقة التقليدية، ويحق لملك واحد في هذا الوادي التتويج، وأرجو أيها الحاكم الجليل ألا يغيب عنك ما تدل عليه ملاحظة مولاي من رغبة صادقة في توثيق الأواصر الطيبة بين أسرتي منف وطيبة. فلم يرتجل الملك جوابًا وقال بصوت احتفظ بالرغم من كل شئ بهدوئه. أيُّها الرسول! إنَّ رسالتك تنطوي على خطب خطير يمس عقيدتنا وتقاليدنا، لذلك أرى أن أكاشفك برأيي فيها غدًا. فقال خيان: خير الرأي ما سبقته المشورة. فالتفت سيكنرع إلى الحاجب حور وقال:: تقدم الرسول إلى الجناح المعدّ له. فقام الرسول بجسمه القصير الضخم وانحنى تحية ثم ذهب يسير في خيلاء وعظمة.

11.6 التمرينات

1.حدث عن حياة نجيب محفوظ الشخصية؟

2.ماذا تعرف عن أعمال نجيب محفوظ الأدبية؟

3.ما هي الأسباب وراء قبول هذه الرواية في المقرر الدراسي ؟

4.من هو أبو فيس وأحمس؟

5. تناول محتويات الأجزاء الثلاثة لرواية "كفاح طيبة" بإيجاز؟

6.ما هي المواضع من رواية "كفاح طيبة" التي ترى فيها أسلوب نجيب محفوظ متميزا؟

7. ما هي محاور رئيسية لرواية "كفاح طيبة"؟

11.7 نتائج التعلم

أيها الطلبة الكرام! تعلمنا مفصلا عن رواية "كفاح طيبة" للأديب الشهير نجيب محفوظ مع تحليل العناصر الفنية الواردة فيها فأهم النتائج التي توصلنا إليها من تعلّم هذه الوحدة هي كما يلي:

- نجيب محفوظ كان أديبًا مصريًّا ولد في11 من ديسمبر عام 1911م، وتوفي في 30 من أغسطس عام 2006م، وكان حصل على جائزة نوبل في الأدب عام 1988م.
- يقسم أدبه إلى ثلاث مراحل:
  - المرحلة التاريخية (1939- 1944)، ونشر في هذه المرحلة روايات "عبث الأقدار"، و"رادوبيس"، و"كفاح طيبة".
  - المرحلة الاجتماعية (1944- 1952)، ونشر فيها "القاهرة الجديدة"، و"خان الخليلي"، و"السراب"، و"زقاق المدق"، و"بداية ونهاية"، و"ثلاثية القاهرة" وهي مجموعة من: "بين القصرين" و"السكرية"، و"قصر الشوق".
  - المرحلة التأملية من عام 1957م، وبدأها بعد توقف عن الكآبة لغاية سنة 1957م، ونشر فيها "أولاد حارتنا"، و"اللص والكلاب"، و"السمان والخريف"، و"الطريق"، و"الشحاذ"، و"ثرثرة فوق النيل"، و"ميرامار"، و"ملحمة الحرافيش".
- كتب قصصًا قصيرة على فترات متباعدة ونشر مجموعات نحو "همس الجنون"، و"دنيا الله"، و"حمارة القط الأسود"، و"بيت سيئ السمعة"، و"أحلام فترة النقاهة".
- كتب مسرحيات أيضا.
- إن رواية "كفاح طيبة" قصة كفاح أهل طيبة بقصة حب الملك أحمس، فالبطل أحمس رغم حصوله على النصر، لم يغب عن ذهنه صورة تلك الأميرة القادمة من الصحراء، والتي ظلت ملامحها محفورة في قلبه كأول يوم رآها فيه على ظهر السفينة الفرعونية.

11.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

المفرد/التعبير	المعنى بالعربية	المعنى بالإنكليزية
تساءل	سأل بعضهم بعضهم الآخر	He asked, some asked each other
تصدَّر	تقدَّم،خرج	came out
قبض بيده الشيء	أمسكه بقبضة يده	He grabbed something in his hand
هزّ الشئ	حرّكه بقوة	Shake the thing
تخلّص من قيوده	تحرّر منها	Get rid of his chains, release them
تمرد على أهله	عصاهم وتجاوز طاعته	He rebelled against his family, disobeyed them
بُورِك رأيُك	جعل في رأيك الخيرَ والبركةَ	Bless your opinion, make in your opinion goodness and blessing
صميم	وسط	Core, middle

الكبرياء	العظمة والتجبُّر والترفع عن الانقياد	Pride and grandeur
الموكب	جماعة من الناس يسيرون ركبانا ومشاة في زينة	Procession
وَزرة، ج:وزرات	كساء صغير	Overalls, small clothe
اصطحب فلانًا	اتّخذه صاحبًا ومرافقًاله	Accompany so-and-so, take him as his companion
في انتباه	في تيقّظ	In attention

11.9 أسئلة الاختبار النموذجية

11.9.1 أسئلة موضوعية

1- سيكنرع تعود قصته إلى عهد:

(a) نمرود (b) فرعون (c) نابليون (d) هلاكو

2- الفضفاض، معناه:

(a) واسع (b) طويل (c) كبير جداً (d) ثوب هِتكٌ

3- طيبة كانت:

(a) امرأة (b) مدرسة (c) مستعمرة (d) مدينة

4- حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبيل عام:

(a) 1956 (b) 1988 (c) 1992 (d) 1975

5- مصطبة، معناه:

(a) مكان مرتفع قليلاً يجلس عليه (b) شاطئ النهر

(c) مصبّ شلّال (d) تلة صغيرة

6- "أولاد حارتنا" رواية كتبها:

(a) إحسان عبد القدوس (b) نجيب محفوظ

(c) علي أحمد باكثير (d) يوسف إدريس

7- نجيب محفوظ روائي:

(a) سوري (b) مصري (c) لبناني (d) يمني

8- "كفاح طيبة":

(a) قصة قصيرة (b) مسرحية (c) رواية (d) سيرة ذاتية

9- "كفاح طيبة" تتكون من:

(a) خمسة أجزاء (b) أربعة أجزاء (c) ثلاثة أجزاء (d) جزأين

10- نال نجيب محفوظ جائزة نوبيل في:

(a) الفيزياء (b) الرياضيات (c) الأدب (d) خدمة الإسلام

11.9.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- ما هو المحور الذي تدور حوله رواية "كفاح طيبة"؟

2- ما هي أشهر روايات نجيب محفوظ؟

3- من هم الشخصيات التي صورها نجيب محفوظ في رواية "كفاح طيبة"؟

4- من هم أحمس وكاف وبيبي؟

5- ما هو الحدث الذي تناوله نجيب محفوظ في هذه الرواية؟

11.9.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- اكتب مقالاً عن أسلوب نجيب محفوظ ومنهجه في كتابة الرواية في ضوء رواية "كفاح طيبة".

2- ما هي ميزات رواية كفاح طيبة.

3- اكتب مقالاً حول خدمات نجيب محفوظ في مجال الرواية العربية.

11.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1. الدكتور نجيب محفوظ: كفاح طيبة :دار الشروق، القاهرة 2016م الطبعة الثالثة.
2. رجاء النقاش: صفحات من مذكرات نجيب محفوظ: دار الشروق، القاهرة، 1995م، الطبعة الأولى.
3. محمد سلماوي: في حضرة نجيب محفوظ: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2012م، الطبعة الأولى.
4. الدكتور شعبان عرفات خليل: فرعونيات نجيب محفوظ بين المؤثرات الأجنبية وقضايا الواقع المعاصر: مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، مصر، العدد الرابع، يونيو، 2014م.

الوحدة: 12

أسلوب محمد حسين هيكل ونجيب محفوظ

عناصر الوحدة

12.0 التمهيد

12.1 أهداف الوحدة

12.2 الأسلوب: لغة واصطلاحا

12.3 محمد حسين هيكل: حياته وأعماله

12.4 أسلوب محمد حسين هيكل الأدبي

12.5 نجيب محفوظ: حياته وأعماله

12.6 أسلوب نجيب محفوظ الأدبي

12.7 نتائج التعلم

12.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

12.9 أسئلة الاختبار النموذجية

12.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

12.0 التمهيد

تناول الأدباء المُحْدَثُون في الأدب العربي الحديث أنواعا قصصية متعددة، منها: الأقصوصة، وقصة قصيرة، وقصة، ورواية، وسيرة ذاتية وغيرها، والذي يهمنا هنا هي الرواية. وهي التي يعالج فيها الكاتب موضوعا كاملا أو أكثر، زاخراً بحياة شخصية أو أكثر من شخصية، فلا يفرغ القارئ منها إلا وقد ألمّ بحياة البطل أو الأبطال في مراحلهم المختلفة. وإن ميدان الرواية فسيح أمام القاص يستطيع فيه أن يكشف الستار عن حياة أبطاله و يُبرِز الحوادث مهما استغرقت من وقت.

ولقد كانت نشأة الرواية العربية مواكبة لبداية عصر النهضة، وقد كثر الحديث عنها بين النقاد من المستشرقين والعرب حول بدايتها حيث وقفوا إزاءها مواقف متباينة، أهمها رأيان متباينان: أحدهما يرى أن الجنس الروائي حاضر في التراث العربي، والثاني ينفي أن تكون هناك أية صلة بين الرواية وتلك الأنماط القصصية القديمة.

وأما الرواية العربية المعاصرة فقد نشأت وتطورت تطورا هائلا. وإنها قد نجحت في أن تجعل لها أسلوبا خاصا مع أنها كانت متأثرة في البداية بالروايات الغربية بنحو كبير. وتأثر الأدباء العرب بعد اتصالهم بأوروبا بالقصص الغربي وكان رائدهم رفاعة الطهطاوي(1801م-1873م) الذي أصدر روايته باسم "تلخيص الإبريز"، وبعده طلع "فرح أنطون" و"المويلحي" و"حافظ إبراهيم" على ساحة القصة والرواية، وإنهم كانوا روادَ الجيل الأول في كتابة هذا الفن.

والجيل الثاني الذي ظهر في مجال كتابة الرواية في البلاد العربية خاصة في مصر، يتمثل في "طه حسين" و"جرجي زيدان" و"محمود تيمور" و"توفيق الحكيم" و"محمد حسين هيكل" و"نجيب محفوظ" وحتى "عبد الرّحمن الشّرقاوي" و"صالح مرسي"، والجيل الثالث عبارة عن كبار الروائيين المعاصرين في العالم العربي الذين قد سعوا في تطوير الرواية العربية وحتى وصلت إلى قمتها في العصر المعاصر.

فالروائي العربي يكتب ببسالة وجرأة، مغامرة للتعبير عن التركيب بين الواقعي والمتخيل، والمرئي واللامرئي في صورة غير مكتملة، تنذر بالمستقبل وتعود إلى الماضي من جديد،هدفا إلى البعث وإحياء المتقاطعات المنسية. كذلك نجد في الروايات العربية أن الروائي يكتب عن أوطانٍ أصابها القنوط واليأس الناتج عن حالات قاسية من الاغتراب والتشتت، والبحث عن الجميل والممتع.

فالرواية العربية تعيد التفكير إلى الماضي، وتستعيده في الحاضر بعد أن كان العالم العربي يتدرج نحو أزمات داخلية وأوضاع قاتلة.

لا مراء أن هؤلاء الروائيين العرب من الأجيال المختلفة قامات روائية تعتز بها المكتبة العربية، ورغم تواجدهم ثمة قامتان لا يمكن الإعراض عنهما، وهما: الأول "محمد حسين هيكل" الذي أصدر أولى الروايات العربية الفنية، والثاني "نجيب محفوظ" الذي نالت الرواية العربية من فضله كبرى جائزة عالمية في الأدب؛ وهي جائزة نوبل العالمية. فهما رائدان مهمان في تاريخ الأدب العربي الحديث في سياق الرواية العربية، ولا يمكن لأي مؤرخ أدبي عربي الإغماض عن أعمالهم الأدبية.

12.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى:

- التعريف بمحمد حسين هيكل وحياته ونشأته الابتدائية.
- التعريف بالأعمال الأدبية لمحمد حسين هيكل و دراستها بالإيجاز.
- دراسة أسلوب محمد حسين هيكل في كتاباته.
- التعريف بالأعمال الأدبية للروائي الشهير نجيب محفوظ .
- دراسة أسلوب نجيب محفوظ في رواياته واتجاهه الفكري في سياقها.

12.2 الأسلوب: لغة و اصطلاحا

الأسلوب لغة:

لقد أشار المعجم اللغوي العربي إلى مفهوم الأسلوب في العديد من المعاجم، ونجد منهم "ابن منظور" في معجمه "لسان العرب"، يعرّفه في مادة (سلب) كالآتي:

«يقال للسطر من النخيل أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب... الأسلوب الطريق والوجه والمذهب... يقال أنتم في مذهب سوء... ويجمع أساليب، الأسلوب بالضم: الفن... يقال أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه".

ويعرِّفه "أحمد بن محمد الفيومي" في معجمه "المصباح المنير": الأسلوب بضم الهمزة:

«الطريق والفن وهو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم، والسَّلْبُ ما يُسْلَبُ والْجَمْعُ أَسْلابٌ.

ويعرِّفه أيضا "الزمخشري" في معجمه "أساس البلاغة" في مادة (سلب) ويقول:

"سلبه ثوبه وهو سليب، وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى، ولبست الثكلى السُلاب وهو الحداد، وتسلبت وسلبت على ميتها فهي مسلب والإحداد على الزوج، والتسليب عام وسلكت أسلوب فلان طريقته وكلامه على أساليب حسنة، ومن المجاز: سلبه فؤاده وعقله وأستلبه وهو مستلب العقل".

الأسلوب اصطلاحا:

لقد اعتنى العرب القدامى بمفهوم الأسلوب عناية خاصة باعتباره مدخلا للكشف عن القيم الجمالية الموجودة داخل النصوص وتجلَّى ذلك عند اهتمامهم بالألفاظ بشكل واضح. يقول المثل الإنكليزي:

"يُعرَف الطير مِن تغريده، والرجلُ مِن كلامه"

وللأسلوب مكانةٌ مرموقة في حياتِ الناس واستخداماتهم اليومية، فالأسلوب الجميل والأسلوب اللبق في الحقيقة بوابةُ التطلع إلى عقول الناس وقلوبهم دون استئذان وشعور، وبه يُكتسَب الاحترام والمحبَّة لدى الصغار والكبار، وتدوم المودَّة والألفة بينه وبين الناس الآخرين، وتُلبَّى الطلبات الصعبة والالتماسات المستحيلة، كما يقول العرب: "رُبَّ كلام، أقطع مِن حسام" ومن ذلك قول المتنبي:

بأبي وأمي ناطقٌ في لفظه		ثمن تباع به القلوب وتُشْتَرى

وفي الحقيقة، إن الأسلوب مِن أكثر الأشياء التي يحتاج إليها الإنسان في حياته الفردية والجماعية، ويختلف باختلاف الذوق والموهبة، ودرجة المعرفة والثقافة، وحتى التربية والبيئة والمكان، فترى شخصًا في المجتمع يفيض أسلوبه لطفًا ولينًا، وتقديرًا وحبًّا، وكأنَّه يَنثُر لؤلؤًا ودُررًا، يلفت انتباه الناس بسهولةٍ، ويُشوِّقهم إلى الحديث معه، وذلك بسبب عذوبة كلامه. وترى شخصا آخر في نفس المجتمع، وتُحِسُّ في أسلوبه الفضاضة والغلظة، والتصحّر وجفاف المشاعر، أو تشعر في أسلوبه نبرة الاستعلاء والتكبُّر. وسترى شخصا ثالثا في المجتمع نفسه، وتتمنى ألا تستمع إليه مرة أخرى، وألا يجمعك به موقف آخرُ، ولا عجبَ. فكلٌّ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ.

إن كلمة الأسلوب صارت في الأيام الراهنة حقاً مشتركاً بين البيئات والمجتمعات المختلفة، بحيث أن العلماء يستخدمونها لإدلاء دلوهم والتعبير عن آرائهم في مجال البحث العلمي. وأن الأدباء يستعملونها في الفنون الأدبية والعناصر اللفظية، وفي إيراد الأفكار والرؤى، وفي طريقة التخيل والأداء، وأن الموسيقيين والرسامين يشغلونها في موسيقاهم ورسومهم، وهكذا، حتى أصبحت هذه الكلمة يعني -الأسلوب- تكاد ترادف كلمة الشخصية في المعنى.

هذا الفهم الذي ذهب إليه الأستاذ الشايب يذكّرنا بقول بوفون: "الأسلوب هو الرجل" هذه المقولة المشهورة التي نبعت من صميم الحداثة في دراسة الأسلوب تفيدنا بأنه مهما حاول المبدِع التنويع في أساليبه، سيبقى عنصراً مشتركاً "يحكُمُ نصوصُه حضوْرَه"، أي أسلوبَه الخاص في تنظيم أفكاره.

فالأسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه شكلية خاصة هي طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو نقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية، ولا يزال هذا هو الأسلوب إلى اليوم، فهو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصدَ الإيضاح والتأثير أو الضرب من النظم والطريقة فيه. هذا هو تعريف الأسلوب الأدبي.

12.3 محمد حسين هيكل: حياته وأعماله

ستدرس عزيزي الطالب في السطور التالية حياة محمد حسين هيكل وأعماله ومساهماته الأدبية، وميزات أسلوبه.

12.3.1 حياته:

محمد حسين هيكل أديب وسياسي كبير مصري، ولد في 20 أغسطس 1888م الموافق 12 ذي الحجة 1305 هـ في قرية حنين الخضراء في مدينة المنصورة، محافظة الدقهلية، مصر. درس القانون في مدرسة الحقوق الخديوية بالقاهرة وتخرج منها في عام 1909م. حصل على درجة الدكتوراه في الحقوق من جامعة السوربون في فرنسا سنة 1912م، ولما رجع إلى مصر عمل محاميا عشر سنوات، كما اشتغل بالصحافة. واتصل بأحمد لطفي السيد وتأثر بأفكاره، والتزم بتوجهاته، كما تأثر بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وغيرهما.

وحينما أنشأ حزب الأمة جريدة أسبوعية باسم "السياسة الأسبوعية" عُين هيكل رئيس تحريرها عام 1926م ثم اختير وزيرا للمعارف التي قام بتشكيلها "محمد محمود" عام 1938م ولكن تلك الحكومة استقالت بعد مدة، إلا أنه عاد وزيرا للمعارف للمرة الثانية عام 1940م في وزارة "حسين سري باشا"، وظل بها حتى عام 1942م، ثم عاد وتولى هذا المنصب مرة أخرى في عام 1944م، وأضيفت إليه وزارة الشؤون الاجتماعية في عام 1945م.

وعُين في عام 1941م نائبا لرئيس "حزب الأحرار الدستوريين"، ثم تولى رئاسة الحزب عام 1943م، وظلَّ

رئيسًا له حتى ألغيت الأحزاب بعد قيام ثورة 23 يوليو عام 1952م. وتولى رئاسة مجلس الشيوخ في عام 1945م وظل يمارس رئاسة هذا المجلس التشريعي حتى يونيو من عام 1950م حيث أصدرت حكومة الوفد المراسيم الشهيرة التي أدت إلى إخراج هيكل وكثير من أعضاء المعارضة من المجلس. وقد توفي هذا الأديب الكبير في الثامن من شهر ديسمبر عام 1956م.

ومن المناصب التي توالاها هيكل تمثيل مصر في التوقيع على ميثاق "جامعة الدول العربية" عام 1945م كما رأس وفد مصر في الأمم المتحدة أكثر من مرة، وكان من طلائع الذين نادوا بأن تكون مصر للمصريين، وقد ظهر ذلك في مؤلفاته العديدة ومن أهمها: "عشرة أيام في السودان"، و"حياة محمد"، و"يوميات باريس". وأما روايته "زينب" التي تعد من بدايات التأليف القصصي في مصر فتُعتبر أول رواية عربية فنية في العصر الحديث.

12.3.2 أعماله البارزة:

12.3.2.1 رواية "زينب"

هذه الرواية من مبتكرات هيكل الذي يكاد النقاد يتفقون عليها بأنها أول رواية فنية بكل معنى الكلمة في الأدب العربي الحديث. تدور أحداث هذه الرواية حول أحوال الريف المصري البسيط في أوائل القرن العشرين، ذلك الريف الذي كان ملهما للأدباء والفنانين والشعراء. وقد صورت الرواية بيوت الفلاحين وحياتهم المفرحة أحيانا والبائسة أحيانا أخرى، وقد تحولت الرواية إلي فيلم سينمائي كان من باكورة الأعمال السينمائية الناطقة.

ومما يدل على أهمية هذه الرواية ومدى تأثيرها وقبولها لدى الشعب المصري ما يراه البعض من النقاد أن رواية "زينب" تعتبر تمهيدا لثورة 1919م، وأنها صدرت عن وجدان قومي خالص،كما هو يهدف إلى تمجيد مصر والتغني بها، والحنين إلى إظهار شخصيتها، والقضاء على كل محاولة لإذابتها أو محوها.

وعلى الرغم من اشتغال هيكل بالحياة السياسية وانغماسه فيها بالعمل الصحفي تارة، أو باعتباره واحدًا من نجومها الذين خاضوا أعباء الوزارة، ومارسوا الزعامة الحزبية، فإن نشاطه الأدبي ظلَّ خصبًا، وتوالت كتبه ومؤلفاته في ميادين مختلفة شملت القصة، والتاريخ، والسير، والنقد الأدبي، وأدب الرحلة، وتنقل من دائرة الدعوة إلى الحضارة الغربية تارة، وإلى الحضارة الفرعونية تارة أخرى، واستقر في ميدان الفكر الإسلامي داعيًا له حيث يرى فيه وحده البذور التي تنبت وتثمر.

12.3.2.2حياة محمد

كان كتابه الكبير "حياة محمد" هو من أول أعماله في الأدب الإسلامي، تناول فيه حياة النبي -ﷺ- بأسلوب متميز، وردّ فيه على آراء الأقلام المرتزقة من كتّاب الغرب على سيرة الرسول ببراعة كبيرة، وختم كتابه بمبحثين عن حياة محمد: المبحث الأول عبارة عن الحضارة الإسلامية كما صوَّرها القرآن الكريم ومقارنتها بالحضارة الغربية، وأما المبحث الثاني فهو في الرد على مزاعم بعض المستشرقين حول بعض المواقف الإسلامية.

وأحدث ظهور الكتاب دويًّا هائلاً، وأقبل الناس على قراءته على نحو غير مسبوق، وتناوله المفكرون والكتاب فأنصفه بعضهم، وغض من قيمته آخرون، لكن على أية حال كان الكتاب فتحًا جديدًا في كتابة السيرة النبوية على هذا النحو الشائق الذي جعل العالم الكبير "محمد مصطفى المراغي" يكتب مقدمة للكتاب، جاء فيها:

"وقد وُفِّق الدكتور هيكل في تنميق الحوادث، وربط بعضها ببعض، فجاء كتابه عقدًا منضدًا

وسلسلة متينة محكمة الحلقات، يجعل القارئ مطمئنَ النفس رضي القلب ليستمتع بما يقرأ."

12.3.2.3 في منزل الوحي

ثم أتبع كتابه "حياة محمد" بكتاب بديع عن رحلته في أرض الحجاز بعنوان "في منزل الوحي"، كتبه بأسلوب رفيع، بحيث أنه وقف على الأماكن التي وقف فيها النبي -ﷺ- يتلمس سيرة النبي -ﷺ-، ويستخلص العبرة والمثل، وهذا الكتاب يجمع بين المشاهدة العيانية، والبحث التاريخي، والرؤية العاطفية في بيان خلاب، وعناية بأدق التفاصيل.

أعماله الأخرى:

وبعد أن فرغ من كتابة "حياة محمد" -ﷺ-، توجه إلى تدوين سيرة أصحابه ﷺ، فأخرج فيما أخرج أولا كتابيه بعنوان "الصديق أبو بكر"، وبعنوان "الفاروق عمر"، ففتح المجال لكتابة التاريخ الإسلامي بعد أن مهّد الطريق لمن جاء بعده ليرتادوا سبيلاً سهَّله بقلمه وعقله، والكتابان ليسا ترجمة للصحابيين الجليلين، وإنما هما تأريخ للعصر، وعرض لتطوره، وبيان لحركته.

12.3.3.4 "هكذا خُلِقَتْ"

وهي قصة طويلة واقعيةٌ من مؤلفات هيكل، وقبل الخوض في دراسة هذه القصة يكفينا لأن ندرك أهميتها مما قاله طه حسين وهو يعرضه في إحدى مقالاته المعنونة بـ"هكذا خلقت: قصة الدكتور محمد حسين هيكل" المنشورة في "الرسالة الجديدة" (رقم العدد 15)إذ يكتب:

"لستُ أدري أأهنئ صديقنا الدكتور محمد حسين هيكل برجوعه إلى القصة أم أهنئ القصة لرجوعه إليها."

أصدر هيكل هذه القصة عام 1955م، ولكنها لم تحظ بالشهرة التي حظيت بها روايته الأولى "زينب". ولا يظهر من غلاف هذه القصة أو عنوانها بما قصّه الكاتب فيها. ينقل فيها قصة امرأة تروي حياتها منذ طفولتها إلى أن أصبحت جدة. ذكر الكاتب في هذه القصة حكاية امرأة قضت حياتها الابتدائية في رفاهية وعيش سعيد تحت رعاية والديها، ولكنها لما بلغت سن المراهقة تغيرت الأحوال بسبب وفاة والدتها التي كانت تحبها جدا، ومن تلك النقطة بدأت الأحداث تتغير بالنسبة لهاته الفتاة الجميلة وبدأت مشاعرها الطيبة والصافية تشوبها بعض الأمور السيئة كالغيرة ، والحقد ولازمت هذه الأمور طبيعتها حتى أفسدت حياتها. ولما تزوجت هذه الفتاة عاشت السنوات الابتدائية بسعادة، ولكن طبيعتها حالتْ دونها ودون سعادة العيش في الحياة الزوجية فما لبثتْ أنْ تغيرتْ حياتها بسببها، ودمّرتْ حياتَها بيديها بسبب غرورها وغيرتها وتفكيرها غير اللازم والكثير في الأمور التافهة.

إن هذه القصة لا تروي لنا أحداثا لحياة امرأة رهينة لعاداتها فقط بل تبين لنا كيف أن النفس البشرية قد تتغير بين فينة لأخرى من حنان لقسوة ومن حب لكراهية إن لم نقم بمحاسبتها بأنفسنا.

وبالإضافة إلى الكتب المذكورة أبدع محمد حسين هيكل العديد من الأعمال الأخرى التي لا تقل أهمية عن العملين السابقين. ومنها: "سير حياة شخصيات مصرية وغربية" عام 1929م، و"مذكرات في السياسة المصرية" عام 1951م، و"ولدي"، و"عشرة أيام في السودان"، و" يوميات باريس"، و"الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة"، و"قصص مصرية قصيرة"، و"عثمان بن عفان".

12.4 أسلوب محمد حسين هيكل الأدبي

تأثَّر الدكتور هيكل بالحضارة الغربية ومنجزاتها، فجاش قلمه وهو في فرنسا بمقالات تمجد الحضارة الحديثة، واستفاد من كبار أدباء فرنسا وقام بتحليل كتاباتهم ومؤلفاتهم، وخصّ جان جاك روسو بمقالات تحليلية، جمعها بعد ذلك في كتاب بعد عودته إلى مصر، ثم تزعزعت ثقته بالحضارة الغربية بعد الحرب العالمية الأولى، وشاهد دعاة الحضارة والإنسانية يتحولون إلى وحوش كاسرة لا تراعي حقًّا للشعوب ولا تحترم عهدًا، ولا تقيم وزنًا لحقوق الإنسان، ثم ولَّى وجهه شطر الحضارة الفرعونية القديمة.

ثم قطع ذلك كله حملة التنصير المسيحي التي اجتاحت مصر سنة (1352هـ = 1933م) ورأى نفرًا من أصحاب الأقلام يهونون من شأنها، فاندفع هيكل وكان قد استبان له الطريق يهاجم ببسالة وشجاع حملات المنصرين، ويوجه نقدًا صارخًا للحكومة على صمتها المهين على ما يحدث في أرض الكنانة، وبدلاً من أن تواجه الحكومة هذه الحملات التي نشط بعضها في أنحاء مصر استدعت هيكل للتحقيق معه، وحكم عليه بغرامة مالية بتهمة الوقيعة بين الأديان، بعد أن جاهر بأن إدارة الأمن الإنجليزي في وزارة الداخلية المصرية هي التي تتحمل تبعة هذه الجرائم.

وكانت هذه الحملة نقطة تحول في حياة الدكتور هيكل بعد ما انكشفت له وسائل الغرب في خداع الشرق، ومحاولة الازدراء بماضيه الثقافي والحضاري، فاتجه إلى التراث الإسلامي باحثًا ومنقبًا، وكان التاريخ الإسلامي هو ميدان بحثه، فانكبَّ على مطولاته وحولياته قارئًا دون ملل، لا يعيقه اتساع القول وتضارب الروايات عن الاستمرار في الدرس والفهم، وكان ثمرة ذلك كله عددًا من عيون كتب التاريخ تجمع إلى عمق التناول، وجمال العرض، وبراعة الأسلوب، وإحكام الفصول، ويعبّر هو عن ذلك بقوله:

> "وكان من أثر هذه الحركة (التنصيرية) وموقفي منها أن دفعني للتفكير في مقاومتها بالطريقة المثلى التي يجب أن تقاوم بها، ورأيت أن هذه الطريقة المثلى توجب عليَّ أن أبحث حياة صاحب الرسالة الإسلامية ومبادئه بحثًا علميًّا، وأن أعرضه على الناس عرضًا يشترك في تقديره المسلم وغير المسلم."

كتب محمد حسين هيكل رواية زينب أثناء إقامته في باريس بين 1909م و1912م. ونشر عندما عاد إلى مصر. ولم يتجرأ أن يوقعها باسمه واكتفى بكتابة بقلم فلاح مصري. والرواية تبدأ بسرد حب شاب مثقف اسمه "حامد" لابنة عم اسمها "عزيزة"، لكن التقاليد القاسية في الريف تحوْلُ دون التعبير عن هذا الحب، بل تجبر التقاليد "عزيزة" على الزواج من شاب آخر يختاره أهلها. أما "حامد" فيجد ما حرم من حب لدى فتاة اسمها "زينب"، لكن "زينب" لا تفهم هذا المثقف فتتوجه إلى رئيس العمال، فيغادر القرية نهائياً ..الخ. كل الأحداث يمكن تلخيصها في عدم الاعتراف بمشروعية الحب، وعدم التسليم بحق الإنسان في اختيار قريته الذي يهتف به قلبه.

وفي الحقيقة تدور معظم أحداث الرواية حول شخصية الفلاحة زينب التي تحب "إبراهيم"، ولكن تشاء الأقدار أن يوافق والدها على تزويجها إلى "حسن" وهو أعز صديق لحبيبها، ومن خلال حياة البطلة زينب المأساوية أظهر لنا الكاتب صعوبة عيش أهل الريف إبان الاستعمار والجهل والظلم اللذين عايشتهما زينب بتزويجها دون

رضاها.

كان الأسلوب الكتابيّ لمحمد حسين هيكل يجمعُ بين الطّابع الرّمزيّ الدّلاليّ والطّابع الواقعيّ، وتمثّل ذلك باستعمال الخيالات والتّعمقّ في الأفكار، لكنْ دون استخدام أساليب التّعقيد والغموض، فكان طرحه مُميّزاً وفريداً بطابعه الخاصّ، بالإضافة إلى أنّ الرّموز التي كان يقوم باستخدامها لم تكن تحمل في طيّاتها معاني التّعمق في الغموض أو المُبالغة فهي واضحة وبسيطة.

اختبر معلوماتك:

1. لماذا تعد (زينب) أول رواية عربية ناضجة فنيا؟
2. اكتب مذكرة موجزة عن حياة محمد حسين هيكل.
3. ما هي الأعمال البارزة التي ألفها هيكل؟
4. تناول خصائص أسلوب هيكل بالإيجاز.

12.5 نجيب محفوظ: حياته وأعماله

12.5.1حياته:

نجيب محفوظ بن عبد العزيز إبراهيم من مواليد حي الجمالية بالقاهرة في 11 ديسمبر/كانون الأول 1911م، وكان أصغر إخوته،سمي باسم الطبيب النابغة "نجيب باشا محفوظ"، الذي أشرف على ولادته المتعسرة. نشأ وترعرع في المكان الذي توجد فيه المعالم الأثرية التاريخية التي يرجع تاريخها إلى الدولة الفاطمية، مثل المساجد والآثار والتنوع في الحرف اليدوية.

درس التعليم العام على عادة أبناء عصره، ثم التحق بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليا) عام 1930م، وحصل على ليسانس الفلسفة، وشرع في إعداد رسالة الماجستير عن "الجمال في الفلسفة الإسلامية"، لكنه توقف بسبب العمل.

عمل نجيب محفوظ موظفا بالحكومة، حيث اشتغل سكرتيرا برلمانيا بوزارة الأوقاف (1938م-1945م)، ثم مديرا لمؤسسة القرض الحسن حتى عام 1954م. واشتغل بعدها مديرا لمكتب وزير الإرشاد، ثم مديرا للرقابة على المصنفات الفنية. ثم مديرا عاما لمؤسسة دعم السينما ثم رئيسا لها، حتى أحيل إلى المعاش عام 1971م.

حصل الأديب نجيب محفوظ على العديد من الجوائز والأوسمة، أهمها جائزة نوبل في الأدب عام 1988م، وجائزة الدولة في الأدب 1957م، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى 1962م، وقلادة النيل العظمى 1988م.

12.5.2 أعماله البارزة

يعتبر نجيب محفوظ من طليعة الأدباء العرب في القرن العشرين، وقد أثرى المكتبة العربية بأعماله المختلفة، ويعد أمير الرواية العربية، فكتب أكثر من ثلاثين رواية اشتهرت معظمها وذاع صيتها وترجمت إلى اللغات المختلفة العالمية، وتم إنتاجها سينمائيا أو تلفزيونيا، وأول رواياته "عبث الأقدار"، ثم "رادوبيس" 1943.

ومن أشهر رواياته: "الثلاثية: بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية"، و"ثرثرة فوق النيل"، و"الكَرْنَكْ"، و"بداية ونهاية"، و"اللص والكلاب"، و"أولاد حارتنا"، و"الحرافيش." وأما آخر رواية كتبها فهي "قُشْتُمُرْ" عام 1988، و وله أكثر من عشرين قصة قصيرة، آخرها "أحلام فترة النقاهة" 2004. اعتبر النقاد مؤلفاته بمثابة مرآة للحياة

الاجتماعية والسياسية في مصر وتدوينا معاصرا للوجود الإنساني .

وإن الحديث عن مؤلفات نجيب محفوظ روايةً وقصةً ومقالةً حديثٌ ذو شجونٍ، ولا تتحمل هذه الوحدة بأن نتناولها كل أعماله على وجه الاستقلال، وبناء على ذلك نورد فيما يلي بعض أهم أعماله التي أخلدت اسم نجيب محفوظ عبر التاريخ.

12.5.2.1 أولاد حارتنا

تعد "أولاد حارتنا" 1953م روايةً رمزيةً يُعيد فيها نجيب محفوظ كتابة تاريخ البشر على محورية حياة الأنبياء، كما يَعرض فكره الفلسفي حول العلم الحديث وصراعه القائم مع الدين. شكّل العنوان في رواية أولاد حارتنا عتبة الدخول إلى النص والبداية لتأويله وتحليله، فقد عبّر عن النزعة الفلسفية التي يرمي إليها نجيب محفوظ في روايته هذه، وجاء العنوان شاملًا مستوفيًا لقصص جمعت بين الديانات الرئيسية الثلاث عرضها بصورة رمزية واقعية؛ فلفظ "أولاد" كان إسقاطًا على البشرية جمعاء، ولفظ "حارتنا" كان إسقاطًا على الأرض التي يعيش عليها الإنسان.

أثارت هذه الرواية التي نشرها على حلقات في جريدة "الأهرام"، ردود فعل غاضبة من علماء الأزهر، بسبب الحديث المباشر عن الرموز الدينية بما لا يليق بها، مما أدى إلى توقف نشرها وطبعها في مصر، ورغم ذلك كانت هذه الرواية سببا في حصوله على جائزة "نوبل" في الأدب.

12.5.2.2الحرافيش

دبج نجيب محفوظ روايات يندر نظيرها وإنها قد حظيت اهتمام والقراء وانتباه النقاد ومنها: ملحمة "الحرافيش"، نُشرت في عام 1977م، تمتد لعشرة أجيال زمنياً، وتتّسع لعشر حكايات سردياً، تجمع بين الواقعية والرمزية، بنكهة روحية صوفية، وفلسفة ثورية وجودية، وترسم ملامح النفس الإنسانية بنقاط ضعفها وقوتها، وتُصوّر ديناميات الجماعات البشرية بتناقض صراعاتها وتوافقاتها. واسم الرواية (الحرافيش) يكتسب رمزية من دلائل مفهومها؛ فالحرافيش كمفهوم يُشير إلى طبقة مسحوقة من فقراء الناس البؤساء والمحرومين، الذين لا يملكون إلّا كدحهم وبالكاد قوت يومهم، كانوا يسكنون أطراف الحارات المصرية القديمة زمن العصر المملوكي وما بعده. والحكاية العاشرة من الرواية عنوانها (التوت والنبوت)، صوّر فيها الكاتب ثورة الحرافيش على فتوّة الحارة المُستبدّ الظالم وعصابته وحلفائه. ومن خلال أحداث الثورة وحوارات الحكاية، قدّم رؤيته الخاصة لفلسفة الثورة، التي تعود جذورها إلى أسطورة (عاشور الناجي) في الحكاية الأولى.

12.5.2.2.1 رؤى التصوف والنجاة والخلود في ملحمة "الحرافيش"

إن البحث عن السرمدية والخلود ليس أمر حديث العهد به، بل هو من أوائل القضايا التي أرّقت البشرية، والإنسان يحس بمسار الزمن اللاارتجاعي، وما هذا الإحساس لديه إلا تعبيرٌ عن إدراكه لحقيقة موته. ولا يؤمن الإنسان بالآخرة إلا وهو يحاول أن يلتفَّ على هذا الكنه والحقيقة، وفي هذا السياق تتجسد لنا الأسطورة القديمة وتُذَكِّرُ لنا أن "جلجامش" ملك أورك القديمة قد خرج في رحلة أسطورية باحثا عن عشبة الخلود، ولم تكن رحلته هذه سهلة ميسورة بل كانت مليئة بالصعوبات والأزمات، وقابل فيها كائنات أسطورية، كما اجتاز امتحانا أسطوريا في سبيل ذلك. وفي نهاية المطاف حصل "جلجامش"على عُشبة الخلود، وقد أعطاه "أوتانبشم" الذي نجا من الطوفان

هذه العشبة الخالدة، وكاد ينعم بالخلود، لكن الأفعى الشريرة اختلست العشبة.

وفي الواقع إن الإنسان يسعى دوما إلى الخلود ونظرا إلى هذه الرؤية قام نجيب محفوظ بصياغته لملحمة "الحرافيش"، واستلهم هذا الحدث جنبا إلى جنب مع قصة المهدي المنتظر، واعتمد نجيب محفوظ في كتابة هذه القصة على الأسطورة، ولعل سببه الوحيد هو دراسته الفلسفية التي صاغته صياغة عقلية ونفسية من طراز خاص، والتي شكلت رؤيته وتنظيره نحو العالم بكل عمقها وشمولها، والتي شكلت نظرته الفاحصة للكون بكل توجهاتها ليبحث ويتفقد الجوهر، حتى لا تختفي من الأغراض ولا الهوامش.

12.5.3أعماله الأخرى

تركز نحيب محفوظ في كتاباته ومؤلفاته على الأدب، واستوحى الموضوعات في معظم رواياته وقصصه التي شكلت عالمه الخاص وهو حي الجمالية ومحيطه أي المنطقة التي نشأ بها، ومنها انطلق إلى العالمية، والجدير بالذكر أنه استهل الكتابة منذ منتصف ثلاثينيات القرن العشرين.

نشر قصصه القصيرة في مجلة "الرسالة" ذائعة الصيت، وأول قصة نشرها حملت عنوان "همس الجنون" 1938م، ثم رواية "عبث الأقدار" 1939م، و"رادويس"، و"كفاح طيبة"، وكلها عن تاريخ الفراعنة.

بدأ مسيرته في الكتابة الواقعية برواية "القاهرة الجديدة"، و"خان الخليلي"، و"زقاق المدق"، و"السراب"، و"بداية ونهاية" ثم "بين القصرين"، و"قصر الشوق"، و"السكرية".

ويليق بنا أن نذكر أن الروائي الكبير نجيب محفوظ لم يحظ من الاهتمام من الأدباء والنقاد قرابة عشرين عاما، وأول من كتب عنه هو الأديب والمفكر الإسلامي سيد قطب، وقدمه إلى الساحة الأدبية في مجلة "الرسالة" عام 1944م، ولذا ظل نجيب محفوظ يشعر بالامتنان له.

12.6 أسلوب نجيب محفوظ الأدبي

احتل نجيب محفوظ مكانة رائدة بين الكتاب الروائيين؛ فأعماله الروائية كانت علامة مميزة، لها حضورها في ساحة الملتقى، وإنه لم يشكل عالمه الخاص في دنيا الرواية والقصة فحسب بل إنه انطلق برواياته إلى أرجاء العالم بأسره، والسؤال الذي يثور في الذهن ويختلج في الصدر هو أنه كيف اكتسب نجيب محفوظ مثل هذا الترحاب والقبول من لدى القرء والكتاب والنقاد والأدباء في العالم الروائي الخصب والثري، وحتى تم ترشيحه لجائزة نوبل العالمية. فالجواب بسيط هو أنه خلد نفسه بنفسه لعالمه السحري من خلال النسق الفني وإبداعه الروائي بحيث إن رواياته تتسم بالإبداع في البنية، وصيغة الفن الروائي، والصدق الفني المعبر، وقوة المنطق، وجودة الحبكة وغيرها من العناصر اللابدية للرواية الخالدة،

إن أسلوب نجيب محفوظ – كما يراه الكثير من النقاد – طَفْرَةٌ وقَفْزَةٌ في مسار الرواية العربية، إذ ينتقل من النزعة الطبيعية التي تغلبت بل سيطرت على إنتاجه حتى الثلاثية إلى شيءٍ جديد، ومن الممكن أن يسمى ذلك الشيء الجديد بمصطلح "الواقعية الوجودية". ولا مراء أن هذا التطور الفني قد حمل معه تطورا آخر يسير إلى جانبه وينبع منه. التزم في مرحلته الأولى التي انتهت بـ"الثلاثية" في سياق تناول الشخصيات والبيئات التي صورها فيها، بالاتجاه الطبعي، وهذا الاتجاه الطبعي لا يتأتى إلا بالدراسة الموسعة والمعرفة الشاملة بأدق التفاصيل.

يرسُم نجيب محفوظ أبطاله مفصلا، ويسجل كافة التفاصيل الصغيرة والكبيرة التي تتصل بهم، ويحلل

التفاصيل تحليلا دقيقا، بحيث إنه يرسمها من الخارج ويحدد تقريبا طول الشخص ووزنه وتركيبه العضوي الدقيق، ثم يرسمها من الداخل فيحدد تركيبهم النفسي، كأنه في معمل كيمياوي يحلل المواد إلى أصولها الأوّلية. فالإحاطة والتسجيل بالأجزاء المختلفة والرسم للأبطال من الداخل الخارج ميزة بارزة لأسلوب نجيب محفوظ.

فالأديب نجيب محفوظ الذي هو ذو نزعة طبيعية في مشواره الأول يعني بكل التفاصيل والجزئيات عناية متفاقمةً في مرحلته الأولى التي انتهت بـ"الثلاثية" ثم يحمل عصاه ويرحل تاركا "الثلاثية" ويسير في طريق يبتعد فيه عن أسلوبه القديم المتميز بالنزعة الطبيعية والاهتمام بالتفاصيل وينتقل إلى الأسلوب الجديد والاهتمام بالمشاكل الكلية العامة فيتحول من ذلك الفنان المبدع الذي كان يعطي قراءه أدقَّ صورةٍ وتفصيلٍ للبيئة المحلية، إلى فنانٍ يعرض الصور والأوضاع ويناقش ويهتم بمشاكل إنسانية عامة ويعني بالبيئة المحلية والبيئة الإنسانية كلها سواسية.

كتب الكثير من النقاد عن أسلوب نجيب محفوظ، وعلى سبيبل المثال دبج الدكتور شاكر عبد الحميد مقالة بعنوان "نجيب محفوظ وجهة نظر نفسية" واستهل مقالته بمقولة بوفون الشهيرة: "الأسلوب هو الرجل ذاته" ورأى في شخصية نجيب محفوظ تطبيقا واضحا وحقيقيا يلمسه جليا "في شخص نجيب محفوظ الأسلوب الجيد في رأى بوفون يتطلب خاصيتين رئيسيتين هما: الوحدة والخطة المحكمة".

ومن المقرر لدى النقاد أن هاتين الخاصيتين المهمتين لا تتحققان إلا عندما يهيمن الأديب الروائي المبدع على موضوعه، ويخوض في خِضَمِّ التفكير بالقدر الذي يسمع له أن يرى بوضوح نظامَ أفطاره، وأن يصوغ ذلك النظام الفكري في قالب متتابع، وسِلسلة متصلة، حتى تحمل كل حلقة منها فكرة جديدة ورؤية متفردة تقنع القارئ وتنشطه.

ووفقا للناقد المذكور، فإن نجيب محفوظ متمكن في فئة المتأملين غير المندفعين، لأنه يميل في رواياته إلى التأمل والتنظير في حيوات الناس والمجتمع المحيط به، وذلك لقدر أنه حينما يبدأ كتابة رواية ما، يضع أمامه ملفا بكل شخصية من شخصيات رواياته، ويسجل فيه كل ما يطرأ عليها من التغيرات والتعديلات.

فبإمكاننا أن نسمي أسلوب نجيب محفوظ بأسلوب متأملي يختاره في رواياته، فأسلوبه هذا يمتاز بـ (الانتظار، والتريث، والصبر، والدأب، والعمل، والكدح). والمُحَتَّم أن يوجد الكثير من أشكال التشابه بين الأديب وشخصياته بحيث إن الأسلوب هو الشخصية أو بالتحديد- الأسلوب هو الرجل ذاته، وذلك باعتبار أن الأسلوب يكشف الكثير من الخصائص العقلية والمزاجية والإيقاعية لصاحبه. فالخلاصة هي أن أسلوب نجيب محفوظ أسلوب خاص تظهر فيه شخصيته المتميزة.

والآن علينا أن نناقش أسلوب نجيب محفوظ التأملي في قالب رواية، أي ما هي الرواية التي ظهرت منها رؤيته التأملية دون نزعته الطبيعية وحكايته الشعبية، ألا وهي: روايته المسماة برواية "القاهرة الجديدة". هذه الرواية تعد انتقالةً واضحةً وإيجابيةً في أسلوب نجيب محفوظ الروائي، إذ إن المؤلف حاول أن يتخلص من الأساليب القديمة التي تمثلها الحكاية الشعبية، وفي نفس الوقت حاول في هذه الرواية أن يخلص أسلوبه من صيغ البلاغة الشكلية التي تعد جمالا في نفسها، وانتقل إلى التصوير والتجسيد بأسلوب تقريري يهدف الشمول والمباشرة في العرض والإلقاء، فمن خلال هذا العمل التقريري الشامل المباشر حاول أن يكشف عن الشخصيات وبيئاتها ومجتمعاتها حضاريا ونفسيا واجتماعيا قدر المستطاع.

اهتم المؤلف نجيب محفوظ في ذلك كله بالدقة البالغة والتحديد الزائد، ولجأ إلى الأسلوب التقريري، الذي يحدد من البداية الملامح العامة التي هي ملامح ثابتة للشخصية فيما يظنه المؤلف، ومن المعروف أن هذه التقارير المصورة المطولة عن الصفات العامة للشخصيات وتاريخها، هي أسلوب علمي، وأهميته في الرواية ثابتة، إذ من المفروض من المنحى الفني والأدبي أن يفسح المجال للقارئ، كي تنمو الشخصية أمامه أثناء الاستطراد في قراءة الرواية. وهذا أمر يدل على فرض الروائي شخصيته على إبطال رواياته.

اختبر معلوماتك

1. ماذا تعرف عن نجيب محفوظ ومساهمته باللغة العربية؟
2. اذكر خصائص أسلوب نجيب محفوظ.
3. حلل رواية " أولاد حارتنا" تحليلا أدبيا مع ذكر خصائص الرواية.

12.7 نتائج التعلم

بعد دراسة هذه الوحدة لقد وصلنا إلى النتائج المهمة التي تتخلص في النقاط التالية:

- محمد حسين هيكل شاعر وأديب وسياسي كبير مصري، صاحب أول رواية عربية فنية بعنوان "زينب"، وصاحب مؤلفات كثيرة مثل: "حياة محمد"، "في منزل الوحي".
- إن الأسلوب الكتابيّ لمحمد حسين هيكل يجمعُ بين الطّابع الرّمزيّ الدّلاليّ والطّابع الواقعيّ، وتمثّل ذلك باستعمال الخيالات والتّعمقّ في الأفكار، لكنْ دون استخدام أساليب التّعقيد والغموض، فكان طرحه مُميّزاً وفريداً بطابعه الخاصّ، بالإضافة إلى أنّ الرّموز التي كان يقوم باستخدامها لم تكن تحمل في طيّاتها معاني التّعمق في الغموض أو المُبالغة فهي واضحة وبسيطة.
- نجيب محفوظ أديب مصري كبير، وهو طليعة الأدباء في العصر الحديث.
- كتب نجيب محفوظ أكثر من ثلاثين رواية اشتهرت غالبيتها، وتم إنتاجها سينمائيا أو تلفزيونيا.
- من أشهر روايات نجيب محفوظ: الثلاثية "بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية"، و"ثرثرة فوق النيل"، و"الكرنك"، و"بداية ونهاية"، و"اللص والكلاب"، و"أولاد حارتنا"، و"الحرافيش."
- يضع الناقد نجيب محفوظ في فئة المتأملين غير المندفعين، لكونه يميل في كتابته الروائية إلى التأمل والتريث في حياة الناس والمجتمع المحيط به، لدرجة أنه عندما يبدأ في كتابة رواية ما، يضع أمامه ملفاً لكل شخصية من شخصيات رواياته، ويكتب فيه كل ما يطرأ عليها من التغيرات.
- الأسلوب الذي اختاره نجيب محفوظ يمتاز بالانتظار والتريث والصبر والدأب والعمل والكدح، ولابد من وجود الكثير من أوجه التشابه بين الأديب وشخصياته حيث إن الأسلوب هو الشخصية باعتبار أن الأسلوب يكشف الكثير من الخصائص العقلية والمزاجية والإيقاعية لصاحبه. ومن خلال تركيزنا على دراسة أسلوب كاتبنا الكبير نجيب محفوظ وهو أسلوب خاص تظهر فيه شخصيته المتميزة.

12.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

الكلمات	المعاني بالعربية	المعاني بالإنكليزية
استخدام	اِستِخدام: (اسم) مصدر اِسْتَخْدَمَ، اِسْتِخْدامُ الْمَرْأَةِ أَوِ الرَّجُلِ: اِتِّخَاذُهَا خَادِمَةً أَوْ خَادِمًا، اِسْتِخْدامُ آلةٍ: اِسْتِعْمَالُهَا اِسْتِخْدامُ كُلِّ الإِمْكَانَاتِ: اِسْتِغْلاَلُهَا	Uses
استئذان	اِستِئذان: (اسم) مصدر اِسْتَأْذَنَ، طَلَبَ الاِسْتِئْذَانَ: طَلَبَ الإِذْنَ	To ask permission
تأشيرة	تأشيرة: (اسم) سمة تُوضع على جواز سفر تمنح حقّ الدُّخول إلى قطر من الأقطار أو الخروج منه أو المرور به، إشارة أو ختم أو توقيع يُوضع على ورقة من الأوراق الرسميَّة دلالة على الاطلاع عليها، يَحْمِلُ مَعَهُ تَأْشِيرَةَ الْمُرُورِ : تَوْقِيعٌ رَسْمِيٌّ يُعْطِي الإِذْنَ بِالْمُرُورِ	Visa
التجسيد	تَجْسِيدُ الصُّورَةِ: تَجْسِيمُهَا، تَمَثُّلُهَا، التَّجسيد: (بلاغة) تحويل الأفكار والمشاعر إلى أشياء مادِّيَّة وأفعال محسوسة كمخاطبة الطبيعة كأنّها شخص تسمع وتستجيب	Embodiment
الصياغة	صياغة: (اسم) مصدر صَاغَ، مِهْنَةَ الصِّيَاغَةِ : حِرْفَةُ الصَّائِغِ الصِّيَاغَةُ : عمل الحُلِيّ من فِضَّة وذهب ونحوهما، كلامٌ حسنُ الصِّياغَةِ: جَيِّدٌ مُحْكَمٌ	Draft
الملامح	مَلاَمِحُ: (اسم) مَلاَمِحُ : جمع مَلمَح، مَلاَمِحُ الوَجْهِ : مَا يَظْهَرُ مِنْ عَلاَمَاتِ الوَجْهِ وأَوْصَافِهِ، المَلامِحُ :المَشَابِهُ، حسَنُ الملامح: جميل، الْمَلاَمِحُ والظِّلاَلُ : مَا يَظْهَرُ مِنْ أَمَاكِنَ فِي لَوْحَاتِ الرَّسَّامِينَ مُضَاءةٍ وأُخْرَى غَامِقَةٍ	Features
الأوسمة	أَوْسِمة : (اسم) جمع وِسام، علامة، ما وُسِمَ به الحيوان من ضروب الصُّور، الوِسَامُ :ما يعلَّق على صدر من أَحسن عملاً مكافأة له عليه، نوط، ميدالية، نيشان يُعْطى لِمَنْ امتاز في عمله مكافأةً له عليه ويُعلَّق على الصَّدر أخذ وِسامَ الاستحقاق	Medals
طيات	طيّة: (اسم) الطِّيَّةُ : الجهةُ أَو الناحيةُ البعيدة، طيّات الأرض: تعاريجها، حمَل في طيَّاته: تضمّن، وَجَدْتُهُ بِطَيَّةِ الْهِضَابِ : بِنَوَاحِيهَا	Folds

	وَجِهَاتِهَا	
الغموض	غُمُوض: (اسم) مصدر غَمَضَ، فِي كَلاَمِهِ غُمُوضٌ : إِبْهَامٌ، عَدَمُ الْوُضُوحِ، يوضِّح غُموضه: يجعله سهلاً	Vagueness
تنميق	تنميق: (اسم) مصدر نَمَّقَ، لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى تَنْمِيقِ الصُّوَرِ : أيْ عَلَى تَزْيِينِهَا وَتَلْوِينِهَا	Retouch
المندفعين	مُندَفِع: (اسم) فاعل من اِنْدَفَعَ، شَابٌّ مُنْدَفِعٌ : الْمُتَحَمِّسُ إِلَى القِيَامِ بِعَمَلٍ بِحَمَاسٍ، مُنْدَفِعٌ : متَّسِمٌ بعُنْفٍ في تصرُّفه، شديد الغَضب	Impulsive
طَفرةٌ	انتقال سريع من حالة إلى أخرى	rise; upswing; upturn

12.9 أسئلة الاختبار النموذجية

12.9.1 أسئلة موضوعية

1- من ألف "حياة محمد"؟

(a) عباس محمود العقاد (b) محمد حسين هيكل

(c) طه حسين (d) أبو الحسن علي الندوي

2- من قال هذه المقولة المشهورة: "الأسلوب هو الرجل"؟

(a) بوفون (b) الأستاذ الشايب

(c) إيليا أبو ماضي (d) الفارابي

3- متى وُلد محمد حسين هيكل؟

(a)1988م (b) 1989م (c) 1888م (d) 1898م

4- اذكر اسم الشخص الذي كان من طلائع الذين نادوا بأن تكون مصر للمصريين.

(a)أحمد أمين (b)رفاعة رافع الطهطاوي

(c) أحمد حسين هيكل (d) عبد الرحمان الشرقاوي

5- توفي محمد حسين هيكل عام...

(a) 1956م (b) 1957م (c)1958م (d) 1959م

6- متى حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبل العالمية؟

(a) 1987م (b) 1988م (c) 1985م (d) 1986م

7- ألف نجيب محفوظ رواية

(a) اللص والكلاب (b) زينب (c)أرض النفاق (d) في منزل الوحي

8- شخصية البطلة زينب في رواية "زينب"

(a)تاجرة (b) فلاحة (c) معلمة (d) أميرة

9- المراد بثلاثية نجيب محفوظ:

(a) بين القصرين ، قصر الشوق، السكرية (b) ثرثرة فوق النيل، عبث الأقدار، رادوبيس

(c) الكرنك، بداية ونهاية، الحرافيش (d) اللص والكلاب، أولاد حارتنا، قشتمر

10- تدور أحداث رواية "زينب" في...

(a) الريف السوري (b) الريف اللبناي

(c) الريف المصري (d) الريف العراقي

12.9.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- ماذا تفهم من مصطلح "الأسلوب"؟

2- عرف "حياة محمد" لمحمد حسين هيكل.

3- عرف ملحمة "الحرافيش" بإيجاز.

4- سجل معلوماتك عن أسلوب نجيب محفوظ موجزا.

5- اذكر ملاحظة عن أولاد حارتنا.

12.9.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- اكتب عن أسلوب محمد حسين هيكل مفصلا.

2- ماذا تعرف عن أسلوب نجيب محفوظ؟

3- اذكر ميزات رواية محمد حسين هيكل.

12.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1- محمد حسين هيكل: استمرارية أم تحول؟ ، جمال الشلبي ترجمة: حويك عطية

2- محمد حسين هيكل: أديبا وناقدا ومفكرا إسلاميا د. إبراهيم عوض مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،1998م

3- محمد حسين هيكل و الفكر القومي المصري عبد العزيز شرف، دار الجيل ،بيروت، 1992م

4- أنا تجيب محفوظ: سيرة حياة كاملة، إبراهيم عبد العزيز، نفرو للنشر و التوزيع،2006م

5- حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دارالجيل، بيروت 1881م

6- الرواية العربية المعاصرة: بدايات وملامح، محمد عزام، مجلة المعرفة، العدد 388، 1996م

7- الأدب القصصي و المسرحي، احمد هيكل، الطبعة الرابعة، دار المعارف، 1983م.

8- في الجهود الروائية (من سليم البستاني إلي نجيب محفوظ)، عبد الرحمن ياغي، دار الفارابي، بيروت، 1999م

الوحدة 13:

المسرحية العربية: نشأتها، وتطورها، وعناصرها

عناصر الوحدة:

13.0 التمهيد

13.1 أهداف الوحدة

13.2 المسرحية: وصفها، ونشأتها

13.2.1 تعريف المسرحية لغةً.

13.2.2 تعريف المسرحية اصطلاحا.

13.2.3 الفرق بين المسرحية والمسرح.

13.2.4 جذور المسرحية في التاريخ.

13.3 المسرحية العربية، نشأتها، وتطورها، وأصحابها، وأعمالها.

13.3.1 نشأة المسرحية العربية.

13.3.2 كبار المسرحيين العرب.

13.3.3 أشهر المسرحيات العربية.

13.4 عناصر المسرحية /المسرح.

13.5 نشاطات الوحدة

13.6 الأسئلة الاختبار النموذجية

13.7 نتائج التعلم.

13.8 الكتب الموصى بها.

13.0 التمهيد

إن الدرس الذي تقرؤونه الآن في هذه الوحدة أيها الطلبة الأعزة! هو يدور حول المسرحية العربية: نشأتها، وتطورها، وعناصرها، وتاريخها، وكبار المسرحيين العرب، وأشهر المسرحيات العربية التي لها الدور الرئيسي للنهوض بالأدب العربي الحديث.

سوف تتعلمون، من خلال هذا الدرس ماهي المسرحية؟ وماهي عناصرها؟ وكيف نشأت المسرحية في الأدب العربي الحديث؟ وماهي ميزات المسرحية العربية؟. وماهي الأشياء التي لابد من الأخذ عليها للتحسن الفني والبنائي للمسرحية العربية؟ وعلاوة على كل ذلك، هناك تدريبات لغوية وأدبية لتحسين المهارات الكتابية الإبداعية، وقراءة النصوص المسرحية للمسرحيين العرب المختلفين. كما وسوف تطلعون من خلالها على كبار المسرحيين العرب، الذين لهم مكانة في مسيرة آداب العالم، فضلا عن الأدب العربي. إلى جانب الإفادة بأعمال مسرحية عربية في الأدب العربي الحديث.

13.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى مجموعة من الغايات أهمها ما يلي:

- التعريف بالمسرحية عامة، والمسرحية العربية بوجه مخصوص.
- الاطلاع على عناصر المسرحية العربية وتاريخها وتطورها.
- الاطلاع على جذور المسرحية، تاريخ نشأة المسرحية العربية قديما وحديثا.
- الاطلاع على أشهر المسرحيات العربية ذات القيمة الأدبية العالمية.
- الاطلاع على الخصائص الفنية للمسرحية، وكبار المسرحيين العرب.

13.2 المسرحية وصفها، ونشأتها

أيها الطلبة! سوف تتعلمون هنا ماهي المسرحية؟ وما هو الفرق بين المسرح والمسرحية؟ وكيف نشأت المسرحية في الأدب العربي؟ هاهو ذا إليكم وصف المسرحية لغة واصطلاحا إلى جانب نشأتها:

13.2.1 تعريف المسرحية لغةً:

كلمة المسرحية/ والمسرح لغةً:

السَّرح، واحدتها: السرحة، معناها: شجر عظيم طويل. والسرح: فناء الدار. وسَرَحَ السيلُ: جرى الفيضان جريا سهلا. وسرح الشيءَ: أرسله. وسرح ما في صدره: أخرجه. (المعجم الوسيط).

سَرَحّتِ المواشي في المراعي: رعت فيها، وانتشرت. يَسرَحُ بأفكاره بعيدا: يحلم، يأخذه خيالُه بعيدا، تستغرقه الأفكارُ. سرح السجينَ: أطلق سراحه. سرح أعراضَ الناس: اغتابهم. (معجم الغني)

المَسرحُ: مرعى السرح. المسرح: مكان تمثل عليه المسرحية. والجمع مسارح. (المعجم الوسيط).

مسرح: مكان مرتفع من خشب، في صالة أو في ساحة، تمثل عليه الروايات.

مسرح: جملة ما يخلفه الأديب من روايات تمثيلية: ((مسرح شكسبير، مسرح شوقي)). (معجم الرائد).

مناقشة المعنى اللغوي:

نجد في هذه الدلالات اللغوية أن كلمة سرح عبارة عن معانٍ يمكن منها استلهام واستخلاص ما تدور حوله الأدوار الرئيسية للمسرحية والمسرح، وهي كالنحو المذكور فيمايلي:

- أولا، إخراج ما في الصدور: فالمسرحية هي التجسد الظاهر الذي تنعكس فيه مشاعر الكاتب وعواطفه وأفكاره وأخيلته الدقيقة العميقة ذي النتائج المتجلية في القارئ عند القراءة وفي السامع المشاهد عند المشاهدة.
- ثانيا، يسرح بأفكاره بعيدا، ويأخذه خياله بعيدا، وتستغرقه الأفكار: في الحقيقة النص الأدبي بما فيه المسرحية هو عطر وخلاصة لأفكار الأديب، التي تمثل أحيانا البعد التاريخي، وأحيانا الأبعاد الاجتماعية والسياسية والحضارية والدينية. فمثلا مسرحيات: أهل الكهف، وبراكسا أو مشكلة الحكم، وشهر زاد لتوفيق الحكيم من المسرحيات التي تمثل الأبعاد التاريخية والسياسية والدينية. وأما مسرحية الآباء والبنون لميخائيل نعيمة فهي تصوير دقيق وعميق للبعد الاجتماعي المتأصلة جذورها في المجتمعات الشرقية.
- ومن معاني سرح: سَرَحَ أعراضَ الناس: فالمسرحية طبعا مرآة صافية لما يجري في أفراد المجتمع من مساو، وخرافات، ومفسدات؛ فالكاتب المسرحي، أو الممثل المسرحي كلاهما يقدم على رؤوس الأشهاد ماظهر لأفراد المجتمع من محاسن ومن مناقص وما بطن. والقارئ أو المشاهد كلاهما يطلع على الكثير مما هو خفي ومستور تحت أستار وأغلفة المجتمع والتاريخ وتقاليد الأديان، ومراسم دواوين الملوك والسلاطين .
- أما كلمة مسرح، فهي ظرف مكان لسرح، وهي تعني المكان المرتفع الرحب المبني من خشب أو من دون خشب الذي تعرض عليها الأدوار المختلفة للعمل الدرامي. وجمعها: مسارح. يقول صاحب معجم الغني: مسرح التمثيل: مكان مرتفع مبنيٌّ من خشب في قاعةٍ مُعَدَّةٍ لأداء تمثيليات أو مقاطع غنائية-صعد الممثل على خشبة المسرح: المسرح العربي. (معجم الغني).

بعد الاطلاع على هذا المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة سرح ومسرح يسهل فهم المعنى الاصطلاحي لها.

13.2.2 تعريف المسرحية اصطلاحا:

المسرحية عبارة عن جنس من الأجناس الأدبية المعتمدة على الحوار والمكالمة والتمثيل فيمابين الأشخاص المساهمين فيها، وأفعالهم وأدوارهم؛ بين الأشخاص الرئيسيين والفرعيين، لتناول قضية من القضايا الاجتماعية أو السياسية أو التراثية أو الفكاهية، وتلقين درس من الدروس على قلب القارئ أو المشاهد.

13.2.3 الفرق بين المسرح والمسرحية:

إذا كانت الأدوار والفصول المسرحية معروضة وممثلة على الخشبة أمام الجمهور يقال لها: "المسرح". وإذا كانت مسطورة في صورة نص أدبي في حيز الكتاب وقابل للتمثيل فهي: "المسرحية".

فالمسرح إذاً هو: عرض النص الدرامي الممثل على رؤوس الأشهاد. وأما المسرحية فهي النص المسرحي

المسطور القابل للتمثيل.

13.2.4 جذور المسرحية في التاريخ:

أيها الطلبة الأعزة! إن المسرحية جنس أدبي ضارب في أعماق الماضي، وعريق في القدم. يعود تاريخه إلى الأدب اليوناني/ الإغريقي. ولها وثيق الصلة مع العواطف البشرية الدينية والاجتماعية. ويتبلور من دراسة النصوص الدينية اليونانية والصينية والهندية والمسيحية الجديدة أن لها ظهورا قويا و وجودا باهرا ومتأصلا في التقاليد الدينية الكنيسية، والاحتفاليات الدينية العامة. ولكل من هذه وتلك دور مهم وأساسي في ترويج العمل الدرامي على مدار القرون. فالمجتمعات البشرية من جميع الطبقات والديانات معتمدة على المسارح الكوميدية والتراجيدية والأوبرا للتعبير عن مشارعها من الأفراح والأحزان، ومن المسرات والمراثي. وقد أجمع مؤرخو الأدب على أن الفضل كل الفضل في وضع المسارح يعود تاريخه إلى الأدب اليوناني. ومنه انتقل هذا الجنس الأدبي إلى الآداب العالمية جميعها. والمسرحية لدى اليونان ضربان: الكوميدية. والتراجيدية. أما الأنواع الدرامية الأخرى فكلها متفرعة منهما.

13.3 المسرحية العربية، نشأتها، وتطورها، وأصحابها، وأعمالها

13.3.1نشأة المسرحية العربية:

أيها الطلبة الأعزة! ظهرت أشكال مختلفة للعمل الدرامي أو النشاط المسرحي في العالم العربي على مدار العصور الأدبية القديمة. فكل مجتمع بشري وشعب حيٍّ في حاجة إلى وسيلة الترفيه، والأنماط المختلفة للاحتفال بالمناسبات الاجتماعية، والأعياد الدينية والوطنية، ومراسم الأفراح. فالمجتمع العربي خلال هذه القرون القديمة الطويلة وضعوا ما وضعوا من أشكال وأنماط لذلك. وهذه الأشكال الدرامية إن لم تكن متطورة ومصقولة تطور الفن المسرحي في يومنا هذا، ولكنها لم تكن فارغة عن المعاني والدلالات التي يريدون التعبير عنها للتسلية، ونفخ روح التجديد في أعضاء المجتمع. وأما العرب المسلمون في العصر العباسي فإنهم وضعوا شكلا يشابه العمل الدرامي في محتواه وفي مضمونه عرف بـ"مسرح خيال الظل"، الذي كان عبارة عن أدوار الشخصيات الهزلية والإضحاكية والترفيهية، معتمدة على ظلال الدمى المتحركة. ثم وجدت وسائلُ الترفيه المختلفة من الرقص، والموسيقى، والألعاب مكانا رحبا، وحفاوة واسعة في البلاط الملكي أيام الخليفة العباسي المتوكل على الله (822-861م)، وظلت قصور الخلفاء العباسيين، وطرق بغداد ترحب بالتمثيليين، والقصصيين الذين يقومون بالتمثيليات، وقص نوادر الأخبار، وغرائب الوقائع على الطريق الهزلية والفكاهية الساخرة تسليةً للمشاهدين وإضحاكهم، ونفخ روح التفرج في مشاعرهم، وأسماعهم وأخيلتهم. إذ ظهرت فيهم ظاهرة من طراز جديد وهي التمثيليات المتفننة المخلوطة بين اللهجة العربية ولهجات الأجانب الواردين من الأعراب ومن البلدان الأجنبية الأخرى من الهند، والفرس، وخراسان، والروم. إلى جانب قيامهم بالتمثيليات المتمثلة في محاكاة الحيوانات من الحمير، والخيل، والكلاب. لقد اشتهر في عصر المعتضد بالله (856-902م) فنان متفنن مضحك هزلي من هذا القبيل يدعى "ابن المغازلي".

وعلى جانب آخر، نشط الفنانون الأمصار أيضا في العروض التمثيلية في أشكالها وألوانها وأنماطها الرائجة وقتذاك، يقول المقريزي: "...وطاف أهل الأسواق وعملوا فيه "عند النيروز" وخرجوا إلى القاهرة بلعبهم، ولعبوا ثلاثة أيام أظهروا فيها السماجات الممثلين، وقطعهم التمثيلية".

ثم ظهر شاعر وفنان وكحال حكيم اسمه شمس الدين محمد بن دانيال، عراقي المولد ومصري المواطنة، ولد عام 1238م في الموصل، وتوفي عام 1310م في القاهرة. كان كحالا يبيع الكحل في دكانه الذي فتحه في القاهرة، وكان يقول هازلا: "إنني آخذ القرش من عيون الناس". وابن دانيال هو الذي صقل مسرح خيال الظل، وطوره تطويرا، ووضع له أسسا درامية فنية راقية، يقول: "صنفت من بابات المجون، ما إذا رسمت شخوصه، وبوبت مقصوصه، وخلوت بالجمع، وجلوت الستارة بالشمع، رأيته بديع المثال، يفوق بالحقيقة ذاك الخيال". والشيء المهم الذي يبدو من دراسة جهوده الدرامية أنه استخدم كلمة "بابة" وجمعها: "بابات" للدلالة على المنتوج المسرحي. وله بابات متعددة؛ من أجدرها بالذكر: "طيف الخيال" و "عجيب غريب"، و"المتيم والضائع اليتيم". والبابات المؤلفة على يد ابن دانيال تتألف بحوارات ومكالمات منثورة ومنظومة، على اللهجة المصرية الجميلة، وتتمحور فكرتها حول الماجريات الاجتماعية والخلقية المصرية التي كان يعيشها ويشاهدها ويتأثر بها هو نفسه، وتتأثر بها المجتمعات والعوائل المصرية المختلفة. فمسرحياته أو باباته تتصبغ بالصبغة الاجتماعية والشعبية. كان مُنكِّتا ومبكِّيا ومُفكِّها. سادت باباته وفكاهاته المجتمعات المصرية، حتى كان يحضر عروضها التمثيلية أصحاب البلاط أحيانا. ومن مصر انتقل مسرح خيال الظل إلى إستنبول، وعرف هناك بـ"القره جوز" يعني العين السوداء.

لقد درس أحمد أمين في كتابه فيض الخاطر (الجزء التاسع) جهود ابن دانيال الدرامية دراسة تحليلية، بعنوان: ابن دانيال ومسرحياته. في رأي أحمد أمين في خضم هذه الدراسة، لو كانت هذه الجهود المسرحية مستمرة وممتدة لكان العرب من البارزين في المسرحية الحديثة كذلك. وإن مؤرخي الأدب العربي عندما كتبوا هذا التاريخ فإنهم ركزوا جهودهم على الغزل والهجاء والرثاء، ولم يستوعبوا الأجناس الأدبية الأخرى، يقول: "كثير من الناس يظن أن المصريين خاصة — والعالم العربي عامة — عالة على الإفرنج في مسرحياتهم وتمثيلياتهم، وأننا لم نعرف المسرحيات إلا بعد أن اقتبسناها منهم، وسبب هذا، على ما يظهر، أن رجال الأدب العربي حين عرضوا منتجاتهم، اختصروا فيها على أبواب الأدب العربي المعروفة، من غزل وهجاء ورثاء، ولم يتعبوا أنفسهم في البحث عن أبواب أخرى، مع أن أمامهم المسرحيات العربية الصميمة... ". فإن أحمد في كلامه هذا يقصد جهود ابن دانيال المسرحية الناضجة الرائجة التي تقبلها الناس بقبول حسن. وفي ضوء هذا الرأي والجهود المسرحية لابن دانيال والآخرين يمكن ناقد الأدب العربي الحديث أن يقول إن المسرحية العربية الحديثة بشكلها وبنمطها وعناصرها ليست مستوردة من الأدب الأوربي أو الأدب الأميركي أو الأدب الروسي بل هي عربية الأصل وعربية الفرع. وإن ابن دانيال لم يكتف على هذا بل قدم نظريات ومبادئ متقدمة أخرى، إذ قال: " هيء الشخوص ورتبها واجل ستارة المسرح بالشمع، ثم اعرض عملك على الجمهور وقد أعددته نفسياً لتقبل عملك، بثثت فيه روح الانتماء إلى العرض، وجعلته يشعر بأنه في خلوة معك. فإذا فعلت هذا فستجد نتيجة خاطرك حقاً، ستجد العرض الظلي وقد استوى أمامك بديع المثال يفوق بالحقيقة المنبعثة من واقع التجسيد ما كنت قد تخيلته له قبل التنفيذ ".

إن الجهود المسرحية التطبيقية والنظرية التي بذلها ابن دانيال تُبَلوِرُ جليا أن جذور المسرحية العربية بألوانها الراقية ومظاهرها المتطورة متأصلة وثابتة في الأدب العربي القديم، إلا أنها لاتهدف إلا إلى الترفيه، وتصوير الشعب والمجتمع، والتنكيت أو التبكيت أو التسلية. أما المسرحيات اليونانية فكانت مظهرا دينيا، والمسرحيات الرومانية فكانت متعة رخيصة ولاغير. وأما الكنيسة فكانت المسرحية لديها في بادئ الأمر شرا محضا يجب

استئصاله، ولكنها بعد مرور الزمان، وشيوع الألوان المختلفة للمسرحية اتخذتها أقوى وسيلة للتمظهر القداسي الديني، وتجلية الأسرار والمعجزات المذهبية. ونافلة القول إن كل ما خلفه ابن دانيال من بابات (مسرحيات) أو نظريات مسرحية هي نقطة أساسية ورئيسية لنشأة العمل الدرامي والنشاط المسرحي في تاريخ الأدب العربي بأسره. و إذا تعامينا عنها، أو رفضناها أيما رفض يكون ذلك بمثابة ضياع باب مهم من أبواب الثقافة العربية، والتاريخ الأدبي العربي، مع الاعتراف بانقطاع هذه المسيرة المسرحية على التقدم والنمو لفترة طويلة من التاريخ.

أما المسرحية العربية في العصر الحديث فالفضل فيها يعود إلى التاجر والأديب اللبناني مارون النقاش، وذلك في القرن التاسع عشر الميلاد. فإنه أول من وضع اللبنة الأولى للمسرحية في الأدب العربي الحديث. كان النقاش من مواليد منطقة صيدا، في بيروت، بلبنان. فإن نقاش كان يختلف إلى بعض البلدان الأوربية متاجرا، فقضى فترة غير قصيرة من الزمن في إيطاليا، وتلقى الفنون والآداب الأوربية. وتأثر بما شاهد هناك من عروض مسرحية فرنسية. وأعجب بالكاتب والأديب والمسرحي والشاعر الفرنسي من باريس ألا وهو جون بابتيست بوكلان (Jean-Baptiste Poquelin) الملقب بـ"موليير" (1622-1673م)، فقام بترجمة بنقل مسرحيته الكوميدية المعنونة بـ"البخيل" والاسم الفرنسي لها (L'Avare ou L'École du mensonge) . لقد ترجمها بالإنكليزية هنري فان لاون (Henri Van Laun) بعنوان (The Misanthrope). لقد حاول مارون نقل هذه المسرحية مع تعديلات لازمة وفق أذواق العرب. وبعدما عاد إلى بيروت أقام مسرحا في منزله، وعرض مسرحية البخيل على الخشبة عام 1848م، حضرها أعيان المدينة، ومثقفوها، والأدباء والممثلون من مستويات مختلفة. ما حفزه على مواصلة المشي على هذا الدرب، فأصدر مسرحيات مختلفة أخرى. منها مسرحية "أبو الحسن المغفل أو هارون الرشيد"، مثلها في منزله أمام حشد كبير من سادة البلاد، ومثقفيهم، ونالت الإعجاب والقبول فيما بينهم. وقد أعدها مارون مستوحيا فكرتها من قصص ألف ليلة وليلة. ثم واصل عمله في المسرحيات العربية، وأعد قبل وفاته بسنة مسرحية " الحسود السليط"، التي هي أيضا نالت إعجاب القراء والمشاهدين. وهذه المسرحيات كلها مسرحيات إصلاحية واجتماعية تهذب العقول والنفوس، وتحاول نفخ روح الحياة الصالحة في المجتمع. وكان مارون كاتب المسرحية ومترجمها ومقتبسها أيضا إلى جانب براعته في العرض التمثيلي . ولد عام 1817م، وتوفي في عام 1855م.

هذه جهود مبكرة للنشاط المسرحي قديما وحديثا، أيها الطلبة الأعزة! ولا شك في أن العمل الدرامي في العصر العربي القديم كان عربيا أصيلا، وذلك ما يتمثل في جهود التمثيليين، والقصصيين، والهزليين، والمنكتين، وعلى رأسهم ابن المغازلي وابن دانيال. وأما الخلفاء العباسيون إلى جانب بعض الخلفاء العثمانيين فلهم دور قوي في ترويج هذه الجهود بأشكالها وألوانها وأنماطها وأطرها الرائجة وقتذاك. وأما الجهود المبكرة للمسرحية العربية في العصر الحديث فهي تنطلق وتتطور من أعمال مترجمة، إلى أعمال مقتبسة إلى أعمال أصيلة؛ فمسرحية "البخيل"، مثلا، التي تعد أول عمل مسرحي في الأدب العربي الحديث هي الترجمة العربية المعدلة أو المنقحة للمسرحية الكوميدية الفرنسية لموليير كما تأنف الذكر. وأما الأعمال المسرحية المقتبسة فظهر لها محمد عثمان يوسف جلال الكاتب والشاعر والمترجم المصري القدير. ولد عام 1828م وتوفي عام 1889م. هو من كبار المقتبسين والمترجمين المحنكين والموهوبين من الأدب المسرحي الفرنسي. وإنه إلى جانب الأعمال المسرحية كاتب أدب الأطفال شعرا ونثرا أيضا. وأما أعماله المسرحية فهي تتراوح بين المترجمة والمقتبسة والأصيلة، من أجدرها بالذكر: مدرسة الأزواج،

ومدرسة النساء، وعطار الملوك، والأربع روايات في نخب التيارات، والروايات المفيدة في علم التراجيدة، ومسرحية الشيخ متلوف، والأماني والمنة في حديث قبول وورود جنة، ورواية المخدمين، وأرجوزة في تاريخ مصر، والحزين، والنساء العالمات.

ومن كبار المترجمين المسرحيين من الأدب الفرنسي الكاتب اللبناني نجيب الحداد (1867-1899م). لم يعش نجيب طويلا، ولكنه ترك أعمالا مسرحية مترجمة في مطلع التاريخ المسرحي العربي. ترجم بعض أعمال هرناني، وفولتير. ثم شاعت فيما بين الكتاب العرب كتابة المسرحيات العربية الأصيلة، وقل الاقتباس والترجمة وندر، وظهرت المسرحيات العربية فيمابعد تحت أنماط مسرحية مختلفة، منها: المسرحيات التاريخية، والميلودراما، والفارس، والدراما، والتراجيديا، والكوميديا، والمسرحيات السياسية، والمسرحيات الرمزية، وغيرها من الأنماط المسرحية الأخرى.

13.3.2 كبار المسرحيين العرب:

وجدت المسرحيةُ العربيةُ في لبنان ومصر أيها الطلبة! مكانا رحبا للنمو والتطور والازدهار، ولمع على سمائها كبار المسرحيين العرب، يمكن تقسيمهم إلى قسمين؛ الممثلون المسرحيون والكتاب المسرحيون.

سليم النقاش، هو ابن أخ مارون النقاش، أديب موهوب وكاتب محنك، ومسرحي ضليع، فتح عينيه في بيئة يغمرها النشاط المسرحي، والعرض التمثيلي، والعمل الدرامي. وهو مطبوع بالطابع المسرحي القح الأصيل. لقد اضطر إلى مغادرة وطنه بيروت من أجل الظروف السياسية الحرجة فتوجه إلى مصر، ونزل في الإسكندرية، ومعه مجموعة ماخلف مارون من الأعمال المسرحية، إضافة إلى الأعمال المسرحية المترجمة لسليم نفسه. فكوَّن هناك فرقة تمثيلية، وعرض هذه المسرحيات كلها على المسارح. ومن المسرحيات العربية التي تم تمثيلها على المسرح بها: عائدة الحسود السليط، و صنع الجميل. ثم غادرها إلى القاهرة للضيق المالي، وواصل بها التمثيل. فقدم بادئ بدء مسرحية "الظلوم" عام 1878م، التي كانت تصور معاناة الشعب المصري، فعاداه الحاكم المصري إسماعيل باشا من أجل هذه المسرحية عداء بينا. فلم تسغ له هذه البيئة القاهرية أيضا.

وخلال هذه الفترة لمع على سماء المسرحية المصرية فنان عربي يهودي الديانة عظيم، اسمه يعقوب روفائيل صنوع، الذي اشتهر أيضا باسم جيمس سانووا، ولقبه الخديوي إسماعيل بـ"موليير مصر"، لتفوقه في المسرحية، وحنكته، وتضلعه من هذا الفن. يعقوب صنوع أحد رواد المسرح العربي المصري، إضافة إلى بروزه في الصحافة والتحليل السياسي. وهو مثقف بالثقافات العلمية والمعرفية والأدبية الواسعة. يملك ناصية البيان في العربية والفرنسية كلتيهما. وزد على ذلك موهبته الشعرية في هاتين اللغتين العظيمتين. وله الدور الممتاز في تأسيس المسرح المصري، الذي أثر تأثيرا بليغا وعميقا في تهذيب الذوق الفني للشعب المصري. ومن أهم مسرحياته التي تم تمثيلها على المسارح المصرية، ونالت إعجاب الشعب، مطبوعة بالطوابع الاجتماعية، والسياسية، والتربوية هي: "موليير مصر وما يقاسيه"، و"البنت العصرية "و"الضرتين" و "غندورة مصر" وبورصة مصر"، و "العليل" و "أبو ريدة البربرى ومعشوقته كعب الخير"، و "الصداقة"، و "الأميرة الإسكندرانية"، و"مدرسة النساء"، و "البخيل"، و"مقالب سكابان"، و "الأولاد بيسوقوا الشيطنة، والبنات بتسوق عليه الدلاعة"، و"حكم قراقوش"، و"الدخاخني"، و"سلطان الكنوز"، و"شيخ الحارة"، و"الوطن والحرية"، و"زمزم المسكينة"، و"شيخ البلد"، و"الجهادية"، و"القرداتي"، و"آنسة

على الموضة". و مسرحياته هذه مابين المترجمة والمقتبسة والأصيلة. كان يعقوب لتفوقه في العمل الدرامي مقربا لدى إسماعيل باشا، فقام بتمثيل مسرحية "عائدة" للكاتب الإيطالي جوزيبي فيردي بمناسبة تدشين وافتتاح قناة السويس بإيماء من باشا عينه، مع الفرقة المكوَّنة من الممثلين الفرنسيين والإيطاليين. ولقصة هذه المسرحية وثيق الصلة بالتاريخ المصري القديم العائد إلى العصر الفرعوني، وهي تتمحور حول الصراع بين الوطنية والغرام الشخصي بالعشيقة.

وليعقوب صنوع دور قوي وأساسي في التطور المسرحي في العصر الحديث. وأما القضايا التي عالجها في خضم أعمالها المسرحية والتمثيلية هي اجتماعية شعبية إلى جانب القضايا السياسية والوطنية. ولكنه عندما عرض مسرحية "الوطن والحرية" وقع نضال شديد بينه وبين الخديوي إسماعيل، ما أدى إلى أن غادر يعقوب مصر إلى باريس بفرنسا، ولفظ أنفاسه الأخيرة هناك عام 1912م.

أما المسرحية الغنائية فقام أبو خليل القباني (1833-1903م) الدمشقي الأصل ومصري المواطنة بجولات وصولات فيها. وعرض عدة تمثيليات في مسرح قهوة الدانوب المعروفة بقهوة سليمان بك. كان القباني كاتبا ذا صيت عظيم في مصر إلى جانب فحولته الشعرية. يملك قدرة فائقة في العرض المسرحي والكتابة المسرحية أيضا. قدم مصر عام 1848م، فرحب به وبفرقته المسرحية الشعب المصري بحفاوة، وسعة. وأعلنت له جريدة الأهرام. فإنه قدم أولا مسرحية "أنس الجليس" التي انجذبت لها أسماع المشاهدين، والقصة التي دارت حولها المسرحية مستوحاة من قصص ألف ليلة وليلة، متسمة بالفكاهة والهزل والرومانسية. ثم عرض مسرحيات: نفح الربا، وناكر الجميل، والخل الوفي، والأمير محمود وزهر الرياض، ومترايدات وعائدة، ومجنون ليلى، وديك الجن، وعاقبة الصيانة وغائلة الخيانة، وغيرها من المسرحيات.

أبو خليل القباني بطبيعته منكت ومفكه ومضحك هزلي ومطرب ومنشد معا. لقد التذت أسماع المشاهدين بتمثيلياته، واستمتعت بها القلوب والأفئدة والمشاعر، فإن ذوقه يلائم أذواق العرب في الفكاهة والهزلية.

والمسرحي اللبناني-المصري أيها الطلبة الأعزة! الذي تلألأ اسمه خلال أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين الميلادي ليس هو إلا الممثل والفنان المسرحي والسينمائي العظيم جورج أبيض (1880-1959م) . ولد في بيروت، ولكن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية هي التي أرغمته على مغادرة وطنه إلى مصر، ولم يبلغ وقتذاك إلا الثامنة عشرة من عمره. لقد نشط أبيض في العمل المسرحي والعرض السينمائي في مصر، والفضل في تقديم أول فيلم غنائي مصري يعود إليه. ثم أوفده الخديوي عباس إلى باريس لمواصلة تحصيل الثقافة المسرحية الفرنسية والفنون الدرامية لتفوقه الباهر والمبهر، الذي كان أعجب به الخديوي إبان تمثيل مسرحية "برج النيل"، وذلك عام 1904م. أقام أبيض في باريس حتى عام 1910م. وعندما عاد من هناك عاد ومعه فرقة مسرحية مكوَّنة من الممثلين الفرنسيين باسم فرقة جورج أبيض، والتي قدمت العديد من المسرحيات باللغة الفرنسية. له اليد الطولى والتضلع من هذا الفن الدرامي، ما أثمر بإعداد وتقديم ما يبلغ 130 مسرحية مابين المترجمة والمقتبسة والأصيلة في غضون 20 عاما. ومن أشهر مسرحياته التي وجدت مكانا رحبا في التاريخ الأدبي المسرحي هي: أوديب الملك، ولويس الحادي عشر، وعطيل، وتاجر البندقية، وترويض النمرة، وعدو الشعب، وشارل السادس، وتيمور لتلك الساحرة، والعشرة الأولى، والشعلة، والعرائس، وصلاح الدين وملكة أورشليم، وأبطال

المنصورة، والحاكم بأمر الله، والهوارى، وحور محب، وعاصفة على بيت وسفينة نوح، والبدوية.

وخلال هذه الفترة نجد جمعية مسرحية، أيها الطلبة! باسم "جمعية أنصار التمثيل والسينما" التي تم تأسيسها عام 1913م، والفضل في تأسيسها وترويجها يعود إلى جورج أبيض برفقة الشيخ سلامة حجازي وأولاد عكاشة، ومع مشاركات محمد تيمور، وسليمان نجيب، وعبد الرحمن رشدي، ومصطفى غزلان وغيرهم. وهذه الجمعية كانت عبارة عن فرق تمثيلية مسرحية احترافية، تتناول القضايا الاجتماعية، والسياسية، والتربوية السائدة في مصر. والمسرحية المصرية التي نالت الشعبية وإعجاب أعيان البلد بجهود هذه الجمعية هي مسرحية "الراهب المتنكر"، التي تم عرضها في دار الأوبرا المصرية بالقاهرة مرات وكرات وذلك عام 1916م. لقد نشطت هذه الجمعية لفترة ثم تشتت شملها، وتمزق جمعها، فلم يبق لها أثر بعد حين. ثم اجتذبت المسرحية الكوميدية المعنونة بـ "العصفور في القفص" لمحمد تيمور أسماع الناس، وأفئدتهم في عام 1918م، التي عرضت في مسرح بريطانيا.

والمسرحيون الممثلون الآخرون الذين تركوا أثرا قويا في العمل الدرامي، على رأسهم: إلياس إلياس، وآسيا داغر، وأنطوان معلوف، وأنطوان ملتقى، وإدوار أمين البستاني، وثيو دورا راسي، وجان ماري مشاقة، وجوزيف طراب، وحسن علاؤ الدين، ومن كبارهم أيضا شوشو الذي له أعمال مسرحية كثيرة وجدت مكانا كبيرا في السينما، والتلفزيون، والدراما، والإذاعة كذلك.

ثم ظهر في البلدان العربية المختلفة المسرحيون الذين عنوا عناية جادة بهذا الجنس الأدبي. لقد ظهر في مصر أحمد شوقي الذي في الحقيقة له شهرة فائقة في الشعر العربي الحديث ولقب بـ"أمير الشعراء"، ولكنه إلى جانب ذلك، خلف العديد من الأعمال المسرحية ذات القيمة الأدبية والفنية والفكرية البارزة. ومسرحياته تتسم بالجوانب التاريخية، والاجتماعية، والخلقية، وهي من نوع المسرحيات الغنائية. ومن أشهر ما خلفه شوقي من أعمال مسرحية بارزة هي: مصرع كليو باترا، و مجنون ليلى، وقمبيز، وعلي بك الكبير، وأميرة الأندلس، و عنترة، والست هدى، و البخيلة، و شريعة الغاب.

كما ظهر على سماء المسرحية العربية، توفيق الحكيم، وميخائيل نعيمة، (يمكن التعرف على حياتهما وجهودهما المسرحية في الوحدة رقم: 15 من كتابكم هذا أيها الطبلة الأعزة!). وعبد الرحمن الشرقاوي، وعادل إمام، ومحمد صبحي، وسمير غانم، والأديب يوسف إدريس، وعلي أحمد باكثير، وسعد الله ونوس، ويوسف وهبي، وصلاح عبد الصبور، ونجيب الريحاني، وعزيز أباظة، والطيب الصديقي.

13.3.3:أشهر المسرحيات العربية:

سوف تجدون هنا أيها الطلبة الأعزة! أسماء العديد من المسرحيات العربية لكبار الكتاب العرب، والتي عن طريقها سوف تكونون بعد إكمال هذا الدرس قد اطلعتم على قائمة كبيرة من هذا الجنس الأدبي:

مسرحية أهل الكهف لتوفيق الحكيم، سوف تقرؤون عنها في وحدة مستقلة، والآباء والبنون لميخائيل نعمية، وسوف تقرؤون عنها أيضا في وحدة مستقلة. وأما أسماء المسرحيات الأخرى أيها الطلبة! فهي، أولا للأديب يوسف إدريس: ملك القطن، واللحظة الحرجة، والمهزلة الأرضية، والجنس الثالث. وللأديب صلاح عبد الصبور: الأميرة تنتظر، ومأساة الحلاج، ومسافر ليل. وللأديب علي أحمد باكثير: السلسلة والغفران، وليلة النهر، والتوراة الضائعة،

وإمبراطورية في المزاد، وعودة الفردوس، ومأساة زينب، وهاروت وماروت، وروميو وجوليت، وملحمة عمر، وحرب البسوس. وللأديب نجيب الريحاني: الجنيه المصري، والدنيا لما تضحك، وحكم قراقوش، وقسمتي، ودلوعة، إلا خمسة. وللأديب عزيز أباظة: قيس ولبنى، والعباسة، والناصر، وشجرة الدر، وغروب الأندلس، وشهريار، وأوراق الخريف، وقيصر.

هذه أسماء بعض المسرحيات العربية لقد ذكرت لكم هنا أيها الطلبة! لكي تستطيعوا قراءتها والاستفادة منها في المستقبل.

13.4 عناصر المسرحية/ المسرح:

أيها الطلبة الأعزة! توزع لكم عناصر المسرحية إلى قسمين: القسم الأول عناصر المسرحية المسطورة في شكل كتاب. والقسم الثاني عناصر المسرحية المعروضة والممثلة على المسرح أو الخشبة أو المنصة. تتمركز المسرحية المسطورة في شكل كتاب على أربعة عناصر، وهي:

1- الحبكة: ماهي الحبكة؟ أيها الطلبة! وما لها من دور وأهمية وقيمة أدبية في المسرحية أو المسرح؟ لابد من التعرف عليها للتوصل إلى نتيجة معينة ومطلوبة للنص المسرحي. فالحبكة هي التكوين التنظيمي أو الهندسة التنظيمية المحددة لأحداث المسرحية التي تطرأ بها التحولات والتغيرات الحوارية للإثارة الانفعالية والفكرية المؤثرة في عقل السامع والمشاهد والقارئ. والحبكة الناجحة تقتضي تنظيما علميا ودقيقا للأحداث. ولايكفي فيها التنظيم المنطقي المسلسل للأحداث بل لابد من أن تكون أجزاؤها وفروعها مرتبة على طريقة تجذب القارئ، وتؤثر في شعوره، وذوقه أقوى التأثير، لكي يتمتع بها، وينتفع بما فيها من دروس. والأحداث في المسرحية الناجحة تتطور وتخطو إلى النهاية بخطوات يرغب فيها القارئ أو المشاهد. والحبكة على حد تعبير أرسطو هي "حياة المأساة وروحها". والحبكة هي التي تخدم الحكاية والفعل والعقدة في المسرح. وهي تتكون من مقدمة وعقدة وحل؛ فالمقدمة هي بداية المسرحية التي تجذب القارئ أو المشاهد إلى الصعود وصولا إلى القمة التي هي العقدة والذروة الدرامية، ومن هنا تهبط المسرحية إلى الحل والنهاية. والحبكة هي العنصر الرئيسي في المسرحية، التي من دونها لاوجود للمسرحية.

2- الشخصيات: والشخصيات عبارة عن الأدوار البشرية التي يختارها المؤلف للأداء المسرحي؛ ويمكن القول إن المؤلف يتمكن عن طريق الشخصيات من إبلاغ فكرة المسرحية إلى المشاهد أو القارئ أو السامع. والشخصيات إما تكون رئيسية أو ثانوية. وقصة المسرحية كلها هي في الحقيقة قصة شخصيات المسرحية. ونجاح المسرحية رهين ببراعة شخصياتها في الحوارات والمكالمات، تعبيرا عن الفكرة، والحبكة. والشخصيات هي المرآة الصافية التي تنعكس عليها حبكة المسرحية. فصفاء هذه المرآة في تعكيس القصة وتصويرها هو النجاح الحقيقي للمسرحية.

3- الحوار: والحوار هو الوسيلة الفنية والأدبية للتخاطب والتفاهم والتبادل فيما بين شخصيات المسرحية، والحوار هو الذي ينهض بحبكة المسرحية وقصتها وموضوعها إلى الأمام. وهو الوسيط الرئيسي الذي يؤدي دوره في تطوير الأحداث، وتسلسلها، وتصعدها من نقطة إلى أخرى. والحوار أساسيا ضربان: الحوار الداخلي والحوار الخارجي. الحوار الخارجي عبارة عن المكالمة على لسان شخصيات المسرحية بطريقة تستطيع بها أن

تسمع الشخصيات كلام بعضها البعض، وأحيانا يكون هذا الحوار ثنائيا فتستطيع فيه أن تسمع شخصية كلام شخصية أخرى. وأما الحوار الداخلي فهو ثلاثة أنواع: الحوار الأحادي، والحوار الجانبي، والحوار الموجه للجمهور. الحوار الأحادي هو المناجاة التي تلقيها شخصية واحدة. وهدف هذا الحوار اكتشاف ما هو مكنون في دواخل الشخصية للجمهور. ولايريد الكاتب أن يطلعه على الشخصيات الأخرى للمسرحية. والحوار الجانبي، هو حوار الشخصية إلى الجمهور مباشرة من دون أن تسمعه الشخصيات الأخرى للمسرحية. ولابد من تواجد شخصيات أخرى من دون أن تسمعها. أما الحوار الموجه للجمهور فهو حوار مع الجمهور وإلى الجمهور بانتظار الإجابة منهم، ولا يجب في هذا النوع من الحوار أن توجد هناك شخصية أو شخصيات أخرى مع الشخصية المتحدثة. وللغة أثر قوي في جعل الحوار مؤثرا وممتعا وشيقا، ونجاح المسرحية في أن يكون كل حوار على لغة تناسب الشخصية وتلائمها في الحبكة وفق ثقافتها وخلفيتها. فنجد في مسرحية الآباء والبنون، استخدم ميخائيل اللغة الدارجة للشخصيات غير المثقفة للتعبير الدقيق والبليغ على ألسنتها هي، واستخدم للمثقفين اللغة الفصحى وهي اللغة الملائمة والمناسبة لها.

4- الفكرة: لكل مسرحية موضوع، ومحور أساسي، وهدف معين. وكل مسرحية تدور حول قضية من القضايا سواءً أكانت اجتماعية، أم سياسية، أم تاريخية تراثية، أم دينية، أم هزلية وفكاهية. فالمحور الرئيس الذي تدور حوله المسرحية هو الفكرة. والمؤلف بحنكته الكتابية والقصصية والبيانية يتمكن من تعميق الفكرة وتأصيلها في ذهن القارئ والمشاهد أو السامع عن طريق المكالمات والتطورات المسرحية.

أما عناصر المسرحية المعروضة والممثلة على المسرح أو الخشبة أو المنصة فهي باختصار من دون التعرض لتفاصيلها على النحو المذكور فيمايلي: الإخراج المسرحي، والديكور المسرحي، ويتكون الديكور المسرحي من الجزء الخاص بالجمهور، والجزء الخاص بالتمثيل، والجزء الخاص بالممثلين. والقوس المسرحي، وخشبة المسرح. بعد الديكور، الستائر، وعمود الإضاءة، ومكان العازفين، والملابس المسرحية والماكياج. ثم التمثيل المسرحي، والموسيقى المسرحية، والإضاءة المسرحية.

والفنون المسرحية هي: الأوبرا، والأوبرا متكونة من الآريا، والإلقاء المنغم، والأوبرا الجادة، والأوبرا الكبرى، الأوبرا الهزلية. ثم الأوبريت، ومسرح العرائس، والبالية.

أما المذاهب أو النظريات الأدبية التي تتسم بها المسرحيات فهي باختصار من دون التعرض لتفاصيلها أيها الطلبة! المذهب الكلاسيكي، والمذهب الكلاسيكي الحديث، والمذهب الرومانسي، والمذهب الطبيعي، والمذهب الواقعي.

نشاطات الوحدة:

1- اكتب ملخصا وجيزا لنشأة المسرحية العربية في عباراتك وكلماتك.
2- اختر مسرحية عربية من المسرحيات المذكورة أسماؤها في الدرس، وترجم منها خمس صفحات إلى لغتك الأم أو اللغة الإنجليزية في أسلوب رائع.
3- أعدَّ قائمة من التعبيرات الجميلة والاستعمالات الأخاذة من هذه الوحدة.
4- حاول أن تكتب فقرة على أسلوب جميل في اللغة العربية.

5- دون رأيك عن عناصر المسرحية .

13.5 أسئلة الاختبار النموذجية

13.5.1 أسئلة موضوعية:

1- أول مسرحية عربية متكاملة هي:

(a) البخيل. (b) في القطار. (c) الأرواح المتمردة. (d) العبرات.

2- أبو الحسن المغفل أو هارون الرشيد مسرحية عربية مستلهمة من قصة مشهورة في تاريخ الأدب العربي وهي:

(a) قصة ألف ليلة وليلة. (b) قصة أهل الكهف. (c) قصة هاروت وماروت. (d) لا شيء مما سبق

3- المسرحية معناها في الإنكليزية:

(a) The cave (b) The drama (c) The river (d) The Dark

4- مارون النقاش كان من :

(a) مصر. (b) الجزائر . (c) لبنان. (d) روسيا.

5- مسرحية البخيل مسرحية مترجمة أو شبه مترجمة، كان كاتبها الأصلي في الفرنسية هو:

(a) شكسبير. (b) نعوم تشومسكي. (c) موليير. (d) جورج أورويل.

6- أديب مصري اشتهر كثيرا لشعره العربي، ولكنه كتب مسرحيات عربية ذات قيمة أدبية بارزة، وهو :

(a) توفيق الحكيم. (b) نجيب محفوظ. (c)أحمد شوقي. (d) ميخائيل نعيمة.

7- كليو باترا، مسرحية عربية ألفها :

(a) يوسف إدريس. (b) صلاح عبد الصبور. (c)أحمد شوقي. (d)يوسف السباعي.

8- مسرحية ملحمة عمر، ألفها:

(a) علي أحمد باكثير. (b)توفيق الحكيم. (c)أبو خليل القباني. (d) شبلي النعماني.

9- المسرحية هي:

(a) جنس أدبي (b) مسألة فقهية(c) باب من أبواب المنطق (d) اسم لأمة من الأمم الهندية

10- الحبكة، مفهومها في المسرحية:

(a) ما ترويه الشخصيات على المسرح. (b) فكرة المسرحية. (c) شخصيات المسرحية. (d) لغة المسرحية.

13.5.2 أسئلة الإجابة القصيرة:

1- ماذا تعرف عن خيال الظل؟ دون بإقناع.

2- كيف تميز بين المسرح والمسرحية؟

3- ماهي عناصر المسرحية؟

4- ماهي أدوار الشخصيات في المسرحية؟

5- ما هي أهمية الحوار في المسرحية؟

13.5.3 الأسئلة الإجابة الطويلة

1- اكتب مقالة حول عناصر المسرحية العربية.

2- اكتب عن كبار المسرحيين العرب.

3- اكتب أسماء 15 من المسرحيات العربية مع أسماء مؤلفيها.

13.6 نتائج التعلم

بعدما أكملنا هذا الدرس توصلنا إلى مجموعة من نتائج التعلم التي تتمحور حول مايلي:

- تعلمنا أن العروض التمثيلية ليست شيئا جديدا بالنسبة إلى الأمة العربية، ولكن المسرحية في شكلها المتطور الحالي وردت إلى الأدب العربي الحديث من الأدب الأوروبي.
- نجد في العصر العباسي شكلا من أشكال المسرحية يقال له: "خيال الظل" ، والفنان الذي صقل هذا الشكل، وطوره، وألف على نمطه بابات أو مسرحيات، هو ابن دانيال، الذي لايمكن التعامي عن ذكره في تاريخ المسرحية العربية.
- إن الشكل المسرحي الموجود في العصر العباسي كان عربيا أصيلا، ولم يكن مستوردا من أدب آخر. ومن المسرحيات التي احتفظت بها المكتبات العربية لابن دانيال هي: طيف الخيال، وعجيب غريب، والمتيم والضائع اليتيم.
- الأديب العربي الذي يعود الفضل إليه لوضع اللبنة الأولى للمسرحية العربية في الأدب العربي الحديث ألا وهو "مارون النقاش"، الذي عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، كان من لبنان، واستفاد من الآداب الأوربية في إيطاليا، وعرض مسرحية مترجمة بالعربية من الفرنسية بتعديلات لازمة بعنوان البخيل، ثم ألف العديد من المسرحيات العربية الأخرى.
- ومن رواد المسرحيين في الأدب العربي الحديث الذين لهم جولات وصولات وأدوار بارزة وممتازة في هذا المجال، أجدرهم بالذكر: يعقوب صنوع، عثمان جلال، سليم النقاش، جورج أبيض، وتوفيق الحكيم، وأحمد شوقي، ويوسف إدريس، وعلي أحمد باكثير، وأبو خليل القباني، وشوشو اللبناني، وميخائيل نعمية. فإنهم القادة والأئمة لهذا الفن. ولهم إسهامات عظيمة في تطوير الأدب العربي الحديث مع أجناس أدبية أخرى مختلفة.
- وهذا الدرس متمركز على المسرحية العربية، ونشأتها، وتطورها، فقد تعلمنا من خلاله ماهي المسرحية؟ وما الفرق بين المسرحية والمسرح؟ وماهي عناصرها؟ وكيف يتميز نص المسرحية في طبيعتها الحوارية عن نصوص الأجناس الأدبية الأخرى.

وبالجملة لقد اطلعنا عن طريق هذا الدرس على المسرحية العربية، وجهودها البدائية، وعلى رواد المسرحيين العرب، وأشهر المسرحيات العربية، وعلى هذا، يمكننا اختيار المسرحيات العربية موضوع تخصصنا في المراحل الدراسية العليا، والمرحلة البحثية أيضا.

13.7 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1- د. علي الراعي: المسرح في الوطن العربي، (عالم المعرفة) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م.
2- أحمد أمين: فيض الخاطر، الجزء التاسع، مؤسسة هنداوي، مصر، عام 2012م.
3- عبد الشافي الشوري، التراث القصصي عند العرب، مكتبة شباب، مصر، 1991م.
4- سيد علي إسماعيل: تاريخ المسرح في العالم العربي، القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2016م.
5- د. كريم فاروق الخولي، مسرحيات عربية، أنقرة، 2019م.
6- مجمع اللغة العربية، القاهرة: المعجم الوسيط، كتب خانه حسينيه، ديوبند، 2000م.
7- توفيق الحكيم: شهر زاد، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاؤه. سنة الطباعة غير مذكورة.
8- الدكتور سيد علي إسماعيل: جهود القباني المسرحية في مصر، مؤسسة هنداوي، مصر، عام 2017م.

الوحدة: 14

"أهل الكهف"

عناصر الوحدة

14.0 التمهيد

14.1 أهداف الوحدة

14.2 نماذج اقتباسات من نص مسرحية "أهل الكهف"

14.3 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة الصعبة في النص

14.4 تحليل النص

14.4.1 التعريف بمسرحية أهل الكهف

14.4.2 شخصيات مسرحية أهل الكهف

14.4.3 البناء المسرحي

14.4.4 أحداث المسرحية وخلاصتها

14.5 ميزات النص

14.6 نشاطات الوحدة

14.7 نتائج التعلم

14.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

14.9 أسئلة الاختبار النموذجية

14.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

14.0 التمهيد

إن الدرس الذي نقرأه الآن في هذه الوحدة أيها الطلبة الأعزة! هو يدور حول المسرحية المعروفة في الأدب العربي الحديث ألا وهي: "أهل الكهف" وذلك لتوفيق الحكيم، وهذه المسرحية من أهم المسرحيات العربية في الأدب العربي الحديث، فإن لها–كما سوف تتعلمون من خلالها-أهمية أدبية ودينية وتاريخية ووثائقية وفكرية كبرى لا في مسيرة المسرحيات العربية فحسب، بل في مسيرة المسرحيات في اللغات والآداب العالمية الأخرى أيضا.

والعوامل الرئيسية التي من أجلها تحتل هذه المسرحية المكانة الأدبية والتاريخية العظيمة يمكن حصرها حول النقاط الآتي ذكرها:

- أن نصها مستلهم من نصوص دينية سماوية تتعلق بالإسلام وبالديانة المسيحية كذلك، فلها المكانة والأهمية في الأوساط الدينية الإسلامية والمسيحية.
- أنها من مؤلفات مسرحي عربي يعد من رواد المسرحيين العرب الذين ترجمت أعمالهم بلغات عالمية أخرى، ألا وهو الكاتب والأديب والروائي والمسرحي المصري العملاق توفيق الحكيم، الذي كان من مواليد مصر، وعاش حياة حافلة بالمعرفة والأدب والفكر وبالإنتاج العلمي الغزير الذي قلما يوجد له نظير. فسوف تقرؤون عن حياته العلمية والأدبية والتأليفية في وحدة مستقلة في الكتاب فلا داعي لإطالة الكلام عنه هنا في هذه الوحدة.
- أن هذه المسرحية ليست كسائر المسرحيات العربية في المادة والموضوع واللغة والمحتوى والمضمون، فإنها من المسرحيات العربية التي–كما سوف تتعلمون قريبا- تمثل تيارا مسرحيا جديدا، وهو تيار "المسرح الذهني". وما هو تيار المسرح الذهني؟ وما هو وصفه؟ وماهي مميزاته؟ سوف تتعلمون عن كل ذلك، أيها الطلبة! خلال ذكر تحليل النص لمسرحية أهل الكهف ومميزاتها - إن شاء الله-.

14.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى مجموعة من الغايات أهمها ما يلي:

- قراءة نماذج مقتبسة من نصوص مسرحية أهل الكهف.
- الاطلاع على مسرحية أهل الكهف، وتأليفها، وعناصرها، وحبكتها.
- تلقي اللغة العربية والأدب العربي عن طريق النصوص العربية لمسرحية أهل الكهف.
- التعرف على ميزات فنية وأدبية لمسرحية أهل الكهف، إضافة إلى المرور بمحطات أحداث المسرحية.
- الاطلاع على الخصائص الفنية الكتابية لتوفيق الحكيم المتمثلة في نص أهل الكهف.

14.2 نماذج اقتباسات من نص مسرحية "أهل الكهف"

تشتمل مسرحية أهل الكهف أيها الطلبة! على أربعة فصول مختلفة، وكل فصل من هذه الفصول يشهد

ويمثل منظرا من مناظر قصة أهل الكهف، فقد قُدِّمت إليكم هنا في هذا النموذج اقتباسات مختلفة وموجزة من كل فصل من هذه الفصول الأربعة للمسرحية، لكي تستطيعوا التعلم عن محتواها ومضامينها باختصار، ولكي تتمكنوا من التركيز على النص الذي هو داخل في مقرراتكم الدراسية بإتقان وخبرة ودقة وتفصيل: فها هوذا النموذج لاقتباسات مسرحية "أهل الكهف":

نص من بداية الفصل الأول:

مشلينيا	:	(وهو أحد الرجلين) يا مرنوش!
مرنوش	:	استيقظتَ؟ ماذا تريد مني؟
مشلينيا	:	أين أنت؟ أسمع صوتك المتبرم ولا أراك. آه ! ظهري يؤلمني.
مرنوش	:	دعني، أنا أيضا ضلوعي توجعني، كأنما نمت عليها عاما.
مشلينيا	:	أين الراعي؟ أين ثالثنا الراعي؟
مرنوش	:	أتبين شبح كلبه هنا باسطا ذراعيه.
مشلينيا	:	ألا ترى هذا الراعي يتجنب قربنا، أين هو؟
مرنوش	:	لعله بباب الكهف يرقب طلوع النهار، شأن الرعاة.
مشلينيا	:	(يتمطى) آه ! ظهري يؤلمني ! كم لبثنا يامرنوش ؟
مرنوش	:	أف ! إنك تحرج صدري بأسئلتك !
مشلينيا	:	أنا كذلك لو تعلم ضيق الصدر مثلك! مرنوش !كم لبثنا ها هنا؟
مرنوش	:	يوماً أو بعض يومٍ.
مشلينيا	:	من أدراك؟
مرنوش	:	وهل ننام أكثر من هذا القدر.
مشلينيا	:	صدقت (صمت) ، (وفجأة يقول وهو نافذ الصبر) أريد الخروج من هذا المكان.
مرنوش	:	ويحك! إلى أين؟
مشلينيا	:	أو تريدني على المبيت هنا ليلة أخرى؟
مرنوش	:	ليلتين أو ثلاثاً، حتى نأمن على حياتنا من دقيانوس.
مشلينيا	:	(صائحا متذمرا) لا أستطيع، لا أستطيع.
مرنوش	:	ولم أستطع أنا، وأنا وليُّ امرأة وولد أعزهما، وأعبدهما؟
مشلينيا	:	أنت تستبقي حياتك من أجلهما.
مرنوش	:	وأنت؟ ألا تريد أن تستبقي حياتك من أجل.....

نموذج من بداية الفصل الثاني:

الأميرة	:	(متسائلة) أين مؤدبي غالياس؟ لم أره هذا النهار. (يبدو المؤدب غالياس مقبلا على عجل وهو شيخ طاعن في السن أبيض الشعر،

		وتنصرف عندئذ الوصائف، وتبقى الأميرة ومؤدبها)
غالياس	:	(وهو يلهث) ها أنذا أيتها الأميرة!
الأميرة	:	عجبا! مالك تلهث والعرق يتصبب من جبينك!
غالياس	:	كنت بالمدينة يا مولاتي، ولو لم أذكرك الساعة لما جئت ركضا.
الأميرة	:	ماذا بالمدينة؟ أبي كذلك كان يطلبك الساعة في اهتمام غريب.
غالياس	:	(يتحرك بسرعة) الملك يطلبني؟
الأميرة	:	(متوقفة) انتظر! أترى ما يبدي؟ كتاب الأحلام، إني رأيت الليلة حلما عجيبا يا غالياس؟
غالياس	:	خيرا يا مولاتي؟
الأميرة	:	رأيت كأني دُفنت حيةً.
غالياس	:	(مفكرا لحظة) يا إلهي ! أيمكن أن يكون صلة بما شاع اليوم في المدينة؟
الأميرة	:	ماذا شاع بالمدينة؟
غالياس	:	أن كنزا من عهد دقيانوس مدفون في كهف بوادي الرقيم.
الأميرة	:	(مستذكرة) دقيانوس؟!
غالياس	:	نعم دقيانوس صاحب عصر الشهداء. ألم أحدثك بخبره فيما حدثتك من قديم التواريخ؟
الأميرة	:	أليس هو أب تلك الأميرة التي سميت باسمها؟
غالياس	:	ها أنتِ ذي قد ذكرتِ يا مولاتي. نعم هي ابنته....تلك الأميرة القديسة التي تنبأ لك العراف ساعة ميلادك بأنك ستشبهينها خَلقاً وإيماناً.
الأميرة	:	أو ترى هذا العراف قد صدق؟ أو تراني أشبهها حقيقة ؟ إني لا أكاد أعرف شيئا يا غالياس. وأنت لاتريد أن تطلعني على تاريخها. ما أقساك ! إنك لاتحس مبلغ رغبتي في معرفة تلك التي يزعمون أني أشبهها....!

نص من بداية الفصل الثالث

مشلينيا	:	(يهرع نحو غالياس في اهتمام) ما وراءك؟
(غالياس يطرق في خشوع) أين الأميرة؟		
غالياس	:	(في تردد ورعدة) أيها القديس؟
مشلينيا	:	أو لم تخبرها بما قلت لك؟
غالياس	:	نعم.....نعم.....
مشلينيا	:	وبماذا أجابت؟
غالياس	:	لاشيء.... أيها القديس!

مشلينيا	:	لاشيء؟! ألم تقل لها إني أطلب رؤيتها منذ البارحة ولا أجد إليها سبيلا، وإنه لابد لي من رؤيتها الليلة مهما يكن من أمر!
غالياس	:	أيها القديس!
مشلينيا	:	(في سأم وضيق) دعني من ((أيها القديس)) أخبرني أنت ماذا قلت. أخبرني بالله. تكلم.
غالياس	:	(مطرقا في خشية) أيها القديس!
مشلينيا	:	(ضيق ذرعاً) قلت لك دعني من هذا القديس، لاتنادني به بعد الآن، أتوسل إليك. إني لست قديسا.....أ فاهم...؟
غالياس	:	(مطرقا في خوف) نعم.... أيها القديس.
مشلينيا	:	(يتفرس فيه) عجباً ! إن هذا الرجل أحمق ولا شك. ماذا تصنع أنت في القصر ؟ (غالياس لايحير جواباً) أجب ماذا تصنع هنا ؟
غالياس	:	مؤدب الأميرة....
مشلينيا	:	مؤدب ؟ ومؤدب الأميرة؟! منذ متى ؟ إني لم أرك في القصر إلا أمس ؟!
غالياس	:	أيها القديس.... إني.....إني.....

نص من بداية الفصل الرابع:

مشلينيا	:	(في صوت ضعيف) مرنوش. ! (مرنوش لايجيب) ، يمليخا ! (يمليخا لايجيب) أحس الموت...(لايسمع جواباً-يسكت لحظةً) أين نحن يا مرنوش؟ نحن في الكهف.....ولم نغادر قط الكهف....كم لبثنا يا مرنوش.....؟ (لاجواب) يوماً أو بعض يوم؟ (ما من جواب)، يمليخا! أين الطعام الذي ذهبت لتأتي به؟ إني جائع... أصابني الهزال..... سأموت....(لاجواب) كلا...ليس الجوع يؤلمني بل هواء المكان، أكاد أختنق أكاد أختنق ها هنا...إنا رقدنا كثيرا ونمنا طويلاً. انهضا أيها البليدان! لقد رأيت أحلاماً مفزعةً...(لايجيبه أحد فينهض ويتلمس باحثاً عن مرنوش ثم يهزه بيده) مرنوش!...مرنوش....!
مرنوش	:	(في صوت ضعيف جدا) آه....من ....؟
مشلينيا	:	أنا مشلينيا..!
مرنوش	:	دع....دعني.....

14.3 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة الصعبة في النص

المفرد/ التعبير	المعنى	المعنى بالإنكليزية
ظهري يؤلمني	أصابني الألم والوجع في ظهري	I am suffering from backache

دعني	اتركني	Leave me
نمت عليها عاما	قضيت فيها عاما في النوم	I slept here a complete year
يرقب طلوع النهار	ينتظر أن يطلع الصبح	He is waiting for sun rise
كم لبثنا؟	كم قضينا فيه من مدة و وقت	How much we stayed?
إنك تحرج صدري	أنت تسبب في ضيق صدري	You are embarrassing me
أين مؤدبي غالياس؟	أين أستاذي غالياس؟	Where is my teacher Ghalyas
هو شيخ طاعن في السن	هو شيخ كبير السن	He is a very aged person
هو يلهث	يُخرِج لسانه ويتنفس سريعا	He is breathing quickly
العرق يتصبب من جبينك	يسيل العرق من جبهتك	Your forehead breaks into sweat
كتاب الأحلام	كتاب تعبير الرؤيا	Book of Dreams
كأني دُفِنتُ حيةً	كأن الناس دفنوني وأنا حية	As if I buried alive
يهرع نحو فلان	يذهب بسرعة إلى فلان	He rushed to some one
أخبرني أنت ماذا قلت؟	قل لي ماذا كنت قلت لي قبلُ	Tell me what did you say?
ضيق ذرعاً	أصابه اليأس والملل والتعب	He became embarrassed
يتحرك بسرعةٍ	يذهب إلى هنا وهناك على عجل	He moves fast
لم نغادر قط الكهف	لم نترك الكهف قط	We did never left the cave
أصابني الهزال	تعبت جدا	I am tired
تستبقي حياتك	تريد أن تكون حيا وباقيا أكثر	You want to be alive more
يتمطى	امتد وطال، تبختر	Be prolonged, to elongate
فَجْأَة	بغتة، من غير قصد	Suddenly
نافد الصبر	قليل الصبر	Impatient
صائحاً متذمراً	مصوّتا بشدة، متوجعا ومتبرما	Shoutingly and grumbly
بدا	ظهر	To seem, Appear
شبح	خيال وظِل	Ghost
يتخبط	يتعثر، يتحرك	Flounder, Wallow

14.4 تحليل النص

14.4.1 التعريف بمسرحية أهل الكهف

أيها الطلبة! إن هذه المسرحية العربية المعنونة بـ"أهل الكهف" لتوفيق الحكيم التي لقد قرأتم نماذج اقتباسات نصها الآن هي من المسرحيات العربية التي تعد من طلائع المسرحيات في الأدب العربي الحديث، صدرت هذه المسرحية للمرة الأولى عام 1933م، ثم صدرت لها طبعات متتالية، وترجمت إلى العديد من اللغات العالمية وعلى

رأسها الإنكليزية، والفرنسية، والإيطالية.

بيد أن هذه المسرحية تعتمد على قصة قرآنية حكاها الله تعالى تفريقا بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان به، استهلها المؤلف بآية قرآنية من سورة الكهف:

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوْا أَمَدًا﴾(الكهف: 11)

من لا يعرف قصة أهل الكهف؟ إنها، أيها الطلبة! كما تعلمون قصة للفتية الذين كانوا يؤمنون بالله تعالى، وبالرسالة التي جاء بها نبي الله عيسى عليه السلام، ولكنهم كانوا يخفون إيمانهم عن الملك الروماني الظالم الذي كان وثنيا مشركا يؤمن بالطاغوت، فبمجرد إيمانهم بالله وبإنكارهم الوثنية لقد استهدفهم الملك، وشن حربا ضدهم، وأعد للمؤمنين مذبحة لتعذيبهم شر العذاب. فلجأ هؤلاء الفتية المؤمنون إلى كهف خارج المدينة بالرقيم، وهؤلاء هم الفتية الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى، وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾(الكهف: 14-13)

وفي التالي سوف نتعلم عن الشخصيات التي يدور حولها هذه المسرحية، وما لها من دور فيها:

14.4.2 شخصيات المسرحية

لقد قرأتم، أيها الطلبة! في عناصر المسرحية أن للشخصيات دورا رئيسيا ومهما في كل مسرحية من المسرحيات، عربية كانت أم إنكليزية أم فرنسية، أم إيطالية أم في أية لغة كانت. أما الشخصيات التي استخدمها توفيق الحكيم في أداء الأدوار المختلفة في مسرحية "أهل الكهف" فهي كالنحو المذكور فيما يلي:

الوزيران: مشلينيا ومرنوش	:	كلاهما كانا وزيرين في القصر الملكي للإمبراطور الروماني الوثني الغاشم الذي كان يعذب من كان يؤمن بالله أشد العذاب، وهذان الوزيران كانا من المؤمنين بالله، ولكنهما كانا يخفيان إيمانهما عن الملك.
الراعي: يمليخا	:	هو الذي كان يرعى الغنم وكان خبيرا بطرق الأودية والجبال والكهوف، وكان هو أيضا ممن آمن برب المسيح عليه السلام، يرافقهما دليلا على طريق الكهف.
الكلب: قطمير	:	هذا الكلب فهو للراعي يمليخا.
الأميرة بريسكا	:	هي حفيدة الأميرة بريسكا التي كانت ابنة الإمبراطور دقيانوس وبريسكا الجدة هذه هي التي كان يحبها الوزير مشلينيا قبل نومهم العميق في الكهف، فكانت بريسكا هذه تشبه الأميرة بريسكا تلك في الشكل، فحينما زار مشلينيا القصر بعد أن استيقظ من نومه الذي استغرق أكثر من ثلاثة قرون ظن أنها هي حبيبتها، فاشتبه الأمر.
الملك الروماني الوثني الظالم دقيانوس		هو الذي حكم خلال الفترة مابين (249م إلى 251م) وكان هذا الملك رمزا من رموز العنجهية والاستكبار والظلم والاضطهاد والخيلاء، لقد أباح الملك تعذيب من آمن بما جاء به نبي الله عيسى عليه السلام من رسالة ودين وعقيدة.
الملك المسيحي المؤمن بالله	:	هذا هو الملك الذي كان يتولى عرش الحكومة في عصر استيقظ فيه أصحاب

تيدوسيوس		الكهف بعد ثلاث مائة سنة فصاعدا. لقد آمن بالله وبالدين المسيحي، وعندما سمع استيقاظ أصحاب الكهف، رحب بهم في القصر، وأقام لهم احتفالية عظيمة.
غالياس		هو مؤدب الأميرة بريسكا في عصر الملك المسيحي المؤمن.

إضافة إلى هذه الشخصيات الآنف ذكرها هناك جماعة من الناس. والصياد، والراهب أيضا في هذه المسرحية، أما المدينة التي جعلها توفيق الحكيم مركزا لمسرحيته لهذه الأحداث هي مدينة طرطوس، وأما الزمان أو العصر فهو خلال 200-250 من الميلادي تقريبا.

أما الكهف الذي سجله التاريخ، والنصوص الدينية، والوحي السماوي المنزل على نبينا محمد ﷺ، والذي بات رمزا من رموز الصراع بين الحق والباطل، وبين الإيمان بالله والوثنية، وبين المادية والروحانية، والخرافات والأوهام والحقيقة الثابتة المشهودة لها بالعين فهو واقع في الرقيم، كما ورد ذكره في القرآن الكريم ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف: 9) هذا المكان لا يزال باقيا رغم مرور الدهور والقرون وحوادث الأزمان، وهو يقع الآن في قرية الرجيب على بعد 7 كيلو مترات تقريبا من عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية عمان.

14.4.3 البناء المسرحي

أيها الطلبة الأعزة! نفيدكم علما بأن كل المسرحية تتكون من مشاهد ومناظر مختلفة. يمثل كل مشهد دورا وخلفية وقصة وحبكة مختلفة، ولكل مشهد شخصيات تقوم بأداء دور مخصوص بذلك المشهد، وهذه المشاهد المختلفة تسمى فصولا أيضا، فمسرحية أهل الكهف كما تعلمتم سابقا متوزعة إلى أربعة فصول، سوف تتعلمون من هذا البناء المسرحي الخلفيات والمشاهد المختلفة المتوزعة فيما بين هذه الفصول الأربعة، وإليكم هذا البناء:

- انقسمت المسرحية إلى أربعة فصول، يشهد الفصل الأول منظر الكهف بالرقيم، والظلام الذي لايظهر فيه إلا الأطياف والأشباح وبقرب منها كلبهم الذي سمي بـ"القطمير" باسط ذراعيه بالوصيد.
- أما الحوار في الفصل الأول فهو يجري بين مشلينيا، ومرنوش، ويمليخا، والناس، وينتهي هذا الفصل بعبارة :

  "ويخرج الجميع في غير نظام تاركين بعض مشاعلهم، ويخلو المكان للثلاثة وكلبهم، والضوء منتشر، ولكنهم ساهمون جامدون كالتماثيل كأنما أرعبتهم هم أنفسهم هذه الكلمات: ((أشباح وموتى)) أو كأنهم لايفهمون مما رأوا وسمعوا شيئا"
- يمثل الفصل الثاني منظر(بهو الأعمدة، الأميرة بريسكا بين وصائفها وفي يدها كتاب.....)
- يدور الحوار في هذا الفصل بين الأميرة، وغالياس، والملك، وبريسكا، ومشلينيا، ويمليخا، والصياد، ومرنوش.
- ينتهي الفصل على هذه العبارة: (يذهب في بطءٍ وكآبة على حين تتبعه أنظار مشلينيا ومرنوش في صمت يختفي).
- وأما الفصل الثالث فهو يشهد منظر (بهو الأعمدة ، مشلينيا ينتظر بفارغ الصبر بين العمد، والوقت ليل، والمكان مضيء يظهر غالياس حذرا)
- وأما المكالمة فيه فهي تدور فيما بين مشلينيا، وغالياس، ومرنوش، والأميرة، وبريسكا.

- وينتهي الفصل الثالث على العبارة: (ترنو إليه طويلا، وهو ينصرف حتى يختفي فتقول في صوت خافت) : الوداع يا مشلينيا !.
- ويعرض الفصل الرابع الأخير مشهد الكهف بالرقيم، ويمليخا ومرنوش ومشلينيا ممددون على أرض المكان كالموتى أو المحتضرين والكلب قطمير قابع على مقربة منهم بسكون عميق)
- وأما المكالمة في هذا الفصل فهي تدور بين مشلينيا، ومرنوش، ويمليخا، وبريسكا، وغالياس والملك، والراهب، والصياد، وراهب آخر.

وينتهي الفصل على العبارة وهي نهاية المسرحية: (يخرج غالياس وتبقى وحدها، ويغلق الكهف عليها وعلى الموتى)

14.4.4 أحداث المسرحية وخلاصتها

الفصل الأول من المسرحية هو داخل المقرر الدراسي، سوف نقوم هنا بمعالجة هذا الفصل وتحليل أحداثه مع تسليط الضوء على ملخصه.

تدور أحداث الفصل الأول حول الأحاسيس والمشاعر التي طرأت على أصحاب الكهف بعدما استيقظوا من نومهم العميق الضارب إلى أبعاد مختلفة من الأحلام، ذلك ما أثار فيهم الشعور القوي بالضعف في الجسد، والجوع الشديد، والإجهاد النفسي، والتساؤلات عن المدة الزمنية التي قضوها نائمين في الكهف، هل ناموا يوما أو يومين أو ثلاثة أيام، ثم أرسلوا الراعي يمليخا لشراء الطعام بالنقود المالية التي كانوا يملكونها معهم من عملة العصر الذي كانوا عاشوا فيه، ولكن عندما وصل يمليخا إلى المدينة فتعجب كل من رآه من هيئته، وملبسه، ثم العملة التي كانت غريبة بالنسبة إلى بعض الخبازين، وخلال ذلك أخبر الصياد الفارس الذي تعرف على خروجه من الكهف الملك المسيحي المتولي على العرش بوجود نوع من الرجال الأجانب، وبوصول خبرهم إلى الملك ينتهي الفصل.

ويمكن تلخيص النص الداخل في المقرر الدراسي في النقاط الآتي ذكرها :

- أن أصحاب الكهف استيقظوا من نومهم العميق المستغرق إلى ثلاثة قرون فصاعدا في ضوء القرآن الكريم الذي استدل به توفيق الحكيم في الرواية.
- أنهم شعروا بالجوع والضعف الشديدين، فأرسلوا الراعي يمليخا لإحضار الطعام، ويمليخا هذا هو الذي الذي ظل معهم منذ يوم إيوائهم إلى الكهف قبل ثلاثة قرون فصاعدا.
- اكتشاف أهل المدينة أنهم هم أصحاب الكهف الذين كانت قصتهم مشهورة فيما بينهم، ومتوارثة إليهم منذ زمن قديم كابرا عن كابر.
- اكتشاف أهل الكهف أنهم ناموا في الكهف قرابة ثلاثة قرون وسنوات عديدة أخرى بعدما واجهوا في المدينة مشاكل الغربة ومفارقة الوطن لكونهم عجائب المنظر في الملبس، والأشكال، والنقود المالية التي لم تكن من هذا العصر.
- شعور أهل الكهف إثر تيقظهم من النوم العميق بخوف الإمبراطور الوثني الظالم الذي كان مستوليا على عقولهم وأذهانهم وقت الهروب من المدينة منذ أكثر من ثلاثة قرون .
- شعور مشلينيا ومرنوش بالخوف والقلق على كشف الستار عن السر الذي كان مخفيا عند

الإمبراطور عن إيمانهما وكذلك عن إيمان ابنة الإمبراطور الأميرة بريسكا التي كانت حبيبة مشلينيا، نجد في النصوص شجارا خفيفًا فيما بينهما حول الخوف بفشو هذا السر.

- يتجلى من خلال النص إيمانهم القوي الثابت بالله وبماجاء به نبي الله عيسى من رسالة، وتعاليم سماوية سمحاء، فلا يقسمون إلا بهذه العقيدة التي يعتقدون بها، كما يبرهن ذلك ما صوره المؤلف على لسان الراعي يمليخا ومشلينيا في هذا الحوار:

مشلينيا: أ ولدت مسيحيا أم اعتنقت الدين على كبر؟

يمليخا: بل ولدت سميحيا....

مشلينيا: مثلي إذن.

يمليخا: نعم، ولكن الإيمان الحقيقي، إيمان اليقين والاقتناع لم يضيء كل نفسي إلا من يوم سمعت ذلك الراهب يتكلم تحت أسوار طرسوس.

- دور الراهب في نشر الدعوة المسيحية، والإيمان بالله، وهذا هو الراهب الذي كانت حلقات دروسه ومواعظه للدعوة إلى الإيمان خارج المدينة، و يمكن تشبيه هذه الحلقات ومواعظه، وخطبه بحلقات أهل الزوايا والخانقاهات المتمركزة حول تزكية النفوس والقلوب، والتربية الروحية، ودعوة التمسك برسالة الأنبياء، وذكر الآخرة والبعث والجنة والنار ترغيبا وترهيبا. و من أجل هذه الحلقات قوي إيمان الراعي.

14.5 ميزات النص

توفيق الحكيم من كبار الأدباء ورواد المسرحيين المصريين، لقد أثرى المكتبة العربية والأدبية والفكرية والتاريخية بعطاءات معرفية غزيرة في أسلوب علمي متطور نال القبول والإعجاب لا في أوساط اللغة العربية فحسب، بل في أوساط الآداب العالمية كذلك، كما تشهد الترجمات المختلفة للعديد من رواياته ومسرحياته وقصصه على ذلك، أما هذه المسرحية التي نتناولها في هذا الدرس فهي من أفضل الأعمال الأدبية لتوفيق الحكيم، فلها قيمة وأهمية في الأوساط الأدبية، فسوف نتعلم هنا كيف تمتاز هذه المسرحية بمميزات مختلفة ومتنوعة؟ وإليكم هذه الميزات الأدبية البارزة:

- إن أهم ميزة النص هي أن المؤلف لم يستخدم فيه إلا العربية الفصحى تجنبا من العامية والمحلية.
- بيد أن المسرحية تدور حول قصة قرآنية ومن بعض النصوص المسيحية فهي تتسم بالطبع بالعالمية والآفاقية الفكرية.
- توفيق الحكيم هو من وضع تيارا جديدا في المسرحية العربية وهو تيار "المسرح الذهني"، فهذه المسرحية على طليعة المسرحيات العربية التي تمثل هذا التيار وتتسم به، ويعني ذلك أنه من المستحيل تمثيل وعرض مسرحيات مثلها على الخشبة لتعذر العملية التمثيلية لها، وذلك لكونها من المسرحيات التي يقل نظير أحداثها في المجتمع البشري، يقول المؤلف نفسه عن تأليف مسرحياته وفق هذا التيار: " إني اليوم أقيم مسرحي داخل الذهن، وأجعل الممثلين أفكارا تتحرك في المطلق من المعاني مرتدية أثواب الرموز.. لهذا

اتسعت الهوة بيني وبين خشبة المسرح، ولم أجد قنطرة تنقل مثل هذه الأعمال إلى الناس غير المطبعة".

- يتجلى من خلال النص أن مؤلفها حاول أن يصوّر الأحداث التاريخية التي حكاها القرآن الكريم والنصوص الدينية المسيحية الأخرى في قالب يجتذب له القارئ، ويقوى إيمانه بالبعث والنشور، وظهور الحق، وانتصار الإيمان بالله على المعتقدات الوثنية الباطلة.
- يستنتج من النص أن المسرحية دعوة قوية إلى الخروج من الأوهام والخرافات إلى الحقيقة، لقد كان أصحاب الكهف قبل استيقاظهم وظهورهم الثاني من جديد أوهاما تحكى قصتهم على الناس طوال فترة استغرقت أكثر من ثلاثة قرون، ولكنهم ظهروا فزال الوهم أمام الشعب الذين كانوا منهم.
- يتسم نص المسرحية بالعديد من الجوانب مثلا: الجانب التاريخي، الجانب الفكري، الجانب الديني العقدي، الجانب الواقعي، الجانب الدعوي إضافة إلى الجانب الأدبي الخالص.

اختبر معلوماتك

1- اكتب ملخصا وجيزا لرواية "أهل الكف" في عباراتك وكلماتك

2- ترجم النثر المقرر لـ"أهل الكف" إلى لغتك الأم أو اللغة الإنجليزية في أسلوب رائع.

3- أعدَّ قائمة من التعبيرات الجميلة والاستعمالات الأخاذة من هذه الوحدة.

4- حاول أن تكتب فقرة على أسلوب رواية بليغة في اللغة العربية.

14.7 نتائج التعلم

بعد ما أكملنا هذا الدرس توصلنا إلى مجموعة من نتائج التعلم التي تتمحور حول مايلي:

- تعلمنا أن العروض التمثيلية ليست شيئا جديدا بالنسبة إلى الأمة العربية، ولكن المسرحية في شكلها المتطور الحالي وردت إلى الأدب العربي الحديث من الأدب الأوروبي.
- الأديب العربي الذي يعود الفضل إليه للتطور المسرحي الحديث ألا وهو "مارون النقاش" الذي عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، كان من لبنان، واستفاد من الآداب الأوربية في إيطاليا، وعرض مسرحية مترجمة بالعربية من الفرنسية بتعديلات لازمة بعنوان البخيل، ثم ألف العديد من المسرحيات العربية الأخرى.
- توفيق الحكيم الذي هو مؤلف مسرحية أهل الكهف يعد من رواد المسرحيين العرب في مصر. وله إسهامات عظيمة في تطوير الأدب العربي الحديث مع أجناسه المختلفة.
- وهذا الدرس مستلهم من القرآن الكريم، ويحكي قصة فتية لجأوا إلى الكهف بالرقيم فرارا من ظلم الحاكم الروماني المشرك اسمه دقيانوس.
- عن طريق قراءة نص هذه المسرحية تعلمنا كيف نستفيد من اللغة العربية، والأدب العربي، وكيف يمكننا الحوار والمكالمة بلغة الضاد يعني اللغة العربية.
- تعلمنا أن المسرحية التي يتعذر تمثيلها ويستحيل عرضها على المنصة أمام الناس، بل يمكن التفكير فيها، والاطلاع على محتواها ومضمونها في الذهن، يقال لها: "المسرح الذهني". وتوفيق الحكيم هو من أسس ووضع

هذا التيار المسرحي.

- لقد تعلمنا من خلال هذا النص المدمج في المقرر الدراسي عددا كبيرا من المفردات العربية الصعبة، ومعانيها، واستخداماتها في الجمل، وتراكيبها النحوية، والصرفية، والدلالية.
- لقد تعلمنا أيضا أن الجهود الدينية الدعوية للمؤمنين الصادقين، وأهل القلوب الربانيين ليست أمرا غريبا بالنسبة إلى قوم عيسى، بل كان فيهم الدعاة، والربانيون، وأهل الزوايا، وكانت لهم جهود قوية، وحضور قوي في هذا المجال، كما تبلور ذلك في قصة الراهب الذي كانت له حلقات تحت أسوار مدينة طرسوس.

وبالجملة، يدور نص هذا الفصل حول صراع قوي بين الإيمان بالله وبالمسيح وبين الخوف بمذبحة الإمبراطور الوثني الظالم، وشعورهم القوي بما واجهوا من مشاكل الغربة وشاهدوا من عجائب الدهر غير دهرهم، واطلاعهم على نومهم العميق أكثر من ثلاثة قرون إضافة إلى اطلاع الملك المسيحي المؤمن وأهل المدينة من هذا العصر على أنهم أهل الإيمان الذين لجأوا إلى الكهف هروبا من الإمبراطور الوثني الظالم.

14.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

الحَبْكة: ترابط أحداث القصة وتسلسلها	Plot, Story
إِتْقَانٌ: كمال، تضلع تامٌّ	Perfection
طليعة ج طلائع: مقدمةٌ، واجهةٌ، مقام أول	Forefront, Foreground
اِسْتَهَلّ: بدأ، ظهر ، تلألأ	To begin, To Start, To Appear
الغاشِمُ: الظالمُ، الجابر، المُسْتَبِدُّ	Oppressive, tyrannical
تعذيب: إيقاع العذاب، تنكيل	Torture, Torment
احتفالية: مهرجان عيدٍ	Festivity, Solemnity
الراهب: المتعبد، المتنسك	Monk
الصِراع: النزاع والنضال	Conflict, Strife, Fight
وثنية: مذهب عبدة الأوثان	Paganism, Idolatry
خرافة (ج) خرافات: أحاديث باطلة، اعتقادات واهية	Myth, Superstition
خلفية: معلومات عامة عن موضوع	Background
مشعل ج مشاعل: قطعة من النار في وعاء من معدن، القنديل ونحوه	Torch, beacon, lantern
بَهْوٌ: صالةٌ، رِدْهَةٌ، مكان مستع في الدارِ	Foyer, Courtyard
قابع: منعزل في مكانٍ	Lonely, Secluded at
خبّازٌ: صانع الخبز وبائعه	Baker
فصاعدا من الآن وبعد	Onward, forth

Demarked by, be characterized by	اتسم بـ: اتصف، تميز بـ

14.9 أسئلة الاختبار النموذجية

14.9.1 أسئلة موضوعية

1- أول مسرحية عربية متكاملة هي:

(a) البخيل (b) في القطار (c) الأرواح المتمردة (d) العبرات

2- أهل الكهف مسرحية عربية مستلهمة من سورة قرآنية وهي:

(a) سورة يوسف (b) سورة الكهف (c) سورة القصص (d) سورة الأنبياء

3- الكهف معناه في الإنكليزية:

The cave (a) The forest (b) The river(c) The Dark (d)

4- أهل الكهف كانوا من :

(a) قوم موسى (b) بني إسرئيل (c) أتباع نبي الله عيسى (d) أتباع الديانة الهندوسية

5- كان اسم كلب أهل الكهف:

(a) قطمير (b) نعناع (c) قطاميش (d) ديباج

6- كان أصحاب الكهف يؤمنون :

(a) بالطاغوت (b) بالله (c) بالتماثيل (d) بالأشجار

7- لبث أصحاب الكهف في الغار :

(a) 309 أعوام تقريبا (b) 100 عام (c) 200عام (d) 150 عاما

8-كان عدد أصحاب الكهف:

6 (a) 7 (b) 8 (c) 10 (d)

9- المسرحية هي:

(a) جنس أدبي (b) مسألة فقهية

(c) باب من أبواب المنطق (d) اسم لأمة من الأمم الهندية

10- الحبكة، مفهومها في المسرحية:

(a) ما ترويه الشخصيات على المسرح (b) فكرة المسرحية

(c) شخصيات المسرحية (d) لغة المسرحية

14.9.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- ما هو المحور الذي يدور حوله مسرحية "أهل الكهف"؟

2- كيف تميز بين المسرح والمسرحية؟

3- ماهي عناصر المسرحية؟

4- ماهي أدوار الشخصيات في المسرحية؟

5- ما هي أهمية اللغة في المسرحية؟

14.9.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- اكتب مقالة عن أسلوب توفيق الحكيم والجانب المسرحي في ضوء مسرحية "أهل الكهف".

2- دون رأيك عن عصر أهل الكهف وديانتهم وسبب فرارهم من المدينة التي كانوا من سكانها.

3- ناقش أهمية مسرحية أهل الكهف في الأدب العربي الحديث.

14.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1- أحمد أبو سعيد، فن القصة، دار الشرق الجديد، عمان 1959م.

2- عبد الشافي الشوري، التراث القصصي عند العرب، مكتبة شباب، مصر، 1991م.

3- توفيق الحكيم، أهل الكهف، دار مصر للطباعة، سعيد جوده سحار وشركاؤه. سنة الطباعة غير موجودة.

4- سيد علي إسماعيل: تاريخ المسرح في العالم العربي، القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2016م.

5- د. كريم فاروق الخولي، مسرحيات عربية، أنقرة، 2019م.

6- مجمع اللغة العربية، القاهرة: المعجم الوسيط، كتب خانه حسينيه، ديوبند، 2000م.

7- لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة: 42، عام 2007م.

الوحدة: 15

"الآباء والبنون"

عناصر الوحدة

15.0 التمهيد

15.1 أهداف الوحدة

15.2 نماذج مقتبسة من نص مسرحية الآباء والبنون

15.3 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة الصعبة في النص

15.4 تحليل النص

15.4.1 التعريف بمسرحية الآباء والبنون

15.4.2 شخصيات مسرحية الآباء والبنون

15.4.3 البناء المسرحي

15.4.4 أحداث المسرحية وخلاصتها

15.5 ميزات النص

15.6 نشاطات الوحدة

15.7 نتائج التعلم

15.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

15.9 أسئلة الاختبار النموذجية

15.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

15.0 التمهيد

إن الدرس الذي تقرؤونه الآن في هذه الوحدة أيها الطلبة الأعزة! هو يدور حول المسرحية المعروفة في الأدب العربي الحديث ألا وهي مسرحية: "الآباء والبنون" للكاتب اللبناني-المهجري الكبير ميخائيل نَعِيمة(Mikhail Naimy)، وهذه المسرحية من أهم المسرحيات العربية في الأدب العربي الحديث، لها أهمية أدبية واجتماعية وفكرية وثقافية كبرى في مسيرة المسرحيات العربية التي تم صدورها في القرن العشرين.

والعوامل الرئيسة التي من أجلها تحتل هذه المسرحية هذه المكانة الأدبية والاجتماعية العظيمة يمكن حصرها في النقاط الآتي ذكرها:

- إن نص هذه المسرحية عبارة عن صراع اجتماعي يتعارض فيه اليوم مع الأمس، ويتصادم نمط الحياة الحاضرة مع نمط الحياة السالفة. وهو الصراع النمطي المعتري بين الآباء والأبناء. وبالجملة هذا الصراع يعبر عن هيمنة الآباء على الأبناء، وتعارض الأبناء مع سيطرة الآباء.
- إنها من مؤلفات مسرحي عربي لبناني يُعد من رواد المسرحيين العرب، الذين لقد ترجمت أعمالهم بلغات عالمية أخرى، ألا وهو الكاتب والأديب والروائي والمسرحي اللبناني-المهجري الفذّ ميخائيل نعيمة، الذي كان من مواليد لبنان. عاش حياة حافلة بالفكر، والفلسفة، والأدب والشعر والنقد الأدبي، وبالعطاءات العلمية الغزيرة الدسمة.
- إن هذه المسرحية هي باكورة الأعمال الأدبية لميخائيل نعيمة التي أبصرت النور في العشر الثاني من القرن العشرين، وذلك عام 1917م في بلد غير عربي وذلك في الولايات المتحدة الأميريكية، فهي ليست كسائر المسرحيات العربية في الأسلوب، والمحتوى، والحَبكة. فإنها تخلو من أي تأثير عربي قديم، وذلك ما يجعل المسرحية ذات قيمة أدبية وفنية رفيعة المستوى.
- لقد نالت المسرحية إعجاب القراء من أجل فكرتها، وحَبكتها، ومعالجتها قضية مهمة من القضايا الاجتماعية المستحوذة على المجتمع العربي اللبناني أو، قل، في المجتمع الشرقي، حتى ظهرت لها طبعات مختلفة ومنقحة متطورة ما يناهز عددها 13 طبعة.

15.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى مجموعة من الغايات أهمها ما يلي:

- قراءة نماذج مقتبسة من نصوص مسرحية الآباء والبنون.
- الاطلاع على مسرحية الآباء والبنون، وتأليفها، وعناصرها، وحبكتها.
- تلقي اللغة العربية والأدب العربي عن طريق النصوص العربية لمسرحية الآباء والبنون.
- التعرف على ميزات فنية وأدبية لمسرحية الآباء والبنون، إضافة إلى المرور بمحطات أحداث المسرحية.
- الاطلاع على الخصائص الفنية الكتابية لميخائيل نعيمة المتمثلة في نص الآباء والبنون.

15.2 نماذج مقتبسة من نص مسرحية الآباء والبنون

تشتمل مسرحية "الآباء والبنون" أيها الطلبة! على أربعة فصول مختلفة، وكل فصل من هذه الفصول يشهد

ويمثل منظرا من مناظر القصة التي تدور حولها المسرحية. نقدِّمها إليكم هنا نماذج مقتبسة مختلفة وموجزة من الفصل الأول من هذه الفصول الأربعة للمسرحية. فها هو ذا النموذج لاقتباسات مسرحية "الآباء والبنون":

15.2.1 مقتبسات نموذجية من نص المسرحية

المشهد الأول – حوار بين إلياس وداود:

إلياس: ادخل. ادخل.

(يتجه نحو الباب ويفتحه فيرى داود)

أهلا، أهلا بصديقي داود. والحمد لله أن تنازلت فشرَّفتنا بزيارة. لقد آن لهذا البيت أن يعرفك وتعرفه.

داود (يدخل على مهل متلفتا حواليه)

بيت؟! هذا متحف عاديات.

إلياس: وأنا واحد منها.

(يتكلف الضحك)

داود: أنت أقدمها، وأثمنها من غير شك. وما معنى هذه السيوف والخناجر والبنادق؟ ما عهدي بك تعشق الحرب ومظاهرها إلى هذا الحد.

إلياس: بل إنني أكرهها إلى أقصى حدود الكراهية.

داود: إذن كيف ترضى أن تعيش في ظلها؟

إلياس: تفسير ذلك عند الوالدة. فهي أدرى مني بتاريخ هذا السيف أو تلك الطبنجة أو ذلك الرمح. وأدرى بالغاية من عرضها على جدران بيتها ولو أنها كانت الآن هنا لأخذت بيدك وقادتك إلى كل قطعة بمفردها وراحت تسرد عليك تاريخها. والويل إذا أنت لم تصدِّق كل ما ترويه لك. فأنت إذ ذاك العدو اللدود، بل الشيطان الرجيم.

داود: لأنصرف إذن بسلام قبل أن تعود أمك مخافة أن تطردني طردا.

(همسا)

أم هي الآن في البيت؟

نموذج من المشهد الثاني-:

حوار بين : إلياس-داود-أم إلياس- زينة.

أم إلياس: أوف. أوف. هالشوب.

(تروح بمروحة بيدها)

.....

مين حضرة الشاب؟

إلياس: هذا صديقي المعلم داود يا أمي. هو يعلِّم في مدرسة عين الدلبة الداخلية.

أم إلياس: (بكبرياء)

والنعم.

داود: لي الشرف يا خالتي أم إلياس.

إلياس: (مشيرا إلى زينة)
وهذه أختي زينة يا داود.

نموذج من المشهد الثالث:

حوار بين: إلياس- داود – زينة

إلياس: (إلى داود بعد سكوت قصير)
هل رأيتك بعينك وسمعت بأذنك؟

داود: نعم – قد سمعت ورأيت. لكنني لم أر ما يصدع العزم ولم أسمع ما يرسل اليأس إلى القلب.

إلياس: والله لقد صدق المثل ((الحرب بالنظارات هين)). أتعني أنك لو كنت مكاني لكنت تحاول أن تغير معتقدات أمك القديمة، وتعلمها مبادئ جديدة كما لو كانت طفلة صغيرة؟

داود: لم أفقد بعد عقلي لأحاول المستحيل. لكني أعجب إذ أراك ، مع كل درسك وفهمك، لم تدرك حتى الآن أن اختلاف الآباء والبنين في الأذواق والميول والمعتقدات أمر طبيعي جدا. ولولاه لما كان ما ندعوه تقدما.

إلياس: وما حيلتك بأم تطلب الطاعة العمياء من بنيها حتى وإن أدى ذلك إلى كارثة لها ولهم؟

داود: قيل : ((أكرم أباك وأمك.)) وما قيل: ((أطع أباك وأمك حتى وإن كانا على ضلال.)) إن تكن طاعة الحق فضيلة، فعصيان الباطل فضيلة أكبر. والباطل قد يأتيك من أمك مثلما قد يأتيك من الغريب. وما عليك في الحالين إلا أن تحاربه بكل ما أوتيت من قوة.

إلياس: لو شئت أن أمتثل لإرشادك لتحول هذا البيت إلى ساحة حرب.

داود: وأي بأس في ذلك؟ أليست الحياة كلها حربا؟ ولولم تكن حياتنا حربا دائمة على الجهل، على الظلم، على الفقر، على الضعف، على الذل لما كانت حرية بأن نحياها. إنما نتعشق الحياة لا كما هي، بل كما نريدها أن تكون. وفي ذلك سر تعلقنا بأذيالها. ولو ننفك في حرب معها حتى يكون لنا ما نريد.

15.3 معاني المفردات والتعبيرات المستخدمة الصعبة في النص

المفرد/ التعبير	المعنى	المعنى بالإنكليزية
شرَّفتنا بزيارة	كرمتنا بحضورك، نورتنا بوجودك	Glade to see you here
على مهل	رويدا رويدا	Slowly, gently
متحف عاديات	متحف الآثار والتحف والنوادر	Antiques Museum
العدو اللدود	العدو الشِرّير، شديد الخصومة	Archenemy, mortal enemy
من حسن حظك	من حسن نصيبك	Fortunately
المومياء، جمعه : مومياءات	جثة محنطة عند المصريين القدماء	Egyptian mummy
وِزر، جمعه: أوزار	الحمل الثقيل	Heavy load, burden
ضغث، جمعه: أضغاث	أحلام ملتبسة ومختلطة صعبة التأويل	Confused dreams
ضغث على إبَّالة	بليات متتابعة، مصيبة بعد مصيبة	To make something worse

مين حضرة الشاب	من هذا الشاب	Who is this young man
الحرب بالنظارات هين	القيام بفعل أي شيء هين وسهل وأنت خبير بأموره ومطلع على طبيعته	Arabic proverb, Meaning: It is easy to know what to do when you can see everything.
معتقَدَات	العقائد، الإيمان	Beliefs
مبادئ جديدةٌ للحياةِ	القيم الجديدة، أنماط حياة جديدة	New values, new meanings of the life style
المُسْتَحِيل	الصعب، العسير	Impossible
أمر طبِيعي	أمر فطري، أمر عادي	Natural
الطاعةُ العمياء	طاعة خاطئة وباطلة	Blind obedience
كارِثَة	مصيبة، محنة	Disaster
الباطل	الكذب، عبث، ضلال	Falsehood, wrong
امتَثَلَ	أطاع أمره، اتبعه	To follow, to obey
المَنُون	الموت	Death
سِنُّ الرُشْدِ	سن البلوغ والشباب، سن الرجولة والمراهقة	Puberty
صوت مُنْخَفِضٌ	صوت خفيف، صوت خافت	Low voice
حارب، محاربة		To fight
الشَوْبُ	كلمة عامية معناها الحر الشديد	

15.4 تحليل النص

15.4.1 التعريف بمسرحية الآباء والبنون

أيها الطلبة! إن هذه المسرحية العربية بعنوان "الآباء والبنون" للكاتب اللبناني-المهجري ميخائيل نعيمة الملقب بـ"ناسك الشخروب" وقد تناولنا فيما سبق الاقتباسات من المسرحية للفصل الأول، وهي من المسرحيات العربية التي تعد من طلائع الأعمال الأدبية للكاتب. ألفها ميخائيل نعيمة بعدما تخرج من الجامعة في الولايات المتحدة الأميركية عام 2016م في فصل الصيف. ثم نشرها منجمة في مجلة "الفنون". وفي عام 1917م صدرت الطبعة الأولى للمسرحية في كتاب مستقل. يزين الكتاب ما حلَّتْه يراعة الكاتب من مقدمة ضافية ومفيدة تعالج فن المسرحية و تاريخها وتطورها وما لها وما عليها بإقناع. وبعد فترة طويلة تمتد إلى حوالى 36 عاما أعاد ميخائيل النظر عليها النظر السريع الخاطف، وأجرى عليها ما لزم من التعديل من دون التعرض للمحور الرئيسي للمسرحية، وشخصياتها، وأدوارها. وأما بالنسبة إلى لغتها فقد أراد مرات أن يستبدل العامية بالفصحى قدر الإمكان، ولكن موضوع المسرحية، وفحواها، وحبكتها، وشخصياتها، وأدوارها لم تسمح له بذلك. وبإعادة النظر السريع والتعديل اللازم، والتنقيح المناسب صدرت لها طبعات مثنى، وثلاث،

ورباع.

وأما لغة هذه المسرحية فهي الفصحى والعامية اللبنانية كذلك. فإن شخصيات المسرحية من المثقفين المتقدمين ومن الأميين الريفيين، فالكاتب لجأ إلى استخدام العامية إلى جانب الفصحى للتعبير الدقيق العميق الصائب عن القصة التي يريد قصها، وعن الفكرة التي يريد كشف الستار عنها. إنها فكرة تصوير المجتمع اللبناني الريفي تصويرا واضحا. وإن اللغة العامية أيها الطلبة الأعزة ! تحمل في طياتها حقائق مبدئية وفلسفية كثيرة للمجتمع، وإن الناطقين بها في المجتمع الريفي لا يستطيعون التعبير عما يعيشونه من ظروف وأوضاع إلا في لغتهم العامية ولاغير. فالفصحى والعامية في المسرحية تتجاوران في الحوارات في كل مشهد من المشاهد وفي كل فصل من الفصول. وسوف تعلمون بعد قراءة السطور التالية عن الشخصيات التي يدور حولها حبكة هذه المسرحية، وما لها من دور فيها:

15.4.2 شخصيات مسرحية الآباء والبنون

لقد قرأتم، أيها الطلبة! إن للشخصيات دورًا أساسيا ومهما في كل مسرحية من المسرحيات، وهي التي تقوم بجميع الأدوار التي يتم بها تكوُّن المسرحية. فالشخصيات التي تدير الحوارات في جميع المشاهد والفصول في مسرحية الآباء والبنون هي على النحو المذكور فيما يلي:

أم إلياس	:	هي أرملة ذات مبادئ قديمة، تتمسك بالتقاليد والطقوس الدينية البالية التي توارثتها أبا عن جد، وهي أم زينة أيضا. واسم زوجها المتوفى عنها بطرس بك سماحة. تبلغ الآن الخامسة والخمسين من عمرها. لاتنطق إلا باللغة العامية طوال المسرحية.
إلياس سماحة	:	هو ابنها الأكبر يبلغ الثلاثين من عمره، وهو مثقف ومتقدم فكرا وثقافة وتحضرا، لايريد الطاعة العمياء لأمه، ولم يتزوج بعدُ. يتكلم الفصحى بطلاقة، وهو يفضلها أيضا.
خليل	:	هو الأخ الأصغر لإلياس سماحة، وعمره 24 عاما، وهو أيضا غير متزوج.
زينة	:	هي ابنة أم إلياس، وأخت إلياس وخليل، وهي غير متزوجة، تبلغ العشرين من عمرها، مثقفة ومتحضرة، ذات جمال وخلق، لاتريد الزواج ممن تريد أمه أن تزوجها، هي مغرمة بداود سلامة المعلم.
داود سلامة	:	هو صديق إلياس سماحة، شاب مثقف يمارس مهنة التدريس في مدرسة عين الدلبة الداخلية. ويبلغ الثلاثين من عمره، وهو وزينة يتبادلان الغرام ببعضهما البعض.
شهيدة	:	هي أخت داود، مثقفة، تمارس التدريس، وعمرها 22 عاما.
موسى بك	:	كاتب في المحكمة، شيخ يبلغ الخامسة والسبعين من عمره.
ناصيف بك	:	ابن موسى، وهو خطيب زينة، وهو الرجل الأوباش، سكير، ومديون، يبلغ الأربعين من عمره، أم إلياس مصرة على تزويج ابنتها زينة منه رغم وقاحته.
عصر المسرحية	:	هو مطلع القرن العشرين.
مكان المسرحية	:	هو مدينة صغيرة في لبنان.

15.4.3 البناء المسرحي

أيها الطلبة الأعزة!

نفيدكم علما بأن كل المسرحية تتكون من مشاهد ومناظر مختلفة، يمثل كل مشهد دورا وخلفية وقصة وحبكة مختلفة، ولكل مشهد شخصيات تقوم بأداء دور مخصوص بذلك المشهد، وهذه المشاهد المختلفة تسمى فصولا أيضا، فمسرحية الآباء والبنون كما سبق ذكره منقسمة إلى أربعة فصول، سوف تتعلمون من هذا البناء المسرحي الخلفيات والمشاهد المختلفة المتوزعة فيما بين هذه الفصول الأربعة، وإليكم هذا البناء:

- الفصل الأول منقسم إلى ستة مشاهد. المشهد الأول يدور الحوار فيه بين إلياس وداود. والمشهد الثاني الحوار بين إلياس، وداود، وأم إلياس، وزينة. ويدور المشهد الثالث بين إلياس، وداود، وزينة. أما المشهد الرابع فالحوار فيه يدور بين إلياس، وداود، وزينة، وخليل. والحوار في المشهد الخامس بين إلياس، وداود، وزينة، وخليل، وأم إلياس. وأما المشهد السادس فهو بين إلياس، وداود، وزينة، وخليل، وأم إلياس، وناصيف بك.
- وينقسم الفصل الثاني إلى سبعة مشاهد. المشهد الأول بين شهيدة، وإلياس. والمشهد الثاني بين شهيدة، وإلياس، وداود. والمشهد الثالث بين شهيدة وداود. والمشهد الرابع بين داود وزينة. والمشهد الخامس بين داود وزينة وشهيدة. والمشهد السادس بين داود وزينة وشهيدة وإلياس. والمشهد السابع بين داود، وزينة، وشهيدة، وإلياس، وأم إلياس، وخليل.
- والفصل الثالث متوزع إلى عشرة مشاهد. المشهد الأول فيه كلام لناصيف بك، الرجل المدمن والمديون، يتخبط فيه خبط عشواء، ويردد بعض الأبيات الغرامية على خيبة أمله في الزواج:

علقت بحمرة وجهك الوهاج		كل القلوب فأين أين علاجي؟
غيري يداجي أو يجابي إنما		قلبي، ورأس أبيك، ليس يداجي

وبعد إنشاد هذا الشعر يصفق طربا، ويعيده بصوت أجهر من ذي قبل، وينشد:

من شق ثغرك أستقي وعلام لا؟		وبنور عينك يستضيء سراجي

أما المشهد الثاني في هذا الفصل فالحوار فيه بين ناصيف بك، وموسى بك. والمشهد الثالث بين ناصيف، وموسى، وإلياس. والمشهد الرابع بين موسى وناصيف. والمشهد الخامس بين موسى وناصيف وخليل. والمشهد السادس بين ناصيف وموسى. والمشهد السابع بين ناصيف وموسى وأم إلياس، وزينة. والمشهد الثامن بين ناصيف وزينة. والمشهد التاسع بين ناصيف وزينة وموسى وأم إلياس. والمشهد العاشر بين ناصيف، وزينة، وموسى، وأم إلياس، وإلياس، وداود.

- والفصل الرابع الأخير أيضا يتكون من عشرة مشاهد. المشهد الأول بين موسى وإلياس. والمشهد الثاني بين أم إلياس، وموسى، وزينة، وشهيدة. والمشهد الثالث بين أم إلياس، وموسى. والمشهد الرابع بين أم إلياس، وزينة، وشهيدة. والمشهد الخامس بين أم إلياس، وزينة، وشهيدة، وخليل. والمشهد السادس بين زينة، وشهيدة. والمشهد السابع بين زينة، وشهيدة، وإلياس، وداود. والمشهد الثامن بين زينة، وداود. والمشهد التاسع بين زينة، وداود، وإلياس، وشهيدة. والمشهد العاشر الأخير في المسرحية يدور الحوار فيه بين شهيدة، وإلياس، وزينة، وأم إلياس، وداود، وخليل.

وتنتهي المسرحية على كلام خليل بهذه العبارة:

خليل: "عيش وحدك. شاباش لعيونك.

(يقف برهة حائرا، ينظر إلى الدراهم تارة ثم يخرج القِنّينة (وهي القارورة التي يجمع فيها الشراب) من جيبه وينظر إليها أخرى ويغني)

كلِ من حبيبه عنده--- وأنا بيبعت لي الله".

وعلى هذا، تصل المسرحية إلى نهاية المطاف.

15.4.4 أحداث المسرحية وخلاصتها

أيها الطلبة الأعزة! هل تعلمون ما هو الحادث المهم و الخطير الذي تدور حوله حبكة هذه المسرحية؟ الزواج! يا لها من خطورة أمر اختيار العروس والعريس للزواج! لطالما تقضي العوائل وأعضاؤها وقتا غير قصير من الزمن في ذلك الاختيار، ولكنهم على الرغم من ذلك لايجدون لعرائسهم من يعجبونهم، ويناسبونهم من أجل التباين الثقافي، والمستوى الاجتماعي، وأحيانا، من أجل التمايز العرقي والقبلي. ويزيد الضغث على إبالة عندما يكون الأولاد مثقفين وآباؤهم على قمة من الأمية والجهل. ويكون الأبناء ممن يُكثرون الاحتكاك مع الأجانب، ويتبادلون فيما بينهم المشاعر، ويتعالقون فيما بينهم بحبل الغرام والحب. أم إلياس هي امرأة مات زوجها، وهي امرأة لم تتعلم القراءة والكتابة، ولم تتثقف بالثقافة، عاشت في ظروف تغمرها الطقوس والتقاليد البالية القديمة. إنها لا تعلم أن لأبنائها من الذكور والإناث حق التعبير عما يريدون القيام به في الأمور الاجتماعية من الزواج، والوظائف، والدراسة وغيرها. لها تسلط ولها حكم، وسؤدد، وسيطرة في أمور المنزل، لاتذعن ولاتستسلم؛ بل تريد دوما من أبنائها الطاعة العمياء، فإنها امرأة جبارة مستبدة.

عزمت أن تزوج ابنتها زينة من رجل أوباش يتزعزع وجوده تحت وطأة الديون، وسكر الخمر، والبلاهة، والوقاحة. وزينة هي فتاة غاية في الجمال، والتثقف، والأخلاق الفاضلة، والنعومة. وهي لاتريد أن تتزوج من ذلك الرجل الأوباش المدعو ناصيف بك أصلا، ولكنها فقط من أجل بر الوالدين، والطاعة العمياء المحمَّلة عليها، تريد الامتثال برضا أمها، ولاغير. لأن أمها مصرة على عزمها. وأما أخوها الذي هو أيضا مثقف بالثقافات الجديدة يرفض. فإنه يريد شابا مثقفا آخر يمارس مهنة التعليم، ويدعى داود سلامة. فتهدد بأن تنتحر بشرب السموم لو زوجت من ذلك الرجل؛ فإنها مغرمة بداود. وفي الحقيقة داود وزينة كلاهما متراضيان بالزواج. فأم إلياس هي العقبة الأولى والأخيرة في ذلك لتحجرها التقليدي، ولاغير. ونهائيا تشرب زينة السم، وتكاد أن تموت، ولكن الرب سلمها، فشُفيت. وتم اعتقال ناصيف بك من أجل الديون عليه.

وبالجملة، فإن هذه المسرحية يا أيها الطلبة الأعزة! تحكي لكم قصة عائلة لبنانية مسيحية عاشت في غرة القرن العشرين مع الصراع بين أنماط حياة الأجيال القديمة الضيقة المتصلبة المتعصبة وأنماط حياة الأجيال الجديدة المتحضرة المثقفة الراقية المتقدمة.

وأما النص الداخل في المقرر الدراسي لكم أيها الطلبة! فهو من المشهد الأول إلى المشهد الثالث من الفصل الأول، وهذا النص يتلخص كالنحو المذكور فيما يلي:

يجري الحوار في المشهد الأول بين إلياس وداود، يزور داود منزل صديقه إلياس للمرة الأولى. فيجرى بينهما كلام

عن أم إلياس، فيصف إلياس أمه حينا بالتاجر الأعمى، وحينا بامرأة عنيدة تخلو عن صفات الفطنة، والذوق والدراية، تطلب من أولادها الطاعة العمياء في كل شيء. وهي التي قبلت خطبة ابنته زينة من رجل اسمه موسى العركوش لابنه ناصيف بك الذي يعيش على ديون؛ ليست له مهنة ولاحرفة ولاوظيفة. وهو رجل عاطل وباطل كسول أبله لئيم. وقد قبلت أمه هذه الخطبة فقط لأنهما من آل العركوش، السادة البارزين في المدينة، ويلقبان بـ"بك". وأما زينة فهي بثقافتها وصلاحها وبراءتها تطيع أمر والدتها؛ وفي اعتقادها طاعة الوالدين هي رأس الحكمة. ويبدو فيه إلياس أنه سئم الحياة من أجل تخشن أمه وتصلبها في المعتقدات.

وفي المشهد الثاني يجري الحوار بين كل من إلياس وداود وزينة وأم إلياس. تتعرف فيه أم إلياس على داود الزائر الجديد وصديق ابنه داود، ولكنها ركزت فكرها على أن تعرف ما ديانته؟ وما أفكاره تجاه الحياة؟ وما عقائده؟ هل يحضر داود الكنيسة للتعبد أم لا؟ ثم يجري الكلام حول بطرس بك سماحة، وبطولته في هزيمة الأعداء.

وأما الحوار في المشهد الثالث فهو يجري بين إلياس، وداود، و زينة. وكل جهود إلياس في هذا المشهد أن يُقنع داود بكل ما وصف به أمه. وعلى جانب أخر، يحاول داود أن يشرح لإلياس معنى التفاؤل، ويلقنه بتمسك ذيل التسامح والتعامل الحسن تجاه أمه. ويحثه على محاربة ما في أمه من ضلال وتصلب وعناد واستبداد وباطل، وإطاعتها فيما هو حق. وعلى حد تعبير إلياس: إن أمه تمثل أجيالا من العقائد والخرافات والأوهام المتأصلة في النفوس تأصل الجذور في التراب. ويبدو جليا أن إلياس متشائم بلغ التشاؤم مبلغه، ولكن داود يحاول أن يلقنه درس التفاؤل، والمجاهدة، والمصابرة أمام أمه العنيدة المستبدة الجبارة.

15.5 ميزات النص

يعد ميخائيل نعيمة من كبار الأدباء ورواد المسرحيين اللبنانيين- المهجريين، ولقد أثرى المكتبة العربية والأدبية والفكرية بإنجازات معرفية غزيرة في أسلوب علمي رصين ومتقدم، تقبلتها الأوساط العلمية والأدبية والفكرية على مستوى الوطن العربي، وعلى مستوى العالم بقبول حسن. كما تشهد الترجمات المختلفة للعديد من أعماله الأدبية والفكرية على هذا القبول. أما هذه المسرحية التي نتناولها في هذا الدرس فهي من أروع المنتوجات الأدبية لميخائيل نعيمة. فسوف نتعلم هنا كيف امتازت هذه المسرحية بالميزات عن غيرها من المسرحيات العربية؟:

- أهم ميزات النص أن المؤلف نجح في قص ما أراد أن يعالجه من قضية اجتماعية وثقافية مستحوذة على المجتمع الشرقي بطريقة جميلة ورائعة، شارحا لظاهر القضية وباطنها، مستخدما اللغة الفصحى والعامية جنبا إلى جنب في التحاور ملائما للشخصيات الواردة في النص، لبلورة ما خطر ببال الشخصيات الواردة في المسرحية، التي فيها ممن هو مثقف وممن هو غير مثقف، فحوار المثقف أتى في الفصحى، وحوار الأمي أتى في اللغة العامية.
- إن المشكلة التي تناولها المؤلف بالذكر في المسرحية هي ليست مشكلة لبنانية أو عربية فحسب، بل هي مشكلة كل مجتمع شرقي يعيش تحت وطأة المعتقدات والتقاليد القديمة الوراثية الرافضة للتقدم والتطور في أنماط الحياة، ومبادئها.
- ميخائيل نعيمة هو من تثقف بثلاث ثقافات؛ العربية، والروسية-الأوكرانية، والغربية الأميركية. فإن كتاباته مرآة صافية لهذه الثقافات التي تتمثل في حرية فكره في اختيار موضوع المسرحية، وفي إنسانيته التي تتمثل في

تثقيف أذهان جميع أنواع الإنسان في المجتمع الشرقي، وتهذيب نفوسهم في سلوكياتهم مع أفراد المجتمع، وأعضاء الأسرة، صغيرهم وكبيرهم، قريبهم وبعيدهم.

- يتجلى من خلال النص أن ميخائيل حاول أن يصوّر الأحداث الاجتماعية السائدة في العائلة اللبنانية المسيحية في قالب يتمتع به القارئ عند القراءة، وتجتذب به الأسماع عند السماع، ويستحلي جمال التعابير، وسهولة البيان. وأما المعاني والمفاهيم والدلالات التي يريد المؤلف التعبير عنها، وشرحها فهي تتضح وتتجلى للقارئ كما تتجلى الأشياء في وضح النهار. هذه هي سمة بارزة جدا في هذه المسرحية، لأن معناها تخلو من عيوب التعقيد والغموض. فميخائيل نعيمة إلى جانب سماته الإنسانية صاحب أسلوب السهل الممتنع. وإن القارئ للمسرحية بعد تصفحها يكاد يرفض المعتقدات والخرافات والأوهام الباطلة التي كثيرا ما تجلب للمجتمعات والعوائل الفساد والدمار في أركانها. وعلى جانب آخر، يجعل المؤلفُ القارئَ يرحب بكل ما يتسنى له أن يبلغ إلى التقدم والرقي والتحضر والتثقف. فإنه ناجح أيضا في تأصيل هذه الفكرة الثابتة أن الثقافة هي رأس التقدم، و العمود الرئيسي للنجاح، وصلاح المجتمع البشري.
- يستنتج من النص أن المسرحية حافز قوي على إخراج الناس من الأوهام والخرافات إلى الحقيقة. وكذلك درس مهم لنبذ الصراع بين الآباء والبنين.
- يتسم نص المسرحية بالعديد من الجوانب مثلا: الجانب الواقعي، والجانب الفكري، والجانب الرومانسي، والجانب الديني، وزد على ذلك الجانب الأدبي الخالص.
- وبالجملة أن المكالمات في المسرحية تتسم بروعة البيان، وجمال التعبير، ونصاعة النص بين الجد والهزل، يتمتع القارئ بقراءتها، وتكتحل العيون برؤيتها. حاول ميخائيل نعيمة أن يحرر العبارة من جميع ما يثقل على القارئ من تعبير، وأسلوب، وبيان، وشرح للقضية، وحبكة القصة، وأدوار الشخصيات.

15.6 نشاطات الوحدة

3- اكتب ملخصا وجيزا لمسرحية "الآباء والبنون" في عباراتك وكلماتك.

4- ترجم النثر المقرر لـ"الآباء والبنون" إلى لغتك الأم أو اللغة الإنجليزية في أسلوب رائع.

5- أعدَّ قائمة من التعبيرات الجميلة والاستعمالات الأخاذة من هذه الوحدة.

6- حاول أن تكتب فقرة على أسلوب مسرحية باللغة العربية الفصحى.

15.7 نتائج التعلم

بعد ما أكملنا هذا الدرس توصلنا إلى مجموعة من نتائج التعلم التي تتمحور حول النقاط المذكورة فيما يلي:

- تعلمنا أن مسرحية "الآباء والبنون" هي باكورة الأعمال والإنجازات الأدبية لميخائيل نعيمة، ألفها إثر تخرجه من جامعة أميركية عام 1916م، ونشرها أولا مُنَجَّمَةً في مجلة الفنون، ثم أصدرها في كتاب مستقل عام 1917م. وبعد مضي 36 عاما تقريبا على الطبعة الأولى قام المؤلف بما لزم من التعديل والتنقيح، فصدرت لها طبعات مثنى، وثُلاث، ورُباع.
- والمحور الرئيس للقصة التي تدور حولها المسرحية هو الصراع بين المبادئ القديمة المتصلبة والمبادئ الجديدة الراقية المتقدمة، وذلك في قضية اجتماعية مهمة ألا وهي: "الزواج". وأم إلياس هي الشخصية البارزة التي تمثل

المبادئ القديمة المتصلبة في تزويج ابنتها زينة. وابنها الأكبر إلياس وصديقه داود والآخرون هم الذين يمثلون المبادئ الجديدة الراقية المتقدمة في هذه القضية.

- عن طريق قراءة نص هذه المسرحية تعلمنا كيف نستفيد من اللغة العربية، والأدب العربي، وكيف يمكننا الحوار والمكالمة بلغة الضاد يعني اللغة العربية، إلى جانب تبلور أهمية اللغة الدارجة لفهم ما يجري في داخل المجتمع العربي من مشاكل وقضايا اجتماعية، وتعامل الآباء مع أبنائهم، واستحواذ الخرافات والأوهام عليهم.
- لقد تعلمنا من خلال هذا النص المدمج في المقرر الدراسي عددا كبيرا من المفردات العربية الصعبة، ومعانيها، واستخداماتها في الجمل، وتراكيبها النحوية، والصرفية، والدلالية.

وبالجملة، يدور نص هذا الفصل حول صراع بين تسلط الآباء على البنين وتقدم الأبناء المزودين بالحضارة والثقافة، وما طرأ من أجل ذلك من خلافات ونشوز في المجتمع الشرقي، إبان الحوارات والمكالمات الرائعة الجميلة بين الجد والهزل، مستخدما اللغة الفصحى للمثقفين واللغة الدارجة لغير المثقفين، معالجا قضية اجتماعية وحضارية متمثلة في عائلة لبنانية مسيحية في مطلع القرن العشرين. في أسلوب سهل ممتنع يلتذ منه القارئ عند القراءة، ويستمتع به المشاهد عند العرض على المسرح.

15.8 الكلمات الصعبة ومعانيها

الكلمات	المعاني
صراع اجتماعي	منافسة اجتماعية
عيش المومياء	حياة المومياء التي لا حراك بها
المومياء	الْجُثَّةُ الْمُحَنَّطَةُ عِنْدَ قُدَمَاءِ الْمَصْرِيِّينَ
اختنق الشخص	ضاق نَفَسُه
ضِغْثٌ على إِبَّالة	بليَّةٌ على أخرى
تنهيدة	إِخْرَاجُ نَفَسٍ بَعْدَ مَدِّهِ بِتَأَوُّهٍ مَشْحُونٍ بِالأَلَمِ
الاحتكاك	الاتصال بشيء
الطاعة العمياء	التقليد الأعمى
اتسم بـ	اصطبغ، تميز
غمر (ن)	علاه وستره
الطقوس (عند المسيحيين)	نِظَامُ العِبَادَاتِ الدِّينِيَّةِ وَأَشْكالِها، شَعاَئِرُهَا وَاحْتِفَالاَتُهَا

15.9 أسئلة الاختبار النموذجية

15.9.1 أسئلة موضوعية

1- تم تأليف مسرحية الآباء والبنون في:

(a) مطلع القرن الحادي والعشرين (b) مطلع القرن العشرين

(c) العصر الجاهلي (d) العصر العباسي

2- الآباء والبنون مسرحية عربية تجري أحداثها في :

(a) مجتمع عربي لبناني (b) مجتمع عربي ألماني

(c) مجتمع عربي هندي (d) مجتمع عربي أميركي

3- أم إلياس الشخصية الواردة في المسرحية هي:

(a) امرأة مثقفة متسامحة (b) امرأة ذات مبادئ تقليدية مستبدة

(c) امرأة تمارس التدريس في كلية التجارة (d) امرأة متدينة متفاهمة

4- مسرحية الآباء والبنون تحكي قصة لـ :

(a) عائلة مسيحية لبنانية (b) عائلة مسلمة لبنانية

(c) عائلة هندية هندوسية (d) عائلة عربية يهودية

5- صدرت مسرحية الآباء والبنون بادئ بدء منجمة في مجلة اسمها:

(a) الفنون (b) الأهرام (c) المقتضب (d) الجزيرة

6- تجري المكالمات في مسرحية الآباء والبنون في :

(a) اللغة الفصحى ولاغير (b) اللغة الدارجة ولاغير

(c) اللغة الفصحى والدارجة معا (d) ألسنة الحيوانات كمثل كليلة ودمنة

7- تتكون مسرحية الآباء والبنون من :

(a) عشرة فصول (b) أربعة فصول

(c) خمسة فصول (d) بابين وأربعة فصول

8- شخصيات مسرحية الآباء والبنون هي:

(a) ذكور فقط (b) إناث فقط (c) شيوخ فقط (d) ذكور وإناث معا

9- المسرحية هي:

(a) جنس أدبي يعتمد على الحوار (b) مسألة فقهية

(c) باب من أبواب النحو والصرف (d) فن من فنون الهندسة المعمارية

10- الحبكة، مفهومها في المسرحية:

(a) ما ترويه الشخصيات على المسرح (b) فكرة المسرحية

(c) شخصيات المسرحية (d) لغة المسرحية

15.8.2 أسئلة الإجابة القصيرة:

1- ما هو المحور الذي يدور حوله مسرحية "الآباء والبنون"؟

2- ماهي أسماء الشخصيات لمسرحية الآباء والبنون؟

3- ناقش أهمية مسرحية الآباء والبنون في الأدب العربي الحديث.

4- بين الكلمات من اللغة الدارجة الواردة في النص واذكر معانيها.

5- ما رأيك عن اللغة التي ألفت فيها مسرحية الآباء والبنون.؟ دون بإقناع.

15.8.3 الأسئلة الإجابة الطويلة:

1- اكتب مقالة عن أسلوب ميخائيل نعيمة والجانب المسرحي في ضوء مسرحية "الآباء والبنون".

2- دون رأيك عن عصر تأليف مسرحية الآباء والبنون.

3- اكتب خلاصة مسرحية الآباء والبنون.

15.10 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1- ميخائيل نعيمة: الآباء والبنون، مؤسسة نوفل ش م م، بيروت، لبنان، 1953م.

2- ميخائيل نعيمة: أحاديث مع الصحافة، مؤسسة نوفل ش م م، بيروت، لبنان، ط: 2، 1989م.

3- ميخائيل نعيمة: الغربال، مؤسسة نوفل ش م م، بيروت، لبنان، 1991م.

4- سيد علي إسماعيل: تاريخ المسرح في العالم العربي، القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2016م.

5- د. كريم فاروق الخولي، مسرحيات عربية، أنقرة، 2019م.

6- مجمع اللغة العربية، القاهرة: المعجم الوسيط، كتب خانه حسينيه، ديوبند، 2000م.

7- لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة: 42، عام 2007م

الوحدة: 16

"أسلوب توفيق الحكيم وميخائيل نعيمة"

عناصر الوحدة

16.0 التمهيد

16.1 أهداف الوحدة

16.2 توفيق الحكيم: حياته وإنجازاته

16.2.1 حياته العامة والدراسية

16.2.2 إنجازاته العلمية والأدبية والفكرية

16.2.3 تحليل أعماله المسرحية

16.2.4 ميزات مسرحياته وأسلوب كتابته

16.3 ميخائيل نعيمة: حياته وإنجازاته

16.3.1 حياته العامة والدراسية

16.3.2 إنجازاته العلمية والأدبية والفكرية

16.3.3 تحليل أعماله المسرحية

16.3.4 ميزات مسرحياته وأسلوب كتابته

16.4 التمرينات

16.5 نتائج التعلم

16.6 الكلمات الصعبة ومعانيها

16.7 أسئلة الاختبار النموذجية

16.8 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

16.0 التمهيد

ندرس في هذه الوحدة أيها الطلبة! عن الأديبَين العربيين العِملاقَين، والكاتبين المبدعين المِكثارين، ألا وهما توفيق الحكيم، وميخائيل نعيمة! اللذان هما، حقا، رائدان من رواد الرواية العربية، وإمامان من أئمة الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث. كتبا المسرحية العربية فأجادا وأبدعا، وكتبا الرواية العربية ففنَّنَا، وكتبا السيرة الذاتية فدقَّقا، كتبا القصة فطوراها وزوّداها بالمعاني والأخيلة الدقيقة البليغة.

توفيق الحكيم وميخائيل نعيمة كلاهما من أولئك الكتاب والأدباء العرب الذين ترجمت أعمالهم بلغات عالمية شتى، فنالت إعجاب كل من قرأها وسمعها، وتقبَّلها المتذوق الخبير بالقبول الحسن. وتوفيق الحكيم، إلى جانب كل ذلك، واحد من وضع وأسس بعض التيارات المسرحية الجديدة التي عرف بعضها في تاريخ الأدب المسرحي بتيار "المسرح الذهني".

لقد اختير لكم هذان الأديبان الممتازان في مقرركم الدراسي كالنموذج المنتقى للاطلاع على حياة أديبين أثريا الأدب بعطاءات غير مسبوقة، فسوف تجدون في هذا الدرس أيها الإخوة الطلبة! ما يُغَذِّي ثقافتَكم، ويهذب ذوقكم، ويصقل ضميركم للتمتع بجمال الأدب، وروعة الكلمات، وبلاغة التعبير، وفصاحة اللسان.

وإنكم أيها الطلبة ! سوف تمرون في هذا الدرس بمحطات حياتهما الدراسية والأكاديمية، والوظيفية، والعلمية، والعملية، والفكرية، والفنية. وكما سوف تطلعون من خلاله على مدى تأثرهما بآداب العالم، ومدى تأثيرهما في آداب العالم، متمركزا على عطاءاتهما في مجال المسرحية العربية بوجه مخصوص، لأنكم سوف تعالجون حياتهما هنا في منظور المسرحية العربية، وفي مجال الرواية العربية والأجناس الأدبية الأخرى بوجه عام.

16.1 أهداف الوحدة

تهدف هذه الوحدة إلى مجموعة من الغايات أهمها ما يلي:

- التعرف بالتطور الأدبي والتقدم الفكري والنظري في الأدب العربي الحديث من خلال حياة توفيق الحكيم وميخائيل نعيمة.
- الاطلاع على عناصر تكوين "شخصية الأديبين المسرحيين" الآنف ذكرهما.
- الاطلاع على المستويات التقدمية الأدبية في حياة توفيق وميخائيل من خلال كتاباتهما.
- الاطلاع على دورهما الريادي البارز في المسرحية العربية عن طريق أعمالهما المسرحية.
- تلقي اللغة العربية والأساليب الأدبية المتجلية من خلال أعمالهما الأدبية المختلفة.

16.2 توفيق الحكيم: حياته وإنجازاته

16.2.1 حياته العامة والدراسية

ولد الأديب الألمعي الموهوب توفيق الحكيم في 9/ أكتوبر عام 1897م بضاحية الرمل في مدينة الإسكندرية في مصر، لأب مصري وأم تركية، كان أبوه من الفلاحين الريفيين الأثرياء يعمل في قطاع القضاء بمحافظة البحيرة. تلقى توفيق الحكيم مبادئ العلوم في المدرسة الابتدائية بدمنهور عام1915 م ، ولم يبلغ، وقتذاك إلا السابعة من

عمره. وبعدما أكمل الدراسة الابتدائية ألحقه أبوه بمدرسة حكومية في محافظة البحيرة، حيث حصل على قسط من الدراسة الثانوية' ثم غادرها إلى القاهرة ، وأنهى الدراسة الثانوية هناك في مدرسة محمد علي الثانوية. وأثناء ذلك، أخذ يمارس الدور في الموسيقى والتمثيل وذلك ما أدّاه إلى تذوقه بأجناس الأدب المختلفة، وميوله إلى التمثيل والمسرح.

نال توفيق الحكيم شهادة البكالوريا عام1921 م. ثم التحق بكلية الحقوق و تخرج منها عام 1925 م، وانضم بعد ذلك إلى مكتب أحد المحامين وعمل معه محامياً متدربا لفترة زمنية قصيرة. ثم سافر إلى باريس لمواصلة دراساته العليا في بعثة دراسية حكومية فاز بالانسلاك إليها بجهود والده، وذلك لنيل درجة الدكتوراه في الحقوق، برغبة والده في ذلك، ولكن توفيق الحكيم أيام دراسته العليا في باريس، انجذب إلى الآداب والفنون، وأعجب بالمسارح الفرنسية الساحرة، فجعل يتلقاها، ويغترف من نبعها متعلما أساليبها المتفننة، منتهلا من خبراء الفن، ومتدربا على المسرحية من محنكي المجال المسرحي والتمثيل، ومتمرسا على أيدي عمالقة الدراما، مستوعبا كل المهارات الأدبية بكل البراعة والخبرة فيها، مع اطلاعه الدقيق والواسع على الآداب اليونانية والفرنسية والرومية، وتمهره في فنون السينما والقصص.

عمل توفيق الحكيم وكيلاً للنائب العام في المحاكم المختلطة بمدينة الإسكندرية ،ثم في المحاكم الأهلية. ثم غادرها إلى وزارة المعارف عام1934 م، واشتغل بها مفتشاً للتحقيقات، وبعدما عمل بها ثلاث سنوات في هذا المنصب انخرط إلى إدارة الموسيقى والمسرح بالوزارة نفسها مديرا، وذلك عام1937 م، كما عمل مديرا للإرشاد الاجتماعي في وزارة الشؤون الاجتماعية.

إنه لم يساهم في مجال الأدب واللغة بكتاباته ومؤلفاته وإصداراته فحسب، بل عمل عضوا نشيطا وفعالا ومديرا في الدوائر الأدبية والمجامع اللغوية ومجالس الفنون، والجرائد الحكومية كذلك. فأصبح مديرا لدار الكتب المصرية عام 1954م، كما انتخب عضوا عاملا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في العام نفسه، وفي عام1956 م عيّن عضوا متفرغا في المجلس الأعلى للفنون والآداب بدرجة وكيل الوزارة. ثم عين مندوبا لمصر بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) في عام1959 م في باريس، وبعدما انتهت مدة مندوبيته في اليونسكو عاد إلى المجلس الأعلى للفنون والآداب من جديد في عام 1960م. ثم انسلك إلى هيئة استشارية لجريدة الأهرام، وإلى مجلس إدارتها سنة 1971م.

لقد شاهد توفيق الحكيم، ثورة عام 1919م المصرية، والانقلاب العسكري المصري عام 1952م أيام جمال عبد الناصر بأم عينيه، وتأثر بذلك كله فجاشت قريحته تجاه ذلك، وألف خلال ذلك روايته المعروفة بـ"عودة الروح" التي حقا كانت قد نفخت في الثوريين والانقلابيين روح الغيرة والوطنية والاستماتة في سبيل الدفاع عن الوطن، وساهم هو نفسه مساهمة قوية في ذلك.

لم تكن شهرة توفيق الحكيم في الصحافة قط، ولكنه على الرغم من ذلك، كان من كتاب العمود الأدبي في جريدة الأهرام، ويبدو من ذلك أن توفيق الحكيم كان لايكتب المقالات الأدبية في هذا العمود فحسب، بل كان يكتب في هذا العمود الأدبي انتقادات ضد السياسة والحكم كذلك. لقد كان توفيق الحكيم من مؤيدي جمال عبد الناصر أيام حكمه، ولكنه ندَّد بسياسيات جمال عبد الناصر فيما بعد، وأصبح من المعارضين له.

نال توفيق قلادة الجمهورية المصرية على يد رئيسها، وقتذاك، جمال عبد الناصر، لخدماته الأدبية والفنية، ولاسيما لروايته "عودة الروح" التي لعبت دورا مهما في إشعال نار الانقلاب العسكري المصري في مناصرة الرئيس جمال عبد الناصر لعام 1958م. ثم حاز الجائزة التقديرية الوطنية لإنجازاته البارزة الممتازة في الأعمال المسرحية والروائية والفنية لعام 1962م.

توفي توفيق الحكيم في 26/ يوليو 1987م عن عمر يناهز 88 سنة، تاركا وراءه عطاءات علمية وأدبية وفكرية تحيي ذكراه، وترفع اسمه، وتجعله يتبوأ مكانة عظيمة في مسيرة الأدب العربي والآداب العالمية أيضا.

16.2.2 إنجازاته العلمية والأدبية والفكرية

أيها الطلبة الأعزة! إن الحقول والمجالات العلمية والمعرفية والأدبية التي أثراها هذا الأديب الألمعي الكبير بعطاءات قيمة وممتازة يمكن حصرها فيما يلي: المسرحية العربية. والرواية. والقصة. والسيرة. والمقالات. والدراسات والأبحاث العلمية. والشعر.

أعماله المسرحية:

سوف يُسرَدُ لكم هنا أيها الطلبة! قائمة أسماء أعماله في جميع المجالات الآنف ذكرها، مع ذكر الأعوام التي صدرت فيها هذه الأعمال، وها هي ذي إليكم عناوين أعماله المسرحية أيها الطلبة: أهل الكهف 1933م، شهرزاد 1934م، براكسا أو مشكلة الحُكم 1939م، بجماليون 1943، سليمان الحكيم 1943، الملك أوديب 1949م، مسرح المجتمع 1950م، الأيدي الناعمة 1959، إيزيس 1955م، الصفقة 1956م، المسرح المنوع 1956م، لعبة الموت 1957م، أشواك السلام 1957م، رحلة إلى الغد 1957م، السلطان الحائر 1960م، يا طالع الشجرة 1962م، الطعام لكل فم 1963م، شمس النهار 1965م، مصير صرصار 1966م، الورطة 1966م، بنك القلق 1967م، مجلس العدل 1972م، الدنيا 1974م، الحمير 1975م.

أعماله الروائية:

إن الجنس الأدبي الحديث الذي أثرى به توفيق الحكيم المكتبة الأدبية بعد المسرحية ليس هو إلا "الرواية العربية"، وإنه إن لم يساو نجيب محفوظ في تأليف الرواية العربية كَمّا ونوعا، ولكنه كل ما تركه من الروايات العربية يحتل مكانة بارزة في مسيرة الأدب العربي، وإليكم أيها الطلبة الأعزة! سرد لرواياته: عودة الروح (1933م)، القصر المسحور (1936م)، يوميات نائب في الأرياف (1937م)، عصفور من الشرق (1938م)، أشعب (1938م)، راقصة المعبد (1939م)، حمار الحكيم (1940م)، الرباط المقدس (1944م).

أعماله القصصية:

وأما دوره في تأليف القصة العربية فهي تتمثل في قائمة الكتب المذكورة فيمايلي: عهد الشيطان 1938م، سلطان الظلام 1941م، عدالة وفن 1953م، أرني الله 1953م، ليلة الزفاف (قصة قصيرة) 1966م.

مقالاته:

لم تكن مساهمات توفيق الحكيم محدودة في الإبداع الأدبي فحسب، بل له إنجازات بحثية وفكرية وعلمية ونظرية وأصولية كذلك، فإنه كتب العديد من المقالات حول ما يتعلق بالتفكير والتنظير. وإليكم أيها الإخوة الطلبة قائمة أعماله من هذا القبيل: تحت شمس الفكر 1938م، حماري قال لي 1938م، من البرج العاجي 1941م، تحت

المصباح الأخضر 1942م، فن الأدب 1952م، ثورة الشباب 1975م، بين الفكر والفن 1976م، أدب الحياة 1976م، "تحديات سنة 2000م" 1980م.

أعماله الفكرية والسياسية والفلسفية:

لقد تعلمتم حتى الآن أيها الطلبة! في ضوء إنجازاته الأدبية الرائعة والقيمة أن توفيق الحكيم أديب مبدع من الطراز الأول، بل هو رائد من رواد بعض الأجناس الأدبية في العصر الحديث، ولكن لو تقدمتم إلى الأمام وواصلتم مطالعتكم لما خلفه هذا الأديب الألمعي الفذ لاطلعتم على أنه، إلى جانب هذه وتلك، أثرى المكتبة العلمية والمعرفية والنظرية بدراسات ونصوص في الدين، والسياسة، والفكر، والعلوم الإسلامية، والفلسفة، وتفسير القرآن الكريم، وكل ذلك يتبوأ مكانة مقبولة إلى حد كبير-إن لم يكن متساويا مع أعمال المفسرين، والمفكرين والفلاسفة والسياسيين البارزين-، وها هي ذي إليكم أيها الطلبة قائمة لإنجازات توفيق الحكيم في هذا القبيل: شجرة الحُكم (نصوص سياسية) 1945م، عصا الحكيم (نصوص حوارية) 1954م، تأملات في السياسة (نصوص فكرية) 1954م، التعادلية (نصوص فكرية) 1955م، قالبنا المسرحي 1967م، حديث مع الكوكب (فلسفة) 1974م، مختار تفسير القرطبي (تفسير) 1977م، التعادلية مع الإسلام والتعادلية (فلسفة) 1983م، الأحاديث الأربعة (فكر ديني) 1983م، شجرة الحكم السياسي (نصوص سياسية) 1985م.

إنجازاته في السير:

لقد تعلمتم أيها الطلبة الأعزة! أن توفيق الحكيم جال في الأقطار المعرفية والثقافية والأدبية إلى أبعادها المختلفة، كتب المسرحية، وكتب الرواية وكتب في الفكر والفلسفة والدين والسياسة والتفسير والتنظير وكتب المقالات والبحوث والدراسات، ولكن في خضم هذه الأعمال والإنجازات والإنتاجات العلمية والأدبية يتجلى أمامنا جانب مهم ذو قيمة تاريخية وفكرية واجتماعية وتربوية ودينية وخلقية من حياته، وذلك من خلال تأليفه في سيرة النبي المختار محمد النبي الأمي ﷺ، ومن خلال ما خلفه من رشحات قلم في السيرة الذاتية، فإن السيرة الذاتية، أيها الطلبة! مجال مهم من المجالات التأليفية، لأنها عطر وخلاصة لجهود ومساعي مؤلف أو كاتب أو مفكر، تحمل في طياتها وقائع تاريخية لا لفرد واحد بل للمجتمع الذي يعيش فيه ذلك المفكر أو الكاتب أو المؤلف، فإن السيرة الذاتية مرآة صافية للأوضاع السياسية والاجتماعية والخلقية والدينية والمستوى التعليمي والتربوي، لقد أخذ توفيق الحكيم هذا المجال بعين الاعتبار، وثمَّنه، فألف العديد من الكتب فيها، وها إليكم قائمة من مؤلفاته في هذا المجال: محمد - صلّى الله عليه وسلّم- (سيرة حواريّة) 1936م، زهرة العمر (سيرة ذاتية) 1943م، سجن العمر(سيرة ذاتية) 1964م، رحلة بين عصرين (ذكريات) 1972م، عودة الوعي (ذكريات سياسية) 1974م، في طريق عودة الوعي (ذكريات سياسية) 1975م، مصر بين عهدين (ذكريات) 1983م.

وإلى جانب هذه المجالات المعرفية والأدبية والعلمية والفكرية، خلف مجموعات شعرية وحوارية ذات علاقة دينية وتاريخية ووطنية، من أجدرها بالذكر: رحلة الربيع والخريف (مجموعة شعر) 1964م، نشيد الأنشاد (نشيد ديني) 1940م، ملامح داخلية (حوار) 1982م.

16.2.3 تحليل أعماله المسرحية

أيها الطلبة! الآن نحاول أن نزودكم بما يتعلق بإنجازاته المسرحية ونسلط الضوء على بعض المسرحيات

منها. وقد مررتم بأسماء المسرحيات العربية التي ألفها توفيق الحكيم، وهنا سوف تتعلمون ماهي خصائصها الفنية، وماهي ميزاتها، وماهي النظريات الأدبية والتيار الأدبي الذي تتسم به مسرحياته، وذلك في ضوء ثلاث مسرحيات: أهل الكهف، وشهر زاد، وبراكسا.

16.2.3.1 نبذة عن هذه المسرحيات الثلاث

1- أهل الكهف 1933م:

لقد درستم عن مسرحية أهل الكهف، وخلفية تأليفها، ومحتواها، ومضمونها، وتاريخها، وميزاتها، وخصائصها الفنية، وخلاصتها في الوحدة 13. فلا نطيل الكلام عليكم عنها أيها الطلبة الأعزة! في هذا الدرس.

2- شهرزاد، 1934م:

تدور هذه المسرحية حول قصة جرت مابين الملك شهر يار وزوجته الذكية والفطنة الفاتنة شهر زاد، وهي القصة نفسها التي تدور حولها قصة ألف ليلة وليلة، فشهر يار اسم الملك المرتاب المتشكك من أجل زواجه الأول الذي خاب لأن زوجته عشقت رجلا آخر، فاطلع على ذلك الملك فقتلها غيرة، ثم جرت بعد ذلك عادته في قتل الزوجات هكذا بعد قضاء ليلة واحدة معهن، من أجل شكوكه وظنونه تجاه زوجة تزوج منها. وأخيرا تزوجت من الملك فتاة شابة ذكية اسمها شهرزاد، وقد كانت شهر زاد مطلعة على قصص قتل زوجات هذا الملك المتشكك المرتاب، ولكنها كانت على مبلغ من الفطانة والذكاء وبعد النظر، فبعدما تم الزواج وذهبت إلى الملك في الليلة الأولى جعلت تحكي عليه قصة أسطورية غريبة وممتعة تجتذب لها آذان الملك وتتمتع حتى أدهشت القصة الملك، وغيرت نية قتله إلى تفكير عميق تجاه فطنة زوجته الحديثة العهد بالزواج معه، وبات مسحورا، ولكن شهرزاد عندما أشعلت في الملك شعلة التشوق والرغبة في القصة، تركت حبكة القصة مفتوحة من دون أن تكملها في الصباح، وهكذا مرت عليهما ألف ليلة وليلة. ولكن شك الملك لم يزل يبقى رغم مضي هذه الفترة الطويلة مع شهرزاد، فخرج متفكرا في إبداع شهرزاد على اختراع هذه القصص الطويلة المستمرة المتتابعة إلى ألف ليلة وليلة، ولكنه لم يقتلها، وغاب عن الناس.

ونافلة القول إن مسرحية شهرزاد مقتبسة من قصص ألف ليلة وليلة، وتمت صياغتها على الإطار المسرحي، الجميل، وهذه المسرحية أيضا من أروع مسرحيات توفيق الحكيم في الحبكة والمضمون واللغة، تدور حول الصراع بين الإنسان وكماله، فالإنسان يظن أنه رجل كامل من كل الجوانب، ولكن في حقيقة الأمر لايكون أي إنسان كاملا في كل شيء.

3- براكسا أو مشكلة الحُكم، 1939م:

تدور هذه المسرحية أيها الطلبة! حول قصة تاريخية إغريقية تثير الجدل بين الرجال والنساء، ويبدو من خلال هذه المسرحية أن نظرية تمكين المرأة ليست حديثة العهد بالعصر المعاصر، بل لها تاريخ عريق في القدم، إذ برزت امرأة اسمها "براكسا" في مدينة أثينا عاصمة اليونان، وقادت حركة أو ثورة ضد حكم الرجال، واستولت على كرسي الحكم، ولكن حكومتها لم تدم طويلا، ثم برزت بطل آخر اسمه هيرونيموس الذي تعلقت به براكسا بعلاقة غرامية وراء زوجه بلبروس، ولكن هيرو نيموس أيضا لم ينجح في الحكومة من أجل دكتاتوريته واستبداده، فآل أمر الحكومة إلى بلبروس زوج براكسا الذي كان أحمق، وبعد مضي فترة من الزمن تفككت حكومته أيضا، ثم ظهرت تظاهرات سياسية شديدة، وانتهى الأمر بقولة تاريخية لأبقراط: "احكم نفسك بنفسك أيها الشعب، لمصلحة

نفسك".

ونافلة القول إن هذه المسرحية تدور حول قصة إغريقية أسطورية في الصراع بين الرجال والنساء ومشكلة الحكم، وبراكسا هي التي لعبت دورا مهما في إشعال نيران هذا الصراع من أجل التمكين النسوي، فسميت المسرحية باسمها. والشخصيات الرئيسية التي تدور حولها حبكة هذه المسرحية هي: براكسا، هيرونيموس، بلبروس، أبقراط، والشعب، والمكان هو أثينا في اليونان.

16.2.4 ميزات مسرحياته وأسلوب كتابته

الميزة البارزة التي تمتاز بها المسرحيات توفيق الحكيم أنها هي أولى المسرحيات العربية الناضجة المستلهمة والمستوحاة من تراث قديم، وهذا التراث القديم إما يتعلق بالحضارة الفرعونية القديمة أو بالحضارة الإغريقية القديمة، أو بالديانة المسيحية، والنصوص الإسلامية، وتاريخها، فمسرحيات براكسا، وبيجماليون، والملك أوديب تتمحور حول التراث الإغريقي الأسطوري القديم، وأهل الكهف تدور حول قصة وقعت في الديانة المسيحية صراعا بين الحق والباطل، كما هي مستوحاة من القرآن الكريم أيضا.

وبيد أن المسرحيات العربية لتوفيق الحكيم ذات علاقة تاريخية وتراثية قديمة فيستحيل عرضها وتمثيلها على الخشبة، فنشأ من هنا تيار مسرحي جديد في تاريخ المسرحيات العربية وهو تيار المسرح الذهني، فأكثر مسرحياته يمكن أن تقرأ فقط ولاتعرض على الخشبة، نشأ هذا التيار بادئ ذي بدء في مسرحية "أهل الكهف"، ثم عم في المسرحيات الأخرى التي صدرت فيما بعد. وكان توفيق الحكيم على إدراك تام تجاه هذه الحقيقة التي تتسم بها مسرحياته، فقال مرة في لقاء صحفي: "إني اليوم أقيم مسرحي داخل الذهن وأجعل الممثلين أفكارا تتحرك في المطلق من المعاني مرتدية أثواب الرموز، لهذا اتسعت الهوة بيني وبين خشبة المسرح ولم أجد قنطرة تنقل مثل هذه الأعمال إلى الناس غير المطبعة".

ويمثل توفيق الحكيم من خلال أعماله الأدبية من المسرحيات والروايات الرمزية والواقعية بكل وضوح، ثم يتجلى جمال أسلوب كتابته والروعة الأدبية النادرة في تصوير الوقائع التاريخية، وابتكار الشخصيات المناسبة لأداء الدور الفعال للحبكة التي تدور حولها المسرحية.

16.3 ميخائيل نعيمة: حياته وإنجازاته

16.3.1 حياته العامة والدراسية

المفكر الشاعر القاصّ المسرحيّ الناقد الكاتب المنظِّر الضليع عن العربية والإنكليزية والروسية ميخائيل نعيمة، هو الذي أبهر العالم كله بإبداعاته وكتاباته ومنتوجاته المميزة شعراً ونثراً، قصةً ومسرحيةً، مقالةً وروايةً. ولد هذا الأديب المفكر الفيلسوف، الملقب بـ"ناسك الشخروب" نسبة إلى قرية شخروب في لبنان حيث استقر بها بعدما غادر أميركا، وتوفي ودفن بها في 17 شهر أكتوبر / تشرين الأول عام 1889م بقرية جبلية مِخصاب تبعد بـ40 كيلو متراً عن بيروت، عاصمة لبنان، ألا، وهي قرية "بسكنتا" التاريخية النامية المتقدمة حضارةً وثقافةً وتربيةً، وعريقة في القدم. تلقى مبادئ العلوم في مدرسة الجمعية الفلسطينية في منطقته، ثم حصل على منحة دراسية، فتابع دراسته في بعض المراكز التعليمية في مدينة الناصرة الفلسطينية التي تبعد اليوم بـ 105 كم عن القدس. ثم قصد إلى بولتافا الروسية وقتذاك (حاليا هي مدينة في شمال شرق أوكرانيا تبعد 301 كم تقريبا عن كييف عاصمة

أوكرانيا)، مكث هناك حوالى 5 أعوام خلال الفترة مابين 1906-1911م، ملتحقا بالمدرسة اللاهوتية بها. تلقى اللغة الروسية، وأتقنها، وتعمق في الأدب الروسي، وتعرَّف على أدبائه ومبدعيه من الروائيين، والقاصين، والمسرحيين، والشعراء، والكتاب، واستفاد منهم ما استفاد، وذلك ما يتبلور في أعماله الأدبية تبلورا جليا.

وفي عام 1912 غادر ها ميخائيل نعيمة إلى الولايات المتحدة الأميركية، والتحق بجامعة واشنطن، ونال منها إجازة في الحقوق وأخرى في الآداب. وبعدما أنهى ميخائيل دراسته توطن بها، وأصدر باكورة عمله المتمثلة في مقالة عنوانها: "فجر الأمل بعد ليل اليأس" وذلك عام 1913م. ميخائيل نعيمة أحد أساطين المدرسة الأدبية المهجرية في أميركا الشمالية "الرابطة القلمية"، فإنه هو الذي وضع دستور هذه الرابطة وعين مستشارها مع ثلة من كبار الأدباء المهاجرين، وعلى رأسهم جبران خليل جبران. وفي عام 1932م عاد ميخائيل نعيمة إلى وطنه، وبات دؤوبا وعكوفا على إصدار عطاءاته الأدبيه والفكرية والفلسفية حتى تنفس الأخير إذ رحل في 28 فبراير عام 1988م.

16.3.2 إنجازاته العلمية والأدبية والفكرية

أعمال ميخائيل عبارة عن مجموعات قصصية، والمسرحية، والروايات، والشعر، ومؤلفات في النقد، والفكر، والفلسفة، والترجمة. وفي السطور التالية قائمة أعماله الأدبية والعلمية والفكرية:

المسرح:

وضع نعيمه مسرحية "الآباء والبنون" سنة 1917م. تلتها مسرحيّة " أيّوب " في العام 1967.

مجموعاته القصصية:

نشر نعيمة مجموعته القصصيّة الأولى سنة 1937 بعنوان" كان ما كان". وفي العام 1956 نشر مجموعته القصّصيّة الثّانية" أكابر". ثمّ المجموعة الثّالثة "أبو بطّة" في العام 1958. و"هوامش" في العام 1965.

الشّعر:

مجموعته الشّعريّة الوحيدة هي "همس الجفون"، تحتوي على قصائد منظومة باللّغة العربيّة وأخرى معرّبة، كان الشّاعر قد نظمها بالإنكليزيّة. صدرت المجموعة في العام 1945 في بيروت.

الرّوايات:

"لقاء" طبعت عام 1948م، و "كتاب مرداد" (رواية فلسفيّة رمزيّة) صدرت عام 1948م، و"مذكّرات الأرقش" نشرت بعام 1949م، و"اليوم الأخير" طبعت عام 1963م، "يا ابن آدم" (رواية حواريّة) صدرت في عام 1969م.

المؤلّفات النقدية والفكرية والفلسفية الأخرى:

تحوي أعمال ميخائيل النقدية والفكرية والفلسفية الكتب، والمقالات والبحوث والدراسات والسيرة، وغيرها من الحقول العلمية والمعرفية، وفيما يلي سرد لها: الغربال، (كتاب في النقد صدر في نيو يورك عام1923م)، وجبران خليل جبران، حياته. موته. أدبه. فنّه(سيرة جبران خليل جبران) صدرت عام 1934م، و زاد المعاد (مجموعة مقالات) طبعت عام 1936م، والبيادر(مجموعة مقالات) صدرت عام1945م، والأوثان (مجموعة مقالات) طبعت بعام 1946م، وكرم على درب (مجموعة شذرات وحكم) صدرت عام 1946م، وصوت العالم (مجموعة مقالات) صدرت

عام1948م، و النّور والدّيجور (مجموعة مقالات) صدرت بعام1950م، و في مهبّ الرّيح (مجموعة مقالات) صدرت عام1953م، و دروب (مجموعة مقالات) نشرت في عام 1954م، و أبعد من موسكو ومن واشنطن (مجموعة مقالات) نشرت سنة 1957م.

أعماله المترجمة:

كان ميخائيل نعيمة -كما تأنف الذكر- متقنا عدة لغات من العربية والإنكليزية والروسية، فإنه، إلى جانب التأليف الإبداعي، مترجم خبير نقل هو نفسه بعض أعماله الأدبية والمعرفية والفكرية المهمة إلى اللغة الإنكليزية، ومن الجدير بذكر أعماله المترجمة: الترجمة الإنكليزية لسيرة حياة جبران بعنوان :Khalil Gibran, A Biography صدرت عام 1950م في نيويورك. وفي عام 1952صدرت التّرجمة الإنكليزيّة لكتاب "مذكّرات الأرقش" بعنوان: Memoirs of a Vagrant Soul وذلك في نيويورك. وفي سنة 1957صدرت الترجمة الإنكليزيّة لرواية لقاء، بعنوان: Till We Meet وذلك في مدينة مومباي بالهند.

الأعمال الأخرى:

ومن أهم وأروع ما خلفه ميخائيل من أعمال هو كتابه الغربال الجديد (مجموعة مقالات في النقد) صدر في 1971م. ثم نجوى الغروب صدر عام 1973م. وأحاديث مع الصحافة سنة 1973م. ومن وحي المسيح صدر بعام 1974م. واليوم الأخير طبع في عام 1965م. وأما سيرته الذاتية بعنوان: "سبعون" فهي ذات قيمة تاريخية ونقدية وأدبية طبعت عام 1960م في ثلاثة أجزاء، سماها بـ"سبعون" لأنها تم تأليفها وهو يبلغ السبعين من عمره آنذاك.

16.3.3 تحليل أعماله المسرحية

لانجد في قائمة أعمال ميخائيل نعيمة إلا مسرحيتين؛ إحداهما: "الآباء والبنون" وأخراهما: "أيوب". مسرحية الآباء والبنون هي أول عمل أدبي منشور لميخائيل، تم نشر هذه المسرحية بادئ بدء مسلسلةً في مجلة "الفنون" في نيو يورك، ثم ظهر على حيز الوجود في صورة كتاب مستقل في عام 1917م، أعدها ميخائيل نعيمة في ثلاثة أسابيع بعد تخرجه من الجامعة عام 1916م. ثم نفدت هذه الطبعة الأولى للكتاب، فأعاد النظر عليها، وقام بالتعديل والتنقيح، وصدرت الطبعة الثانية المنقحة الجديدة في عام 1953. وهذه المسرحية تدور حول الحالة الاجتماعية اللبنانية، فهي مكتوبة بالعربية الفصحى والعامية كذلك، لتكون موفقة للتعبير عن اللبناني المثقف، واللبناني الغير مثقف أيضا، الذي هو عاجز عن التكلم بالفصحى.

وأما مسرحية "أيّوب" فصدرت في عام 1967م، وهي تدور حول الأحداث التي جرت ماقبل زمن المسيح عليه السلام، وهي مسرحية من قبيل المسرحيات التاريخية المستوحاة من التراث القديم، فلم يكن فيها ميخائيل مضطرا إلى تصوير الحالة الاجتماعية اللبنانية أو العربية الأخرى التي تذعن للناطقين بالعامية والناطقين بالفصحى، فقد كتبها بالعربية الفصحى التي هي اللغة العلمية والأدبية والكتابية لدى العرب اليوم وفي كل زمان. وأما الأحداث والحبكة التي تجري حولها المسرحية فهي كما ذكرها ميخائيل نعيمة عينه:

> "لقد حاولت في أيوب أن أتناول معضلة من أكبر المعضلات في الحياة البشرية، ألا وهي معضلة القدَر والأوجاع على أنواعها التي تنزل بالناس، وليس من يدري إلى أي حد تكون بمثابة تجربة لنا وإلى أي حد تكون بمثابة قصاص على أشياء ارتكبناها عن وعي منا أو عن غير وعي".

يعني أنها تجري حول القدر، ومدى تأثيره في حياة البشر، وفي معتقداته، وسلوكه، وأعماله من الخير والشر.

16.3.4 ميزات مسرحياته وأسلوب كتابته

الميزات البارزة لكتابات ميخائيل نعيمة أنها تمتاز بالنزعات الإنسانية، والرومانسية، والقومية، والرمزية، والتأمل في الحياة والكون، والأمور الروحية، والبساطة، والسهل المتنع، والبعد عن التقليد العربي القديم. إضافة إلى اتسامها بسمات الطبيعة الهادئة، وقوة العاطفة، والفكر العميق، والشعور البالغ، والتعبير الدقيق عما يخطر بباله، والفراسة، وتعزيز علاقة الإبداع الأدبي مع الحياة والكون، فالشعر لديه لغة النفس، ونسمة الحياة، والشاعر هو ترجمان للنفس. وأما سهولة الأسلوب، وبساطة اللغة، والوضوح، والحوار، والصناعة بُعداً عن التكلف، والتكرار لتعميق المعنى وتحقيقه، والبعد عن التعصب المذهبي والديني رغم كونه مسيحيا، المزج بين العطاءات الغربية والثقافات الشرقية، والتأثر بالأدب الروسي والإنكليزي، والصدق، والصفاء، والصوفية، والتفاؤل بدل التشاؤم فذلك كله مما يميز ميخائيل نعيمة تميزا جليا عن الآخرين. وللمسرحية لدى ميخائيل مكانة لاتعادلها مكانة أو قيمة لأي فن من الفنون الأخرى، ويرى ميخائيل أن المسرحية في الأدب العربي في أمس حاجة إلى عناية بالغة من الممثلين والأدباء والحكومة كذلك. وأكبر عائق وأقوى خطر تعرضت ولا تزال تتعرض له المسرحية في دول الشرق أو في الشرق هو على حد تعبير ميخائيل نعيمة: "في الغرب قد بات من الممكن لكاتب المسرحية أن يعيش من قلمه وللممثلين أن يعيشوا من تمثيلهم. أما عندنا فلا كاتب المسرحية ينتفع منها بفلس، ولا الممثل يستطيع أن يحصل من تمثيله على مقومات العيش. ولعل ذلك من الأسباب الرئيسية التي تصرف الموهوبين من كتابنا عن كتابة المسرحية".

16.4 التمرينات

1- حاول التدرب على كتابة مسرحية صغيرة في ضوء إحدى المسرحيات العربية لتوفيق الحكيم أو ميخائيل نعيمة، ثم واصل الكتابة في هذا المجال.
2- اكتب ملخصا وجيزا لمسرحية "شهر زاد" في عباراتك وكلماتك.
3- ترجم 5 صفحات من مسرحية "الآباء والبنون" لميخائيل إلى لغتك الأم أو اللغة الإنجليزية في أسلوب رائع.
4- أعدَّ قائمة من التعبيرات الجميلة والاستعمالات الأخاذة من هذه الوحدة.
5- حاول أن تكتب 500 كلمة على الأقل على أسلوب مسرحية من مسرحيات توفيق الحكيم في اللغة العربية الفصحى.
6- حاول أن تكتب ما لا يقل عن 500 كلمة على أسلوب مسرحية من مسرحيات ميخائيل نعيمة في اللغة العربية الفصحى.

16.5 نتائج التعلم

أيها الطلبة الأعزة! إن دراسة حياة وأعمال وإنجازات الأديبين والكاتبين الكبيرين توفيق الحكيم وميخائيل نعيمة علمتنا مجموعة من الفوائد، والتي يمكن حصرها في النقاط الآتي ذكرها فيمايلي:

- توفيق الحكيم أديب عربي مصري عاش حياة حافلة بالثقافة والمعرفة والإنتاج الأدبي والفكري والفلسفي.

- وكذلك ميخائيل نعيمة أديب عربي عاش حياة حافلة بالثقافة والمعرفة والإنتاج الأدبي والفكري والفلسفي.
- الفترة الزمنية التي عاش فيها كلاهما كانت تواجه أوضاعا وظروفا سياسية حرجة من الحربين العالميتين، والثورة المصرية لعام1919م، والانقلاب العسكري لعام 1952م أيام جمال عبد الناصر.
- يتجلى في الأعمال الأدبية لتوفيق الحكيم تأثره بالثقافة الفرنسية والإغريقية المصرية القديمة مع تأثره الخاص الواضح بالنصوص الدينية المسيحية والإسلامية.
- يتجلى في الأعمال الأدبية لميخائيل نعيمة تأثره بالثقافة الروسية والإنكليزية، مع تأثره الخاص الواضح بالنصوص الدينية المسيحية والإسلامية، كما يتجلى فيها الأثر الصوفي الرومانسي.
- عالج توفيق الحكيم في أعماله المسرحية والروائية بوجه مخصوص قضايا تاريخية فأصبحت تمثيل مسرحياته مستحيلا، فنشأ من خلاله تيار مسرحي جديد باسم "المسرح الذهني".
- عالج توفيق الحكيم في أعماله المسرحية والروائية بوجه مخصوص قضايا اجتماعية وعقدية وقومية، فأصبح في البعض مضطرا إلى استخدام العامية إلى جانب الفصحى للتصوير الصادق والصحيح، وللمسرحية لديه أهمية وقيمة ومكانة لاتعادلها أهمية ومكانة وقيمة لأي فن من الفنون الأدبية.
- وكذلك تعلمنا من خلال حياتهما العلمية أن المجالات العلمية التي خلفا مآثرهما فيها هي: المسرحية، والرواية، والقصة، والقصة القصيرة، والمقالة، والفكر، والفلسفة، والشعر، والسياسة، والسيرة الذاتية وما إلى ذلك.
- إن العنصر التكويني المهم الذي عزَّز في توفيق الحكيم ميوله المسرحية هو رحلته إلى فرنسا ورغبته في الفن والتمثيل والمسرح والسينما فيها.
- إن العنصر التكويني المهم الذي عزَّز في ميخائيل نعيمة ميوله المسرحية هو رحلته إلى نيو يورك ورغبته في الفن والتمثيل والمسرح فيها.
- ولد ميخائيل نعيمة في القرن التاسع عشر الميلادي وذلك عام 1888م، وتوفي في القرن العشرين في عام 1989م، فإنه عاش حياة طويلة، فتمكن من إنجاز عطاءات علمية وأدبية غزيرة رفيعة المستوى، وذلك ما بعث الأدباء الأجانب على ترجمة العديد من أعماله الأدبية إلى لغات عالمية أخرى.
- وكذلك، ولد توفيق الحكيم في القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك عام 1897م، وتوفي في القرن العشرين في عام 1987م، وعاش حياة طويلة، فتمكن من إنجاز عطاءات علمية وأدبية غزيرة رفيعة المستوى، وذلك ما بعث الأدباء الأجانب على ترجمة العديد من أعماله الأدبية إلى لغات عالمية أخرى.
- وأهم شيء تعلمنا من خلال حياتهما أن أعمالهما الأدبية مفيدة غاية الإفادة لتلقي اللغة العربية الفصحى، وللاطلاع على حضارات الأمم المختلفة، والنظريات الأدبية والنقدية المعاصرة.

16.6 الكلمات الصعبة ومعانيها

المفرد/ التعبير	المعنى	المعنى بالإنكليزية

Analytical study	معالجة نص من النصوص معالجة نقد وتحليل وتفسير وتعليل	دراسة تحليلية
Literary achievements	الأعمال والإسهامات والخدمات الأدبية	إنجازات أدبية
Sample questions	أسئلة كالمثال	أسئلة نموذجية
Political text	نصوص وعبارات تتعلق بالسياسة	نصوص سياسية
Elements of the unit	النقاط الأساسية التي تعتمد عليها الوحدة أو الدرس	عناصر الوحدة
The giant Arabic writer, The great Arabic writer	الأديب والكاتب العربي الكبير الذي قلّما يوجد له نظير	الأديب العربي العملاق
The author or writer with numerous literary works	المؤلف الذي يكتب كثيرا ويؤلف كثيرا	الكاتب المِكثار
Selected sample	المثال المختار	النموذج المنتقى
To enjoy beauty of the literature	الاستمتاع والاستلذاذ بعبارة نص أدبي من الشعر أو النثر	التمتع بجمال الأدب
The Excellent writer	الكاتب المثالي المعروف على نطاق كبير	الكاتب الممتاز
Beauty of the words	جمال الكلمات	روعة الكلمات
Rhetoric of the expression	الخصائص المميزة للجمل المنطوقة في الكلام أو المسطورة في عبارة	بلاغة التعبير
Perspective of the standard Arabic literature	جانب من جوانب الأدب العربي الفصيح	منظور الأدب العربي الفصيح
To continue higher studies	متابعة واستمرار الدراسة العليا بعد البكالوريوس والماجستير	مواصلة الدراسات العليا
Music and acting	الأغنية والإيحاء وأداء دور الشخصية في المسرحية أو في عمل فني	الموسيقى والتمثيل

16.7 أسئلة الاختبار النموذجية

16.7.1 أسئلة موضوعية

1- توفيق الحكيم كاتب وأديب عربي ولد في:

(a) مصر (b) سوريا (c) ليبيا (d) فرنسا

2- زهرة العمر كتاب في:

(a) الرواية العربية (b) السيرة الذاتية (c) الفلسفة (d) سيرة النبي ﷺ

3- كان والد توفيق الحكيم يريد أن يكمل ابنه درجة الدكتوراة في مادة:

(a) الدراما العربية (b) الحقوق (c) التاريخ (d) الأدب الفرنسي

4- حديثنا مع الكوكب كتاب في:

(a) الفلسفة (b) التاريخ (c) الدراما (d) نصوص سياسية

5- ولد توفيق الحكيم في عام:

(a) 1897م (b) 1913م (c) 1850م (d) 1857م

6-صدرت الرواية المعروفة "أهل الكهف" لتوفيق الحكيم في عام:

(a) 1930م (b) 1933م (c) 1950م (d) 1960م

7-تيار "المسرح الذهني" وضعه للمرة الأولى الكاتب المصري، اسمه:

(a) يوسف إدريس (b) توفيق الحكيم

(c) عبد الحميد جودة السحار (d) نجيب محفوظ

8- اشتهر توفيق الحكيم في العالم العربي بصفته:

(a) سياسيا مصريا (b) أديبا مصريا (c) مفكرا إسلاميا (d) صحافيا عربيا

9- ليس من معاصري توفيق الحكيم في مصر:

(a) رفاعة رافع الطهطاوي (b) جمال الدين الأفغاني

(c) كامل الكيلاني (d) نجيب محفوظ

10-"عهد الشيطان" كتاب في:

(a) القصة (b) المسرحية (c) الرواية العربية (d) السيرة الذاتية

16.7.2 أسئلة الإجابة القصيرة

1- ماهي أول مسرحية لميخائيل نعيمة ؟ دون خصائصها بإيجاز.

2- اشرح نشيد الأنشاد بلغتك أنت في 200 كلمة.

3- ماهي خلاصة حياة توفيق الحكيم الأدبية؟ ناقش.

4- كيف يمتاز ميخائيل عن المسرحيين العرب الآخرين ؟ عالج

5- ما هو دور توفيق الحكيم في كتابة السيرة الذاتية؟ حدث في ضوء مؤلفاته فيها.

16.7.3 أسئلة الإجابة الطويلة

1- اكتب مقالة عن أسلوب توفيق الحكيم والجانب المسرحي في ضوء مسرحية "شهر زاد".

2- اكتب مقالة مقنعة عن دور ميخائيل نعيمة في الأدب العربي.

3- ماهي المكانة الأدبية لرواية "عودة الروح"؟ ناقش

16.8 أهم الكتب والمراجع الموصى بها

1- أحمد أبو سعيد، فن القصة، دار الشرق الجديد، عمان 1959م.

2- ميخائيل نعيمة: الآباء والبنون، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط: 9، 1989م.

3- عبد الشافي الشوري، التراث القصصي عند العرب، مكتبة شباب، مصر، 1991م.
4- توفيق الحكيم، أهل الكهف، دار مصر للطباعة، سعيد جوده سحار وشركاؤه. سنة الطباعة غير موجودة.
5- سيد علي إسماعيل: تاريخ المسرح في العالم العربي، القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2016م.
6- توفيق الحكيم، زهرة العمر، مكتبة الأسرة، 1998م.

الملاحق

1- نص الاقتباس من رواية "زينب"

2- نص الاقتباس من رواية "كفاح طِيبة"

3- نص الاقتباس من مسرحية "أهل الكهف"

4- نص الاقتباس من مسرحية "الآباء والبنون"

نص الاقتباس من رواية "زينب"

الفصل الأول

"في هاته الساعةِ من النهارِ حينَ تبدأُ الموجوداتُ ترجِع لصَوَابها، ويقطَعُ الصَمتَ المطلقَ الذي يحكُمُ على قرى الفلاحين طولَ الليل أذانُ المؤذنِ وصوتُ الديكِ ويقظةُ الحيوانات جميعًا من راحتها، وحين تتلاشى الظلمةُ ويظهر الصباحُ رويدًا رويدًا من وراء الحجب- في هاته الساعة كانت زينب تتمطَّى في مرقدها، وترسِلُ في الجوّ الساكن الهادئِ تنهداتِ القائمِ من نومه. وعَنْ جانبَيْها أختها وأخوها ما يزالان نائمَيْنِ. فانسحبتْ هي من بينِها. وبعيونٍ ما يزال فيها أثرُ النومِ نظرتْ لكلّ ما حولها. ولم يدعْهَا نسيمُ الصباح تتركُ مكانَها، بل استَنَدَتْ إلى الوِسادةِ وجَاهَدَتْ أن تنظُر لعلَّها ترى ما في صحن الدار فلم تجِدْ شيئًا. وأدَارَت رأسَها فإذا بابُ الغرفة مُوْصَدٌ، ولا صوتَ حولَها إلا ما يتنادَى به رسُلُ الإصْلَاحِ مِنْ أطرَافِ القريةِ.

بقيت في مكانها هُنَيْهَةً ساكنةً لا تُبْدِيْ حِراكًا. ثم فَرَدَتْ ذِرَاعَيْهَا مِنْ جَدِيْدٍ، وأرسلتْ في الهواءِ تَنَهُّدَاتِهَا، وتركتْ نفسَها تَذْهَبُ في أحلامٍ يُحْيِيْهَا النسيمُ، حتى أحسَّتْ بالبابِ تفتَحُهُ أمُّها راجعةً من أولِي أَدْوَارِ "المليةِ[(1)]". هنالك التفتَتْ إلى أختِها تهُزُّهَا لِتَسْتَيْقِظَ، لكنَّ الصغيرةَ كانتْ في نومٍ عميقٍ فلم تتَنَبَّهْ، وتقلَّبَتْ كأنَّ بهَا ضِيْقًا مِمَّنْ يَقْلُقُهَا في مضجَعِها...وأخيرًا نادتها أمُّها: يا زينب!...

-نعم...

ولم تزِدْ على هذا الجوابِ كلمةً. وبعْدَ أن استيقظَتْ أختُها التَفَتَتْ إلى أخِيْها وأيْقَظَتْهُ. وحدَقَتْ[(2)] نحوَ الشرق فإذا الأفقُ متورِّدٌ، والشمسُ في لونِها القَانِيْ والسماءُ قد خلعَتْ قميصَ الليل. هنالك قامتْ فأوقدَتْ نارًا وَلَدَّنَتْ[(3)] فوقها رغيفًا لكلّ منهم، ولم تنسَ أمّها وأباها .

دخل أبوها راجعًا من الجائعِ، وقد قرأ الوِرْدَ وصلَّى الفجرَ، وما كاد يتخطَّى عتبةَ الدارِ حتى نادَى: "يا محمدُ"، وسألَه إنْ كَانَ قَدِ اسْتَيْقَظَ بَعْدُ، وإن كانَ قدْ أَعَدَّ عمَلَه. جلستِ العائلةُ جميعًا حولَ "المِشَنَّةِ"[(4)] وأكل كلٌّ مِنْهُمْ رغِيْفَه "بِحَصْوَة" ملحٍ. ثم قام الرجلُ وابنُه إلى عملِهما. أمّا زينب فانتظرتْ مع أخْتِها أَنْ يَمُرَّ بِهِمَا إبراهيمُ، ليَذْهَبُوا جميعًا إلى "مزرعَةِ السيد محمود" لِتَنْقِيَةِ القُطْنِ. وقد كان في أملِهم جميعًا أن ينتهَوا اليوم من بر التُّرْعَةِ الغَرْبِي، أو كما يسميه كاتب المالك "نمرة"20 لينتقلوا في الغد إلى "نمرة"14.

نزلتا حين رأتا إبراهيم ومن معه مقبِلِينَ. وتهادَى الكلُّ "صباح الخير"، ثم خرجوا من الحارةِ إلى سِكة البلدِ،

---

(1)تحويل الماء من الترعة.

(2)نظرتْ.

(3) ندّتْ وبلبلتْ.

(4) وِعاء يوضع فيه الخبز ونحوه.

ثم منها إلى سِكّة الوسط، وهكذا كانوا عند"نمرة"20 ساعةَ مرورِ وابُوْرِ[1] الصُّبْحِ. ولم يتمهّلوا أنْ أخَذَ كلٌّ منهُم خَطَّهُ على وجهِ الترتيب الذي كانوا عليه أمسِ. فلما لم تجدْ خضرةُ القِطْعَةِ سعدة بجِوَارِها التفتَتْ لزينبَ عَنْ يمِيْنِها تَسْأَلُهَا عَنْهَا، وهَزّتْ هذِهِ الأخيرةُ أكتَافَهَا.

ارتفعَتِ الشمسُ حين نَقُّوْا[2] خطَّيْنِ، وأرسلتْ بشُعَاعِها تَغْمُرُ هاتِهِ الشُّجَيْرَاتُ التي ما تزالُ في مُبْتَدَأِ حَيَاتِهَا، ومع ذلك يَعْنِيْ بها الفلاحُ والمالكُ أكثرَ مِن عنايتِهما بأَبْنَائِهِمَا. واصطَفَوْا للوجهِ الثالثِ بعدَ أنْ فَصَلَهُمْ عَنِ الأُوْلَيَن مصرفٌ، فلم ينسَ إبراهيمُ أن ينبِّهَهُمْ إلى أنَّ هذه الجهةَ أغْلَتْ من سابقتِها، وتستحقّ لذلك عنايةً أكبَر، وأنذَرَهُم أنه سيُدَقِّقُ في مُرَاقَبَتِهِمْ، ومن وجد وراءَه شيئًا أَوْرَاهُ شُغْلَهُ.

– – –

جاء الكاتبُ ساعةَ العصرِ يقيِّدُ الأسماءَ، فقيَّدَ حمارَه، ونزَلَ وسْطَ الغَيْطِ[3] ليَرَى الأنفارَ بِنفسِه، وأراد بعضُهم أن يحضُر إليه ليسألَه بعضَ دراهم، فعَبَسَ لهُم وقطَّب[4] حاجبيه، وبقي كذلك حتى انتهى من شأنه، ثم أخبرهم أخيرًا أن لا دَفْعَ قَبْلَ يَوْمِ السُّوْقِ.

وفي ليلة السوق كان الكاتبُ في غرفتِه، ومعه ولدٌ يبْلُغُ الثانيةَ عشرةَ مِنْ عُمْرِهِ يُعِيْنُه على عملِه، وأمامَهُما مكتبٌ من الخشَبِ الأبيَضِ قد وُضعتْ عليه الدفاترُ. وقامَ مصباحٌ ضَئِيْلُ النُّوْرِ "لمضة" خمس شمعات_ يزيد نورَه ضعفًا ما على زجاجته من التراب. وعن جانبِ دواةٍ بمِقْلَمَتِها[5] النحاسية، وعن الآخر زجاجةٌ صغيرةٌ مَلْأَى لنصفها بالحبر. وأحاط بالمكتب جماعةٌ من العُمالِ أمسكَ "التمليةُ[6]" منهم دفاترَهم بيدهم، وانحنى الآخرون يسألون عن عددِ أيامِ شُغْلِهِمْ، وعلى شباكِ الغرفةِ وقفَ أولادٌ وبناتٌ وشبانٌ يعلوهُمْ الصَمْتُ ساعةً، ثم يتكلّمُوْنَ جميعًا بين أَسنانِهم، يظهَرُون حَنَقَهُم[7] على هذا الكاتِب الذي يضايِقُهم ساعةً أخرَى. وبعدَ أنْ طالَ بِهِمِ الوُقوفُ صُدر قرارٌ بأنَّ بأنَّ الدفعَ سَيكونُ في السُّوْقِ.

هنالك عمّ الاستياءُ وصرتَ تَسْمَعُ من جوانب شتى: "واللي مش رايح السوق؟"[8]

وتكررتْ هذه الكلمةُ وسِوَاهَا مِن مِثْلِها. ثم بلغَ الاسْتِيَاءُ أن صَمَّمَ بعضُ العُمَّالِ على الذَّهَاب إلى المالكِ نفسِه لتَقْدِيْمِ شَكْوَاهُم إليهِ. وفي تلك اللحظةِ مرّ أحدُ أقاربِهِ المحبُوبين عندَ العُمَّالِ، ومَنْ لهُم بَعْضُ الجُرْأَةِ عليهِ، فأحاطُوا بِه، وجعل كلٌّ يَشْرَحُ لهُ عُذْرَهُ، فيرضَى خاطِرَهُم بكلماتٍ تَسُرُّهُم ولكنها لا تُفِيْدُهم شيئًا.

انصرفَ الأكثرونَ منهم مقتنِعيْنَ أنهم في صباح الغد سيقبِضون، وآخرون رجعُوا إلى الكاتبِ يسألونَه عن قيمةِ مَا لَهُم، فإذا لخليل أبو جبر ستةُ أيام، أي ثمانيةَ عشَرَ قِرْشًا. أمَّا عطية أبو فرج فقد أمضى أكثرَ أيامِ أسبوعِه،

(1) محرّك بخاري (Steam Engine)

(2) نَقَّى الْقَمْحَ والحَقْلَ : اِسْتَخْرَجَ مِنْهُ كُلَّ جِسْمٍ غَرِيبٍ وَمَا بِهِ مِنْ أَحْجَارٍ، أَزَالَ مِنْهُ النَّبَاتَاتِ الْيَابِسَةَ وَالضَّارَّةَ

(3) الحقل، أرض واسعة

(4) ضم حاجبيه وما بين عينيه وعبَسَ

(5) وِعَاءٌ تُوْضَعُ فيهِ أقلامُ الكتابة

(6) الحارس والحامي

(7) أي: غَضَبَهم

(8) تعبير دارج معناه: من يمشي يروح السوق

مريضًا، فخرجَ منهُ بستةِ قُرُوْشٍ، وهو يعُوْلُ امرأة وبنتًا صغيرة، ويساعد أمًّا له دقّتْهَا الأيامُ، ولم يبقَ لها من أبنائها من يُعِيْنُها سواه. بالرغمِ من الخَلْقِ المَرْقُوْعِ الذي يلبَسُ هو وبقيةُ أفرادِ عائلتِه فلمْ يكُنْ من سبيلٍ لغيرِ هذا ما دام الأجر على ما هو عليه من ضعف. وإنه ليحمَدُ الله على كلّ حال، وعلى أن جاموستَه لم تمُت كما حصل لجاره مبروك أبو سعيد، فتضطَرُّهُ لأن يبقى في المصيبة شطرًا من عمره.

في الصباح حضرَ الكثيرون منهم من جديدٍ إلى الكاتب. ومن جديدٍ عبَسَ في وجهِهم قائلًا أن ليس معه "فَكَّة"[(1)]. وبالرغم من إلحاح بعضِهم وإقرارِ الآخرين عملَهم فقد خرجَ المالكُ وهُمْ لا يزالُونَ يُنَاكِفُوْنَ[(2)] الشيخ علي، والشيخ علي لا يسمع كلامَهم. فذهبَ منهم مَن يَشْكُوْ للسيد محمود أمرَه، وإن كان يعلَم أن السيد يُعِيْرُهم في الغالِب أذنًا صمّاء. ولكنه في هذه المرة نادى بكاتِبه، وأخذ بنفسِه أمرَ إرضاءِ هؤلاء المساكينَ الذينَ بشّتْ وجوهُهُم، وافتَرَتْ بالسرُوْرِ ثُغُوْرُهم، وجعلوا كلَّمَا رأَوْا الكاتِبَ خارِجًا من عند السيد ينظُرون إليه ويتَغَامَزُوْن. وأنسَى الشيخ علي أمرَهم ما هو فيه من كَرْبٍ، إذْ أخذَ عليه سيدُه غلطةً في الحساب، فهو يُعَنِّفُه من أجلِها. وأخيرًا صرف العمالَ بعد أن صرَفَ لهم أجورَهم، وذهب الكثيرون منهم وهم أشدُّ ما يكونُونَ فَرحًا، خصوصًا وأنهم رأوا الكاتِبَ صغيرًا أمامَهم.

ذهب الكثيرون منهم إلى السوق. ولقد كان هناك أبو زينب منتظرًا أن يرى الكاتبَ فيأخذَ منه أجرَ أبنائِه. ولم يُبْطِئ الشيخ علي، بل ما لبِث أن تلقَى أوامرَ السيد حتى ذهب هو الآخر للسوق، وصرف لهؤلاء الآخرين استحقاقَهم بعْدَ أنْ حصَل على "الفَكَّةِ."

تَقَضَّتْ أيامٌ بعدَ ذلك وزينبُ تذهَبُ لِنَقَاوَةِ القُطنِ تحت رياسةِ إبراهيم، حتى إذا جاءَ وقتُ الحَصَادِ انتقلتْ هي وأختُها وأخذَ الرياسةَ عليهم حسين أبو سعيد. فكانَتَا تذهَبانِ هُمَا والعمالُ تحْتَ جَنْحِ الليلِ الأمينِ وينامُونَ في الغَيْطِ، تَكْلَؤُهُمُ السماءُ حتى منتصَفَ الليلِ، ثم يقومُون وقد أعطَتِ الرُّطُوْبَةُ عيدان الغلّة شيئًا من اللين بحيث لا تتقصّفُ تحتَ كلِّ يدٍ لامسةٍ، فيجيئونَ بشراشِرهم[(3)] على هذه المزرعة الواسعة .

في هاته الليالي الساهرة، هاته الليالي البديعة يمُوج في جوّها نسيمُ الصيفِ البليل، وتتلألأ في سمائها الكواكِبُ اللامعة، يقومُ جماعةُ الفلاحين فيَعْتَاضُوْنَ بها عمَّا ينالُه المُتْرَفُوْنَ من أسفارهم إلى أجملِ بقاع الأرض، وعن دُثُرهم الناعمة يستعيضون القمر الساهر يَكْلَؤُهُمْ بمِحْرَاسته. وفي جوفِ الظلمة الصامِتِ الأمينِ يُرْسلُون بآمالهم وأمانيهم، ويحمِل هواؤها الحلو أغانيهم على جناحه، ويملأ بها ما بين السموات والأرض.

في هاته الليالي تجد الكواعبُ من بُنَيَّات الفلاحين مسرحَ آمالهنّ، وتجد القويّة المتفوقة منهن السبيل إلى الظهور حيث تسبق الآخرين وتضطرهم بذلك للإسراع وراءها_ حتى هذه الطوائف الفقيرة أحوج الناس إلى التعاون، تعمل المنافسة في نفوسهم وتسوقهم بذلك للجدّ والعمل، ولكنها الطبيعة تريد أن تستعبد الإنسان وتستغله، لتزيدَ الكونَ حركة وسيرًا، فتعمى على الفرد، وتسحره عن نفسه، وتدفعه لإتمام غرضها. فالواحد مهما عمل، ومهما جاهدتِ المدنيةُ لإظهار شخصه، مُسَخِّرٌ للجماعة يخدمها، مسوّق لذلك بالرغم منه. وهو مهما كانت نواياه أنانية

(1) فكة نقود: صَرْفُها، عُمْلَاتٌ أو نُقُوْدٌ مِن فئةٍ صغيرةٍ.

(2) يقفون حوله

(3) شراشر الجسم: أي جملة الجسم، وشَرَاشِر الطير: أطراف أجنحته

يعمل غير شاعر لخير الجميع. أليس من خيره أن يغير نواياه؟

وقد أبدعت الطبيعة في زينب وأعطتها بذلك تاجًا معترفًا به من كلّ صُوَيْحَبَاتِها. فإذا ساقك الحظُ أيامَ الصيف، وخرجتَ في ليلٍ غاب بدرُه، وتألقتْ نجومُه فخفَّفت من سواد الليل، وإن لم تقدر على تبديد ظلمتِه، أو كنتَ أسعد حظًّا واتخذك القمرُ رفيقًا، فأدلجتَ بين تلك المسطوحات الزراعية الكبيرة، لم يكن لك بعدُ نقطةٌ معينةٌ إلا أن تسير في طريق لا تعرف سببًا لسيرك فيه، وتندفع مجذوبًا بقوةٍ لا قِبَلَ لك على مقاومتها، ويسبق رأسَك قدمُك، ويسوقك موقفُك وذلك الجاذِب وهواء الليل الجميلِ إلى أن تُهَمْهِمَ بين أسنانك، أو تنادي آهة المستحسن الطرب، أو تدعو الليلَ يجيبك صداه، ولا تزدادُ في كلّ ذلك اتباعًا لقائدك المحبوب، ثم تصل إلى نقطة تقف عندها، ولا تطاوعك قدمُك إلى أية ناحية أردت تحريكَها، وتمدّ عنقَك وتسترجعه، يستخفك الجمالُ ويلعب بقلبك الهوى، وتروح تائهًا عن كلّ ما حولك، ثم يرتفع ذلك الصوت الذي جذبك إلى موقفِك ثانيةً، فتُصِيْخُ[1] له بأذنك، وتصغي بكليتك، فإذا "زينب" تَحْدُو والعاملاتُ من بعدِ ذلك يجنبها... تلك موسيقى الصيف في ليله البديع، ترسل في أذن الخليقة النائمة نغمة الهوى، وتبعث في قلوب العاملين العزاء عن ليلهم الساهر. وهل هذا الصوت تردّده الظلمةُ الصامتة إلا مهيج في النفس أجمل ما يعزيها عن كلّ مشقّة؟!

فإن أنتَ تابعْتَ سيْرَك، واتَّبَعْتَ الصوتَ حتى صِرْتَ على مقْرُبةٍ منه، ورأيتَ في البحر اللُجِيّ من شعاع حائر في السماء الأطفالَ والفتياتِ وقد انثنَوْا فقبضُوا بشمالهم على سِيْقَان القُمْحِ النائم بعضه فوق بعض كأنه نشوان طربَ بتلك العواملِ الكثيرةِ التي تَبْعَثُ إلى قلب المحزون ما يستخفه ويستهويه. وباليمنى على شراشرهم _ تلك نصف الدائرة الحديدية التي وعت عهد فرعون وتسللت مع الزمانِ إلى عصرنا الحاضر.

وتصل عند العمال فإذا "زينب" بين الجمع في الطليعة، وقد انسدلَ إلى جانبها جناحَان من العامِلَات، وكلُّهُن في جِدّهِنَّ وعمَلِهِنّ يردُدْنَ حِدَاءَهَا بعد أن حملهُ الهواءُ على موجاتِه ونادى به الليل الصامتُ في كلّ الأنحاء، والقمرُ قد انحدرَ إلى المَغيْبِ ينظر إليها نظرةَ الصبّ قد ناله الشُّحوبُ[2] فهو ذاهِلٌ في نَشْوَتِه. وأحاطت بذلك غِيْطَانُ القطن الأخضر ما يزال طفلا .

ها هي ذي زينب في تلك السن ترْنُو إليها الطبيعةُ وما عليها بعينِ العاشق، فتغُضُّ طرفَها حياءً، وترفع جفونُها قليلا قليلًا لِتَرَى مبلغَ دلّها على ذلك الهائمِ، ثم تخفِضُها مِنْ جَديدٍ، وقد أخذتْ مما حولها ما ملأ قلبَها سرورًا، وأضاف إلى جمالها جمالا ورِقَّةً، فزاد الوجودُ غَرَامًا بها وزادَها به تعلقًا ووجدًا. وهكذا كلما اجْتَلَى أحدهُما من صاحبِه نظرةً ذهبتْ منه إلى أعماقِ النفس فانطبعَ الكُلُّ في قلبِ الفتاة، وتوّجتِ الفتاةُ حياةَ الوُجودِ المُحِيْطِ بها. فهل قنع كلٌّ منهما بحظه ورضي نصيبه؟!

أما الوجود فقانعٌ راضٍ أشيبُ، علَّمَهُ تعاقُبَ الدُّهُوْرِ أنَّ الاسْتِرْسَالِ في تحديد الغاية بخطوط الخيالِ جرى إلى حيرة اللَّانِهَاية، وأنّ كسْبَ الحاضِر حتي يحضر المستقبل أوفرُ الربح. وأما الفتاةُ فهي في سعادتها حيرَى تائهةٌ، وفي حيرتها سعيدةٌ فرِحَةٌ. أحسَّتْ في نفسِها بمكانتها، ولكنها تريد أن تخْتَصَّ من الكلِّ العظيمِ غيرِ المحدودِ روحًا إنسانية

(1) أصَاخَ له، وإليه: اسْتَمَعَ.

(2) تغيير اللون وتخفيفه.

تختلط مع روحها، ونفسًا تَسِيْلُ مع نفسها، ثم يظَلّ الباقي وبينها وبينه من الصداقة ما يزيدُ في حظِّهما من السعادة. ذلك كلُّ حلمِها وأمَلِها وإن لم تستعْجِلْ به الزمانُ، ولا خطرَ ببالِها أنّ في طاقةِ الحوادث أن تمنَعَ تحقيقَه .

فإذا مَا تَنَفَّسَ الصُّبحُ، وطلعَتِ الشمسُ وبعثتْ بنورِها على البسيطةِ، تلألأَ الطَلُّ تحتَ أشعتِها، ثمَّ بلَغَ به الإعجابُ بنفسه أنْ لمْ يَرْضَ بمقامِه السِّفلي، وطار نطلُب السماءَ، فترَكَ عندانِ القمح ترجِعُ إليها صلابتُها _ تعاوَن العمالُ جميعًا على جمع ما حَصَدُوا وأعَدُّوه أحمالا، وانتظر بعضُهم الجَملَ الذي ينقُلها إلى الجُرْنِ[(1)]، في حينٍ يرجع الآخرون أدراجَهم إلى دَوْرهم، فيقضُون نهارًا قليلا نومَه مشتغِلين بتجريْدِ بهائِمهم التي تنتَظِرُ أيامَ الحَرْثِ القَريبَة. وهناك على شواطئ الغُدْرَان والتُرَعُ يقضُون ساعاتٍ نيامًا تحت الشجر تُعَوِّضُهُم من كدِّهم لعمل الليل المقبِل.

وتَقَضّتْ أيامُ الحَصاد هي الأخرى، وانتقلوا لعملٍ جديدٍ. واستعاضُوا بذلك مكانَ الليل المقمر ونسيمِه العذب وآماله وأحلامه نهارَ الصيف وشمسه المحرقة.... ولكنهم ما كانوا لِيَحُسُّوْا بذلك أو ليَأْلَمُوا له وقد تَعَوَّدُوْه كما تعَوَّدَهُ آباؤُهُم من قبلهم. تعوَّدُوه من يومِ مولدِهم، فانتقل إليهم بالوِراثة وبالوسط. وتعوّدوا ذلك الرقَّ الدائمَ ينحنُون لسلطَانه من غير شَكْوَى ومن غيرِ أنْ يَدْخُل إلى نفوسِهم قلقًا. يعمَلون دائمًا ومن غير مَلال، ويرقَبون بعيُونِهم نتائجَ عمَلِهم زاهرةً ناضرةً، ثم يقطِفُ ثمرتَها سيدُها مالك، كم فكّر في أن يبيعَ قطنَه بأغلى ثمنٍ، ويؤجِّر أرضَه بأرفعِ قيمةٍ، وفي الوقت عينِه يستغِلُّ الفلّاحَ نظير قوته الحقير، ولم يدر بخاطر السيد يومًا أن يمدّ له يدَ معونة، أو أن يرفعَه من دَرْكِ الرِّقّ الذي يعيش فيه. وكأنّه ما علِم أن هذا المجموْعَ العاملَ يكونُ أكثرَ نفعًا كلما زادت أمامَه أسبابُ المعيشة وتوافرتْ عنده دواعِي الطَمْعِ في أنْ يَحْيَا حياةً إنسانيةً.

لكن السيد المالك لا يهمه شيء من ذلك. وهو الآخر يعيش كما عاش آباؤه، يحافظ على القديم، ولا يفكِّر في أن يغيِّر من عاداتِ سلفه شيئًا. وإذا حدّثك عن الماضي حدّثك عنه باحترام وتبجيلٍ آسفًا أن انتقل أجرُ النفر الشغال أيام الشتاء من قِرش إلى قِرشين، وتمنَّى عودة ذلك الزمن زمن البَساطة والرخص، لا لأنه يشكو مما يثقُل عاتقُه في الحاضر من الواجبات _ فإنه يرى الحاضر أحسن كثيرًا من هذه الجهة_ ولكن لتسقُط الأجورُ إلى مستواها الأول، فيكون هو بذلك في ظلمته وفي رقه وشقائه."

(هذا النص مأخوذ من رواية زينب: محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،ب. ت)

(1) الجُرْنُ: الموضع الذي يُداس فيه البُرّ ونحوه، وتُجَفَّفُ فيه الثمار والجمع: أَجرَانٌ

نص الاقتباس من رواية

"كِفَاحُ طِيْبة"

سيكنزرع

(١)

"كَانَتِ السَّفِيْنَةُ تَصْعَدُ فِي النَّهْرِ الْمُقَدَّسِ، وَيَشُقُّ مُقَدَّمُهَا الْمُتَوَّجُ بِصُوْرَةِ اللُّوْتَسِ الْأَمْوَاجَ الْهَادِئَةَ الْجَلِيْلَةَ، يَحُثُّ بَعْضُهَا بَعْضًا مُنْذُ القِدَمِ كَأَنَّهَا حَادِثَاتُ الدَّهْرِ فِيْ قَافِلَةِ الزَّمَانِ، بَيْنَ شَاطِئَيْنِ اِنْتَثَرَتْ عَلَى أَدِيْمِهِمَا الْقُرَى، وَانْطَلَقَ النَّخْلُ جَمَاعَاتٍ وَوَحْدَانًا، وَتَرَامَتِ الْخَضِرَةُ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَكَانَتِ الشَّمْسُ تَعْتَلِيْ كَبِدَ السَّمَاءِ تُرْسِلُ أَسْلَاكًا مِنَ النُّوْرِ إِذَا غَمَرَ النَّبْتُ رَفَّ رَفِيْفًا، وَإِذَا مَسَّ الماءُ تَلَأْلَأَ لِأَلَاء، وَقَدْ خَلَا سَطْحُ الْمَاءِ إِلَّا مِنْ بَعْضِ زَوَارِقِ صَيْدٍ جَعَلَ أَصْحَابُهَا يُوَسِّعُوْنَ لِلسَّفِيْنَةِ الْكَبِيْرَةِ وَهُمْ يَرْمُقُوْنَ صُوْرَةَ اللُّوتَسِ رَمْزَ الشِّمَالِ بِعَيْنِ التَّسَاؤُلِ وَالْإِنْكَارِ.

وَكَانَ يَتَصَدَّرُ الْمَقْصُوْرَةَ رَجُلٌ بَدِيْنٌ قَصِيْرُ الْقَامَةِ، مُسْتَدِيْرُ الْوَجْهِ، طَوِيْلُ اللِّحْيَةِ، أَبْيَضُ الْبَشَرَةِ، يَرْتَدِيْ مِعْطَفًا فَضْفَاضًا وَيَقْبِضُ بِيُمْنَاهُ عَلَى عَصًا غَلِيْظَةٍ ذَاتِ مِقْبَضٍ ذَهَبِيٍّ، جَلَسَ بَيْنَ يَدِيْهِ رَجُلَانِ فِيْ مِثْلِ بَدَانَتِه وَزِيِّهِ، تُدَانِيْ بَيْنَهُمْ جَمِيْعًا رُوْحٌ وَاحِدَةٌ، وَكَانَ السَّيِّدُ يُطِيْلُ النَّظْرَ إِلَى الْجَنُوْبِ بِعَيْنَيْنِ مُظْلِمَتَيْنِ أَضْنَاهُمَا الْمَلَلُ وَالتَّعْبُ وَيُلْقِيْ عَلَى مَنْ يُصَادِفُهُ مِنَ الصَّيَّادِيْنَ نَظْرَةً شَرْزَاءَ. وَكَأَنَّهُ بَرِمَ بِالصَّمْتِ فَتَحَوَّلَ إِلَى رَجُلَيْهِ وَتَسَاءَلَ قَائِلًا: " تَرَى هَلْ يُنْفَخُ غَدًا فِي الصُّوْرِ فَيَتَبَدَّدُ هَذَا السَّلَامُ الثَّقِيْلُ الْمُخَيِّمُ عَلَى رُبُوْعِ الْجَنُوْبِ، وَتَفْزَعُ هَذِهِ الدُّوْرُ الْمُطْمَئِنَّةُ، وَيُحَلِّقُ نَسْرُ الْحَرْبِ فِيْ هَذَا الْجَوِّ الْآمِنِ؟... آه ... لَيْتَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ يَعْلَمُوْنَ أَيَّ نَذِيْرٍ تحمَّلَ هَذِهِ السَّفِيْنَةَ لَهُمْ وَلِسَيِّدِهِمْ."

فهزَّ الرجلانِ رأسيْهما موافقةً عَلَى كلامِ السيِّد وَقَالَ أَحَدُهُمَا: "لِتَكُنْ حَرْبًا أَيُّها الحاجبُ الأكبرُ، مَا دَامَ هَذَا الرجلُ الَّذِيْ ارْتَضَاهُ مَوْلَانَا حَاكِمًا عَلَى الْجَنُوْبِ يَأبَى إِلَّا أَنْ يَّضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا كَالْمُلُوكِ وَيَبْنِيَ القُصورَ كَالفَرَاعِيْنِ، وَيَسِيْرُ فِيْ طِيبةَ مَرَحًا لَا يُبَالِي شَيْئًا."

فَجَعلَ الحاجبُ يَضربُ بِأنْيَابِهِ، وَعبثَ بِعَصَاهُ فِيْمَا بَيْنَ قدمَيْهِ بِحركةٍ تَدُلُّ عَلَى الْحَنَقِ وَالْغَيْظِ وَقالَ: "لا يُوجَدُ حَاكِمٌ مِصْرِيٌّ سِوَى حَاكِمِ إِقْلِيْمِ طِيْبَةَ هَذَا، فَإذا تَخَلَّصْنَا مِنْهُ خَلَصَ لنا حكمُ مصرَ إِلَى الأَبَدِ، وَبَات مولانا المَلِكُ عَلَى طَمَأنِيْنَةٍ لا يَخْشَى تمرُّدَ أحدٍ عَلَيه."

قَالَ ثَانِي الرَّجُلَيْنِ بِحَماسٍ، وَكَانَ لَا ييأس أبدًا مِنْ أن يَصِيْرَ يَوْمًا حاكمًا بمدينةٍ عظيمةٍ: "إنَّ هَؤُلاءِ الْمِصْرِيْنَ يُكْرِهُوْنَنَا." فأَمِنَ الحاجبُ الأكبرُ عَلَى رَأيِهِ وَقَالَ بِلَهْجَةٍ عَنِيْفَةٍ: "نَعَم... نعم... وَأَهْلُ مَنْف أَنْفُسُهُم عَاصِمَةُ مَمْلَكَةِ مولانا الملِكِ يُظْهِرُوْنَ الطاعةَ ويُضمِرونَ الكراهيَّةَ... لَقَدْ نفِدَتِ الحيلُ و لاحيلةَ الآنَ سِوَى السَّوْطِ وَالسَّيْفِ."

فابْتسَمَ الرَّجُلانِ أوَّلَ مرَّةٍ، وَقَالَ ثَانِيْهِمَا أيْضًا: _ بُوْرِكَ رأيُكَ أيُّهَا الْحَاجِبُ الحكيمُ، فإنَّ السَّوْطَ وسيلةُ التَّفَاهُمِ الَّتِيْ لَا تُجدَى[1] سِوَاهَا مَعَ الْمِصْرِيْنَ.

وَلَاذَ الرِّجالُ الثَّلاثَةُ بِالصَّمْتِ بُرْهَةً، فَمَا يُسْمَعُ إلّا وَقْعُ الْمَجَادِيْفِ[2] عَلَى سَطْحِ الْماءِ، ثُمَّ لَاحَتْ مِنْ أَحَدِهِمْ الْتِفَاتَةٌ إلَىَ زَورقِ صيدٍ يَقف في وسطِهِ فَتًى مفتولُ السَّاعِدَيْنِ، عاريُ الجَسَدِ إلَّا مِنْ وزرةٍ تُغَطِّى وَسطَهُ، وَقَد لَفَحَتْ الشَّمْسُ بُشرتَهُ، فَقَالَ بِتَعَجُّبٍ: "كأنَّ هؤلاء الْجَنُوْبيين مُشْتَقُّونَ مِنْ صَمِيْمِ أَرضِهِم." فقال الحاجبُ بِسُخريَّةٍ: "لَا تَعْجَبْ فإنَّ مِنْ شُعَرائِهِم مَنَ يَتغنّى بِسُمرةِ اللَّوْنِ. حقًّا...إنَّ لَوْنَهُمْ ولَونَنا كَالطِّين والشُّعَاعِ السنّي.

فقال الحاجبُ: "حدَّثَنِي بعضُ رجالِنَا عَنْ هَؤُلاءِ الجَنُوْبِيينَ فَقَالَ: إنَّهم عَلَى لَونهم وَعُرْيِهم ذَوُو صَلَفٍ وكِبْرِياءِ، وَإنَّهُم يَزعَمُونَ أنّهُم مُنْحَدِرُوْنَ مِنْ أصلابِ الْآلهةِ، وإنَّ بلادَهُم منبتُ الفراعِنَةِ الحقيقيين...ربَّاه...إنّي أعْرِفُ الدَّوَاءَ لِكُلِّ هَذا... لَا يَنْقُصُ إلَّا أنْ تَمْتدَّ ذِرَاعُنَا إلَى حُدُودِ بِلادِهِمْ."

وما انتهى الحاجبُ مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى سَمِعَ أحدَ رَجُلَيهِ يقول، وهُو يُشِيرُ بِإصبِعِهِ إلَى الشَّرْقِ:

"انظُرْ... أَتَرى طِيبة؟... هذه طِيبة! فنظروا جميعًا إلَى حَيْثُ يُشِيْرُ الرَّجُلُ، فَرَأَوْا مدينةً كَبِيرةً يُحِيْطُ بها سُوْرٌ عظيمٌ، بَدَتْ خَلفَه رءوسُ المَسَلَّاتِ[3] عاليةً كأنَّها عُمُدٌ تَرفَع القبَّةَ السماويَّةَ، ورُئِيَتْ فِي نَاحِيَتِهَا الشِّمَالِيَّةِ جُدرانُ معبدِ آمونَ الشاهقةُ، ربُّ الجنوبِ المَعْبودِ. فَمَا وَقَعَتِ العينُ فِيْها إلا عَلَى مَاردٍ[4] عَظِيمٍ يَتَعَالَى إلَى السَّمَاءِ،" فَأَخَذَ الرِّجالُ، وَقَطَبَ الْحَاجِبُ الْأكبرُ وَتَمْتَمَ قَائِلا: "نعم...هذه طيبةُ... وَقَدْ أتِيْحَتْ لِيْ رُؤيَتُهَا مِنْ قَبلُ. وَمَا ازْدَادَ عَلَى الْأيَّامِ إلَّا رَغْبَةٌ فِيْ أنْ تَعْنُوَ الْهَامُ لمولانَا الملكِ، وَأَنْ أَرَى مَوْكبَهُ الظَّافِرَ يَشُقُّ شَوَارِعَهَا." فقال أحدُ الرَّجُلَيْنِ: "وأن يُعْبَدَ بِهَا ربُّنا ستُ المعبودِ."

وخفَّفَتِ السفينةُ مِنْ سُرْعَتِهَا، وَمَضتْ تَدْنُوْ مِنَ الشَّاطِئِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا مُجْتَازةً الحَدَائِقَ الْغَنَّ[5]، الَّتِيْ تَنْحَدِرُ مَدْرَجَاتُها الْمُعْشَوْشَبَةُ[6] حَتَّى تَسْقَى مِنَ النَّهْرِ الْمُقَدَّسِ. وَقَدْ لَاحَتْ وَرَاءَهَا قُصُورُ طِيبةَ الشَّمُّ، وأمَّا غَرْبِي الشَّاطِئِ

(1) لا تنفع
(2) خشبة في رأسها لوح عريض تُدفَع به السفينة مفردها "المِجْدَاف"
(3) عَمُودٌ أَثَرِي مِنَ الْحَجَرِ، طَوِيلٌ وَمُرَبَّعُ الشَّكْلِ، رَأْسُهُ مُحَدَّدٌ. مفردها "المِسَلَّةُ"
(4) المرتفع، عملاق، ضخم
(5) غَنَّت الحديقةُ: كثرُ شجرُها والتفّ
(6) اعشوشب المكانُ كثر نَبْتُ العُشْبِ فيه

الآخرُ، فتَجْثِمُ[1] مدينةُ الأبَدِيَّةِ، حَيْثُ يَرْقُدُ الْخَالِدُوْنَ فِي الْأَهْرامِ وَالْمَصَاطِبِ وَالْمَقَابِرِ، تَغَشَّاهُمْ جميعًا وَحشَةُ الْمَوْتِ.

وَتَوَجَّهَتِ السفينةُ إلى مِيْنَاءِ طيبةَ، تَشُقُّ سَبِيْلَهَا بَيْن زَوَارِقِ الصَّيْدِ وَالسُّفُنِ التِّجَارِيَّةِ، وَتَجْذِبُ نَحْوَهَا الأنْظارُ لِضَخَامَتِهَا وَجَمالِهَا، وَصُوْرَةُ اللُّوتَسِ التي تُزَيِّنُ مُقَدِّمَها، حَتى حاذَتِ الرصيفَ، فَأَلْقَتْ كِلَابُهَا الضَّخْمُ، وَقَصَدَ إِلَيْهَا بَعْضُ الْحرَّاسِ، وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا ضابطٌ يَرْتَدِيْ فَوْقَ وِزْرَتِهِ سُتْرَةً مِنَ الْكَتَانِ الْأَبْيَضِ. وَسَأَلَ أَحَدُ رِجَالِهَا قَائِلًا: "مِنْ أيْنَ انْحَدَرَتْ هَذِهِ السَّفِيْنَةُ؟... وَهَلْ تَحْمِلُوْنَ تِجَارَةً؟"

فَحَيَّاهُ الرَّجُلُ، وَقَالَ " اِتَّبِعْنِيْ" وَاصْطَحَبَهُ إِلَى الْمَقْصُوْرَةِ، حَيْثُ أدْرَكَ الضَّابِطُ أنّهُ مَاثِلٌ بَيْنَ يَدَيْ حَاجِبٍ كبيرٍ مِنْ حُجَّابِ قَصْرِ الشِّمَالِ، قَصْرِ مَلِكِ الرُّعَاةِ كَمَا يَدْعُوْنَهُ فِي الجَنُوْبِ، فَانْحَنَى اِحْتِرَامًا وَأدَّى التَّحِيَّةَ الْعَسْكَرِيَّةَ. وَرَفَعَ الحاجِبُ يدَه لِيَرُدَّ التَّحِيَّةَ فِي صَلَفٍ ظَاهِرٍ وَقَال بِلَهْجَةٍ مُتَعَالِيَةٍ: "أنَا رَسُوْلُ فِرْعَوْنَ، مَلِكِ الشِّمالِ وَالْجَنُوْبِ، ابْنِ الرَّبِ ستّ، مولانا أبُوْ فَيْس، إِلَى حَاكِمِ طِيْبَةَ الْأمِيرِ سَيَكْتَنَزَع لِأُؤدّي إليهِ مَا حَمَلْتُهُ مِنَ الْبَلَاغِ."

وأصْغَى الضَّابِطُ إِلَى الرَّسُوْلِ فِيْ اِنْتِبَاهٍ ثُمَّ أدَّى التَّحِيَّةَ مَرّةً أخْرَى وَمَضَى.

(٢)

ومَضَتْ ساعةٌ مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ جَاءَ السَّفِيْنَةَ رجلٌ وَقورٌ، يَمِيْلُ إِلَى الْقَصْرِ، بَادِيَ النَّحَافَةِ، بَارِزَ الْجَبْهَةِ، فَانْحَنَى انْحِناءَةَ وَقُورٍ للرسولِ، وَقَالَ بِصَوْتٍ هَادِئِ النَّبْرَاتِ: "إنَّ الَّذِيْ يَتَشَرَّفُ باسْتِقْبَالِكَ حورٌ رئيسُ حجابِ قصرِ الْجَنُوبِ."

فَحَنَى الرَّجُلُ رَأسَهُ الْفَخمَ وقال بِصوتِه الغَلِيْظِ: "وأنا خَيانُ كبيرُ حجابِ الْقَصْرِ الفرعوني." فقال حورُ: "يُسَرُّ مولايَ أن يسْتَقْبِلَكَ فِي الْحَالِ.

فَأَبْدَى الرسولُ حركةً وَقَالَ: "هَلُمَّ بنا". وَتَقَدَّمَهُ الحاجبُ حورُ وتبِعَهُ الرجلُ يَسِيْرُ في خطٍ وَئِيْدَةٍ، مُتوكئًا بِجِسْمِهِ الْبَدِيْنِ علَى عَصَاه وَقد انحَنَى لَهُ الرَّجلانِ إجلالًا، وشعَرَ خيانُ بِغَضَاضَةٍ وَساءَل نَفسَه بحَنَقٍ: "أمَا كان ينبغِي لسيكنرع أن يحضُرَ بنفسهِ لاستقبالِ رسولِ أبو فيس...؟".وضَايَقَهُ جِدَّ المضايقةِ أن يسلك الرجلُ في استقباله سلوكَ الملوكِ. وغادرَ السَّفينةَ بين صفين من الجند والضباط، ورأى خيانُ على الشاطئِ ركبًا ملَكيًّا في انتظارِه تتقدَّمُه عجلاتٌ حربيةٌ وتتأخر عنه عجلاتٌ أخرى، وَأدَّى لَهُ الجندُ التحيةَ، فردّها بكبرياء، وركِب عجلتَه وركِب إلى جانبِه حور، ثم تحرَّك الموكبُ الصغيرُ في طريقه إلى قصر حاكم الجنوبِ، وتحرّكتْ عيْنا خيانَ في مَحجِرَيْهما[2] ذات اليمين وذات الشمالِ تشاهدان المعابدَ والمسلاتِ والتماثيلَ والسبلَ والقصورَ والأسواق وتيّاراتِ القوم التي لا تَنْقطعُ من جميعِ الطبقاتِ: فالعامةُ بأجسامِهِمْ شبهَ العاريةِ، والضباطُ بمعاطفهم الأنيقةِ، والكهنةُ بأثوابِهم الطويلةِ، والسراةُ بعباءاتِهم الفضفاضةِ، والنساءُ بأزيائهنَّ الجميلةِ، فكأنَّ كلَّ شيء يشهد لعظمة المدينة، وأنَّها تنافس مَنْف نفسَها

(1) جَثَم الحيوانُ والإنسانُ : لزم مكانَهُ فلم يَبْرَحْ، أو لَصِقَ بالأَرضِ

(2) مَحْجِر العَيْن: ما أحاط بها

عاصمةَ أبو فيس. وَأدركَ الرسولُ أولَ وهلةٍ أنَّ موكبهُ يلفِتُ الأنظارَ بقوَّةٍ وأنَّ الناسَ تتجمعُ على جوانبِ الطريق لمشاهدتِه ولكن في بُرودٍ وجُمودٍ، وجعلَتْ أعينُهُم السودُ تُفحِّصُ وجهَه الأبيضَ ولحيتَه الطويلةَ بغرابة وإنكارٍ وامتعاضٍ، فشعَر بثورة باطنيةٍ وغضب شديدٍ لذاك الاستقبالِ الباردِ الذي مُنِيَ به أبو فيس العظيم في شخصِ رسولِه، وسَاءَهُ أنْ يبدوَ غَريبًا في طيبةَ بعد انقضاءِ مائتَي عامٍ على هبوطِ قومِه أرض مصر وتربُّعِهم على عرشِ ملكها...وغَاظَه وأحْنَقَه أن يحكُمَ قومُهُ مائتي عامٍ يَحْتفظُ الجنوبَ خلالها بشخصيتِه وطابعِه واستقلالِه فلا يبقَى بهِ رجلٌ واحدٌ منَ الْهكسوسِ.

ثم بلغ الموكبُ ميدانَ القصر، وكانَ ميدانًا فسيحًا مترامي الأركانِ، تُقامُ على جوانِبِهِ دُوْرُ الحكومةِ والوزاراتِ ومقرُّ القيادةِ العليا للجَيْشِ، ويَبْدُوُ في مكانِه الوَسيْطِ القصرُ الجليلُ يبهَرُ الأنظارَ مشهدُهُ الرائعُ، كانَ قصرًا عظيمًا كقصر منف نفسِه، وكان جنودُ الحرسِ يعتلون أسوارَه، ويصطفُون صفَّينِ لدى بابِه الكبيرِ، فلما اجتازه موكبُ الرسول صدحتِ الموسيقى بنشيد التحية، وفيما كان الموكبُ يقطع أرضَ الفناءِ كان خيان يسائِلُ نفسه قائلا: هل يستقبلُني سيكنرع وعلى رأسهِ التاجُ الأبْيَضُ؟.

إنَّهُ يعيش عيشةَ الملوكِ ويتَّبِعُ سلوكهم، ويتَّخذُ لنفسه حكومةً كحكوماتهم، فهل يلبَسُ تاجَ الملوكِ أمامي؟ هَلْ يفعل ما أحْجمَ عنه أجدَادَهُ وما أحجم عنه أبوه نفسُه سيكنرع؟...وترجَّل الرسولُ عند مدخل ممَرِّ الأعمدةِ الطويل، ووجد في استقباله حجابَ القصر ورئيسَ الحرس الفرعونيَّ وكبارَ الضبَّاط، فأدَّوا له التحيةَ جميعًا، وساروا بين يديه إلى بَهْوِ[1] الاستقبال الفرعونيّ، وكانت الردهةُ[2] المؤدِّيةُ إلى بابِ البهوِ مزيَّنةَ الجانبينِ بتماثيل أبي الهول، وفي أركانها يقفُ ضبَّاط عمالقة من رجال هابو الأشدَّاءِ، وانحنى الرجالُ للرسول وأوسعوا له، فتقدَّمه الحاجبُ حورُ إلى داخل البهو وتبِعَه الرجلُ، ورأى في صدر المكانِ على مسافة غير قريبة من المدخل عرشًا فرعونيًّا يجلس عليه رجلٌ متوَّجٌ بتاجِ الجنوبِ وبيده الصولجان[3] والعصا المعوَّقةَ، وإلى يمينِ عرشِه يجلِس رجلانِ وإلى شمالِه رجلان. وبلغ حورُ العرشَ يتبَعه الرسولُ فانحنى لمولاه بإجلال، وقال بصوته الرقيق:

_ مولايَ، أقدِّم لذاتكم العاليةِ الحاجبَ الأكبرَ خيانَ رسولَ الملكِ أبو فيس.

وانحنى عند ذاك الرسولُ تحيَّةً، فردَّ الملكُ تحيتَه وأشار إليه فجلس على كرسي أمام العرش، أمَّا حورُ فقد وقفَ إلى يمين العرش. وأرادَ الملكُ أن يقدِّمَ إلى الرسولِ رجالَ مملكته فأومأ بصولجانه إلى الرجل الذي يلي يمينه وقال: "أوسر آمون رئيسُ الوزراء". ثم أشار إلى الذي يليه وقال: "نوفر آمون الكاهن الأكبر لآمون"، ثم تحوَّل إلى شماله وأومأ إلى من يليه قائلا: "قاف قائد الأسطول" وأشار إلى من يليه قائلا: "ببي قائدُ الجيش". ولمَّا تمَّ التعارفُ

(1) المكان المخصَّص لاستقبال الضُّيوف

(2) قاعة، حجرة واسعة

(3) عصا يَحْملها المَلِك ترمز لسلطانه

وجَّه الملكُ بصره إلى الرسولِ وقال بصوت تدلُّ نبراتِه على السموِّ والرِّفعةِ الطبيعِيَّتَين:

_ نزلْتَ منزلا يرحِّبُ بشخصك وبمن أولاك ثقتَه.

فقال الرسولُ:

_ حفظك الربُّ أيُّها الحاكمُ الجليلُ، وإنّي سعيد باختياري لمهمة السفارة في بلادكم الجميلة ذات الشهرة التاريخيةِ.

ولم يغب عن سمع الملك قوله: "الحاكم الجليل" ولافاته مغزاها، ولكن لم يُبْدِ له على وجهه أيُّ أثر لمَّا اضطرب في نفسه، وكان خيان في تلك اللحظة يلقي عليه نظرةً سريعةً فاحصةً من عينيه الجاحظتين فرأى الحاكم المصري رجلا مهيبًا حقًّا، طويلَ القامة، مستطيلَ الوجهِ جميله، شديدَ السمرةِ، يميّز ملامحَه بروزٌ في أسنانه العليا، وقد قدِّر له الحلقةُ الرابعةُ عمرًا. وكان الملكُ يظنُّ أنَّ رسول أبوفيس جاء لمَّا كانت تجئ به بعثاتُ الشمالِ من أجله، أي طلب الأحجار والحبوب، وهو ما كان يَعْتبِره ملوكُ الرعاةِ جِزْيةً، ورآه ملوكُ طِيبةَ رشوةً يكفُّون بها شرَّ الغزاة، فقال الملك بهدوئه وجلاله:

_ يَسُرُّني أن أستمعَ إليك يا رسولَ أبو فيس العظيمَ.

فاعتدل الرسولُ في جلسته كأنَّما يَتوثَّبُ للنضال وقال بصوتِهِ الْغليظِ:

_ منذ مِائتَي عامٍ لَا تَنْقَطِعُ رسلُ الشمالِ عنْ ارتيادِ الجنوبِ، وفي كلِّ مرَّة تعودُ راضيةً.

فقالَ الملكُ:

_ أرجُو أن تدومَ هذه السنَّةُ الجميلةُ.

فقال خيانُ:

_أيُّها الحاكِمُ إنّي أحمِلُ إليك ثلاثَ رغباتٍ فرعونيَّةٍ: تتعلَّق بشخص مولايَ فرعونَ، والثانيةُ بربّه المعبودِ ست، والثالثةُ بِروابط المودَّةِ بينَ الشّمالِ وَالْجنوبِ.

فَألْقَى إلَيْه الملكُ بانتباهِه وقدْ بَدَا عَلَى وجهِهِ الاهْتمامِ. فَاسْتدركَ الرجلُ قائِلا:

_ شَكَا مولايَ الملكُ في الأيَّام الأخيرةِ آلامًا مرَوِّعةً تهُزُّ أعصابَهُ فِي اللَّيْلِ، وأصواتًا مُنكرةً تَصُكُّ أُذَنْيهِ الكريمتينِ ممَّا أوْقَعَهُ فريسةٌ للسُّهادِ والضنَى، وقد دعا إليه أطباءَه وقصَّ عليهم ما يلقَى بليلِه فتفحَّصوه بعنايةٍ، ولكنَّهُم عَادُوْا جَميعًا مِنْ فَحْصِه بالحيرة والجهلِ، وكانَ الملكُ في رأيِهم جميعًا سليمًا معافىً. ولمَّا يئِس مولايَ فَرَغَ إلى نبيِّ معبد ست، فأدرك الحكيمُ داءَه، وقالَ لَهُ: إنَّ مبعثَ آلامِه جميعًا أنَّ خُوارَ أفراسِ البحرِ الحبيسةِ بالجنوب يتسرَّبُ إلى قلبِهِ، وأكَّدَ لَهُ ألَّا شِفاءَ لَهُ إلَّا بِقَتْلِهَا.

وكانَ الرسولُ يَعلَمُ أنَّ الأفراسَ الحبيسةَ في بركة طيبةَ مقدسةٌ، فَاخْتَلَسَ نظرةً إلى وجهِ الحاكمِ لِيبلوَ أثرَ كلامِه، ولكنَّه وَجَدَهُ جامدًا صلبًا وإن تضرَّج بالاحمرار، وَانْتَظَرَ أن يعلِّق الرجلَ علَى كلامِهِ، ولكنَّه لم ينبِس[1] بِكلمَة وَبَدَا عَلَيْهِ الْإِصْغَاءُ وَالانتظارُ، فقالَ الرسولُ:

_ وفي أثناءِ مرضِ مولايَ رأَى فِيْمَا يَرَى النائمُ ربَّنا المعبودَ ست يزورُه بجلالِه ونورانيتِهِ، وَعقب عليه قائلا: أيجوز أن يخْلُوَ الجنوبُ كلُّه من معبدٍ يذكر فيه اسمي؟... فأقسمَ مولاي أن يطلُبَ إلى صديقِه حاكمَ الجنوبِ أن يُشيِّدَ في طِيبةَ معبدَ الستِ إلى جانبِ معبدِ آمون.

وسكت الرسولُ ولكن سيكنرع ثابَرَ على الصَّمْتِ وبدا عليه هذه المرةَ أنّه أخذ على غُرَّة، وأنّهُ فُوْجِئَ بِمَا لَمْ يَدْرِ لَهُ في خَلَدٍ، وَلَمْ يَكُنْ خيانُ لِيعنيَه كدْرَ الملكِ وَلعلَّهُ كان مدفوعًا برغبةٍ في إثارتِهِ، وأدركَ الحاجبُ حورُ خطرَ المطالبِ. فَانْحَنَى على أذُنِ مولاهُ وهمَسَ قائِلًا: " الأفضلُ أَلَّا يُناقِشَ مولايَ الرَّسُولَ الآنَ". فهزَّ الملكُ رأسَهُ دلالةَ الموافقةِ وقدْ أدرَكَ مَا يَرْمِيْ إليه حاجبُه، وظنَّ خيانُ أنَّ الحاجبَ يُفْضِيْ إلَى مَوْلاهُ بِمَا يَقُولُهُ فَانْتَظَرَ قليلًا، ولَكِنَّ الْملكَ قالَ: "أ عندَكَ بلاغٌ آخرُ تُفْضِيْ بِهِ؟" فقَالَ خَيَّانُ: "أيُّهَا الْحاكمُ الجليلُ، لَقَدْ بَلَغَ مولايَ أنَّك تُتَوِّجُ رأسَك بِتَاجِ مِصْرَ الأبيضِ، فَرَاعَهُ ذَلِكَ، وَرَأَى أنَّهُ لَا يَتَّفِقُ ومَا يَرْبِطُ الأسرةَ الفرعونيةَ بأسرتِكَ التليدةِ مِنْ أسبابِ الْمَوَدَّةِ وَالصَّدَاقَةِ التَّقْليْديَّةِ."

فقَال سيكنرعُ بِدَهْشَةٍ: " وَلَكنَّ التَّاجَ الْأَبْيْضَ غِطاءُ الرأسِ لِحُكَّامِ الْجَنوبِ." فقالَ الرَّسولُ بيقينٍ وإصرارٍ: "بل كان تاجُ الْمُلُوْكِ مِنْهُمْ، وَلِذلِكَ لَمْ يُفَكِّرْ والدُكَ المجيدُ فِيْ لُبْسِهِ، لأنَّهُ يَعْلَمُ أنَّهُ لَا يُوْجَدُ سِوَى مَلِكٍ وَاحِدٍ فِيْ هَذَا الْوَادِيْ يحِقُّ لَهُ التَّتْويجُ، وأرجُو أيُّها الحاكمُ الجليلُ أَلَّا يَغيبَ عَنْكَ ما تدُلُّ عليه ملاحظةُ مولايَ مِنْ رغبةٍ صادقةٍ في توثيقِ الْأواصرِ الطَّيِّبَةِ بينَ أسْرَتَيْ منفَ وطيبةَ."

وسَكَتَ خيانُ، فَسَادَ الصَّمتُ مَرَّةً أخرى، وكان سيكنرع غارقًا في تأملاتٍ حزينةٍ ينُوْءُ[2] صدرُه بمطالبِ ملكِ الرعاةِ القاسيةِ التي تُهاجمُ مواطنَ الإيمانِ من قلبهِ وموضع العزَّةِ من نفسه، وَبدا أثرُ ذلك في امتقاعِهِ[3] وَمَا ظَهَرَ من جُمُودٍ على وجوه من حوله من رجالِ مملكتهِ. وكان يقَدِّرُ نصيحةَ حورَ فلَمْ يرتجل جوابًا وقال بصوتٍ احتفظَ بِالغمِّ من كلِّ شيء بهدوئِهِ. "أيُّها الرسولُ إنَّ رسالَتَكَ تنطَوِيْ عَلَى خطبٍ خطيرٍ يَمُسُّ عقيدتَنَا وتقاليدَنَا، لِذلكَ أرَى أنْ أكَاشِفَكَ بِرَأيِيْ فِيْهَا غَدًا."

فقَالَ خيانُ: "خَيْرُ الرَّأيِ مَا سَبَقَتْهُ الْمَشْوَرَةُ." فَالْتفتَ سيكنرعُ إلَى الْحاجبِ حورَ وَقَالَ: "تقدَّم الرسولَ إلَى الجناحِ الْمُعَدِّ لَهُ." فقام الرسولُ بجسمِه القصيرِ الضخمِ، وَانْحَنَى تحيةً، ثُمَّ ذهبَ يسيرُ في خيلاءٍ وعظمةٍ.

(هذا النص مأخوذ من رواية كفاح طيبة: نجيب محفوظ، دار الشروق، ط: 1، 1944)

---

(1) لم يتحرك شفتاه بشيء

(2) يثقل صدره.

(3) تغير لون الوجه من حزن أو خوف أو مرض.

نص الاقتباس من مسرحية

"أهل الكهف"

الفصل الأول

(الكهف بالرقيم .. ظلام لا يتبين فيه غير الأطياف؛ طيف رجلين قاعدين القُرْفُصَاء[1]، وعلى مقربة منهما كلب باسط ذراعيه بالوصيد)

مشلينيا	:	(وهو أحد الرجلين) يا مرنوش !
مرنوش	:	استيقظتَ ؟ ماذا تريد مني ؟
مشلينيا	:	أين أنت؟ أسمعُ صوتَكَ المتبرمَ[2] ولا أراك . آه ! ظهري يؤلمني !
مرنوش	:	دعني. أنا أيضاً ضلوعي توجعني . كأنما نمتُ عليها عاماً .
مشلينيا	:	أين الراعي ؟ أين ثالثنا الراعي ؟
مرنوش	:	أتبيَّن شَبحَ[3] كلبِه هنا باسطاً ذراعيه .
مشلينيا	:	ألا ترى هذا الراعي يَتجَنَّبُ قربنا ، أين هو ؟
مرنوش	:	لعله بباب الكهف يرقبُ طلوعَ النهار، شأن الرعاة .
مشلينيا	:	(يتمطّى) آه ! ظهري يُؤلمني ! كم لبثنا يا مرنوش؟
مرنوش	:	أفٍّ ! إنك تحرج صدري بأسئلتك!
مشلينيا	:	أنا كذلك لو تعلم ضيقَ الصدر مثلك ! مرنوش، كم لبثنا هاهنا؟
مرنوش	:	يوماً أو بعضَ يومٍ
مشلينيا	:	من أدراك ؟
مرنوش	:	وهل ننام أكثر من هذا القدر ؟
مشلينيا	:	صدقتَ (صمت) ، (و فجأة يقول وهو نافد الصبر) أريد الخروج من هذا المكان.
مرنوش	:	ويحَكَ ! إلى أين ؟
مشلينيا	:	أو تريدني على المبيت هنا ليلة أخرى ؟

(1) يجلسَ على ركبتيه منكبّاً ويُلصِقَ بطنَهُ بفخذيه ويتأبطَ كَفَّيْه

(2) صوتك المتضجر

(3) ظل

مرنوش	:	ليلتين أو ثلاثاً، حتى نأمن على حياتنا من دقيانوس .
مشلينيا	:	(صائحاً متذمراً[1]) لا أستطيع ، لا أستطيع .
مرنوش	:	ولِمَ أستطيعُ أنا، وأنا وليُّ امرأةٍ و ولدٍ أعزهما وأعبدهما ؟
مشلينيا	:	أنت تستبقي حياتك من أجلهما.
مرنوش	:	وأنت ؟ أ لا تريد أن تستبقي حياتك من أجل ...
مشلينيا	:	نعم يا مرنوش، لكن ها أنت ذا تراني لا أقوى على البعد يوماً واحداً .
مشلينيا	:	مشلينيا ! احذر لنفسك ولنا! المذبحة لاتزال قائمة في المدينة، إني لن أحتمل نزقك[2] بعد اليوم .
		(يبدو شبح يتخبط في الظلام...)
مشلينيا	:	من هذا ؟
يمليخا	:	أنا الراعي يا مولاي .
مشلينيا	:	تفقدناك الساعة .
يمليخا	:	قمتُ أتلمس الطريق إلى الباب، فلم أهتد إليه.
مشلينيا	:	اقعد بجوارنا . مذ قُدْتَنا إلى هذا الكهف وأنت صامت، كأنك لا تأنس بنا !
مرنوش	:	ما اسمك أيها الراعي ؟
يمليخا	:	اسمي يمليخا يا مولاي .
مشلينيا	:	لماذا تدعونا دائماً بيا مولاي ؟
يمليخا	:	وبماذا أدعو صاحب يمين الملكِ وصاحب يساره .
مرنوش	:	عجباً ! ... من أنبأك أننا صاحِبا الملك ؟ !
يمليخا	:	وهل يُجهلُ الوزيران ؟
مشلينيا	:	أ رأيتنا من قبل ؟
يمليخا	:	كثيراً.
مرنوش	:	أين ؟
يمليخا	:	بمدينة طرَسوس، في ساحة مصارحة السباع . كنتما تحوطان الملك في شُرفته، والأنظار ترمقكم، والشفاه تهمِسُ[3]: هذا الملك ، وهذان مشلينيا ومرنوش.
مشلينيا	:	عرفتنا إذن ساعةَ جئناك نعدو نسألك ملجأ ومخبأ ؟

(1) ساخطا وناقما على الأوضاع

(2) نَزَقُ الشَّبَابِ : العَجَلَةُ فِي جَهْلٍ وَحُمْقٍ وَطَيْشٍ

(3) الهَمْسُ : كلُّ خَفِيٍّ من كلام ونحوه

يمليخا	:	لم أتبينكما أول الأمر . لكن سمعتُ أحدكما يقول لصاحبه: "إنهم في أثرنا يا مرنوش فلنسرع" فنبهني الاسم من ساعتي، فتركتُ غنمي وجئت بكما إلى كهف الرقيم.
مشلينيا	:	(بعد صمت) ألم نلهُكَ عن غنمك يا يمليخا ؟
يمليخا	:	لا بأس . إنها ترعى الكَلَأَ آمنةً، ولا يعلم أحدٌ أنها لمسيحي.
مرنوش	:	أنت أيضاً كنت تخفي دينك ؟
يمليخا	:	نعم يا مولاي .
مشلينيا	:	يمليخا ! كلمة "مولاي" تؤذي سمعي ، إنا هنا إخوة ومسيحيون فلا موالى وعبيد .
مرنوش	:	هل لك أهل يا يمليخا ؟
يمليخا	:	ليس لي إلا قطمير ؟
مشلينيا	:	من هو قطمير ؟
يمليخا	:	(يشير إلى الكلب) كلبي هذا.
مرنوش	:	أنت إذن أسعدنا حالاً .
		(صمت)
يمليخا	:	(في تردد) لو أجرؤ على السؤال ...
مشلينيا	:	سل عما شئت يا يمليخا، ولا ترهب أمراً .
يمليخا	:	مذ رأيتكما راكضين هراباً من المذبحة حَدَسْتُ[1] وعَجبتُ ولكن أذهلني أمر نجاتكما عن كل شيء. وأتينا الكهف، فسكنتُ إلى نفسي أفكر في أمركما حتى دَهَمني نوم ثقيل لم أصبح منه إلا الساعة، وكأن بأضلعي كسراً ...
مشلينيا	:	ما الذي حيَّرك من أمرنا ؟
يمليخا	:	دقيانوس عدوُّ المسيحية ما كان يعلم أن وزيريه مسيحيان !
مرنوش	:	(في اندفاع مقصود) وهو لا يعلم كذلك أن ابنته مسيحية ... هذا الآمرُ بذبح المسيحيين.
يمليخا	:	(في استغراب) ابنته ؟ الأميرة بريسكا ! ؟
مشلينيا	:	(في صيحة عتب ولوم) مرنوش !
مرنوش	:	وأي حرج أن أخبر يمليخا بهذا ؟ إلا أن أكون ذكَّرتُ قلبك يا مشلينيا .
يمليخا	:	معذرةً يا مولاي ! أنا لم أطلب العلم إلا بأمر واحد : كيف عرف الملكُ سرَّكُما؟ أ مَكِيْدَةٌ؟ أ وِشَايَةٌ؟.

(1) حدَس في الأمر ونحوِه: ظنَّ وخمَّن وتوهَّم

مرنوش	:	أخبِرْه أنت يا مشلينيا ...
مشلينيا	:	أريدُ الخروجَ من هذا المكان .
مرنوش	:	أيضاً ؟ يا لَمُصِيبتي بك !
مشلينيا	:	قلتُ لك لا أستطيع المكث هنا يوماً آخر .
مرنوش	:	أيها النَّزق! أما كفاك أنك أوقعتنا فيما نحن فيه ؟
مشلينيا	:	إنك حاقدٌ عليَّ !
مرنوش	:	بل أحمد الله على أن رسالتك المشئومة لم يكن بها غير اسمينا ! (مشلينيا لا يجيب) نعم ... إنها من سوء حظي الرسالة الأولى والأخيرة.
مشلينيا	:	من سوء حظِّك ... حقيقة.
مرنوش	:	طالما حذرتك الكتابة إلى بريسكا.
مشلينيا	:	صَهٍ !
مرنوش	:	لكنك هذه المرة قد ذهب رشدُك دفعةً واحدة ... فكتبتَ ثم دفعتَ الرسالة إلى وصيفةٍ غيري تضمر لكما الشر .... ألا تذكر أني نبهتك يوماً إليها وقد لحظتُ منها أشياء. أو لم تجد رسولاً سوى هذه المرأة ؟ (مشلينيا لا يجيب) يا لقلة الحذر! أو لم تخبرْنيْ أنك قبل الرسالة المشئومة بقليل أهديت إلى بريسكا يدا بيد صليبا صغيرا من الذهب استصنعته لها؟ ... فماذا عليك لو أنك أعطيتها الرسالة كذلك يدا بيد؟ (مشلينيا لا يجيب) ولكنك تزعم أنك لم تستطع، فلقد كتبت بعدئذ على عجل ... نعم، كي تخبرها أنك ذاهب بصحبة مرنوش تصلي سرا صلاة الفِصحِ[1] وتذكرها في الصلاة! (مشلينيا لا يجيب)بصحبة مرنوش!!
مشلينيا	:	نعم كلمةً لو لم أخطها ...
مرنوش	:	لكنتُ نجوتُ بجلدي.
مشلينيا	:	أجل كنتَ نجوت بجلدك.
مرنوش	:	ولما خسرتُ مكاني عند الملك. لما جئت أحطم عظامي على أرض هذا المكان المُوحِش هذه الليلة. ولما تركت امرأتي وولدي وحدهما في عذاب القلق وسط هوجاء[2] المذبحة.
يمليخا	:	(بعد لحظة صمت) مولاي ! أو تركتَ أهلك في الخطر!
مرنوش	:	أحمد الله على أن ليس أحد يعلم أنهما مسيحيان، ولا أنهما يَمُتَّان[1] إليَّ

(1) صلاة العيد عند النصارى

(2) خَوْفٌ

		بصلة، إن أمر زواجي سر لا يعرفه غير ثلاثتنا الآن. ثم إني أخفي امرأتي وولدي عن الناس في بيت منفرد منذ سنوات. كلا ... لا خوف عليهما ... لقد عَصفتْ[2] قبل اليوم مذابح ومجازرُ فلم يمتد إليهما أذى.
يمليخا	:	ذلك من فضل المسيح.
مرنوش	:	قل هو سوء المصادفة أن يظهر سرُّنا للملك، ولما يمض يومان على أمره بذبح المسيحيين.
يمليخا	:	نعم إني أتخيل مبلغ غضبه.
مرنوش	:	قيل إنه جعل يَجْأرُ ، والرسالة في يده يتلوها ضاحكاً ضحكات مخفية، ونادى ابنته ، وأطلعها عليها وهو يصيح بمن حوله أن أعِدُّوا أقفاص السباع الضارية، فلسوف نقدم لها وليمةً لا تنساها.
يمليخا	:	يا للهول ...
مرنوش	:	لو لم تنسلّ[3] الأميرة بريسكا إلى باب القصر تنتظر أو بتنا من صلاة الفِصح لتدعونا إلى الفرار ...
يمليخا	:	هو المسيح شاء لكما النجاة .
مرنوش	:	نعم ... ولكن أية نجاة هذه التي تفصل بيني وبين امرأتي و ولدي؟ آه ! كلما أذكر ابني ينهض هذا الصباح ولا أقبله ...
يمليخا	:	كم تحب أهلك !
مرنوش	:	إني إنما أحيا بهما ولهما ...
يمليخا	:	صبراً ! إن رحمة الله قريب .
مرنوش	:	حقيقة ! قرب السماء من الأرض ! تلك الرحمة التي لا تُسْعِف[4] إلا من يستطيع الانتظار !
يمليخا	:	لا تسخر ... إن الله حق ...
مرنوش	:	لا شأن لله بنا هاهنا، نحن اللذان أوقعنا بنفسينا في التهلكة ... ومع ذلك ... فإني ما أوقعت نفسي.

(1) مَتَّ إليه بصلة أو بقرابة (ن) :انتسب، اتّصل به

(2) اشتدت

(3) خرجت من المكانِ خفيةً

(4) لا تغمُر ولا تصيب

يمليخا	:	كل شيء على هذه الأرض بأمر الله.
مرنوش	:	إلا ما نحن فيه ... فقد حدث بفعل إنسان .
يمليخا	:	(مستنكراً) أستغفر الله ! هذا كلام لا يلفظه مؤمن!
مشلينيا	:	(يحاول النهوض فتؤلمه عضلاتُه) آه !
مرنوش	:	إلى أين ؟
مشلينيا	:	سيذهب هذا الإنسان كي يصلح فعلته.
مرنوش	:	ويحك ! ماذا عساك تصنع ؟
مشلينيا	:	سأذهب إلى الملك توًّا وأقول له : "إني جنيت على مرنوش ظلماً، وإن اسمه في الرسالة لا يعني شيئاً ... وهأنذا أقدم حياتي".
مرنوش	:	اقعد ... وكفى هذراً[1] ! قل إنك ذاهب لترى حبيبتك .
مشلينيا	:	وا أسفاه !
مرنوش	:	علام تأسف؟
مشلينيا	:	ما كنت أعرفك سيء النفس بهذا المقدار .
مرنوش	:	كفى، اقعد، ولا تكن سبباً في نكبة أخرى. مهما تقل للملك لا يصدقك، وربما حملك بالإرهاب والتعذيب على الإخبار بمكاني.
مشلينيا	:	(يعود إلى القعود في قنوط) يا إلهي ! ماذا أستطيع لك إذن ؟
يمليخا	:	دع الأمرَ للمسيح .
مشلينيا	:	ليت المسيح يعلم ! أستغفر الله ! أعتقد أنه يعلم ، وأنه سيخفف عنك .
مشلينيا	:	متى ؟
يمليخا	:	متى ؟ أللهم رُحماك ! إنا لا نملكُ حق سؤال كهذا . إنما ينبغي لنا أن نعتقد.
مشلينيا	:	إني أعجب بإيمانك يا يمليخا.
يمليخا	:	إني أومن بالمسيح لأنه حق، ولا يمكن أن تكون هذه البشرية قد بذلت أرواحها وسفكت دماءها من أجل شيء غير الحق.
مشلينيا	:	أوُلِدتَ مسيحياً ، أم اعتنقت الدين على كبر ؟
يمليخا	:	بل وُلدتُ مسيحياً ...
مشلينيا	:	مثلي إذن .
يمليخا	:	نعم . ولكن الإيمان الحقيقي، إيمان اليقين والاقتناع لم يضيء كل نفسي إلا من يوم سمعت ذلك الراهب يتكلم تحت أسوار طَرسوسَ.
مشلينيا	:	أي راهب؟

(1) التكلم بما لا ينبغي

يمليخا	:	كان ذلك منذ خمسة أعوام إذ بلغتُ الثلاثين، وما كنتُ بعدُ أفكر في غير غنمي. وكنت أدين بالمسيحية اسماً بحكم الوراثة وحدها لا عن شعور واقتناع، حتى كان يوم ذهبت إلى مدينة طرسوس في بعض شأني، فلمحت خارج أسوارها راهباً يتكلم في جمع صغير تخفيه عن الأعين خرائب قديمة وأحجار. فاقتربتُ وطفقتُ أصغي، وإذا بي كأني انقلبتُ إنساناً آخر، وكأن عيني تريان ما كانتا عنه غافلتين .
مشلينيا	:	ماذا كان يقول ذلك الراهب ؟
يمليخا	:	لستُ أذكر شيئاً مما قال. لكني لن أنسى ما شعرت به إذ ذاك: إحساس لم يعترْني في حياتي من قبل إلا مرة، إذ كنت أهبط الجبل ساعة غروب، فأشرفت على منظر بالخلاء لم أر أجمل منه ، فلبثتُ ليلتي أفكر وأستذكر أين رأيت هذه الصورة من قبل، أو في الطفولة، أ في الأحلام، أم قبل أن أولد؟ إن هذا الجمال على غرابته ليس مجهولاً مني! وقمت في الفجر فذكرت صورة البارحة، وفجأة برقت في رأسي فكرةٌ: هذا الجمال كان موجوداً دائماً منذ الأزل منذ وجدت الخليقة. هذا الإحساس بعينه هو ما شعرتُ به وأنا أصغي إلى الراهب. إن كلامه الذي أسمعه لأول مرة ليس مع ذلك جديداً عندي . أين سمعته ومتى؟ أفي الطفولة ؟ أفي الحلم ؟ أ قبل أن ولدتُ؟ وتولدتْ في نفسي عقيدةٌ أن هذا الكلامَ هو الحق ، إذ لا أتصور بدء الوجود بدونه ولا انتهاءه بدونه ...
مشلينيا	:	(في شبه دهش) مرنوش ! أسامعٌ؟
مرنوش	:	نعم.
مشلينيا	:	ما تقول في ذلك ؟
مرنوش	:	أقول إن هذا الراعي يتكلم هراء[1] و لا أفهم ما يقول .
مشلينيا	:	أنت لا تفهم شيئاً سوى أنك غبت ليلة عن امرأتك و ولدك .
مرنوش	:	(في شبه تهكم) وأنت ماذا فهمت منه ؟
مشلينيا	:	فهمت أننا بعيدان عن الله . وأن قلبينا مشغولان بغير الله .
مرنوش	:	و أي بأس في لك ؟
يمليخا	:	(مستنكراً) اللهم رحماك !
		(ينهض)
مرنوش	:	إلى أين أيها الراعي المتنسك ؟

(1) كَلاَمُ هُرَاءٍ : كَلاَمُ هَذَيَانٍ، غَيْرُ خَاضِعٍ لِمَنْطِقٍ

يمليخا	:	(في تردد) إلى ... إلى ... إني أحس الجوع. ألا أذهب إلى المدينة تحت ستر الظلام أحضر طعاماً لكما ولي ... ؟
مونوش	:	(في ارتياب) وهل ستعود إلينا ؟
يمليخا	:	إني أترك قطميراً هنا .
مرنوش	:	(يشير إلى الكلب في دهشة) انظر ... انظر ! ها هو ذا ينهض . عجباً ! أ ترى شبحه كيف يتلوى في الظلام وكيف يتمطى ! يخيل إليّ أن كل من نام في هذا الكهف يصحو و كأن أعضاءه متكسرة . (لحظة) صدقت يا يمليخا. ينبغي تشتري لنا طعاماً. لقد ذكرتنا بالجوع، إني أحس كأن معدتي خاوية خالية حتى من الهواء ! وأنت يا مشلينيا ألست جوعان ؟ (مشلينيا لا يجيب) لا تجيب؟ لعلك مشغول حتى عن الجوع !! (بعد لحظة) يخيل إليّ أني لست جوعان كما ينبغي ، إني أحس كأن عضلات بطني قد صدئت أو نامت هي الأخرى وتحتاج إلى منبه. يمليخا ! كم تحسن صنعاً لو شربت لنا ما يحرك شهوتنا للطعام . هل معك نقود ؟
يمليخا	:	معي ...
مرنوش	:	(وهو يدس يده في جيبه) بل انتظر ! كانت معي أمس فيما أذكر دراهم من الفضة. إنها لم تزل في جيبي، خذ ... (يمليخا يأخذ منه النقود ويخرج) .
مشلينيا	:	أ تدري يا مرنوش ما يجول برأس هذا الراعي الآن؟
مرنوش	:	ماذا؟
مشلينيا	:	أ لا ترى أنه أسرع إلى مغادرة المكان، لأنه لم يطق سماع كلامك ؟
مرنوش	:	حسناً فعل .
مشلينيا	:	نعم . ولعله أصاب في رأيه . أنا أيضاً أشك ...
مرنوش	:	فيم تشك ؟
مشلينيا	:	حبنا لأنفسنا أقوى من حبنا لله . وأكاد أرى أنا لا نثق بالله كثيراً.
مرنوش	:	أ لم نُصَلِّ له ؟
مشلينيا	:	نعم ، كي تسأله الخير لامرأتك و ولدك.
مرنوش	:	و أنت لبريسكا.
مشلينيا	:	كنا نصلي له على الأقل ... ولكن مذ جئنا الكهف فنحن لا نفكر في غير من ... (مستدركاً) فأنت لا تفكر في غير من تحب . إذًا أنت ناقم[1] عليَّ و على الله يا مرنوش و لا بأس ، أما الله والمسيح ...

(1) ساخط عليّ

مرنوش	:	لست ناقماً عليك يا مشلينيا و لا على الله والمسيح ... لأني لست أفكر في أيكم الآن .
مشلينيا	:	أ رأيت ؟ هذا عين ما أريد قوله . إنا لا نفكر قط في الله .
مرنوش	:	مشلينيا ! أ تصغي إليَّ ؟
مشلينيا	:	نعم .
مرنوش	:	إن الله وقد خلق لنا قلوباً قد نزل عن بعض حقه علينا.
مشلينيا	:	(بعد تفكير يصيح في فرح) قد تكون صادقاً في هذا يا مرنوش ... (في شك) لكن ...
مرنوش	:	ماذا؟
مشلينيا	:	الراعي. هذا الذي نبهنا إلى الله الآن. ألا ترى كيف يذكره والمسيح في كل وقت.
مرنوش	:	إن صاحبك الراعي لخلّى. فما يضيره أن يمنح قلبه كله لله أو للشيطان.
مشلينيا	:	(في تأمل أو كمن يقنع نفسه) أصبتَ...
		(صمت)
مرنوش	:	(فجأة) ذهب يمليخا الراعي؟
مشلينيا	:	ماذا تريد منه؟
مرنوش	:	لو أني وجهته إلى بيتي في طريقه يرى زوجي وولدي وينبئهما بخبري وبقرب أوبتي[1]؟
مشلينيا	:	إنه لا يعرف منزلك. ماذا تقول لوذهبتُ أنا؟ إن مرآى وحده قد يملؤها اطمئنانا.
مرنوش	:	(في تردد) أخشى أن ترتكب غلطة فتفسد علينا الأمر.
مشلينيا	:	لا تخش شيئا.
مرنوش	:	آه.! ستذهب طبعاً بعد ذلك إلى حيث تراها أيها الخبيث!
مشلينيا	:	وأي ضرر في هذا؟ إنها تنتظرني هي أيضا، تنتظر مني خبرا. أتذكر يوم وقفت خلف الباب تحملنا على الهرب؟ أتدري ما قالت لي وهي تودعني وأنت تجذبني من ذراعي تستعجلني؟ لقد قالت إنها سترقبني من نافذتها بعد ثلاثة أيام عند مطلع الفجر.
مرنوش	:	وهل انقضت بعد الأيام الثلاثة؟
مشلينيا	:	لا بأس أذهب على كل حال أتجسس وأعود.
مرنوش	:	وإذا لَمَحَكَ أحدٌ وعرف من أنت؟

(1) رجوعي

مشلينيا	:	لا تخف، سأتسلّلُ في الظلام ولا أرى أحدا وجهي.
مرنوش	:	(في عزم وقوة) كلا. في خروجِك خطرٌ.
مشلينيا	:	(في غيظ كظيم) أتأبى عليّ...
مرنوش	:	نعم.
مشلينيا	:	ما أشدّ أثرَتَكَ!
مرنوش	:	أنا!؟
مشلينيا	:	نعم، أنت.
مرنوش	:	يا للويل! أنسيت وشيكا ما كنت لك دائما؟ وما كنت لك في حبك هذا على الأخص؟!
مشلينيا	:	إنك اليوم محوتَ كلَّ شيءٍ طيبٍ من ذاكرتي.
مرنوش	:	لأني أبديت بعض الحذر من نزق محب مثلك.
مشلينيا	:	بل لأنك لا تفكر منذ جئنا هنا إلا في نفسك وفيما يمكن أن يعرضك للخطر.
مرنوش	:	وأنت لا تفكر إلا في الذهاب إلى من تحب ولو جبلت على من معك الوبال! فأينا شديد الأثرة!
مشلينيا	:	أنت.
مرنوش	:	أنا أيضا؟ ما أعمى عين المحب وما أكفره!
مشلينيا	:	قل هذا لنفسك أنت كذلك على الأقل.
مرنوش	:	إني أرى عيوبي ولا أكفر بفضل إنسان.
مشلينيا	:	(في تهكم) لو أن الراعي هنا لأخبرك أنك كفرت على الأقل بالله والمسيح.
مرنوش	:	على الأقل؟
مشلينيا	:	نعم. لأني لا أود أن أذكرك بأحد آخر...
مرنوش	:	إنك لفتًى سيءُ النفس!
مشلينيا	:	أنا؟!
مرنوش	:	نعم، إني لستُ مثلَك يسهُل محوَ كلِ شيءٍ طيبٍ من ذاكرتي؛ إني لا أستطيعُ أنْ أنسَى يا مشلينيا أنك الوحيدُ الذي عاونِيْ في زَواجي الخفِي... ولازمني في كل ظروفي الحرِجَة التي مرّ بها تأسيس هذه الأسرة المخبوءة... إني لا أستطيع أن أنسى أنك كنت تفرش معي المنزل وتحمل إلينا على ذراعيك ليلا الخضر والفاكهة إذ كنا لا نأتمن خادما ولا عبدا على سرنا. ولا أنسى يوم وُلد ابني أنك جعلت تحوك أثوابه الصغيرة وقلانسه بيدك قبيل نزوله إلى هذا العالم... أجل، لولاك ما كنت أستطيع أن...
مشلينيا	:	لا أريد أن تذكر هذا. أريد فقط أن تذكر أنك اليوم أضفت إلى ما أنا فيه أَلَمَ

		وَخْزِ الضميرِ[1] بترديدك وتلميحك في كل لحظة أني سبب مصيبتك...
مرنوش	:	(في عتب وتأنيب)أهذه أول مرة عرّضتُ فيها نفسي للخطر من أجلك؟ (مشلينيا لا يجيب) ألا تعترف مرةً بما فيكَ من عيب المحبين! العمى والكفر والنسيان. أنت كذلك على الأقل! قل.
مشلينيا	:	(يهدأ) أعترف أنك عرّضت نفسك للخطر من أجلي حقيقة.
مرنوش	:	وإذن؟ أفلا تسمح لي ببعض التبرم البريء في ساعة ضيقي!
مشلينيا	:	وأنا؟ متى كفرتُ بك؟
مرنوش	:	إن الحب ليبتلع كلَّ شيءٍ حتى الصداقة وحتى الإيمان.
مشلينيا	:	حتى الإيمان؟
مرنوش	:	لأنه هو نفسه إيمان أقوى من كل إيمان.
مشلينيا	:	أدرك ما تعني...
مرنوش	:	ماذا أعني؟
مشلينيا	:	لولا امرأتك المسيحية لما كنت اعتنقت دين المسيح... أنت الوثني المؤمن بالوثنية وساعد دقيانوس الأيمن في مذابحه السابقة!
مرنوش	:	ولولاك أنت لما اعتنقت الأميرة بريسكا دين المسيح وهي المؤمنة بدين أبيها دقيانوس؟
مشلينيا	:	(يكتم اغتباطه)مرنوش! أتراها حقيقة تركتْ دينها لهذا السبب؟
مرنوش	:	وهل في هذا شك؟
مشلينيا	:	أنت دائما تفهمني ذلك.
مرنوش	:	لأنك لا تريد أن تفهم أيها الأحمق.
مشلينيا	:	(مستذكرا في فرح) نعم. إني لن أنسى تلك الليلة التي طالما حدثتك عنها. ليلة كانت في ثياب بيضاء تخطر في بهو الأعمدة حيث موعدنا بعد سكون القصر. لقد قلت لها وقتئذ في غير حذرٍ "إنك ملك من ملائكة السماء"؟ فنظرت إليّ دهشة وسألت عن معنى الملك، فقلت لها في ارتباك هو اسم في المسيحية لمخلوقات أسمى وألطف من مخلوقات الأرض، ثم صمت لحظة وقلت لها مموّهاً[2]: "ليتني كنتُ مسيحيا؟" فقالت: "لماذا؟" قلت: "حتى أستطيع أن أكون خطيبك أمام الله وأن يكون بيننا عقد مقدس لا يستطيع أحدنا الحنث به" فقالت: "أهذا في المسيحية؟"وصمتت لحظة ثم قالت في

(1) تبْكِيتُهُ، أَيْ مَا يَشْعُرُ بِهِ الإِنْسَانُ مِنْ أَلَمٍ نَفْسِيٍّ عِنْدَ وَعْيِهِ أَنَّ مَا قَامَ بِهِ مُسِيءٌ

(2) مَنْ يُقَدِّمُ الأَشْيَاءَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهَا

		سذاجة وحياء: "ليتني أنا أيضا كنت مسيحية."
مرنوش	:	وبعدئذٍ بقليل كنت ببابي كالمجنون فرحاً.
مشلينيا	:	نعم، ومن فورك أخذت تفكر لي وتدبر الأمور...
مرنوش	:	وكان أن ذهبتما سرًا إلى الراهب كي يُدخلها في الدين.
مشلينيا	:	بفضل رأيك ومعونتك. مرنوش! حقًا لست أنسى حرج موقفك يومئذ وقد لبثت بعد ذهابنا ترقب عودتنا وتقول لدقنايوس إذ يسأل عن ابنته إنها مع وصائفها في الحمام، ونقول لوصفائها القلقات هي عند أبيها. أجل! غير أني لا أرتعد لذكرى شيء مثلما أرتعد لذكرى دقيانوس وقد فاجأني مرة في بهوِ الأعمدةِ أنتظر بريسكا وفي يدي الكتاب المقدس. إني لم أزل أسمع صوت الملك وهو يقول لي وأنا من الهلع لا أعي "ما هذا الكتاب بيدك؟" وهنا تقدمت أنت يا مرنوش وخطفته من يدي وقلت مجيبا: "هذا كتابي يا مولاي نسيته في هذا البهو" عندئذ أدركت أنك مستعد أحيانا للهلاك من أجلي.
مرنوش	:	لا من أجلك، بل من أجل محب وخطيب أردت أن أحفظه لخطيبته.
مشلينيا	:	شكرا لك يا مونوش... لكن...
مرنوش	:	لكن ماذا؟
مشلينيا	:	لكني مع ذلك لا أشكرك على ما كان منك اليوم.
مرنوش	:	أيضاً.
مشلينيا	:	(في تأمل) نعم... (بعد لحظة) لست أدري... ما أعجب تركيب الإنسان! فينا القوة أحيانا إلى حد العظمة والتضحية، وفينا الضعف أحيانا إلى حد الحقارة والأنانية.
مرنوش	:	كان هذا لأني أمنعك من الذهاب إليها! (صوت صياح يدوّي بين تجاويف الكهف)
مشلينيا	:	(مرهفا أذنه) صه!
مرنوش	:	ما هذا؟
الصوت	:	(يقترب ويصيح)، أيها الوزيران!
مرنوش	:	من أنت؟
الصوت	:	أنا يمليخا.
مرنوش	:	الراعي؟ ولماذا تصيح هكذا؟
يمليخا	:	أنتما في الظلام تنتظران الفجر والشمس في كبد السماء!
مشلينيا	:	أين هذا؟
يمليخا	:	خارج الكهف! ولقد عثرت بالباب فإذا هو دوننا ولا نعرف. ولكن... شيء

		عجيب... إن الحرارة والضوء لا يدخلان إلينا منه كأنما الشمس تميل عنه في ذهابها وإيابها.
مرنوش	:	أهذا كل ما فعلت؟ أين الطعام؟
يمليخا	:	لو تعلمان ما رأيت وما سمعت..
مرنوش	:	تكلم...!
يمليخا	:	ما كدتُ أسير خطوتين حتى رأيت أمامي فارسا يلبس لباسا غريبا وكأنه صياد فأبرزت له مما معي من فضة عارضا عليه شراء بعض صيده فما تَبِيْنُني حتى كأنه امتلأ رعبا ولكز فرسه يريد الركض فأمسكت بزمام الدابة وأوقفتُ الرجل وأنا ألوّحُ له بالنقود. وفي النهاية أخذ مني قطعة في حذر وجعل يتأملها وأنا أرقبه، وإذا هو يقول في تلعثم وخوف وعجب وهو يقلبها بين أصابعه: "دقيانوس!" ثم رفع رأسه متشجعا وقال لي: "أمعك مِنْ هذا كثير؟" فأخرجت له كل ما معي فقال: "أين وجدتَه؟" قلت: "ماذا؟" قال: "هذه النقود القديمة... هذا الكنز؟!" فحسبت بالرجل مسًّا فخطفت منه قطعتي وابتعدتُ عنه وهو يبتغي بنظرة عجب واستطلاع وخوف، ثم لكز فرسه واختفى عن بصري...
مرنوش	:	صدقتَ إن بصاحبك مسًّا.
مشلينيا	:	لا يا مرنوش... لا تتعجل...
مرنوش	:	ما بك؟
مشلينيا	:	لقد داخلني شك.
مرنوش	:	في ماذا؟
مشلينيا	:	في زمن إقامتنا بهذا الكهف. ألا تذكر أني أتيته حليقا؟ ها أنذا الآن ولحيتي مرسلة وشعري يتدلى. ما تنبهتُ إلى ذلك إلا الساعة! وأنا أحك رأسي بظفري...
يمليخا	:	نعم. نعم. أنا كذلك لحظت وأنا أخرج قطعة الفضة للرجل أن أظافري طويلة على هيئة لم أعهدها من قبل! ومن يدري لعل الرجل ارتاع من منظر شعري المبعثر الأشعث. نحن هنا في الظلام لا نلحظ شيئا ولا يرى أحدنا الآخر.
مشلينيا	:	ترى ألبثنا أسبوعا ونحن لا نشعر!
مرنوش	:	(يتلمس رأسه) صدقتكما! أنا أيضا لا أحسبني جئت الكهف بهذا الشعر كله في رأسي ولحيتي. هذا عجيب! انظر يا مشلينيا. لو كنت تبصر في الظلام. أكاد بهذه اللحية أشبه بالقديسين على ما يخيل إليّ...
يمليخا	:	لعلنا مكثنا شهرا.
مرنوش	:	ويحك! شهرًا؟ وأين كنا طول هذه المدة؟

يمليخا	:	كنا نياما.
مرنوش	:	أهذا كلام عاقل؟
يمليخا	:	ولم لا؟ إني سمعت من جدتي ووالدتي وأنا صغير أن راعيا اعتصم بغار من سيل هائل وكان مؤمنا بالله والمسيح فنام شهرا حتى انقطع السيل فصحا وخرج سالما كما دخل دون أن يشعر بالزمن.
مرنوش	:	تلك أساطير عجائز.
يمليخا	:	إني أومن بهذه الأسطورة ولا أرى فيها عجبا. لقد قيل إن الجثث لا تفسد سريعا في الغار لرطوبة المكان فكيف والشهر ممطر وكيف وإرادة الله والمسيح تشاء النجاة لذلك المؤمن!
مرنوش	:	(نصف ساخر) وفي حالتنا هذه؟ ما تقول؟ أهو المطر والسيل؟ أم إرادة الله والمسيح؟
يمليخا	:	في حالتنا هذه كذلك... ألم أقل إني رأيت الشمس تميل عن الكهف على نحو عجيب، أليس ذلك كي لا تؤذي حرارتُها أبدانَنا؟ هي إرادة الله والمسيح شاءت هذه الأعجوبة لتنجي المؤمنين.
مرنوش	:	(في تهكم خفيف) المؤمنين؟ أشكرك يا يمليخا! أظن أن لولا وجودك معنا ما كانت إرادة الله والمسيح شاءت لنا أية أعجوبة!!
مشلينيا	:	(ناهضًا فجأة) مرنوش!
مرنوش	:	إلى أين يا مشلينيا؟
مشلينيا	:	مهما يكن من أمر فلا ريب أن الأيام الثلاثة قد انقضت.
مرنوش	:	تعني أنك ذاهب إلى...
مشلينيا	:	ولن تمنعني قوة في الأرض.
مرنوش	:	(في تهكم خفيف) ولا في السماء.
(صوت ضجة خارج الكهف)		
يمليخا	:	صه! أتسمعان؟
مرنوش	:	ما هذا أيضا؟
يمليخا	:	(مرهفا الأذن) هذا صوت أناس عديدين!
مرنوش	:	(ناهضا بقوة) ويلنا!هلكنا...
مشلينا	:	هلكنا!
مرنوش	:	نعم. هولاء ولا ريب رجال دقيانوس جاءوا يلتمسوننا. أرأيت يا يمليخا؟ إن هذا الفارس المخبول قد ذهب ودلّ على مكاننا. ألم أقل لكم لا خروج قبل أن نستوثق من الأمان؟ وأنت يا مشلينيا الذي كنت الآن على وشك الخروج!!

(صوت الناس في الخارج يقترب)		
الناس	:	(صائحين في الخارج) يا صاحب الكنز! ابرز إلينا يا صاحب الكنز! لا تخف اخرج لنا ولا تخف!
مرنوش	:	أي كنز؟ ومن هو صاحب الكنز؟
يمليخا	:	(يشير بالصمت هامسا) صه! صه!
مشلينيا	:	(همسا) أخشى أن يدخلوا علينا.
الناس	:	(تقترب من باب الكهف) هذا كهف! هذا كهف! (فئة أخرى من الناس) لكنه مظلم! إنه مظلم..! (فئة أخرى) أحضروا المشاعل؟ أوقدوا المشاعل!
مرنوش	:	(همسا) ما العمل؟
مشلينيا	:	(همساً) إننا محاصرون!
يمليخا	:	(همساً) فلنسلم أنفسنا لله والمسيح!
(لا تمضي لحظة حتى يشع في داخل الكهف ضوء، ثم يشتد اللغط ويدخل الناس هاجمين وفي أيديهم المشاعل ولكن... ما يكاد أول الداخلين يتبين على ضوء منظر الثلاثة حتى يمتلئ رعبا ويتقهقر[1] وخلفه بقية الناس في هلع وقد اضطرب نظامهم وهم يصيحون صيحات مكتومة)		
الناس	:	(في تقهقر ورعب) أشباح!.. الموتى..! الأشباح..! (ويخرج الجميع في غير نظام تاركين بعض مشاعلهم. ويخلو المكان للثلاثة وكلبهم والضوء منتشر ولكنهم ساهمون جامدون كالتماثيل كأنما أرعبتهم هم أنفسهم هذه الكلمات: "أشباح وموتى" أو كأنهم لا يفهمون مما رأوا وسمعوا شيئا.
****		

(هذا النص مأخوذ من مسرحية أهل الكهف: توفيق الحكيم، مكتبة مصر، ب.ت)

(1) رَجَعَ إلى الوَراءِ

نص الاقتباس من مسرحية

"الآباء والبنون"

لميخائيل نعيمة

الأشخاص

أم إلياس	:	أرملة بطرس بك سماحه، في الخامسة والخمسين
إلياس سماحه	:	ابنها البكر، في الثلاثين
خليل	:	ابنها الأصغر، في الرابعة والعشرين
زينة	:	ابنتها، في العشرين
داود سلامه	:	معلم في مدرسة داخلية، في الثلاثين
شهيدة	:	أخته، في الثانية والعشرين
موسى بك عركوش	:	كاتب في المحكمة، في الخامسة والسبعين
ناصيف بك	:	ابنه، شويعر، خطيب زينة، في الأربعين

الزمان	:	مطلع القرن العشرين
المكان	:	مدينة صغيرة في لبنان

الفصل الأول

"رَدْهَةُ[1] الاستقبال في بيت "سماحة"، فيها ديوان إلى اليمين وآخر إلى اليسار وبعض الكراسي المُبَعْثَرة بدون ترتيبٍ بينَها ثلاثةُ مقاعدها من حرير. في الوسط طاولةٌ عليها قنديلُ بترولٍ بغِطَاءٍ أحمَر. على الحائط الأيسر صورةُ بطرس بك سماحة في إطار كبير مُذَهَّبٍ. على بقية الحيطان أسلحةٌ قديمةٌ: سيوفٌ وعُدَدُ بنادق وخناجر ورمحان وصورة قديسين وملائكة. في الحائط الأيمن نافذةٌ واسعةٌ وتجاهها في الحائط الأيسر بابٌ. في حائط الصدر بابٌ يؤدّي إلى الخارج. الفصل صيفٌ. النهار أحد. والوقت العصر. إلياس جالسٌ إلى الطاولة يكتُب. أمامَه دواةٌ، حواليها كتبٌ وجرائدُ وأوراقٌ مبعثرةٌ. يطرق الباب".

لمشهد الأول

إلياس ـــ داود

إلياس	ادخل. ادخل (يتجه نحو الباب ويفتحه فيرى داود) أهلاً، أهلاً بصديقي داود. والحمد لله أن تنازلتَ فشرَّفْتَنَا بزيارة. لقد آنَ لهذا البيت أن يعرِفَك وتعرِفَه.
داود	(يدخُل على مَهْلٍ متلفِّتاً حواليه) بيت؟! هذا متحف عاديات.
إلياس	وأنا واحد منها. (يتكلف الضحكَ)
داود	أنت أقدمُها، وأثمَنُها من غير شكٍّ. وما معنى هذه السيوف والخناجر والبنادق؟ ما عهدي بك تعشق الحربَ ومظاهرَها إلى هذا الحد.
إلياس	بل إنني أكرهها إلى أقصى حدود الكراهية.
داود	إذن كيف ترضى أن تعيش في ظلها؟
إلياس	تفسير ذلك عند الوالدة. فهي أدرى مني بتاريخ هذا السيف أو تلك الطبنجة أو ذلك الرمح. وأدرى بالغاية من عرْضِها على جدرانِ بيتها ولو أنها كانت الآن هنا لأخذتْ بيدك وقادتْك إلى كل قِطْعَةٍ بمفردها وراحتْ تسرُدُ عليك تاريخها. والويلُ لك إذا أنتَ لم تُصدِّق كلَّ ما ترويه لك. فأنت إذ ذاك العدوُ اللَّدُوْدُ[2]، بل الشيطانُ الرجيم.
داود	لَأَنْصرفُ إذن بسلامٍ قبْلَ أن تعودَ أمُك مخافةَ أنْ تَطْرُدَني طَرْدًا. (همسا) أم هي الآن في البيت؟

(1) قاعة، حجرة واسعة ردهة الاستقبال: غرفة الاستقبال

(2) العدو اللدود: شديدُ العداوة والخصام

إلياس	من حسن حظك أنها ذهبتْ مع شقيقتي في زيارةٍ. لا خوفَ عليك منها. فأنتَ غريبٌ. والخوفُ كلُّ الخوف على مَنْ كان مِثلي، وكان مكرِهاً أن يعيْشَ المُومِياء في متحف للعاديات. (بحرقة) إني لأكاد أختنق يا داود. أختنق في دنيا تعيش في ماضيها وعيونُها مكفوفةٌ عن الحاضر والمستقبل. حتى بتُّ أمقُت الماضي، وأمقُت الحاضر، وأمقُت المستقبل. وبتّ أحسِب الحياة وزراً، وأحسِب وجودي في هذا الكون ضِغثاً على إبّالة. لكن قلبي ينفطرُ على فتاةٍ كأختي زينة. أما رأيتَها بعدُ؟
داود	لا. ما رأيتها. ولماذا ينفطر قلبك عليها؟
إلياس	لأنها جوهرة نادرة في يد تاجرٍ أعمى.
داود	ومن هو التاجر الأعمى؟
إلياس	أمي. إنها امرأة عنيدة لا تطيق أن يعاندها أحدٌ في شيء. وأولادها على الأخص. فهي تطلب منا طاعةً عمياءَ. ولا ترضى أن يكون لأبّينا رأيٌ غيرُ رأيها. رأسُ الحكمةِ، في شرعِها، طاعةُ البنين والبنات للآباء والأمّهات.
داود	وأيّ بأس في ذلك إذا كانت الأم امرأةً صالحةً؟
إلياس	الصلاح وحدَه لا يكفِي يا داود. بل لا بد مع الصلاح من فِطْنَةٍ ـ من ذوقٍ ـ من درايةٍ. وأمي تكاد تكونُ مِن هذا القبيلِ رَعناء[1].
داود	مثلاً.
إلياس	مثلاً. جاءها رجل معروف في هذه المدينة بمَكْرِه ودهائِه وانحطاطِ أخلاقه. واسمه موسى العركوش. جاءها يخطب زينة لابنه ناصيف. وابنه هذا شويعِر من الذين قيل فيهم "وشاعر من حقه أن تصفعه[2]". رجل تخطّى الأربعين ولا مهنة له ولا حرفة ولا وظيفة. فقبلت أمي بدون تردد. ولماذا؟ لأن آل العركوش من أعيان هذه المدينة. ولأن كلا الوالد والولد يحمل لقب "بك". فهما "من خلّ بقلنا" ـ من طبقتنا ...
داود	ألعلّهما، فوق ذلك، من الأثرياء، من كبار الملّاكين؟
إلياس	يتظاهران بالثروة وهما، على ما أسمع يعيشان بالدَّيْن.
داود	وأختك ـ أراضية هي؟ أما اعترضتْ بشيء؟
إلياس	أختي تكاد تكون راهبة في دير. فهي تجهل العالم وأحواله وطرقه كل الجهل. ورأس الحكمة، في اعتقادها، طاعة الوالدين. أما قالت أمي إن زواجها من ناصيف العركوش أمر صواب؟ إذن هو صواب.
داود	وأنت؟ أما اعترضت؟ أما حاولت إقناع أمك أو أختك؟
إلياس	أنت تهذي يا صديقي. ولا عجب فأنت تجهل طباع أمي. ولا تعرف أختي. أقول لك إن هذا البيت أصبح لي قبرا، وحياتي فيه أصبحت جحيماً. فلا تلمني إذا أفقتَ غداً وأخبرَك مخبرٌ أن صديقَك إلياس سماحه قد

(1) طيش، تسرع.

(2) تلطمه، بمعنى لا يسمع كلامه، وقد أشار منه إلى كلام القائل: الشعراء فاعلمن أربعة: فشاعر يجري ولا يُجرى معه، وشاعر من حقه أن ترفعه، وشاعر من حقه أن تسمعه، وشاعر من حقه أن تَصْفَعَه.

	شنق نفسه في السنديانة التي عند مدخل المدينة.
داود	(يضحك هازئاً) سينقطع بك الحبل. ما مِن مَشْنَقَةٍ[1] تستطيع أن تحمِل جباراً مثلك.
إلياس	لا تهزأ يا داود. فما أنا بمازح. لقد سئِمتُ الحياة. سئمتها حتى الغثَيَان[2]. سئمت ترجيعها وترديدها ولفّها ودورانها لغير ما طائل. نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي[3]
داود	(مازحا) ما دمت تنطلق بالشعر فلا خوف عليك من المَشْنَقة. بل الخوف على المشنقة منك. (يضحك)
إلياس	(بشيء من الحدة) دعنا من المزح يا داود. وهاتِ كلّمني بجِدٍّ: ما معنى حياةٌ شقاؤُها أضعافُ أضعافِ هَنائِها[4]. وهي تبتدئ في ظلمة الرحم وتنتهي في ظلمة اللحد؟
داود	(بجِدّ) أما أنَّ شقاءها أضعاف أضعاف هَنائها فقولٌ يحتاج إلى ميزان أدقّ بكثيرٍ من الذي تملِكُه وأمْلِكه، أو يملكُه أي الناس. وأما أنها تبتدئ في ظلمة وتنتهي في ظلمة فلا تنْسَ أن هنالِك بروقًا تخْتَرِقُ الظُّلْمَتَيْنِ.
إلياس	إنها لبروق خُلَّب[5].
داود	عندك لا عندي. ولا عند الملايين المتعلقين بأذيال الحياة، فما يطيقون التخلي حتى عن دقيقة منها بإرادتهم.
إلياس	ولكنهم سيرغمون في النهاية على التخلي عنها قَسْرَ إرادتهم.
داود	بإرادة مَن؟
إلياس	لست أدري.
داود	ولعل هذا الذي لا تدريه أنت تدريه الإرادة التي تسير بنا من ظلمة الرحم إلى ظلمة القبر، وترينا بين الظلمتين بروقا تحبب إلينا الحياة.
إلياس	أمقتنع أنت أن بعد الموت حياة؟
داود	أنا مقتنع بأن الإرادة التي أحاطتنا بكل هذه العجائب ثم جعلتنا نشعر بها نندهش لها ونندفع في التفتيش عن غاياتها ــ إن تلك الإرادة لن تخذلنا في النهاية إذا نحن أحسنا تفهُّمها والاسترشاد بنورها. ومن ثم ... (يقطع حديثه إذ ينفتح الباب بَغتةً وتدخُل منه أم إلياس ومن بعدها زينة)

(1) اسم آلة من شنَقَ: جهاز يشنق به المحكوم عليه بالإعدام شَنْقًا

(2) الاضطراب والاشمئزاز.

(3) هذا البيت لشاعر أموي الصلتان العبدي(م:80هـ).

(4) سرورها

(5) سحاب لا مطر فيه فكأنه يَخْدَع

المشهد الثاني

إلياس ـ داود ـ أم إلياس ـ زينة

أم إلياس	أوف. أوف. هالشوب.[1] (تروح بمروحة بيدها) شيء بيلسق[2]. (إلى إلياس) كيف إجاك[3] قعود أنت طول النهار بالست؟ ـ يمّا[4] بعدك بتشارع ربنا؟ مين حضرة الشاب؟
إلياس	هذا صديقي المعلم داود يا أمي. هو يعلّم في مدرسة عين الدلبة الداخلية.
أم إلياس	(بكبرياء) والنِّعْمْ.
داود	لي الشرف يا خالتي أم إلياس.
إلياس	(مشيراً إلى زينة) وهذه أختي زينة يا داود.
داود	لي الشرف يا ست[5] زينة.
أم إلياس	(بعد أن تجلس) مين حضرة الشاب؟ (تروّح)
إلياس	قلت لك إنه المعلم داود.
أم إلياس	(بغضب) فهمت أنه المعلم داود. لكن فكري ـ مينو. شو دينه ـ روم؟ موراني.[6]
داود	أنا يا خالتي، لا روم ولا ماروني.
أم إلياس	بلا دين لكن ـ هرطوقي[7]؟.. آ . الرحمة والسترة منك يا ربي. شو هالجيل الكافر.
داود	لست بكافر يا خالتي أم إلياس. أنا أؤمن بالله ورسله وأنبيائه من كل قلبي.

(1) يا للحَرّ، تعبير لإظهار الحر الشديد

(2) يعني: شيء يحرق ويغلي

(3) "اجاك" بمعنى أتاك وفي الجملة: كيف تقعد أنت طوال النهار في البيت؟

(4) يمّا بمعنى أمي وفي الجملة: إلى متى تتحدى ربك؟

(5) "ست"مخفف سيدة.

(6) تعني: فهمتُ أنه المعلم داود ولكن قصدي من هو؟ وما دينه؟

(7) "هرطوقي" أي مبتدع في الدين

أم إلياس	يي[1] ـ نجّينا يا ربي! مسلم ويهودي! لكن إنت مَنِ اللي صلبوا المسيح.
داود	أريد أن أقول إني اعتبر يسوع وموسى ومحمداً على السواء. في العالم إله واحد ـ وهو إله الجميع. ليس مسيحيا ولا مسلما ولا يهوديا.
أم إلياس	بحاكيك بالشرق بتجاوبني بالغرب.[2] (تروّح وقد فرغ صبرها) وين بتصلي[3]؟ بكنيسة الروم يما المواربي يمّا البِسترَنْد (تعني البروتستانت) يمّا بالجامع؟
داود	أصلي في قلبي يا خالتي ـ لا في كنيسة الروم ولا المواربة ولا البروتستانت ولا في الجامع.
أم إلياس	شو لنا بالكنايس[4] لكن إذا كنا بدنا نصلي بقلوبنا؟ شو لنا بالخوارنة والمطارنة؟
داود	من لا يقدر أن يعبد ربه إلا في الكنيسة فليذهب إلى الكنيسة. ومن لا يقدر أن يخاطب خالقه سوى بلسان كاهن أو شيخ فليتبع كاهنه وشيخه. أما أنا فأراني في غنى عنهما.
أم إلياس	وبتقول إنك بتعقيد بالمسيح كمان؟
داود	نعم.
أم إلياس	وعالكنيسة ما بتروح[5]. وخوري مطران ما بتعرف؟
داود	نعم.
أم إلياس	وبعدك بتقول إنك مسيحي
داود	نعم.
أم إلياس	(قد فرغ صبرها) يي نجّينا يا ربي! (تنهض غاضبة وتخرج من الباب إلى اليسار. سكوت. أم إلياس ترجع بعد قليل. إلى داود) شايف ها الصورة؟ (تشير إلى صورة زوجها) هَيْ صورة المرحوم بطرس بَيك. قتل بزمانه عشرين درزي بهالسيف هادا وعشر متاولي بهالسيف هادا. الباشا كان يحسب له حساب. كان يفرق عقل عالدني كلها. لا مسلم ولا درزي كان يسترجي يتنفس بوجهه. مع هذا كله بحياتي وأبد زماني ما شفعته يوم حد قعد بالبيت وما راح عالكنيسة ...[6]

(1) يي: صوت يصدر من الإنسان بغتة عندما يسمع شيئا غريبا، ويأتي بمعنى الاستغراب.

(2) أتحدث معك عن الشرق وترد علي عن الغرب، أي أسألك عن شيء وتجيبني عن شيء آخر.

(3) أين تصلي؟

(4) ما لنا بالكنائس؟

(5) ولا تذهب إلى الكنيسة ولا تعرف خوري مطران أي كهنة وشيوخ؟

(6) هل ترى هذه الصورة؟ هي صورة المرحوم بطرس بك، قتل في أيامه عشرين درزي (المنتمون إلى طائفة الدروز، إحدى الجماعات الدينية)، وعشرين متاولي (منكر) بهذا السيف، وكان الناس يضعون حساب لهذا الباشا، وكان يشتت عقل الدنيا كلها (أي يدهش الجميع ويطير عقولهم)،

إلياس	(يقاطعها) أنا قد أخبرته عن ذلك يا أمي.
أم إلياس	خبّرته؟ خبرته عن خالك شاهين والكل؟ هاداك كان زنده يهز الأرض. وحده قتل أربعين كردي بخنجره. شايف هالرمح[1]؟ (تشير إليه على الحائط)
إلياس	(يقاطعها) قد أخبرته عن خالي شاهين كذلك يا أمي.
أم إلياس	الله ينجينا شو هالجيل الكافر. (إلى داود) ابني. بدك أكثر من ابني؟ ما بيروح عالكنيسة إلا بألف عصا. اليوم عاندني وعاندني وكسر كلمي وما راح. مثل ما يكون بطرس بيك سماحه مش بيّه. لكن خليل ـ رضا قلبي عليه ـ بيروح عالكنيسة كل عيد وكل حد. (تخرج)[2]

(هذا النص مأخوذ من مسرحية الآباء والبنون: ميخائيل نعيمة، مؤسسة نوفل ش م م، ط: 9، 1989)

ولم يكن بوسع مسلم أو درزي أن يتنفس بوجهه(يواجهه أو يعانده). ومع هذا كله لم أر في حياتي وأبد زماني أن جلس في البيت يوم الأحد ولم يذهب إلى الكنيسة.

(1) هاذاك كان حيا يهز الأرض، قتل لوحده أربعين كردي بخنجره، هل ترى هذا الرمح؟

(2) ربنا ينجينا، ما هذا الجيل الكافر (إلى داود)

ابني، تريد أكثر من ابني (بدك بمعنى أنت تريد)، لا يذهب إلى الكنيسة إلا بألف عصا، اليوم عاندني(أي خالفني) ولم يسمع كلامي ولم يذهب. كأنه بطرس بيك سماحة وليس بيه. ولكن خليل (رضي قلبي عليه) يذهب إلى الكنيسة في كل عيد وكل يوم الأحد.

المشهد الثالث

إلياس ـ داود ـ زينة

إلياس	(إلى داود بعد سكوت قصير) هل رأيت بعينك وسمعت بأذنك؟
داود	نعم ـ قد سمعت ورأيت. لكنني لم أرَ ما يصدع العزم ولم أسمع ما يرسل اليأس إلى القلب.
إلياس	والله لقد صدق المثل "الحرب بالنظارات هيّن". أتعني أنك لو كنت مكاني لكنت تحاول أن تغير معتقدات أمك القديمة، وتعلمها مبادئ جديدة كما لو كانت طفلة صغيرة؟
داود	لم أفقد بعد عقلي لأحاول المستحيل. لكني أعجب إذ أراك، مع كل درسك وفهمك، لم تدرك حتى الآن أن اختلاف الآباء والبنين في الأذواق والميول والمعتقدات أمر طبيعي جداً. ولو لاه لما كان ما ندعوه تقدماً.
إلياس	وما حيلتك بأم تطلب الطاعة العمياء من بنيها حتى وإن أدى إلى كارثة لها ولهم؟
داود	قيل: "أكرم أباك وأمك." وما قيل: "أطع أباك وأمك حتى وإن كانا على ضلال." إن تكن طاعةُ الحق فضيلة، فعصيان الباطل فضيلة أكبر. والباطل قد يأتيك من أمك مثلما قد يأتيك من الغريب. وما عليك في الحالين إلا أن تحاربه بكل ما أوتيت من قوة.
إلياس	لو شئت أن امتثل لإرشادك لتحول هذا البيت إلى ساحة حرب.
داود	وأي بأس في ذلك؟ أليست الحياة كلها حرباً؟ ولو لم تكن حياتنا حربا دائمة على الجهل، على الظلم، على الفقر، على الضعف، على الذل لما كانت حرية بأن نحياها. إنما نتعضق الحياة لا كما هي، بل كما نريدها أن تكون. وفي ذلك سر تعلقنا بأذيالها. ولن ننفك في حرب معها حتى يكون لنا ما نريد.
إلياس	أأحارب أمي؟
داود	بل حارب ما فيها من ضلال بما فيك من حق.
إلياس	وهل حاربتَ والديك؟
داود	(بصوت منخفض ترافقه تنهيدة) لقد أراحاني من الحرب إذ أدركتهما المنون قبل أن أدركت سن الرشد ... (سكوت)
إلياس	(هازئاً) حبّذا لو نتبادل الأوضاع فتأخذ على عاتقك تربية أم إلياس وآخذ على عاتقي تربية تلاميذك. إذن لضحكتُ ملء شدقيّ عندما أراك مشمراً وهارباً من وجه أم إلياس لا تلوي على شيء. (يضحك. زينة تبتسم ابتسامة مكبوتة)
داود	(ضاحكاً) بل أنت الذي ينهزم مشمّراً عن ساقيه.
إلياس	لا تنسَ يا صديقي أن أم إلياس تمثل جيلا ـ بل أجيالاً ـ من العقائد والخرافات والأوهام المتأصلة في النفوس تأصل الجذور في التراب. وهذه ليس من السهل اقتلاعها. والأغلب أنها تقضي عليك قبل أن تقضي عليها. عد إلى رشدك يا داود. فأنت لن تقتلع جذراً حتى يثبت مكانه ألف.

	"وهل يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟"
داود	ليهدم الهادمون ما شاؤوا. فذلك لن يثنيني عن البناء. ومن ثم فلي شغف بالهدم مثلما لي شغف بالبناء. والذي لا يهدم لا يبني.
إلياس	اهدم ما شئت. ولكن حذرا أن تطمرك أنقاض ما تهدم. وإني لأخشى أن يكون ذلك نصيبك في النهاية، وأن لا استطيع انتشالك. وهناك الطامة الكبرى. (يضحك) كأني بك تحاول نقل البحر في قمع بلوطة. وذلك هو الجنون بعينه. أليس كذلك يا زينة؟ (زينة تحمر خجلا وتطرق) (خليل يغني خارج الباب بصوت أجش: جننتينا ... يا حلوه ـ يا بيضا وجننتينا ... يفتح الباب بيساره ويقف مخاطباً رفيقاً خارجاً ...) "بشوفك الليلة بقهوة الجسر. آ؟ الساعة ثمانية. أوعى تنسى! سلّم!" (يدخل مغنياً "يا حلوه ـ يا بيـ ..." يقف في الباب منبهتاً وقد رأى الحضور داخلا)

ورقة الاختبار النموذجية

Maulana Azad National Urdu University

M.A. Arabic III[rd] Semester Examination Model Paper

Paper Code: MAAR301CCT Time: 3 Hrs

Paper Title : GRAMMAR -2 Marks:70

اشتملت هذه الورقة على ثلاثة أجزاء، تلزم الإجابة من كل جزء وفق التعليمات.

الجزء الأول (1x 10 = 10)

اختر الجواب الصحيح من بين الخيارات فيما يلي من الأسئلة۔

1- من قام بترجمة مسرحية "البخيل" لموليير الى اللغة العربية :

(a)توفيق الحكيم (b)عزيز أباضة (c)جورج أبيض (d)مارون النقاش

2- ما هو الكتاب الذي رد فيه الرافعي على آراء طه حسين عن الشعر الجاهلي:

(a)على السفود (b) تحت رأية القرآن (c)في ظلال القرآن (d)في الشعر العربي

3- المجلة التي أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من باريس بي :

(a)الثقافية الدينية (b)مجلة الأزهر (c)العروة الوثقي (d)الوقائع المصرية

4- المنفلوطي أديب :

(a)سعودي (b)مصري (c)عراقي (d)هندي

5- رواية "ما جدولين" في الأصل للكاتب الفرنسي:

(a)فيكتور هيوجو (b)ادموند روستان (c)فرانسوا كوبيه (d)ألفونس كار

6- المسرحية هي:

(a)جنس أدبي (b)مسألة فقهية

(c)باب من أبواب المنطق (d)اسم لأمة من الأمم الهندية

7- "حديثنا مع الكوكب" كتاب في:

(a)الفلسفة (b)التاريخ (c)الدراما (d)نصوص سياسية

8- أول رواية عربية متكاملة هي:

(a)زينب (b)في القطار (c)الأرواح المتمردة (d)العبرات

9- هاجم المازني على المنفلوطي في كتابه:

(a)العبرات (b)الديوان فى الأدب والنقد (c)الأيام (d)الأخبار

10- من أهم مؤلفات الرافعي في ميدان الدراسات الأدبية---

(a)حديث القمر (b)الأدب والأدباء (c)تاريخ الأدب العربي (d)تاريخ آداب العرب

***

الجزء الثاني (6x 5 = 30)

أجب عن خمسة أسئلة مما يلي، ولكل سؤال ست علامات.

1- ما هي الفنون المستحدثة في النثر العربي الحديث؟
2- اكتب مقالةً عن المساهمات الأدبية لمصطفى الرافعي.
3- من أهم الشخصيات التي صورها هيكل في رواية زينب؟
4- ما هي عناصر المسرحية؟
5- اكتب عن أسلوب توفيق الحكيم في ضوء مسرحية 'أهل الكهف".
6- ترجم الفقرات التالية إلى اللغة العربية:
7- ماذا تعرف عن كتابين "فجر الإسلام وظهر الإسلام" لأحمد أمين؟
8- ترجم العبارة التالية إلى اللغة الأردية أو الإنكليزية:

غمرت مشيئة الرؤساء إرادة من دونهم، فعاد هؤلاء كأشباح اللاعب يديرها من وراء حجاب، ويظنها الناظر إليها من ذوي الألباب، ففقد بذلك الاستقلال الشخصي، وظن أفراد الرعايا أنهم لم يخلقوا إلا لخدمة سادتهم وتوفير لذاتهم، كما هو الشأن في العجماوات مع من يقتنيها. ضلت السادات في عقائدها وأهوائها، وغلبتها على الحق والعدل شهواتها، ولكن بقي لها من قوة الفكر أرادأ بقاياها، فلم يفارقها الحذر من أن بصيص النور الإلهي الذي يخالط الفطر الإنسانية قد يفتق الغلف التي أحاطت بالقلوب، ويمزق الحجب التي أسدلت على العقول، فتهتدي العامة إلى السبيل، ويثور الجم الغفير على العدد القليل.

***

الجزء الثالث (10x 3 = 30)

أجب عن ثلاثة أسئلة فقط، ولكل سؤال عشر علامات.

1- حلل العناصر الفنية والأدبية في قصة "الدفين الصغير".
2- اكتب عن اسهامات جبران خليل جبران ومكانته في الأدب العربي.
3- ترجم العبارة التالية إلى اللغة الأردية أو الإنكليزية:

في هاته الساعة من النهار حين تبدأ الموجودات ترجع لصوابها، ويقطع الصمت المطلق الذي يحكم على قرى الفلاحين طول الليل أذان المؤذن وصوت الديک ويقظة الحيوانات جميعاً من راحتها، وحين تتلاشى الظلمة ويظهر الصباح رويداً رويداً من وراء الحجب، في هاته الساعة كانت زينب تتمطى في مرقدها، وترسل في الجو الساكن الهادئ تنهدات القائم من نومه، وعن جانبيها أختها وأخوها ما يزالان نائمين، فانسحبت هي من بينها، وبعيون ما يزال فيها أثر النوم نظرات لكل ما حولها. ولم يدعها نسيم الصباح تترک مكانها، بل استندت إلى الوسادة وجاهدت أن تنظر لعلها ترى ما في صحن الدار فلم تجد شيئاً. وأدارت رأسها فاذا باب الغرفة موصد، ولا صوت حولها إلا ما يتنادى به رسل الإصلاح من أطراف القرية.

4- ترجم العبارة التالية إلى اللغة الأردية أو الإنكليزية:

نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، واستنبئ على رأس الأربعين من سنه، وغبر ثلاث عشرة سنة يدعو الله من قبل أن يهاجر الى المدينة، فلم يكن في الإسلام أول بدأته إلا رجل وامرأة وغلام: أما الرجل فهو هو النبي صلى الله عليه وسلم، وأما المرأة فزوجه خديجة، وأما الغلام فعلي ابن عمه أبي طالب.

ثم كان أول النمو في الإسلام بحر وعبد! أما الحر فأبو بكر ، وأما العبد فبلال، ثم اتسق النمو قليلاً قليلاً ببطء الهموم في سيرها، وصبر الحر في تجلده، وكأن التاريخ واقف لا يتزحزح، ضيق لا يتسع، جامد لا ينمو، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم أخو الشمس، يطلع كلاهما وحده كل يوم. حتى إذا كانت الهجرة من بعد، فانتقل الرسول المدينة، بدأت الدنيا تتقلقل، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها، وكانت خطواته في هجرته تخط في الأرض، ومعانيها تخط في التاريخ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ومعناها بين المشرق والمغرب.

5- سجل معلوماتك عن تطور الرواية العربية في العصر الحديث.